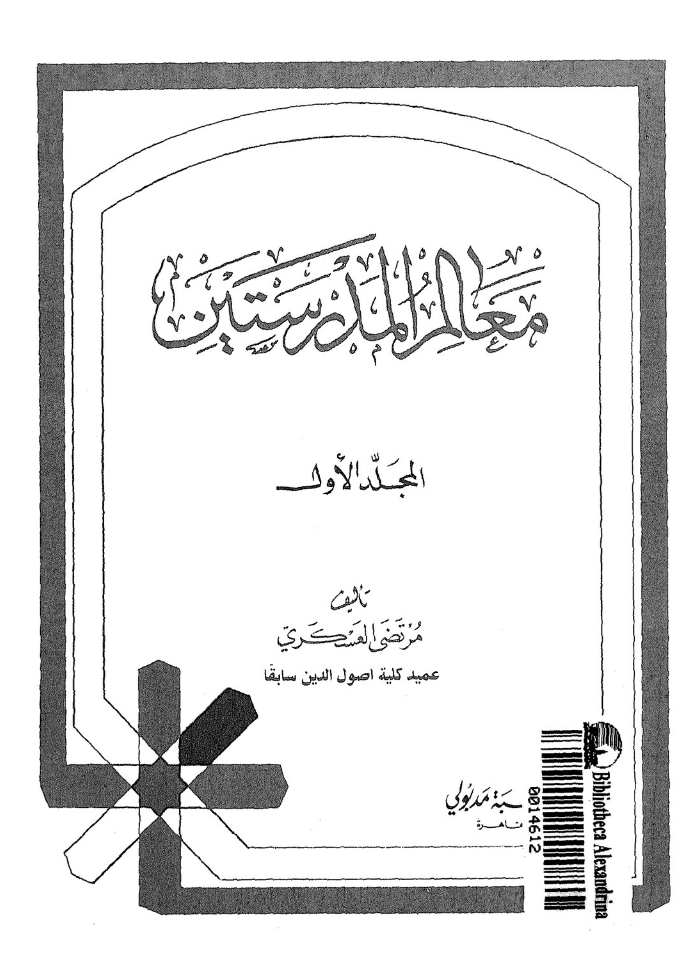


معالم المدرستين

المجلد الأول

تأليف

مرتضى العسكري

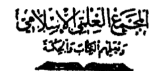
عميد كلية اصول الدين سابقا

مكتبة مدبولي

القاهرة

معالم المدرستين

١





المجلد الأول

بحوث المدرستين في الصحابة والإمامة

تأليف

السيد مرتضى العسكري

عميد كلية أصول الدين - بغداد سابقاً

الطبعة الخامسة
١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

السّلام عليك يا إمام العصر و رحمة اللّه و بركاته

سيّدي ياابن رسول اللّه (ص) إليك أهدي هذا المجهود الضئيل.

﴿ يا أيّها العزيز مسّنا و أهلنا الضرّ و جئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل و تصدّق علينا إنّ اللّه يجزي المتصدّقين ﴾.

أيّها الجواد الكريم،. اشفع لنا عند اللّه ليغفر لنا ذنوبنا و يكشف عنّا و عن قومنا الضرّ؛ إنّه أرحم الراحمين.

صغير خدامكم

مرتضى العسكري

أعوذُ باللّه من الشَّيطانِ الرجيم

فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَ أُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلوا الألْبَاب.

الزمر/١٧ ـ ١٨

مقدمة الطبعة الرابعة :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، و الصلاة و السلام على محمد و آله الطاهرين و السلام على أزواجه الطاهرات أُمهات المؤمنين، و على أصحابه البررة الميامين، و بعد :

لما كان هذا الكتاب في بحوثه نسيج وحدهِ، شأنه في ذلك شأن كتابَيْ « عبدالله بن سبأ » و « خمسون ومائة صحابي مختلق » ولم تُنسَجْ على منوال سابق؛ كان لابدَّ لبحوث كلٍّ منها أن تتكامل تدريجياً، لذا صدر :

الجزء الأول منه :

في طبعته الأولى، عام	١٤٠٥	في	٢١٥	صفحة
وفي طبعته الثانية، عام	١٤٠٦	في	٣٧١	صفحة
وفي طبعته الثالثة، عام	١٤٠٩	في	٥١٩	صفحة
وفي طبعته الرابعة هذه، عام	١٤١٢	في	٦١٦	صفحة

و الجزء الثاني منه :

في طبعته الأولى، عام	١٤٠٥	في	٣٧٨	صفحة
وفي طبعته الثالثة، هذه عام	١٤١٢	في	٤٠٥	صفحة

ولو فسح الله تعالى في الأجل، و شاء لي ـ عزّ اسمه ـ ان استدرك على بعض بحـوث هذا الكتاب بعد هذه الطبعة فسوف أُلحق المستدرك في طبعاته القادمة بآخر الكتاب ولا أُغير وضع البحوث عما هو عليه في هذه الطبعة إن شاء اللّه تعالى هذا و الكمال للّه وحده.

و آخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

مرتضى العسكري

نجل السيد محمد الحسيني

نجل السيد اسماعيل آل شيخ الإسلام

مخطّط بحوث الكتاب

بحـوث تمهيديّة تبـيّن منشـأ الخلاف بين مدرستي الإمامة والخلافة وتنقسم بحوث الكتاب بعدها إلى قسمين:

القسم الأوّل ـ بحوث مصادر الشّريعة الإسلاميّة لدى المـدرستين وسبل الوصول إليها، وعليها تبنى العقيدة الإسلاميّة وأحكامها وتشمل البحوث الخمسة الآتية:

أوّلاً ـ بحوث المدرستين في الصّحبة والصّحابة.

ثانياً ـ بحوث المدرستين في الإمامة والخلافة، وهما من سبل الوصول إلى الشّريعة الإسلاميّة وتكوين الرؤية الصّحيحة للإسلام.

ثالثـاً ـ بحـوث المـدرستين في مصادر الشّريعة الإسلاميّة، وتنقسم إلى مجموعتين: أ ـ دراسة روايات المدرستين حول القرآن الكريم. ب ـ بحوثهما حول سنّة الرّسول (ص)، وبيان كيفية اتّخاذ مدرسـة الخلفـاء الاجتهـاد والعمـل بالـرأي من مصادر الشّريعة الإسلامية في عداد كتاب اللّه وسنّة رسوله (ص).وبها يتمّ بحث مصادر الشّريعة الاسلاميّة وسبل الوصول إليها لدى مدرسة الخلفاء.

رابعـاً ـ قيام الإمـام الحسين (ع) ضدّ الانحراف عن سنّة الرسول بسبب الاجتهاد والعمل بالرأي.

خامساً ـ تمكّن أئمة أهل البيت (ع) من إعادة سنّة الرسول إلى المجتمع بعد قيام الإمام الحسين (ع)، وتمكُّن مدرستهم من نشر سنّة الرسول (ص) بعد ذلك. وبهذا يتمّ بحث مصادر الشّريعة الإسلاميّة وسبل الوصول إليها لدى مدرسة أهل البيت، وتتمّ بذلك بحوث الأسس الفكريّة لدى المدرستين.

و يليها في آخر الكتاب آراء القراء حول الكتاب .

بحـوث تمهيـديّـة

- ١ -

توطئة

شرع اللّه للإنسان، بمقتضى ربوبيّته، من الدّين ما ينظم حياته ويسعده ويوصله إلى درجة الكمال الإنسانيّ، وهداه بواسطة أنبيائه إليه وسمّاه الإسلام[١]. كما سنّ لجميع مخلوقاته أنظمة تتناسب وفطرتهم وتوصلهم إلى درجة الكمال في وجودهم، وهداهم إلى السّير بموجبها إلهاميّاً أو تسخيريّاً[٢].

وكان النّوع الإنسانيّ كلّما توفّي رسول من رسل اللّه في أمّة منه، قام أصحاب الطّول والسّلطان من تلك الأمّة بتحريف ما يخالف هوى أنفسهم من شريعة نبيّهم أو كتمانه، ثمّ ينسبون ما لديهم من الشّريعة المحرّفة إلى اللّه

١) قال اللّه سبحانه وتعالى: ﴿ إنّ الدّين عند اللّه الإسلام ﴾ آل عمران/١٩. وقال: ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ﴾ آل عمران/٨٥.

٢) قال اللّه سبحانه وتعالى: ﴿ سبّح اسم ربّك الأعلى الّذي خلق فسوّى والذي قدّر فهدىٰ والذي أخرج المرعى فجعله غثاءً أحوىٰ ﴾ الأعلى/١ - ٥.

وقال: ﴿ ربّنا الّذي أعطى كلّ شيءٍ خلقه ثمّ هدىٰ ﴾ طه/٥٠.

وقال سبحانه: ﴿ وأوحى ربّك إلى النّحل أن اتّخذي من الجبال بيوتاً... ﴾ النحل/ ٦٨.

وقال سبحانه: ﴿ والشّمس والقمر والنّجوم مسخّراتٍ بأمره ﴾ الأعراف/٥٤.

و رسوله[3].

ثم يجدّد اللّه دين الإسلام بإرسال نبيّ جديد ينسخ بعض الشّعائر و الطقوس الّتي لامسها التّحريف. و لـمّا أرسل اللّه خاتم أنبيائه محمداً (ص) با لقرآن، أنزل فيه أصول الإسلام من عقائد و أحكام في آيات محكمة و أوحى إليه تفصيل ما أنزل في القرآن ليبيّن للنّاس ما نزّل إليهم[4]، فعلّمهم الرسول شرائع الإسلام من كيفيّة ركعات الصّلاة وتعدادها، وما يمسكون عنه في الصّوم و شرائطه، و الطّواف و أشواطه و بدايته و نهايته، إلى غيرها من أحكام واجبة و مستحبّة و محرّمة، فتكوّن منها لدى المسلمين الحديث النبويّ الشّريف. وكذلك جعل اللّه تجسيد الإسلام في سيرة رسول اللّه (ص) و أمر النّاس باتّباعه في قوله تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول اللّه أسوة حسنة﴾ الأحزاب/ ٢١.

و سمّي مجموع السّيرة و الحديث النبوي في الشرع الإسلامي بالسنّة، و أمرنا اللّه و رسوله باتّباع سنّة الرسول (ص)[5].

٣) قال اللّه سبحانه: ﴿ وإنّ منهم لفريقاً يلْوُون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب، ويقولون هو من عند اللّه وما هو من عند اللّه ويقولون على اللّه الكذب وهم يعلمون ﴾ آل عمران/ ٧٨

وقال: ﴿ أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام اللّه ثمّ يحرّفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ﴾ البقرة/٧٥.

وراجع الآيات: البقرة/٤٢ و١٤٦ و١٥٩ و١٧٤، وآل عمران/١٨٧.، والنساء/٤٦، والمائدة/١٣ ـ ١٥، ٤١، ٥٩ ـ ٦١.

٤) قال سبحانه: ﴿ وأنزلنا إليك الذّكر لتبيّن للنّاس ما نزّل إليهم ولعلّهم يتفكّرون ﴾ النحل/٤٤.

٥) أمر اللّه في آية: ﴿ لقد كان لكم في رسول اللّه أسوة حسنة ﴾ بالاقتداء بسيرة الرسول (ص)، وفي آية: ﴿ ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ الحشر /٧، أمر بالعمل بحديث الرسول (ص) و السنّة عبارة عنها.

وهكذا أكمل اللّه تبليغ الإسلام إلينا في القرآن والسنّة النبويّة، وتوفّي الرسول (ص) بعد أن أخبر أمّته وحذّرها بأنّه يجري في هذه الأمّة ما جرى في الأمم السّابقة حذو النعل بالنعل والقُذَّة بالقُذَّة، وأنّه لودخل من الأمم السّابقة أحدهم في جحر ضبّ لدخل من هذه الأمّة أحدهم كذلك في جحر ضبّ[6].

* * *

وكان من أمر التحريف في هذه الأمّة أنّ اللّه سبحانه وتعالى حفظ القرآن من أن تناله يد التّحريف وقال: ﴿ إنّا نحن نزّلنا الذّكر وإنّا له

٦) تجد تفصيل الأحاديث الواردة في هذا الشّأن في البحث الخامس من البحوث التمهيديّة بالجزء الثاني من «خمسون ومائة صحابيّ مختلق». وراجع - أيضاً - نصوص الأحاديث في المصادر التالية:

أ - إكمال الدين للصّدوق ص ٥٧٦، وروى المجلسي عنه في البحار ٣/٨، وفي تفسير الآية: ﴿ لتركبنّ طبقاً عن طبقٍ ﴾ في كلّ من مجمع البيان للطبرسي. وجلاء الأذهان لكازر.

ب - صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ١٧١/٢، ح ٣، وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب قول النبي (ص): «لتتّبعنّ سنن من كان قبلكم - الحديث» ١٧٦/٤، ح ١ و٢.

وفتح الباري بشرح البخاري ٦٣/١٧ و٦٤.

ج - صحيح مسلم بشرح النّووي ٢١٩/١٦ كتاب العلم.

د - صحيح الترمذي ٢٧/٩ - ٢٨ و ١٠٩/١٠.

هـ - سنن ابن ماجة ح ٣٩٩٤.

و - مسند الطيالسي ح ١٣٤٦ و ٢١٧٨.

ز - مسند أحمد ٣٢٧/٢ و٣٦٧ و ٤٥٠ و ٥١١ و٥٢٧ و٨٤/٣ و٩٤ و١٢٥/٤ و ٢١٨/٥ و ٣٤٠.

ح - مجمع الزوائد ٢٦١/٧ عن الطبراني.

ط - كنز العمّال ١٢٣/١١ عن الطبراني في الأوسط والحاكم في المستدرك.

ي - في تفسير الآية: ﴿ ولا تكونوا كالّذين تفرّقوا ﴾ من سورة آل عمران في الدرّ المنثور للسيوطي عن المستدرك للحاكم.

لحافظون ﴾ الحجر/ ٩، وقال: ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴾ فصّلت/ ٤٢.

وأمّا السنّة الّتي رويت لنا سيرةً وحديثاً في روايات كثيرة، فإنّ اللّه لم يحفظها من التّحريف، كما يتّضح ذلك جليّاً في آختلاف الروايات النبويّة الّتي بأيدي جميع المسلمين اليوم، ولتعارض بعضها مع بعض. وأدّى الاختلاف في الحديث الشريف إلى أن يهتمّ بعض العلماء بمعالجته، وألّفوا كتباً مثل: تأويل مختلف الحديث[٧] وبيان مشكل الحديث[٨] وبيان مشكلات الآثار[٩].

ومن جرّاء آختلاف الأحاديث، آختلف المسلمون في فهم القرآن وتشتّت كلمتهم أبد الدهر. أضف إليه وجودهم في بيئات مختلفة، ومعاشرتهم أهل الآراء والملل والنّحل الأخرى. كلّ ذلك أدّى إلى اختلاف رؤيتهم للإسلام، وبادر بعضهم إلى تأويل الآيات الكريمة والصّحيح ممّا بأيديهم من الحديث الشّريف، وفقاً لرأيهم ورؤيتهم للإسلام. وأدّى بهم ذلك إلى القطيعة في ما بينهم وعدم آستماع بعضهم إلى آراء الآخرين، وإلى تكفير بعضهم بعضا.

كان ذلكم عوامل التّشويش الداخلي، كما كان ثَمّتَ عوامل خارجيّة عملت في الداخل بواسطة عملائها كالآتي ذكره:

عوامل التخريب الخارجي

من عوامل التّخريب والتّحريف في مصادر الدراسات الإسلاميّة (كتب

٧) تأليف آبن قتيبة عبد اللّه بن مسلم(ت ٢٨٠ هـ أو ٢٧٦ هـ).
٨) تأليف آبن فورك محمد بن الحسن (ت ٤٠٦ هـ).
٩) تأليف أبي جعفر أحمد بن محمد الأزدي المعروف بالطحاوي (ت ٣٢١ أو ٣٢٢ هـ).

الحديث و السّيرة و التفسير) و غيرها، عوامل التخريب الخارجي و هي:

أوّلاً - أخبار أهل الكتاب الّتي آنتشرت في مصادر الدراسات الإسلاميّة من قبل أمثال: كعب الأحبار و تميم الداري.

ثانياً - روايات و أخبار وضعتها زنادقة أمثال: آبن أبي العوجاء و سيف ابن عمر، و آنتشرت في تلك المصادر[10].

ثالثاً - و أخيراً، عندما غزت قوىٰ الكفر (المستعمرون) بلاد المسلمين، حاربت الإسلام بأفتك سلاح هدّام، حين وظّفت المبشّرين من علماء اليهود و النّصارى و المعروفين بآسم المستشرقين ليُمعنوا في طلب مواطن الضّعف بمصادر الدراسات الإسلاميّة، و يحاربوا الإسلام بها. فآجتهد هؤلاء في وضع فهارس للمصادر الإسلاميّة و تنظيمها و تنسيقها و نشرها بكلّ إتقان، و أشرفوا بواسطتها على كلّ ما فيها، و آلتقطوا من شتّى الكتب كلّ خبر موضوع و مدسوس يشوّه الإسلام، مثل: أسطورة الغرانيق، و غيرها، و ألّفوا ممّا التقطوا منها باسلوب بديع، كتباً مثل: (دائرة المعارف الإسلاميّة) و (محمّد النبيّ السياسيّ)[11].

و عمل الغزاة (المستعمرون) أخطر من ذلك في حربهم للإسلام، حين دفعوا إلى الواجهة في بلاد المسلمين تلاميذ أولئك و خرّيجي مدارسهم الفكريّة و دعاة أفكارهم و مروّجي حضاراتهم، و سلّطوا عليهم الأضواء و عرّفوهم بآسم المصلحين للإسلام و منوّري الفكر و التقدّميّين، فآستورد هؤلاء نتيجة أفكار

١٠) درسنا انتشار أخبار أهل الكتاب في مصادر الدراسات الإسلامية في الجزء السادس من سلسلة (أثر الأئمة في إحياء السنة) و تخريب المستشرقين في الجزء الثالث و الرابع منه، و تخريب الزنادقة في الجزء السادس منه، و البحوث التمهيدية من الجزء الأوّل من (خمسون و مائة صحابيّ مختلق). و درسنا تحريف سيف منهم خاصّة فيه و كذلك فعلنا في كتاب عبد اللّه بن سبأ.

١١) و شذّ من المستشرقين في كلّ عصر آحاد خضعوا للحقّ.

أولئك إلى بلاد الإسلام، ونشروها بشتّى وسائل النّشر وبأسماء مختلفة وعناوين مشوّقة للنفوس.

وكان من هؤلاء: السير سيّد أحمد مؤسّس جامعة عليگره الإسلاميّة في الهند، وأحمد لطفي السيّد أستاذ الجيل، وقاسم أمين نصير المرأة في مصر. وكذلك فعلوا في العراق وإيران وغيرها من البلاد الإسلاميّة [١٢].

وكان من الطبيعيّ أن تقوم بين هؤلاء وبين حفظة الفكر الإسلامي الأصيل حربٌ يعين فيها المستعمر وعملاؤه والمغرر بهم تلاميذَ المستشرقين.

وكان أفتك سلاح بأيدي هؤلاء ما تذرّعوا به في حرب الإسلام بأسم تعريف الإسلام وتاريخه وتعريف الشّخصيّات الإسلامية، مثل ما فعل السير سيّد أحمد حين كتب تفسير القرآن حسب زعمه، وجرجي زيدان في قصصه. وجلّ محاولات هؤلاء وأساتذتهم المستشرقين ترمي إلى شيء واحد وتستهدفه، وهو ما قاله أحدهم: (لا يُقتل الدين إلاّ بسيف الدين)!

وفي سبيل تحقيق هذه الخطّة أخذوا يفسّرون القرآن ويشرحون الحديث النبويّ الشريف ويكتبون سيرة الرسول (ص) والأئمة، يحاولون في كلّ ما يعملون أن يجرّدوا الجميع من الاتّصال بالغيب، وعرضها على أنّها من طبيعة البشر، ثمّ يلوّحون من طرف خفيّ، وأحياناً يصرّحون جليّاً: أنّ كلّ فرد منهم وكلّ شيء من الإسلام كان متناسباً مع زمانه وكان تقدميّاً في عصره

١٢) هؤلاء وأمثالهم من دعاة الحضارة الغربية في البلاد الإسلامية ومهدّمي الأعراف الإسلاميّة ومخالفي أحكامها. وقد ناقشنا بعض مانشره هؤلاء من الفكر الغربي المستورد، وأصدرنا الجزء الأوّل منه في العراق، وآمتنعت دور النشر من نشره، كما منعت الحكومة المارونية اللّبنانية يومذاك من دخول الكتاب إلى لبنان، فلم نتمكّن من إصدار بقيّة أجزائه، ووجدنا أفضل ما نشر في هذا الصدد كتاب (أجنحة المكر الثلاثة) تأليف عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، من سلسلة (أعداء الإسلام)،ولنا بعض المؤاخذات على الكتاب.

ونافعاً للبشر في حينه، أمّا اليوم فنحن بحاجة إلى تطوير الإسلام وتجديده ليطابق مقتضيات العصر وحاجة أهله .

وهؤلاء مع سلاحهم هذا،الخفيُّ أثره على الكثير، أضرّ على الإسلام والمسلمين من بعض السياسيّين العملاء للغزاة الكفرة في بلادنا والّذين نصّبوهم حكّاماً لبلاد المسلمين ، بما قاموا به في الحرب الفكريّة من تحريف لحقائق الإسلام بآسم تعريف الإسلام أحياناً،والإسلام المتطور الملبّي لحاجات العصر تارةً أخرى.

من كلّ ما ذكرنا، يظهر جليّاً أنّ المسلمين في هذا اليوم وبعد كلّ ما مرّ على الإسلام من تيّاراتٍ فكريّة، بحاجة شديدة إلى دراسات مستفيضة لأقوال الفِرَق الإسلاميّة وتمحيص مالديها ، خلافاً لمايراه بعض المسلمين الغيارى الّذين يرون السّكوت عن كلّ ذلك أولى ، حفظاً لوحدة المسلمين !

ولست أدري كيف يتمّ ذلك مع وجود الخوارج[١٣]الّذين بنيت أصول عقائدهم على تكفير عامّة المسلمين وأنّهم هم وحدهم المسلمون وما عداهم مشركون ، وعلى التبرّي من الخليفة عثمان والإمام عليّ وأمّ المؤمنين عائشة وطلحة والزبير ومعاوية وعمروبن العاص ومن كان معهم ، ثمّ لعن أولئك ولعن جميع المسلمين .

كيف يتمّ ذلك وفي المسلمين من تتوق نفسه إلى زيارة قبر الرسول الأكرم (ص) وقبور أئمة المسلمين والتبرّك بها والاستشفاع والتوسل بهم إلى اللّه، وفيهم من يرى كلّ ذلك شركاً للّه وخروجاً على الإسلام وبدعة محرمة، وبذلك يرون أنّ جميع المسلمين بعد القرن الثالث الهجري إلى اليوم مشركون. وقد هدّموا مساجد المسلمين الّتي بنيت في طريق غار حراء وأمثاله

١٣) منتشرون في الجانب الشرقي من جزيرة العرب وشمال أفريقيا.

من الأماكن المتبرّكة إلى جانب تهديمهم قبور أئمة المسلمين و أمّهات المؤمنين وعمّ الرسول (ص) و آبن الرسول (ص) و صحابته و شهداء أحد ! ؟

و لا يفعل مثل ذلك مع اليهود و توراتهم و بيعهم و النصارى و كنائسهم ، و فيها ما فيها من الصلبان و تماثيل عيسى و مريم (ع) و هم يعلنون أنّ عيسى ربّهم و أنّ اللّه ثالث ثلاثة ـ معاذ اللّه ـ و إنّما يُعاهدون و لا يقال لهم : أنتم مشركون !

ثم إنّ المسائل المذكورة و نظائرها ليست مسائل تخصّ الفرد المسلم ـ مثل إسبال اليدين في الصّلاة ، الّذي تراه مدرسة أهل البيت و المالكية ، خلافاً للأحناف و الحنابلة الّذين يرون وجوب التكتف ؛ و مثل الاختلاف في غَسل الرِجلين أو مسحهما في الوضوء ممّا يتيسّر للفرد المسلم أن يعمل بموجب ماثبت لديه حكمه آجتهاداً أو تقليداً ، و يستطيع الفرد الآخر المخالف له في الرأي أيضاً أن يعمل بموجب ما ثبت لديه حكمه ، و يمكن لهما مع ذلك أن يعيشا في وفاق في مجتمع إسلامي واحد ـ و إنّما هي ممّا يبنىٰ المجتمع الإسلامي عليها ، فإمّا أن يبنى المجتمع على هٰذه العقيدة و تزول تلك ، و إمّا أن يبنى على تلك و تزول هٰذه .

و هي ليست بعد قضايا سياسية غير دينيّة يمكن التغاضي عنها حفظاً لوحدة المسلمين ، و إنّ نشر ملايين النسخ من أمثال كتاب (و جاء دور المجوس) بأسماء مستعارة و غير مستعارة ، و إنفاق بعض الحكومات على أمثالها ، لتنسب إلى أمّة كبيرة من المسلمين الخروج عن الإسلام ، و إنفاقها ملايين الملايين في نشر دعايتها في آلاف المعاهد و المساجد و المدارس بجميع أقطار الأرض : أنّ ما عداهم من المسلمين مشركون ، إضافة إلى إيفاد آلاف المبعوثين كذلك إلى جميع أقطار الأرض لنشر دعايتها من جانب واحد ، فإنّ كلّ ذلك لم يكن بدافع سياسيّ غير ديني .

كما أنّها ليست من قضايا أوجدها الاستعمار لإيجاد التفرقة بين المسلمين ليحسن السكوت عليها ، بل هي قضايا كانت قائمة ومنتشرة في المجتمع الإسلامي منذ عصر إمام الحنابلة أحمد (ت: ٢٤٠ هـ) وعصر الشيخ ابن تيميّة (ت: ٧٢٨ هـ) من أتباع مدرسته ، بل قبلهما وبعدهما إلى اليوم . وإنّ قتل مئات الألوف من المسلمين وإحراق مكتباتهم في شتّى العصور ومختلف البلاد خير دليل على ما نقول . فهي إذن مما يستفاد منها سياسياً من قبل تلك الحكومة أو ذلك الاستعمار ، متىٰ ما شاءت تلك أو شاء هذا ، فيما إذا لم تعالج . ثمّ إنّها ، كما ذكرنا ، عقائد راسخة والسكوت عنها على مضض لن يحقّق وحدة بين المسلمين ولا تقارباً ولا تفاهماً ، بل يعمّق الجرح ويوسّع شقّة الخلاف ويطيل أمدها . ولمزيد التوضيح وإقامة الدليل على ما بيّنت ، أذكر بعض مشاهداتي من آثار مسائل الخلاف بين أبناء الأمّة الإسلاميّة في ما يأتي .

ـ ٢ ـ

من آثار الخلاف بعض ما شاهدت بين أبناء الأمّة الإسلاميّة

اِعتمدت في ما أشرت آنفاً من تكفير المسلمين بعضهم بعضاً، وما سأذكره منها في ما يأتي، مع أنواع من آستدلالهم، إضافة إلى ما ورد في الكتب المطبوعة، على مشاهداتي في أسفاري إلى البلاد الإسلاميّة وآجتماعي بعلماء فِرَقِ المسلمين ومفكّريهم وأبناء شعوبهم، وخاصّة في سفراتي العشر لحجّ بيت اللّه الحرام.

في السفرة الأولى:

وكان ممّا رأيت في سفري الأوّل للحجّ على عهد الملك عبد العزيز آل سعود: أنَّ رَكْبَنا ـ ركْبَ الحاجّ العراقي ـ عندما بلغ مدينة الرماح من بلاد الحكومة السعودية، مكثنا فيها أربعاً وعشرين ساعة، وآشتركنا جميعاً في أداء الفرائض جماعة بمسجدهم. ولمّا دنت ساعة الرحيل، آجتمع علينا لفيف من أهالي المدينة يشاهدون رحيلنا، فحضر حشدهم من بدا عليه أنّه كان من ذوي معرفتهم، وخطب فيهم وأشار إلى أفراد الحاجّ وقال:

هؤلاء مشركون. وقال أيضاً: هؤلاء يبكون على الحسن والحسين. ثمّ أشار إليَّ وقال:

هذا مطـوِّعهم لو يطيح بِيدي أذبَحو و ألطع دَمُّو. فآنبرى له أحد الحجّاج وقال:

لماذا نحن مشركون نحن حججنا بيت اللّه، زرنا قبر النبيّ . . . !؟ فإذا به يرعد ويزبد ويقول له:

أشركت، لويجي أبو أبو سعود ما يحامي عنك. ويش محمد؛ محمد رجّالاً مثلي. (أي لا يستطيع الملك بسلطته ولا يستطيع جدّه سعود أن ينجيك منّي. وأيّ شيء كان محمداً، محمّد كان رجلاً مثلي وقد مات وانتهى أمره).

فآرتعد الحاجّ العراقي وقال:

ماذا أقول ؟ ماذا أقول ؟ فقال له:

قل ما هو ضار إلاّ اللّه، ما هو نافع إلاّ اللّه. فردّد الحاجّ مالقّنه إيّاه.

فآنبرىٰ له حاج عراقي آخر وقال له:

محمد رجالاً مثلك !؟ فأكّد قوله ثانية وقال:

محمد رجالاً مثلي، مات! فقال له الحاجّ:

محمّد نزل عليه القرآن فهل ينزل عليك القرآن ؟ فلم يحر جواباً، وبادرنا ركوب السيّارات وتحرّكت بنا.

وكان في ركبنا حاجّ يحمل جواز سفر سعوديّاً ويسكن العراق. فلمّا بلغنا الحدود وشاهده موظّف الجوازات السعوديّ، آنتهره وقال له مستهزئاً ومستنكراً:

تترك بلاد الإسلام وتسكن بلاد الشرك !؟

فأخذ الحاجّ السعودي يتذلل له ويتخشّع له ويطلب جواز سفره، حتّى أعاده إليه! !

في السفرة الثّانية :

كان علماء العراق يومذاك يحملون همّ إعادة الأحكام الإسلاميّة إلى المجتمع، يوقظون أبناء الأمّة الإسلاميّة في سبيل المطالبة بها، في مساجدهم وآحتفالاتهم ومهرجاناتهم، ويعارضون السّلطة في تشريعها قوانين مخالفة للأحكام الإسلاميّة. وكنا نتنسّم أخبار تحرّكات المسلمين في هذا السبيل في أيّ مكان كان، نؤيد ثورة الجزائر على فرنسا وندعم الثورة الفلسطينية بكلّ ما أُوتينا من حول وقوّة، ونستطلع أخبار الثورة الأريتيرية على الأحباش، ونرى من لوازم نجاح المعركة في سبيل إعادة الأحكام الإسلاميّة توعية المسلمين في هذا السبيل ثمّ تكاتفهم وتعاونهم في هذا الصدد ونسيان مسائل الخلاف في ما بينهم.

ولـمّا نشبت المعركة الإسلاميّة في إيران بين سلطة الطاغوت وعلماء المسلمين يومذاك بدءاً بمعركتهم من المدرسة الفيضية في الجامعة الإسلاميّة الكبرى بقم، في اليوم الخامس والعشرين من شوال سنة ١٣٨٢ هـ، استبشرنا بها خيراً، وحشّدنا كلّ طاقاتنا لمساعدتها، وجنّدنا أنفسنا لخدمتها؛ فقام علماء العراق بكلّ ما أُوتوا من حول وقوّة بتأييدها، جزاهم اللّه جميعاً خيراً.

وكنتُ ممّن أقام الحفلات التأبينية، وأقمتُ ثلاث ليالٍ حفلة تأبينية كبرى في بغداد، أُلقيتْ فيها خطب توجيهية توضّح أبعاد المعركة الإسلاميّة في إيران وآثارها ومغزاها.

في مثل هذا الظرف سافرت إلى الحجّ وأنا أحمل معي شعاراً وأُطروحة، شعاري الدعوة لتوحيد كلمة المسلمين في سبيل إعادة حياة إسلاميّة في البلاد الإسلاميّة، وأُطروحتي: النهضة الإسلاميّة المتمثّلة بالنهضة الإسلاميّة الّتي بدت طلائعها في إيران من قبل علماء المسلمين. وكنت أبذل الجهد في شرح

دوافعهـا لقادة المسلمين ومفكّريهم وآستنهاضهم لمساعدتها وبيان أنّ معركة المسلمين في سبيل إعادة الأحكام الإسلاميّة واحدة، وأنّه إذا نجحت المعركة في أي بلد إسلامي، فإنّه ستنتشر آثارها إلى غيرها، ويعمّ المسلمين خيرها، وكلّي أمل ورجاء أنّي سوف أجد أُذناً صاغية لما أعرض من مأساة المسلمين في إيران، مع بيان وحدة القضيّة ووحدة المصير.

اِجتمعت في هذه السفـرة بقـادة الإخـوان المسلمين في سوريا وسعيد رمضان بمكّة، ومحمّد آدم رئيس الثورةالأريتيرية، في موقف عرفات، ومثقّفي الفلسطينيين في الأردن وبيت المقدس ومحرّري الصحف الإسلامية وعلماء المسلمين وخطبائهم وقادة الحركات الإسلاميّة، أمثال أبـي الحسن الندوي وأبـي الأعلى المودودي رئيس الجماعة الإسلاميّة بباكستان يومذاك، إلى غيرهم.

بدأت عمـلي في المدينة بالمساهمة في كتابة النشرات الّتي كانوا يعدُّونها للتوزيع على الحجيج، فأجريتُ تعديلات على صيغ النشرات، شرحنا فيها أبعاد النهضة الإسلامية في إيران وبيّـنّا ظلـم حكومة الطاغوت وعمالتها لدول الكفر، نستنهض فيهـا المسلمـين لإعـانـة أبناء الأمّة الإسلاميّة في إيران، ورجّحت توزيعها ليلة العيد على الحجّاج في المشعر الحرام، غير أنّي بوغتُّ مساء السابع من ذي الحجّة في مكّة المكرمة بأنّ الشّيخ المسؤول عن توزيعها وزّع بعضها في الحرم المكّي الشريف فأُلقي القبض عليه وزجّ في السجن وحُجزت النشرات كافّـة. فآجتمعنـا نحن علماء العـراق وإيران يوم العيد بوليّ العهد فيصل، يومـذاك، نطلب منـه إطلاق سراح الموقوف والنشرات المحجوزة، فاغتنمت الفرصة وقلت: إنّ حكومتكم رفعت شعار تنفيذ أحكام القرآن في هذا البلد، وعليه يقتضي أن تعينوا المسلمين الّذين يجاهدون في سبيل تطبيق أحكام القرآن في بلادهم ويصطدمون بحكومات بلادهم الّذين يريدون تنفيذ أحكام الكفر، وأن تجعلوا من البلد الحـرام ملجـأً للمشردين منهم وتسـاعدوهم في شرح

ظلامتهم لإخوانهم الحجيج، وذلك هو مصداق قوله تعالى:

﴿ ليشهدوا منافع لهم ﴾.

ثمّ ذكرت قيام علماء المسلمين في الجامعة الإسلاميّة الكبرى بقم وأسهبتُ في شرح أبعاد النهضة الإسلاميّة الطالعة بإيران، وواجب قادة المسلمين خاصّة الحكومة السعودية تجاهها، وختمت حديثي بشرح قضية العالم الّذي وزّع نشرات التظلّم على المسلمين وتوقيفه، وجرت حول ذلك بيننا مناقشات، أدّت إلى إطلاق سراح الموقوف.

ونشرت الصحف بعد أداء المناسك ورجوعنا إلى مكّة دعوة للحضور في المسجد الهندي بمكّة مساء الجمعة للاستماع إلى خطبة الأستاذ المودودي. فحضرنا الاحتفال بعد صلاة العشاء وألقى الأستاذ المحاضر خطبةً[1] ذكر فيها ثمانية أمور تلزم المسلمين لإعادة الحياة الإسلاميّة إلى المجتمع، وتقدّمت بعده خلف المذياع وخطبت معلقاً على خطابه وقلت:

إنّ المسلمين في نهضتهم اليوم بحاجة إلى ثلاثة أمور:

أوّلاً ـ إنّ المسلمين بعد مضيّ أربعة عشر قرناً من بعثة الرسول الأكرم (ص) والظروف الّتي مرّت عليهم بحاجة إلى دراسة موضوعية مستوعبة لكيفيّة استنباط الأحكام من مصادر الشريعة الإسلاميّة ودراية الحديث وفقه السنّة وترك البقاء على تقليد العلماء السلف في كلّ ذلك.

ثانياً ـ إنّ الغزاة الكفرة لبلاد الإسلام ـ المستعمرين ـ استطاعوا أنْ يُشتّتوا كلمة المسلمين وبذلك استطاعوا أن يقضوا على كلّ حركة إسلاميّة في أي مكان تظهر. ثمّ شرحت ثورة الجزائر ضدّ الفرنسيّين، والأريتيريّين ضدّ الأحباش، وعلماء إيران ضدّ الطاغوت العميل، وأسهبت في الشرح

[1] كان قد أعدّها ليلقيها في ندوات رابطة العالم الإسلامي الّتي دعي للاشتراك في جلسات تأسيسها، ولمّا لم يسمح له بذلك ألقاها في ذلك المسجد.

وآستنهضت هِمم المسلمين لمساعدتهم.

وذكرت **ثالثاً** أنّنا اليوم بحاجة إلى إيمان كإيمان أبي ذرّ وعمار وسميّة، وشرحت ما تحمّلوا من الأذى على أرض مكّة الّتي نحن عليها في سبيل الإسلام.

* * *

وفي المدينة المنوّرة بلغ عميد الجامعة الإسلاميّة الشيخ عبد العزيز بن باز خبر لقاءاتي بالوفود الإسلاميّة وأنّ أحد علماء بغداد من وصفه كذا وكذا في المدينة المنورة، فظنّني من أتباع مدرسة الخلفاء ورغب في أن أزور الجامعة الإسلامية بالمدينة، وكانت جديدة التأسيس، وأرسل إلينا من سيّارات الجامعة ما حملتنا إليها مع بعض علماء بغداد ومثقّفيها ووجهائها، وكان أساتذتها قد آجتمعوا في بهو كبير بآنتظارنا وآستقبلونا فيه وآحتشد على نوافذ البهو فريق من الطلّاب لمشاهدتنا. ولـمّا آستقرّ بنا المقام، بدأت بعد حمد اللّه والثناء عليه بتقديم تحايا علماء المسلمين في العراق لهم وتهانيهم بتأسيسهم الجامعة الإسلامية في المدينة المنوّرة ثمّ قلت:

إنّ رسول اللّه (ص) لما حلّ بهذا البلد المبارك بدأ بعقد التآخي بين المسلمين المهاجرين والأنصار، وبنى على ذلك التآخي مجتمعه الإسلامي المجيد. وأنتم بوجود طلبة من خمس وأربعين دولة عندكم تستطيعون أن تقتدوا به وتقدّموا هذه الخدمة الجليلة للإسلام والمسلمين. والمسلمون اليوم بأمسّ الحاجة إليها، فإنّهم في شتّى أصقاع الأرض آبتلوا بالاستعمار الغازي الكافر؛ منهم من يئنّ تحت وطأته مباشرة، ومنهم من يسيطر عملاؤه عليهم وبدأوا اليوم يجاهدون الاستعمار وعملاءه. فهذي الجزائر يجاهد مسلموها فرنسا ويجري عليهم ما يجري وفي أريتريا يجاهد ثوارها هيلاسيلاسي إمبراطور الحبشة ويجري عليهم ما يجري وعلماء المسلمين في إيران يجاهدون

الطّاغوت وسيّده المستعمر ويكافحون لطرد أقسى آستعمار كافر على وجه الأرض لإعادة الأحكام الإسلامية إلى البلد الإسلامي وجرى عليهم كذا وكذا . . .

قلتُ هذا بعد أن أفضتُ في الحديث عن مآسي التفرقة بين المسلمين، وضربت الأمثال لذلك وأتممت الحديث، وجاء دور مضيفي الشيخ بن باز للحديث ـ وكان قد أُنبئ بأنّي من أتباع مدرسة أهل البيت، وكان ضريراً لا يبصر ـ فإذا به يتنحنح ثمّ يقول بالحرف الواحد:

أنتم مشركون ! أسلموا، ثمّ آطلبوا من المسلمين أن يتّحدوا معكم.

فثار الدّم في عروقي وآشتركت معه في نقاش طويل وذكره خارج عن الصدد[٢].

* * *

استمعتُ في سفراتي إلى الحجّ إلى خطباء الجمعة والجماعة في مكّة والمدينة، وآشتركت في النّقاش أحياناً مع الخطباء بين صلاتي المغرب والعشاء بمسجد الخيف، وحضرت ندوات رابطة العالم الإسلامي بمكّة مستمعاً وآجتمعت في أسفاري بعلماء مصر وخاصّة الأزهر الشريف وسائر بلاد المسلمين في لبنان وبلاد الخليج والهند وباكستان وكشمير وغيرها وطارحتهم الحديث. وسمعت أحياناً ما لا يصلح نقله اليوم وأدركت من خلال مطارحاتي مع مفكّري المسلمين وعلمائهم وقادتهم ـ ولا ينبّئك مثل خبير ـ أنّه لن يتحقّق أيّ تقارب أو تفاهم بين المسلمين دون تدارس مسائل الخلاف والبحث عن منشئها ثمّ المبادرة إلى علاجها. وإذا كان لا بدّ لنا من معرفة منشأ

٢) إنما أشرت إلى أحاديثي في هذه السفرة ليعلم مدى إخلاصي للشعار الّذي كنت أرفعه والأطروحة الّتي كنت أطرحها، وأحياناً كان الألم يعصر قلبي حين التحدّث والدمع ينحدر من عيني، وإذا بي أجابه تلك المجابهة الفظّة من ذلك الشيخ.

الخلاف في مسائل الخلاف من أجل علاجها، فسنذكر في ما يأتـي أمثلة منها، ثمّ نختم البحوث بما ينبغي أن نعمله في سبيل علاج مسائل الخلاف بحوله تعالى.

ونبدأ بذكر مسائل الخلاف حول بعض صفات اللّه عزّ آسمه.

ـ ٣ ـ

بعض صفات اللّه جلّ اسمه
و منشأ الخلاف حولها

في المسلمين من يرى أنّ اللّه:

خلق آدم على صورته[١]، وأنّ له أصابع[٢] وساقاً[٣] وقدماً.

وأنّه يضع قدمه يوم القيامة على نار جهنّم أو على جهنّم فتقول: قطّ، قطّ، قطّ[٤].

١) صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب بدء السلام.
وصحيح مسلم، كتاب الجنّة وصفة نعيمها، باب يدخل الجنّة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير، ح ٢٨، وكتاب البرّ، باب النهي عن ضرب الوجه، ح ١١٥. ومسند أحمد ٢/٢٤٤ و ٢٥١، و٣٢٣ و ٣٦٥ و ٤٢٤ و ٤٦٢ و ٥٦٩.

٢) صحيح البخاري، تفسير سورة الزمر ٢/١٢٢. وكتاب التوحيد، باب قول اللّه: ﴿ لما خلقت بيدي ﴾ ٤/١٨٦ وباب ﴿ وُجوهٌ يومئذٍ ناضرة ﴾ ٤/١٩٢. وصحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنّة والنار، ح ١٩، ٢١، ٢٢.

٣) صحيح البخاري، تفسير قوله تعالى: ﴿ يوم يُكشف عَن ساقٍ ﴾ من سورة ن والقلم، الآية ٤٣ وكتاب التوحيد، باب قول اللّه تعالى: ﴿ وجوهٌ يومئذٍ ناضرة ﴾ ٤/١٨٩.

٤) صحيح البخاري، تفسير سورة ق، وكتاب التوحيد، باب ﴿ إنّ رحمة اللّه قريب من المحسنين ﴾ ٤/١٩١. والترمذي، كتاب صفة الجنّة، باب ما جاء في خلود أهل الجنّة وأهل النار. وصحيح مسلم، كتاب الجنّة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنّة يدخلها الضعفاء، ح ٣٥ و ٣٦ و ٣٧ و ٣٨.

وأن له مكاناً، وأنّه ينتقل من مكان إلى مكان، وذلك لما رووا أنّ رسول الله قال:

كان ربّنا قبل أن يخلق خلقه في عماء - أي ليس معه شيء - ما تحته هواء، وما فوقه هواء، وما ثَمَّ خلق. عرشه على الماء[٥].

وأنّه قال:

إنّ عرشه على سماواته كهكذا - وقال بأصابعه مثل القبّة عليه - وإنّه ليئط به أطيط الرحل بالراكب[٦].

وأنّه قال: ينزل الله في آخر الليل إلى السماء الدنيا فيقول: من يسألني فأستجيب له ومن يسألني فأعطيه...[٧].

وأنّه قال: ينزل في ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا فيغفر...[٨].

٥) سنن ابن ماجة، المقدمة، باب في ما أنكرت الجهمية، ح ١٨٢. وسنن الترمذي، تفسير سورة هود، الحديث الأول وفيه: العماء - أي ليس معه شيء. ومسند أحمد ٤/١١ و١٢.

٦) سنن أبي داود، كتاب السنّة، باب في الجهمية، ح ٤٧٢٦. وسنن ابن ماجة، المقدمة، باب في ما أنكرت الجهمية. وسنن الدارمي، كتاب الرقائق، باب في شأن الساعة ونزول الرّبّ تعالى.

وراجع كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب (ت: ١٢٠٦ هـ) ومنهاج السنة لابن تيمية.

٧) صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب الدعاء والصلاة في آخر الليل، وكتاب التوحيد باب قوله تعالى: ﴿ يريدون أن يبدلوا كلام الله ﴾. وكتاب الدعوات، باب الدعاء نصف الليل. وصحيح مسلم، كتاب الدعاء، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل. وسنن أبي داود، كتاب السنة، باب في الرد على الجهمية، ح ٤٧٣٣. وسنن الترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء في نزول الربّ إلى السماء الدنيا كلّ ليلة، ٢/٢٣٣ و٢٣٥. وكتاب الدعوات، باب حدثني الأنصاري، ١٣/٣٠. وسنن ابن ماجة، كتاب إقامة الصلاة، باب ماجاء في أيّ ساعات الليل أفضل، ح ١٣٦٦. وسنن الدارمي، كتاب الصلاة، باب ينزل الله إلى السماء الدنيا. وموطأ مالك، كتاب القرآن، باب ٣٠. ومسند أحمد ٢/٢٦٤، ٢٦٧، ٢٨٢، ٤١٩، ٤٣٣، ٤٨٧، ٥٠٤، ٥٢١، و٣/٣٤ و٤/١٦

٨) سنن الترمذي، أبواب الصوم، باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان. وسنن ابن ماجة، ←

و أنّه قال عن يوم القيامة :

يقال لجهنّم : هل آمتلأت ؟ وتقول : هل من مزيد ؟ فيضع الرّبّ تبارك و تعالى قدمه عليها فتقول : قطّ قطّ .

و في رواية :

فأمّا النار فلا تمتلئ حتّى يضع رجله فتقول : قطّ قطّ . فهنالك تمتلئ ويزوىٰ بعضها إلى بعض[9] .

حول رؤيته :

رووا أنّ رسول اللّه (ص) يرى ربّه يوم القيامة . فقد قال (ص) : يأتيني المؤمنون للشّفاعة بعد إباء الأنبياء من الشّفاعة . فأنطلق فأستئذن على ربّي ، فيؤذن لي ، فإذا رأيت ربّي وقعت ساجداً . . . ـ إلى قوله : ـ ثمّ أشفع فيحدّ لي حدّاً فأدخلهم الجنّة ، ثمّ أرجع ، فإذا رأيت ربّي وقعت ساجداً ـ الحديث[10] .

و أنّه قال :

إن اللّه تبارك وتعالى ينزل يوم القيامة إلى العباد ليقضي بينهم[11] .

و أنّه قال :

كتاب إقامة الصلاة ، باب ماجاء في ليلة النصف من شعبان . ومسند أحمد ٢/٤٣٣ .

٩) كلتا الروايتين عن الصحابي أبي هريرة في تفسير سورة ق من صحيح البخاري ٣/١٢٨ ، و في باب ﴿ وُجوهٌ يَومئذٍ ناضِرة ﴾ من كتاب التوحيد منه ، ٤/١٩١ .

و عن أنس حديث القدم في باب قول اللّه تعالى : ﴿ و هو العزيز الحكيم سبحان ربّك . . . ﴾ من كتاب التوحيد منه ، ٤/١٢٩ .

و راجع سنن الترمذي ، كتاب الجنّة ، باب ما جاء في خلود أهل الجنّة و أهل النار ، ١٠/٢٩ . و مسند أحمد ٢/٣٩٦ .

١٠) صحيح البخارى ، كتاب التوحيد ، باب قول اللّه تعالى : ﴿ لما خلقت بيدي ﴾ ٤/١٨٥ و في باب قول اللّه تعالى : ﴿ وُجوهٌ يومئذٍ ناضرة ﴾ بتفصيل أوفى ، راجع ٤/١٩٠ منه .

١١) سنن الترمذي ، كتاب الزهد ، باب ماجاء في الرياء و السمعة ٩/٢٢٩ .

إنّكم سترون ربكم عياناً[١٢].

وإنّ المسلمين يرون ربّهم يوم القيامة كما يرون القمر لا يضامّون في رؤيته[١٣].

وإنّ اللّه يقول يومئذ:

من كان يعبـد شيئاً فليتّبع. فمنهم من يتّبع الشمس ومنهم من يتّبع القمر، ومنهم من يتّبع الطواغيت، وتبقى هذه الأمّة فيها منافقوها فيأتيهم اللّه في غير الصورة الّتي يعـرفون،فيقول: أنا ربكم. فيقولون: نعوذ باللّه منك، هذا مكاننا حتّى يأتينا ربّنا، فإذا أتانا ربّنا عرفناه، فيأتيهم اللّه في الصورة الّتي يعرفون، فيقول: أنا ربّـكم. فيقولون: أنت ربّنا فيتّبعونه... [١٤]

وفي رواية:

حتّى إذا لم يبق إلاّ من كان يعبد اللّه من بـرّ وفاجر، أتاهم ربّ العالمين في أدنى صورة من الّتي رأوه فيها، فيقال: ماذا تنتظرون؟ تتبع كل أمّة ما كانت تعبد، قالوا:... نحن ننتظر ربّنا الّذي نعبد. فيقول: أنا ربّـكم. فيقولون: لا نشرك باللّه شيئـاً، مـرّتـين أو ثلاثـاً... فيقول: هل بينكم وبينه علامة فتعـرفـونـه بها؟ فيقولون: الساق. فيكشف عن ساق (ثمّ يسجدون)[١٥] ثمّ يرفعـون رؤوسهم وقد تحـوّل في صورته الّتي رأوه فيها أوّل مرّة، فقال: أنا

١٢) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول اللّه تعالى: ﴿ وُجوهٌ يَومئذٍ ناضِرة ﴾ ١٨٨/٤.

١٣) صحيح البخـاري، كتـاب التـوحيد، باب قول اللّه تعالى: ﴿ وُجوهٌ يومئذٍ ناضِرة ﴾. وكتاب الصلاة، باب فضل صلاة العصر، وباب وقت العشاء إلى نصف الليل، وكتاب التفسير، باب سورة ق. وصحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب فضل صلاتـي الصبح والعصر والمحافظة عليهما. والترمذي، كتاب صفة الجنّة، باب ما جاء في رؤية الرُّبّ تبارك وتعالى، ١٠/١٨ و٢٠.

١٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية. وصحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول اللّه تعالى: ﴿ وُجوهٌ يومئذٍ ناضِرة ﴾ ١٨٨/٤، وراجع تفسير سورة:ق منه.

١٥) ما بين القوسين ملخّص من لفظ الحديث في السجدة.

ربّكم. فيقولون: أنت ربّنا[16].

في الجنّة

وأنّه قال عن المؤمنين في الجنّة:

ما بينهم وما بين أن ينظروا إلى ربّهم إلاّ رداء الكبر على وجهه في جنّة عدن[17].

وأنّ أهل الجنّة إذا دخلوها يقول اللّه تبارك وتعالى:

تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيّض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنّة وتنجنا من النّار؟ فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحبّ إليهم من النظر إلى ربّهم عزّ وجلّ[18].

وأنّ رسول اللّه (ص) قال:

بينا أهل الجنّة في نعيمهم إذ سطع لهم نور، فرفعوا رؤوسهم، فإذا الرّبّ قد أشرف عليهم من فوقهم فقال: السلام عليكم يا أهل الجنّة!! قال:

وذلك قول اللّه: ﴿ سلامٌ قولاً من ربٍّ رحيم ﴾. قال: فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم، ما داموا ينظرون إليه، حتّى يحتجب عنهم ويبقى نوره وبركته[19].

١٦) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، ح ٢٢٩، واللفظ منه. وصحيح البخاري في تفسير سورة النساء، باب قوله: ﴿ إنّ اللّهَ لا يظلمُ مثقال ذرّة ﴾ ٣/٨٠، واللفظ فيه مختصر، وكذلك في كتاب التوحيد منه، باب قول اللّه تعالى: ﴿ وجوهٌ يومئذٍ ناضِرة ﴾ ٤/١٨٩.
لو تفضّل الراءون ربّهم ووصفوا لنا صورة ربّهم الّتي رأوه عليها وساقه الّتي هي علامة بينهم وبين ربّهم لكان ذلك فضلاً منهم كبيراً يُشكرون عليه ويُحمدون.

١٧) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول اللّه تعالى: ﴿ وُجوهٌ يومئذٍ ناضِرة ﴾ ٤/١٩١. وفي صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربّهم، ح ٢٩٦.

١٨) صحيح مسلم، كتاب الإيمان باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربّهم، ح ٢٩٧.

١٩) سنن ابن ماجة، كتاب المقدمة، باب في ما أنكرت الجهمية، ح ١٨٤.

و أنّه قال:

. . . أكرمهم على اللّه من ينظر إلى وجهه غدوة وعشيّاً. ثمّ قرأ رسول اللّه (ص): ﴿ وُجوهٌ يَومئذٍ ناضِرة إلىٰ ربِّـها ناظِرة﴾[20].

و أنّ رسول اللّه (ص) أخبر وقال: إنّ أهل الجنّة يزورون اللّه عزّ وجلّ ويبرز لهم عرشه ويتبدّى لهم في روضة من رياض الجنّة، ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلاّ حاضره اللّه عز وجل محاضرة حتّى أنّه يقول للرجل منكم

ألا تذكر يا فلان يوم عملت كذا وكذا ؟ فيقول:

يا ربّ أفلم تغفر لي ؟ فيقول:

بلى. . . ثمّ ننصرف إلى منازلنا فتلقانا أزواجنا فيقلن:

أهلاً و مرحباً، لقد جئتَ وإنّ بك من الجمال و النور و الطِّيب أفضل فارقتنا عليه. فنقول:

إنّا جالسنا اليوم ربّنا عزّ وجلّ ويحقّنا أن ننقلب بمثل ما أنقلبنا[21].

* * *

نكتفي بإيراد ما أوردنا من الأحاديث الكثيرة الوفيرة في صفات أعـ اللّه ورؤية العباد ربّهم يوم القيامة، لأنّنا بصدد ضرب المثل لبيان ... الخلاف، ولسنا بصدد الإحصاء. وندرس في ما يأتي الخلاف حول تـ هذه الأحاديث.

الخلاف على تأويل تلكم الأحاديث

في المسلمين من يؤمن بظواهر تلكم الأحاديث ويرىٰ الإيمان به

٢٠) سنن الترمذي، كتاب صفة الجنّة، باب رؤية الربّ، ١٠/١٨ ـ ١٩.

٢١) سنن آبن ماجة، كتاب الزهد، باب صفة أهل الجنّة، ح ٤٣٣٦، ص ١٤٥١ ـ وسنن الترمذي، أبواب صفة الجنّة، باب ما جاء في سوق الجنّة، ١٠/١٦ ـ ١٧.

باللّه ودليلاً على القـول بتـوحيده تعـالى، ويسمّون من يؤوّلها إلى غير معنى الجسميّة بمعطّلة الصفات، أي معطلة صفات اللّه.

وقد دوّن مسـلم تلك الأحـاديث في كتـاب الإيمان من صحيحـه والبخاري في كتاب التوحيد من صحيحه.

وألّف ابن خزيمة كتابا سمّاه: (التوحيد وإثبات صفات الربّ عزّ وجلّ الّتي وصف بها نفسه في تنزيله وعلى لسان نبيّه، نقل الأخبار الصحيحة نقل العدول عن العدول من غير قطع في إسناد ولا جرح في ناقلي الأخبار الثقات)[22].

وهذا فهرس بعض أبواب الكتاب كما جاء في آخره:

أبواب كتاب ابن خزيمة

إثبات النفس للّه

إثبات الوجه للّه

باب ذكر صورة ربّنا جلّ وعلا

باب ذكر إثبات العين للّه جلّ وعلا

باب إثبات السّماع والرؤية للّه جلّ وعلا

باب إثبات اليد للخالق البارئ جلّ وعلا

باب ذكر إثبات الرِّجل للّه عزّ وجلّ

باب ذكر البيان أنّ اللّه عزّ وجلّ ينظر إليه جميع المؤمنين

باب ذكر البيان أن جميع المؤمنين يرون اللّه يوم القيامة مخلياً به

٢٢) هو الحافظ الكبير إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت: ٣١١ هـ) أستاذ البخاري ومسلم في الحديث، طبع الكتاب سنة ١٣٧٨ هـ، نشر مكتبة الكليات الأزهرية بميدان الأزهر في القاهرة. راجع ترجمة المؤلف في مقدمة الكتاب.

وألّف الإمام الحافظ عثمان بن سعيد الدارمي (ت: ٢٨٠ هـ) كتاب: الردّ على الجهميّة، ومن أبوابه:

باب آستواء الرّبّ على العرش وآرتفاعه إلى السماء وبينونته من الخلق

باب النزول ليلة النصف من شعبان

باب النزول يوم عرفة

باب نزول الرّبّ يوم القيامة للحساب

باب نزول اللّه لأهل الجنّة

باب الرؤية[٢٣].

وألّف الذهبي كتاب (العُلوّ العال للعَليّ الغفّار)[٢٤] أورد فيه الآيات والأحاديث الّتي يفهمون منها أنّ مكان اللّه في العلوّ المكاني، ثمّ ذكر أقوال الصّحابة والتابعين والعلماء والمحدّثين في تأييد ذلك.

منشأ الخلاف حول بعض صفات اللّه ورؤيته

في المسلمين من درسنا آراءهم في صفات اللّه المذكورة. وفيهم من يتلو في ردّ تلكم الأقوال قول اللّه تعالى: ﴿ لا تُدركه الأبصار وهو يُدرك الأبصار ﴾ الأنعام/١٠٣.

ويقول: إنّ قول اللّه: ﴿ وُجوهٌ يومئذٍ ناضِرة إلىٰ رَبّها ناظِرة ﴾، أي: إلى أمر ربّها ناظرة، أي: منتظرة، وذلك مثل قوله تعالى في حكاية قول أولاد يعقوب لأبيهم: ﴿ وآسألِ القريةَ الّتي كُنّا فيها ﴾ يوسف/٨٢. أي: وآسأل أهل

٢٣) ط. ليدن، سنة ١٩٦٠ م.

٢٤) الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: ٧٤٨ هـ)، نشر المكتبة السلفية في المدينة المنورة، باب الرحمة، ط: الثانية، سنة ١٣٨٨ هـ.

القرية، قدّر في تلك الآية (أمر) وفي هذه الآية (أهل)، وهكذا تؤوّل سائر الآيات الّتي ظاهرها يدلّ على أنّ اللّه تبارك وتعالى جسم.

ويسمّون أهل تلك الأقوال بالمجسّمة والمشبّهة أي الّذين يشبّهون ربّهم بمخلوقاته ويقولون إنّه جسم.

ويروون عن الإمام جعفر بن محمد الصّادق (ع) أنّه قال:

من زعم أنّ اللّه فوق العرش فقد صيّر اللّه محمولاً ولزمه أنّ الشيء الّذي يحمله أقوى منه. ومن زعم أنّ اللّه في شيء، أو على شيء، أو يخلو منه شيء، أو يشغل به شيء فقد وصفه بصفة المخلوقين؛ واللّه خالق كلّ شيء، لا يقاس بالقياس، ولا يشبه بالناس، لا يخلو منه مكان، ولا يشتغل به مكان[٢٥].

ويستشهدون بقول الإمام علي (ع):

إنّ اللّه لا ينزل، ولا يحتاج أن ينزل؛ وإنّما يقول ذلك من ينسبه إلى نقص وزيادة، وكلّ متحرّك يحتاج إلى من يحرّكه أو يتحرّك به، فاحذروا في صفاته من أن تقضوا له على حدّ تحدّونه بنقص أو زيادة، أو تحريك أو تحرّك، أو زوال أو استنزال، أو نهوض أو قعود[٢٦].

وقال الراوي للإمام عليّ بن موسى الرضا (ع):

٢٥) الكافي، الجزء الأول، كتاب التوحيد، باب العرش والكرسي، ح ٧، وباب الحركة والانتقال، ح ٣ و ٩. والتوحيد للشيخ الصدوق، باب نفي المكان والزمان والحركة عنه تعالى، ح ٩ و ١٠ و ١٢، وباب ﴿وكانَ عرشهُ على الماء﴾ ح ١١، وباب معنى ﴿الرحمنُ على العَرشِ استوى﴾ ح ٥ و ٦ و ٧ و ٨. البحار للمجلسي، ط. الجديدة، كتاب التوحيد، باب نفي الجسم والصورة والتشبيه والحلول والاتّحاد، ح ٢٣، ٣/٨٧.

٢٦) الكافي، كتاب التوحيد، باب الحركة والانتقال، ح ١. والتوحيد للصدوق، باب نفي المكان والزمان والحركة عنه تعالى، ح ١٨. والبحار للمجلسي، كتاب التوحيد، باب نفي الزمان والمكان والحركة والانتقال عنه تعالى ح ٢٥، ٣/٣١١.

إنّـا روينا أنّ اللّه عزوجلّ قسّم لموسى الكلام ولمحمد الرؤية. فقال أبـو الحسن الـرضـا (ع): فمن المبلّغ عن اللّه عزّوجلّ إلى الثقلين الجنّ والإنس: ﴿ لا تُدركه الأبصـار وهو يُدرك الأبصار﴾ و﴿ ولا يُحيطـون به عِلماً ﴾ و﴿ ليسَ كمثلهِ شيء ﴾ أليس محمداً (ص)؟ قال: بلى، قال: فكيف يجيء رجل إلى الخلق جميعاً فيخبرهم أنّه جاء من عند اللّه وأنّه يدعوهم إلى اللّه بأمر اللّه ويقول: ﴿ لا تُدركه الأبصار. . . ﴾ ـ الآيات، ثمّ يقول: أنا رأيته بعيني وأحطت به علماً وهو على صورة البشر !؟ أما تستحون ؟ ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا، أن يكون يأتـي عن اللّه بشيء ثمّ يأتـي بخلافه من وجه آخر.

قال الـراوي: فإنّـه يقـول: ﴿ ولقـد رآه نزلـةً أُخـرى ﴾ فقـال أبو الحسن (ع): إنّ بعد هذه الآية ما يدلّ على ما رأىٰ حيث قال: ﴿ ما كذَبَ الفؤادُ ما رأى ﴾ يقول: ما كذّب فؤاد محمد (ص) ما رأت عيناه. ثمّ أخبر بما رأى فقال: ﴿ لقد رأىٰ من آيات ربّه الكُبرىٰ ﴾ فآيات اللّه عزّوجلّ غير اللّه، وقد قال: ﴿ولا يُحيطونَ بهِ عِلمـاً ﴾ فإذا رأتـه الأبصـار، فقـد أحاطت به العلم، ووقعت المعـرفـة. فقـال أبـو قـرّة: فتكـذّب بالـروايات ؟ فقـال أبو الحسن (ع): إذا كانت الروايات مخالفة للقرآن كذّبت بها. . .[٢٧].

* * *

وهكذا بينٌ أئمة أهل البيت (ع) تفسير الآيات الّتي فيها شبهة رؤية اللّه وتجسيمـه، وكشفـوا عن المقصـود من السّاق واليد والعرش ونظائرها في

٢٧) توحيد الصدوق، ط. طهران سنة ١٣٨٧ هـ، ص ١١١ ـ ١١٢. وأحاطت به العلم، أي: أحاطت به الأبصار علمًا، وقد أوردنا الحديث موجزاً. والبحار، كتاب التوحيد، باب نفي الرؤية وتأويل الآيات، ح ١٤، ٣١/٤. والكافي، كتاب التوحيد، باب في إبطال الرؤية ح ٢

الآيات الكريمة، وأنّ اللّه خلق آدم على صورته في الحديث[28] وتركنا إيرادها لأنّا لسنا بصدد إيراد أدلّة المدرستين واستقصاء أدلّتهما في ما آرتأيا، بل أردنا أن نورد أمثلة ممّا ورد من الأحاديث المتعارضة في صفات اللّه لدى المدرستين، وأنّ أحاديث كلّ مدرسة تؤوّل آيات القرآن باتّجاهها الخاصّ، وأنّه هكذا نشأ الخلاف حول صفات اللّه.

ثمّ ندرس في ما يأتي منشأ الخلاف في بعض صفات الأنبياء بحوله تعالى.

٢٨) يراجع بشأن صفات اللّه كتب: الكافي للشيخ الكليني، كتاب التوحيد. والتوحيد للشيخ الصدوق. وعيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق، الباب رقم: ١١، ما جاء عن الرضا من الأخبار في التوحيد.

- ٤ -
الخلاف في صفات الأنبياء
و ما خصّهم اللّه بها و منشؤها

يرى البعض حول صفات الأنبياء:

أنّ التبـرّك بآثار الأنبياء و اتّخاذ قبورهم محلاًّ للعبادة شرك.

و أنّ البناء على قبورهم في حدّ الشرك.

و أنّ الاحتفال بأيّام مواليدهم و مواليد الأولياء معصية و بدعة محرّمة.

و أنّ التـوسّـل إلى اللّه بغـيره في حدّ الشرك، و الاستشفـاع برسـول اللّه (ص) بعد وفاته مخالف للشّرع الإسلامي.

و يستدلّ مخالفوهم بما يأتـي:

أ - التبـرّك بآثار الأنبياء

يستدلّون على مشروعيّة التبرك بآثار الأنبياء بما تواتر نقله في جميع كتب الحديث أنّ الصّحابة تبـرّكوا برسول اللّه (ص) و آثاره في حياة الرسول (ص) بمباشرته، و دعوته بذلك، و تبـرّكوا - أيضاً - بآثاره بعد وفاته، و في ما يأتـي بعض ما يستدلّون به:

التبرّك ببصاق النّبيّ (ص)

في صحيح البخاري عن سهل بن سعد في باب ما قيل في لواء النبيّ (ص) من كتاب المغازي[1]: إنّ رسول اللّه (ص) قال يوم خيبر: لأعطينّ هذه الراية غداً رجلاً يفتح اللّه على يديه، يحبّ اللّه ورسوله، ويحبّه اللّه ورسوله. قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيّهم يعطاها. فلمّا أصبح الناس غدوا على رسول اللّه (ص) كلّهم يرجو أن يعطاها فقال: أين عليّ؟ فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه. فأرسل فأُتي به . . . ولفظه في كتاب الجهاد والسير[2]: فأمر فدعي له، فبصق في عينيه، فبرأ مكانه حتّى كأنّه لم يكن به شيء . . . ـ الحديث.

وفي لفظ سَلَمَة بن الأكوع بصحيح مسلم:

قال: فأتيت عليّاً فجئت به أقوده وهو أرمد حتّى أتيتُ به رسول اللّه (ص) فبصق في عينيه فبرأ وأعطاه الراية ـ الحديث[3].

التبرّك بوضوء النّبيّ (ص)

في صحيح البخاري عن أنس بن مالك قال: رأيت رسول اللّه (ص) وحانت صلاة العصر، فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه. فأُتي رسول

1) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ٣/٣٥. وكتاب الجهاد والسير، الباب رقم: ١٠٢، ٢/١٠٨، وباب ما قيل في لواء النبي، ٢/١١١، وباب فضل من أسلم على يديه رجل، ٢/١١٥. وكتاب فضائل أصحاب النبيّ، باب مناقب عليّ بن أبي طالب، ٢/١٩٩. وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عليّ بن أبي طالب (رض)، ح ٣٢ و٣٤، وباب غزوة ذي قرد وغيرها، ح ١٣٢. وسنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب عليّ بن أبي طالب، ١٣/١٧٢.

2) صحيح البخاري، باب دعاء النبي إلى الإسلام، ٢/١٠٧.

3) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، ح ١٣٢.

اللّه (ص) بوضوء فوضع رسول اللّه في ذلك الإناء يده، وأمر الناس أن يتوضّأوا منه. فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه حتى توضّأوا من عند آخرهم[4].

وفي رواية أخرىٰ عن جابر بن عبد اللّه أنه قال:

قد رأيتني مع النبيّ (ص) وقد حضرت العصر وليس معنا ماء غير فضلة، فجُعل في إناء فأتي النبيّ (ص) به، فأدخل يده فيه وفرّج أصابعه ثمّ قال: حيَّ على أهل الوضوء، البركة من اللّه. فلقد رأيت الماء يتفجّر من بين أصابعه، فتوضّأ الناس وشربوا. فجعلت لا آلو ما جعلت في بطني منه فعلمتُ أنّه بركة ـ فقيل لجابر: ـ كم كنتم يومئذ ؟ قال: ألفاً وأربعمائة. وفي رواية: خمس عشر مائة[5].

التبـرّك بنخامة النّبيّ (ص)

روى البخاري في صلح الحديبيّة عن عروة بن مسعود قال عن رسول اللّه (ص) وأصحابه:

واللّه ما تنخّم رسول اللّه (ص) نخامة إلّا وقعت في كفّ رجل منهم فدلكُ بها وجهه وجلده، وأنّه إذا توضّأ كادوا يقتتلون على وضوئه[6].

التبـرّك بشعر النبيّ (ص)

روى مسلم في صحيحه: أنّ رسول اللّه (ص) أتىٰ منىٰ وحلق رأسه

٤) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب التماس الوضوء إذا حانت الصلاة، ١/٣١.

٥) صحيح البخاري، كتاب الأشربة، باب شرب البركة والماء المبارك، ٣/٢١٩. وسنن النسائي، كتاب الطهارة، باب الوضوء من الإناء ١/٢٥. ومسند أحمد ١/٤٠٢. وسنن الدارمي عن عبد اللّه بن عمر، المقدمة، باب ماأكرم اللّه النبي (ص) من تفجير الماء من بين أصابعه، ١/١٥.

٦) صحيح البخاري كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، ٢/٨٢، وكتاب الوضوء منه، باب البزاق والمخاط ونحوه...، ١/٣٨، وباب استعمال فضل وضوء الناس...، ١/٣٣. ومسند أحمد ٤/٣٢٩، ٣٣٠.

بعد أن رمىٰ و نحر (ثمّ جعل يعطيه الناس).

و في رواية أخرى: أنّه دعا الحالق فحلقه فأعطاه أبا طلحة فقال: أقسمه بين الناس[7].

وروى أيضاً عن أنس قال:

لقد رأيت رسول اللّه (ص) و الحلّاق يحلقه و أطاف به أصحابه. فما يريدون أن تقع شعرة إلّا في يد رجل[8].

و في ترجمة خالد بأُسد الغابة: أنّ خالد بن الوليد كان له الأثر المشهور في قتال الفرس و الروم، و آفتتح دمشق، و كان في قلنسوته الّتي يقاتل بها شعر من شعر رسول اللّه (ص) يستنصر به و ببركته، فلا يزال منصوراً.

و في ترجمته ـ أيضاً ـ بأسد الغابة و الإصابة و مستدرك الحاكم ـ و اللفظ له ـ:

أنّ خالد بن الوليد فقد قلنسوة له يوم اليرموك فقال: آطلبوها. فلم يجدوها. ثمّ طلبوها فوجدوها، و إذا قلنسوة خلقة، فقال خالد: إعتمر رسول اللّه (ص) فحلق رأسه و آبتدر الناس جوانب شعره فسبقتهم إلى ناصيته فجعلتها في هذه القلنسوة، فلم أشهد قتالاً و هي معي إلّا رزقت النصر[9].

٧) صحيح مسلم، كتاب الحجّ، باب بيان أنّ السنة يوم النحر أن يرمي ثمّ ينحر ثمّ يحلق، و الابتداء في الحلق بالجانب الأيمن من رأس المحلوق، ح ٣٢٣ و٣٢٦.

وراجع ح ٣٢٤ و ٣٢٥ منه في سنن أبي داود بكتاب المناسك، باب الحلق و التقصير ح ١٩٨١، ٢٠٣/٢. و طبقات آبن سعد ١٣٥/١. ومسند أحمد ١١١/٣ و١٣٣ و١٣٧ و١٤٦ و٢٠٨ و٢١٤ و ٢٣٩ و٢٥٦ و٢٨٧، و٤٢/٤. ومغازي الواقدي ص ٤٢٩.

٨) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب قرب النبيّ (ص) من الناس وتبركهم به، ح ٧٤ ص ١٨١٢.

٩) المستدرك للحاكم، كتاب معرفة الصحابة، باب مناقب خالد بن الوليد، ٢٩٩/٣. واللفظ له وبترجمة خالد في أسد الغابة و الإصابة. وموجز الخبر بمنتخب كنز العمّال بهامش مسند أحمد ١٧٨/٥. وتاريخ آبن كثير ١١٣/٧.

وروى البخاري: أنّه كان عند أمّ سلمة زوج النبي (ص) شيء من شعر النبيّ فإذا أصاب إنساناً عين أرسلوا إليها قدحاً من الماء تغمس الشعر فيه، فيداوىٰ من أصيب[10].

وفي صحيح البخاري وغيره:

قال عبيدة: لأن تكون عندي شعرة منه ـ أي النبيّ (ص) ـ أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها[11].

التبرّك بسهم النبيّ (ص)

روى البخاري في صلح الحديبيّة وقال:

نزل الرسول (ص) بجيشه في أقصى الحديبيّة على ثمد قليل الماء يتبرّضه النـاس تبرضـاً، فلم يلبثه الناس حتّى نزحوه وشكوا إلى رسول اللّه (ص) العـطش، فآنتـزع سهماً من كنانته ثمّ أمرهم أن يجعلوه فيه فواللّه ما يزال يجيش لهم بالريّ حتّى صدروا عنه[12].

التبرّك بموضع كفّ النبيّ (ص)

في ترجمة حنظلة من الإصابة ومسند أحمد ما موجزه:

قال حنظلة: دنا بي جدّي إلى النبي (ص) فقال:

إنّ لي بنين ذوي لحىً ودون ذلك، وإنّ ذا أصغرهم، فآدع اللّه له.

١٠) أوردناه ملخّصاً من صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب ما يذكر في الشيب، ٤/٢٧.

١١) طبقات آبن سعد ٦/٦٣. وصحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب الماء الّذي يغسل به شعر الإنسان، ١/٣١.

١٢) صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، ٢/٨١. وراجع كتاب المغازي منه، باب غزوة الحديبية، وراجع طبقات آبن سعد ٣/٢٩، وباب ذكر علامات بعد نزول الوحي ١/ق ١/١١٨، ومغازي الواقدي ص ٢٤٧.

فمسح رأسه وقال:

بارك اللّه فيك أو بورك فيه. قال الراوي:

فلقد رأيت حنظلة يؤتى بالإنسان الوارم وجهه أو البهيمة الوارمة الضرع فيتفل على يديه ويقول: بآسم اللّه، ويضع يده على رأسه ويقول: على موضع كفّ رسول اللّه (ص). فيمسحه عليه.

وقال الراوي: فيذهب الورم[١٣].

وفي لفظ الإصابة:

ويقول: بآسم اللّه، ويضع يده على رأسه موضع كفّ رسول اللّه (ص)، فيمسحه عليه. ثمّ يمسح موضع الورم، فيذهب الورم.

* * *

كان آنتشار البركة من رسول اللّه (ص) إلى من حوله كآنتشار الضوء من الشّمس والشّذى من الزّهر، لا ينفكّ عنه أينما حلّ، في صغره وكبره، سفره وحضره، ليله ونهاره، سواءً أكان في خباء حليمة السعديّة رضيعاً، أم في سفره إلى الشّام تاجراً، أم في خيمة أمّ معبد مهاجراً، أم في المدينة قائداً وحاكماً. وما أوردناه أمثلة من أنواعها وليس من باب الإحصاء، فإنّ إحصاءها لا يتيسّر للباحث، وفي ما أوردناه الكفاية لمن كان له قلب أو ألقى السّمع وهو شهيد.

وندرس بعد هذا فيما يأتي مسألة الاستشفاع برسول اللّه (ص) ثمّ ندرس منشأ الخلاف في جملة ميّزات رسول اللّه (ص) على سائر الناس إن شاء اللّه تعالى.

١٣) مسند أحمد ٦٨/٥، وتفصيله بترجمة حنظلة بن حذيم بن حنيفة التميمي في الإصابة وفي لفظه، وأورد الخبر أيضاً بأسناد أخرى.

ب ـ الاستشفاع برسول اللّه (ص)

يستدلّ القائلون بمشروعيّة التوسّل برسول اللّه (ص) والاستشفاع به في كلّ زمان ، بأنّ ذلك وقع برضاً من اللّه قبل أن يخلق النبيّ (ص) وفي حياته وبعد وفاته ، وكذلك يقع يوم القيامة . وفي ما يأتي الدليل على ذلك :

أوّلاً ـ التوسّل بالنبيّ (ص) قبل أن يخلق

روى جماعة منهم الحاكم في المستدرك ، من حديث عمر بن الخطاب (رض) أنّ آدم لمّا اقترف الخطيئة قال:

يا ربّ أسألك بحقّ محمّد لمّا غفرت لي . فقال اللّه :

يا آدم وكيف عرفت محمّداً ولم أخلقه ؟ قال :

يا ربّ لأنّك لمّا خلقتني بيدك ، ونفخت فيّ من روحك ، رفعت رأسي ، فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: « لا إله إلّا اللّه محمّد رسول اللّه » فعلمت أنّك لم تضف إلى آسمك إلّا أحبّ الخلق إليك . فقال اللّه:

صدقت يا آدم ، إنّه لأحبّ الخلق إليّ ، أُدعني بحقّه فقد غفرت لك ، ولولا محمّد ما خلقتك .

وذكره الطبراني وزاد فيه: «وهو آخر الأنبياء من ذرّيّتك»[14].

وأخرج المحدّثون والمفسّرون في تفسير الآية: ﴿ ولمّا جاءهم كتابٌ من عندِ اللّهِ مصدّقٌ لما مَعهم وكانوا مِن قَبلُ يَستفتحُون على الّذين كفروا فلمّا جاءهم ما عَرَفوا كفروا به فلعنة اللّه على الكافرين ﴾ البقرة/ ٨٩: أنّ اليهود من أهل المدينة وخيبر إذا قاتلوا من يليهم من مشركي العرب من الأوس والخزرج

١٤) مستدرك الحاكم، كتاب التاريخ في آخر كتاب البعث، ٢/ ٦١٥، ومجمع الزوائد ٨/ ٢٥٣ وتحقيق النصرة للمراغي (ت: ٨١٦ هـ)، ص ١١٣ـ١١٤. وهو الّذي نقله عن الطبراني .

وغيرهما قبل أن يبعث النبيّ ، كانوا يستنصرون به عليهم ، ويستفتحون لما يجدون ذكره في التوراة ، فيدعون على الّذين كفروا ويقولون : (اللّهمّ إنّا نستنصرك بحقّ النبيّ الأميّ إلاّ نصرتنا عليهم) أو يقولون : (اللّهمّ ربّنا آنصرنا عليهم بآسم نبيّك. . .)[15] فينصرون. فلمّا جاءهم كتاب من عند اللّه وهو القرآن مصدّق لما معهم، وهو التوراة والإنجيل ، وجاءهم ما عرفوا ، وهو محمد (ص) ولم يشكّوا فيه ، كفروا به ، لأنّه لم يكن من بني إسرائيل[16] .

ثانياً ـ التوسّل بالنبيّ (ص) في حياته

روى أحمد بن حنبل والترمذي وآبن ماجة والبيهقي عن عثمان بن حنيف: أنّ رجلاً ضرير البصر أتىٰ النبيّ (ص) فقال :

ادع اللّه أن يعافيني . قال :

إن شئتَ دعوتُ ، وإن شئتَ صبرتَ فهو خير لك . قال :

فآدعه . قال:

فأمره أن يتوضّأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء :

«اللهمّ إنّي أسالك وأتوجّه بنبيّك محمّد نبيّ الرحمة . يا محمّد ، إنّي توجّهت بك إلى ربّي في حاجتي لِتُقضىٰ لي. اللهمّ شفّعه فيّ»[17] . صحّحه

١٥) يظهر من الروايات أنهم كانوا يدعون بأمثال هذه الأدعية مما فيه التوسل بالنبيّ (ص) إلى اللّه جلّ آسمه.

١٦) تواترت الروايات بالمضمون الّذي أوردناه في كلّ من:

دلائل النبوة للبيهقي ص ٣٤٣ ـ ٣٤٥.وتفسير الآية ٨٩ من سورة البقرة بتفسير محمد بن جرير الطبري ١/٣٢٤ ـ ٣٢٨. وتفسير النيسابوري بهامشه.١/٣٣٣. والحاكم بتفسير الآية ٨٩ من سورة البقرة من كتاب التفسير بمستدركه ٢٦٣/٤ . وتفسير السيوطي عن دلائل النبوة لأبي نعيم. وتفسير محمد بن عبد حميد. وتفسير أبي محمد عبد الرحمن بن أبي، حاتم بن إدريس الرازي. وتفسير أبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (ت: ٣١٠ هـ).

١٧) مسند أحمد ١٣٨/٤ . و سنن الترمذي، كتاب الدعوات ٨٠/١٣ ـ ٨١. و سنن آبن

البيهقي و الترمذي.

ثالثاً ـ التوسّل بالنبيّ (ص) بعد وفاته

روى الطبراني في معجمه الكبير من حديث عثمان بن حنيف :

أنّ رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفّان (رض) في حاجة له ، فكان لا يلتفت إليه ، ولا ينظر في حاجته ، فلقي آبن حنيف فشكا إليه ذلك. فقال عثمان بن حنيف : آئت الميضاة فتوضّأ ، ثمّ آئت المسجد فصلّ ركعتين، ثمّ قل :

« اللّهمّ إنّي أسألك وأتوجّه إليك بنبيّنا محمّد (ص) نبيّ الرحمة. يا محمّد إنّي أتوجّه بك إلى ربّي فتقضي حاجتي ». وتذكر حاجتك.

فآنطلق الرجل فصنع ما قال له. ثمّ أتىٰ باب عثمان بن عفّان ، فجاءه البوّاب ، فأخذ بيده. فأدخله على عثمان ، فأجلسه معه على الطنفسة فقال: ما حاجتك ؟ فذكر حاجته فقضاها له. ثمّ قال له : ما ذكرت حاجتك حتّى كانت الساعة. وقال : ما كان لك من حاجة فأذكرها [18]

الاستشفاع بالعبّاس عمّ النبيّ (ص)

في صحيح البخاري : أنّ عمر بن الخطّاب (رض) كان إذا قحطوا استسقى بالعبّاس بن عبد المطلب فقال :

←

ماجة، كتاب إقامة الصلاة و السنّة فيها، باب ما جاء في صلاة الحاجة ح ١٣٨٥ ص ٤٤١. وآبن الأثير بسنده بترجمة عثمان بن حنيف من أسد الغابة. والبيهقي برواية صاحب كتاب تحقيق النصرة عنه. تحقيق النصرة ص ١١٤.

وأوردنا لفظ إمام الحنابلة أحمد لأن المنكرين للشفاعة من أتباع الشيخين:آبن تيمية وآبن عبد الوهاب هم من أتباع آبن حنبل.

١٨) تحقيق النصرة ص ١١٤ ـ ١١٥، رواه عن الطبراني في معجمه الكبير.

اللّهم إنّا كنّا نتوسّل إليك بنبيّنا فتسقينا، وإنّا نتوسّل إليك بعمّ نبيّنا فأسقنا. قال: فيسقون[١٩].

كان الاستشفاع بالعباس لأنّه عمّ رسول اللّه (ص) وليس لصفة أخرى فيه.

* * *

مع وجود هذه الأحاديث من سنّة الرسول (ص) لا ينبغي أن يكون ثمّت خلاف في مسألة صفات الأنبياء، وخاصّة خاتم الرسل، المذكورة وما فضّلهم اللّه بها وخصّهم على سائر الناس. وسنذكر في ما يأتي بعض ما نراه سبباً للخلاف في صفات خاتم الرسل خاصّة.

منشأ الخلاف حول صفات رسول اللّه (ص)

مع صراحة النّصوص المتواترة المذكورة آنفاً حول بعض صفات الأنبياء، كيف نشأ الخلاف حولها؟

الجواب أنّا إذا أنعمنا النظر في روايات جمّة أخرى رويت في آنتقاص شأن الأنبياء، وآنتشرت في كتب الحديث، واللاّتي تنزّل منزلة الأنبياء عن مستوى سائر الناس، وجدنا أنّها هي الّتي تكوّن للمعتقد بصحّتها رؤية خاصّة تناقض محتوى الأحاديث الآنفة. ولئلاّ يطول بنا المقام، نكتفي في ما يأتي بالإشارة إلى بعض ما روي بشأن خاتم الأنبياء وأفضل المرسلين (ص) ففيه كفاية لمن أراد أن يتدبّر ويتبصّر. منها:

١ ـ مارواه البخاري في صحيحه وقال:

إنّ رسول اللّه (ص) قبل أن ينزل عليه الوحي قدّم إلى زيد بن عمرو بن

١٩) صحيح البخاري، كتاب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا. وكتاب فضائل أصحاب النبي، باب مناقب العبّاس بن عبد المطلب، ٢/٢٠٠ و١/١٢٤. وسنن البيهقي، كتاب صلاة الاستسقاء، باب الاستسقاء بمن ترجى بركة دعائه، ٣/٣٥٢.

نفيل سفرة فيها لحم ، فأبى أنْ يأكل منها ، ثمّ قال : إنّي لا آكل إلاّ مما ذكر آسم اللّه عليه[20] .

إذاً فإنّ زيداً كان في الجاهليّة أفضل من رسول اللّه يتجنّب من أمر الجاهليّة ما لا يتجنّبه رسول اللّه (ص) .

٢ـ روى البخاري ومسلم :

أنّ رسول اللّه (ص) لـمّا جاءه جبرائيل بآيات : ﴿ إقرأ بآسم ربِّك الذّي خلَق ـ إلى قوله ـ عَلَّم بالقلم ﴾ رجع النبيّ (ص) إلى بيته ترجف بوادره ، وقال لخديجة : إنّي خشيت علىٰ نفسي . فقالت له خديجة : أبشر ، كلاّ فواللّه لا يخزيك اللّه أبداً . وآنطلقت به إلى ورقة بن نوفل ، وكان آمرءاً تنصّر في الجاهلية ، فأخبره رسول اللّه (ص) خبر ما رآه . فقال ورقة : هذا الناموس الّذي أنزل على موسى ـ الحديث[21] .

إذاً فإنّ ورقة النصراني كان أدرىٰ بالوحي وجبرائيل من رسول اللّه (ص) الّذي خوطب بالوحي ، ومن كلام ورقة آطمأنّ النبيّ (ص) بمصيره ، وإلاّ فإنّه كان يريد أن يلقي بنفسه من حالق من جبل، بحسب مارواه آبن سعد في طبقاته ، وقال الطبري: إنّ رسول اللّه (ص) قال : إنّ الأبعد

٢٠) البخاري ، كتاب الذبائح ، باب ما ذبح على النصب والأصنام ، ٣/ ٢٠٧ . ومسند أحمد ٢/ ٦٩ و ٨٦ . وزيد بن عمرو بن نفيل كان آبن عمّ الخليفة عمر ووالد زوجته ، ورد ذكره في ترجمة ابنه سعيد في الاستيعاب ٢/ ٣ .

٢١) صحيح البخاري : باب بدء الوحي ، ١/ ٣ وتفسير سورة اقرأ . وصحيح مسلم ؛ كتاب الإيمان باب بدء الوحي ، ح ٢٥٢ . ومسند أحمد ٦/ ٢٢٣ و ٢٣٣ .

والبوادر: اللحمة بين المنكب والعنق تضطرب عند الفزع .

وقد لخصنا الخبر.

وناقشنا روايات بعثة النبيّ الواردة في كتب الحديث والسيرة والتفسير وذكرنا عللها في الجزء الرابع من (أثر الائمة في إحياء السنّة)، وهو سلسلة دراسات عن أثر أئمة أهل البيت (ع) في إحياء السنّة . وأوردنا الخبر الصحيح في ذلك، والحمد للّه .

ـ يعني نفسه ـ لشاعر أو مجنون لا تحدّث بها عنّي قريش أبداً[22].

٣ـ روى البخاري ومسلم وقالا :

إنّ رسول اللّه (ص) كان يغضب فيلعن ويسبّ ويؤذي من لا يستحقّها ، ودعا اللّه أن يجعلها لمن بدرت منه إليه زكاة وطهوراً[23].

٤ـ ورويا أيضاً وقالا :

إنّ بعض اليهود سحر رسول اللّه (ص) حتّى يخيّل إليه أنّه يفعل الشيء وما فعله[24].

٥ـ روى مسلم :

أن رسول اللّه (ص) مرّ بقوم يلقّحون النخل ، فقال:لو لم تلقّحوها لصلح . فتركوا تلقيحها فخرج شيصاً ، فقال : أنتم أعلم بأمور دنياكم[25].

٦ـ ورويا أيضاً:

أنّ رسول اللّه (ص) آستمع إلى غناء جوار من الأنصار فنهرهُنَّ أبو بكر[26].

٧ـ روى مسلم :

٢٢) تاريخ الطبري ط. اوربا ١/١١٥٠.

٢٣) صحيح البخاري كتاب الدعوات، باب قول النبيّ (ص): من آذيته. وصحيح مسلم كتاب البرّ والصلة،باب من لعنه النبيّ (ص) وليس له أهلاً.

٢٤) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، وكتاب الطبّ باب هل يستخرج السحر، وباب السحر، وكتاب الأدب،باب إن اللّه يأمر بالعدل، وكتاب الدعوات، باب تكرير الدعاء. وصحيح مسلم باب السحر.

٢٥) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب وجوب آمتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره من معايش الناس. . . . وسنن آبن ماجة، باب تلقيح النخل.

٢٦) صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبيّ، باب مقدم النبيّ (ص) وأصحابه المدينة. وكتاب العيدين، باب سنّة العيدين لأهل الإسلام. وصحيح مسلم، كتاب صلاة العيدين، باب الرخصة في لعب يوم العيد.

أنّ رسـول اللّه (ص) رفـع عائشة على منكبه لتنظر إلى الحبشة الّذيْن يلعبون في المسجد فنهرهم عمر[٢٧].

وفي رواية الترمذي:

إذ طلع فآنفضّ الناس ، فقال رسول اللّه (ص): إنّي لأنظر إلى شياطين الجنّ والإنس قد فرّوا من عمر[٢٨].

وفي رواية:

أنّ جارية سوداء ضربت بالدفّ وغنّت بين يدي رسول اللّه (ص) بعد رجوعه من إحدىٰ غزواته ، فدخل عمر فألقت الدفّ تحت استها ، ثمّ قعدت عليها ، فقال رسول اللّه (ص): إنّ الشيطان ليخاف منك يا عمر[٢٩].

٨ـ روى البخاري ومسلم في صحيحيهما :

عن عائشة أنّ النبيّ (ص) سمع رجلاً يقرأ في المسجد ، فقال :

رحمه اللّه ، أذكرني كذا وكذا آية أسقطتها من سورة كذا[٣٠].

* * *

رأينا في ما مرّ أن زيد بن عمرو بن نفيل آبن عمّ الخليفة عمر كان أتقى للّه من رسوله (ص)، يمتنع من أكل ما ذبح على الأنصاب والأصنام ، بينما يأكله رسول اللّه (ص).

٢٧) صحيح مسلم، كتاب صلاة العيدين، باب الرخصة في اللعب الّذي لا معصية فيه في أيام العيد، ح ١٨ و١٩ و٢٠ و٢١ و٢٢.

٢٨) سنن الترمذي، أبواب المناقب، باب مناقب عمر.

٢٩) سنن الترمذي، أبواب المناقب، باب مناقب عمر. ومسند أحمد ٣٥٣/٥.

وقد ناقشنا هذه الأحاديث وذكرنا عللها في الجزء ٢ و٣ و٤ و٥ من كتاب أثر الأئمة في إحياء السنة.

٣٠) صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب شهادة الأعمى ونكاحه. وصحيح مسلم، كتاب فضائل القرآن، باب الأمر بتعهد القرآن، ح ٢٢٤. وسنن أبي داود، كتاب التطوع، باب في رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل، ح ١٣٣١، وكتاب الحروف والقراءاتهالباب الأوّل، ح ٣٩٧٠.

وأنّ ورقة بن نوفل النصراني يدرك أَنّ الّذي جاء إلى رسول اللّه (ص) هو جبرائيل ورسول اللّه لم يعرفه ، وخشي أن يكون أصابه مسّ من الجنّ وأنّ آيات سورة آقرأ هي من سجعهم.

وأنّ سحر اليهود أثّر في رسول اللّه (ص) فكان يرىٰ أنّه يفعل الشيء وما فعله.

وأنّه أسقط من القرآن آيات نسيها حتّى قرأها بعض الصّحابة.

وأنّه أمر بعدم تلقيح النخل ليصلح ، فلـمّا أصبح شيصاً قال لهم : أنتم أعلم بأمور دنياكم منّي.

وأنه آستمع إلى غناء جوار من الأنصار ، وكرهه أبو بكر ، وقال في شأن عمر : إنّ الشّيطان ليفرّ منك.

* * *

إنّ تلكم الأحاديث وأمثالها تثبت أنّ رسول اللّه (ص) كان دون زيد في الجاهلية ، وبعد الإسلام كان ورقة النصراني أدرىٰ بالوحي وجبرئيل من رسول اللّه (ص) و أنّ أبا بكر و عمر كانا أكثر تجنباً للّهو و اللّغو من رسول اللّه (ص)، وأن الصحابيّ الّذي قرأ من القرآن ما كان قد أسقطه الرسول (ص) منه كان أقوىٰ ذاكرة من رسول اللّه (ص)، وأنّ رسول اللّه (ص) كسائر الناس لا يعصمه اللّه من عبث اليهود وسحرهم وأنّه يغضب ويلعن ويسبّ من لا يستحقّ[31].

[31] لـمّا كانت أحاديث مدرسة الخلفاء تكوّن رؤية تنزّل من مستوى الرّسول الأكرم (ص) عن مستوى الإنسان العادي وخاصّة في مثل الخبر المختلق في قصّة الغرانيق الّتي بيّنّا زيفها في الجزء الرابع من (أثر الأئمة في إحياء السنّة) ويمكن من خلالها إلقاء الشبهات في الوحي والقرآن، أستند المستشرقون من مبشري النصارى في دراساتهم للإسلام إلى أحاديث مدرسة الخلفاء، وتركت أحاديث مدرسة أهل البيت ظهرياً.

ومن آمن بصحّة الأحاديث المذكورة آنفاً ، تتكوّن له رؤية تناقض محتوى الأحاديث الّتي أشرنا إليها فيما خصّ اللّه به خاتم أنبيائه (ص) وميّزه من سائر الناس بفضائل حمّةٍ ، وحقّ للرجل(ذي المعرفة) من السعوديّين إذن أن يقول: « محمد رجالًا مثلي، مات ».

أضف إلى هذه الأحاديث الّتي كوّنت رؤية تناقض تلك الفضائل ، ما فعله الخليفة الصحابيّ عمر بن الخطاب واجتهاده في قطعه الشجرة الّتي بويع تحتها رسول اللّه (ص)[٣٢]. وتفصيل الخبر في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١/ ٥٩ .

وينقض جميع الأحاديث الّتي تنقص من منزلة رسول اللّه (ص) ما أخبر عنه الإمام عليّ (ع) عن رسول اللّه (ص) في خطبته القاصعة ، حيث قال:

ولقد قرن اللّه به ـ صلّى اللّه عليه وآله ـ من لدن أن كان فطيماً ، أعظم ملك من ملائكته ، يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره . ولقد كنت أتّبعه اتّباع الفصيل أثر أمّه ، يرفع لي في كلّ يوم من أخلاقه عَلَماً ويأمرني بالاقتداء به . ولقد كان يجاور في كلّ سنة بحراء ، فأراه ولا يراه غيري ، ولم يجمع يومئذ في الإسلام غير رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وآله ـ وخديجة ، وأنا ثالثهما ؛ أرى نور الوحي والرسالة ، وأشمّ ريح النبوة. ولقد سمعت رنّة الشّيطان حين نزل الوحي عليه ـ صلى اللّه عليه وآله ـ فقلت: يا رسول اللّه ما هذه الرنّة ؟ قال : هذا الشيطان أيس من عبادته[٣٣].

ولست أدري كيف لم يكن الرسول (ص) يعرف نفسه كما ورد ذلك في

٣٢) شفاء الصدور ص ٢٧ ، وهي شجرة بيعة الرضوان في صلح الحديبية.
٣٣) نهج البلاغة، شرح محمد عبده، الخطبة رقم: ١٩٢ .

خبره مع ورقة[٣٤]، وكان على كتفه خاتم النّبوة الّذي يعرفه به كلّ من شاهده من أهل الكتاب.

وتنقضها أيضاً الروايات الّتي ذكرت دلائل النبوة الّتي صدرت منه وله قبل أن يبعث، مثل ما تمّ له في سفرته الأولى إلى الشام مع عمّه أبي طالب، والثانية في تجارة خديجة، وإخبار الرهبان بأمر بعثته، وتظليل سحابة له، ممّا علمه جميع من كان معه في السفرتين، وآنتشرت أخبارهما في كتب الحديث والسير[٣٥].

وإخبار أهل الكتاب بظهوره قبل أن يبعث، وخبره في التوراة[٣٦]، وتسليم الشّجر والحجر عليه قبل بعثته[٣٧].

كيف كان لا يعرف نفسه وقد بشّر به عيسى بن مريم (ع) كما أخبر تعالى

٣٤) راجع صحيح البخاري: كتاب المناقب والمرضىٰ والادب. وصحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب إثبات خاتم النّبوة. وسنن أبي داود، كتاب اللباس. والترمذي: كتاب المناقب. ومسند أحمد ٢/٢٢٣ و٣/٤٣٤ و٤٤٢ و٤/١٩٥ و٥/٣٥ و٧٧ و٨٢ و٨٣ و٩٠ و٩٥ و٩٨ و١٠٤ و٣٤٠ و٣٤١ و٣٥٤ و٤٣٨ و٤٤٢ و٤٤٣ و٦/٣٢٩.

٣٥) طبقات آبن سعد، ط. أوربا ١/ق ١/٧٦ و٩٨ و٩٩ و١٠٩ و٨٣ و١٠١ و٧٣ و١٠٠ منه، والجزء الثالث ق ١/١٥٣، وما رواه البخاري في آخر كتاب بدء الوحي من أخبار هرقل عن ظهوره. وسنن الترمذي، كتاب المناقب، باب ما جاء في بدء النبوة، ١٣/١٠٦. وسيرة آبن هشام ١/١٩٤ و٢٠٣، وراجع أيضاً ص ٢٣١ و٢٣٩ و٢٥١ منه.

٣٦) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب كراهية السخب في الأسواق، ٢/١٠. وكتاب التفسير، باب تفسير سورة الفتح، وكتاب فضائل القرآن، الباب الأول. وطبقات آبن سعد، ط. أوربا ١/١٢٣ و١/ق٢/١٧ و٨٧ و٨٩. وسنن الترمذي، كتاب المناقب، الباب الأوّل. وسنن الدارمي، المقدمة، الباب الأول. ومسند أحمد ٢/١٧٤ و٣/٤٦٧. وطبقات آبن سعد ١/ق ١/٦٤ و١٠٣ و١٠٤ و١٠٦ و١٠٨ و١١١.

٣٧) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب نسب النبي، ح ٢، ص ١٧٨٢. ومسند أحمد ٥/٨٩ و٩٥ و١٠٥. ومسند الطيالسي، ح ٧٨١. وطبقات آبن سعد ٨/١٧٩.
وتسليم الشجر عليه في:
سنن الدارمي، المقدمة، الباب رقم ٣. وطبقات آبن سعد ٨/١٧٩.

عنه بقوله: ﴿ ومُبشّراً برسولٍ يأتـي مِن بَعدي اسمه أَحمد ﴾ الصف/٦.

كيف لا يعرف نفسه وأهل الكتاب كانوا ﴿ يَعرفُونه كما يَعرفون أبناءَهم ﴾ البقرة/١٤٦، والأنعام/٢٠.

يعرفون ﴿ الرّسول النبيّ الأميّ الّذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل ﴾ الأعراف/١٥٧.

* * *

سيأتـي في بحوث مصادر الشريعة الإسلاميّة من هذا الكتاب محاولات السّلطات الإسلامية رفع مقام الخلافة في أنظار المسلمين على مقام النبوّة، ونذكر هنا منها مثالاً واحداً من سيرة الحجّاج بن يوسف الثقفي والي الخليفة عبدالملك على العراق، إذ خطب في الكوفة فذكر الّذين يزورون قبر رسول اللّه (ص) بالمدينة، فقال:

تبّاً لهم! إنّما يطوفون بأعواد ورمّةٍ باليةٍ! هلاّ طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك! ألا يعلمون أنّ خليفة المرء خير من رسوله[٣٨]. وسيأتـي تفصيل ذلك في الجزء الثالث من هذا الكتاب إن شاء اللّه تعالى.

وإنّ الّذي نجده من اتّجاه بعض المسلمين في القرون المتأخرة من تهوين أمر الرسول (ص) إن هو إلاّ نتيجة لتلك المحاولات مدى القرون، سواء في ما رووا من روايات تحطّ من قدر رسول اللّه (ص)، أم ما أوّلوا من آيات القرآن وغير ذلك ممّا فعلوا في توجيه المسلمين إلى ما أرادوا. ومنها ما رأوا في الاحتفال بذكرى ميلاد الرسول (ص)، كما سنذكره في ما يأتـي.

٣٨) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٤٢/١٥. وراجع الكامل للمبرد ط. النهضة بمصر، ص ٢٢٢.

ـ ٥ ـ

الخلاف حول الاحتفال بذكرى الأنبياء و ذكرى عباد اللّه الصّالحين

نكتفي في إيراد أقوال المانعين لإقامة المولد النبوي بإيراد فتوى الشيخ عبد العزيز بن عبد اللّه بن باز ، الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية و الإفتاء و الدعوة و الإرشاد في المملكة العربية السعودية حيث قال :

لا يجوز الاحتفال بمولد الرسول (ص) و لا غيره لأنّ ذلك من البدع المحدثة في الدين. . . .

أمّا من يرى آستحباب الاحتفال بذكرهم فإنّه يستدل على صحّة ذلك بأنّ جُلّ مناسك الحجّ آحتفال بذكرى الأنبياء و الأولياء ، كما سنذكر أمثلة منه فيما يأتـي :

أ ـ مقام إبراهيم :

قال سبحانه و تعالى :

﴿ و آتّخِذوا من مقامِ إبراهيمَ مُصلًّى . . . ﴾ البقرة/١٢٥ .

١) صحيفة الشرق الأوسط بتاريخ ٣/١٢/١٩٨٤ في مقال تحت عنوان (حكم الاحتفال بالمولد النبويّ و غيره من الموالد) .

وفي صحيح البخاري[٢] ما ملخّصه:

أن إبراهيم وإسماعيل (ع) لـمّا كانا يبنيان البيت ، جعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني ، حتّى إذا آرتفع البناء جاء بهذا الحجر ، فوضعه له ، فقام عليه وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة.

وفي رواية بعدها: حتّى آرتفع البناء وضعف الشيخ على نقل الحجارة ، فقام على حجر المقام ، فجعل يناوله الحجارة.

* * *

إنّ اللّه سبحانه أمر الناس ـ كما هو واضح ـ أن يتبركوا بموطئ قدمي إبراهيم (ع) في بيته الحرام ويتّخذوا منه مصلًّى ، احياءً لذكرى إبراهيم وتخليداً ، وليس فيه شيء من أمر الشرك باللّه جلّ آسمه.

ب ـ الصفا والمروة :

قال اللّه سبحانه :

﴿ إنّ الصّفا والمروة من شعائر اللّه فمن حجّ البيت أو آعتمر فلا جناح عليه أن يطّوّف بهما ﴾ البقرة/١٥٨ .

وروى البخاري ما ملخّصه :

أنّ هاجر لـمّا تركها إبراهيم (ع) مع آبنها إسماعيل بمكّة ونفد ماؤها عطشت وعطش آبنها وجعل يتلوّى ، فآنطلقت إلى جبل الصفا كراهية أن تنظر إليه ، فقامت عليه تنظر هل ترىٰ أحداً ، فلم ترَ أحداً ، فهبطت من الصّفا حتّى إذا بلغت الوادي،سعت سعي الإنسان المجهود حتّى جاوزت الوادي ، ثمّ أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحداً ، فلم ترَ أحداً ، فعلت ذلك سبع مرّات.

٢) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب يزفون النسلان في المشي، ٢/١٥٨ و ١٥٩ .

قال آبن عبّاس : قال النبي (ص): فذلك سعي الناس بينهما ـ الحديث[3].

* * *

جعل اللّه السّعي بين الصّفا و المروة من مناسك الحجّ ، إحياءً لذكرى سعي هاجر بينهما و آحتفالاً بعملها ، و آستحباب الهرولة في محلّ الوادي الّذي سعت فيه هاجر سعي الإنسان المجهود ، إحياءً لذكرى هرولتها هناك.

ج ـ رمي الجمار:

روى أحمد و الطيالسي في مسنديهما عن رسول اللّه (ص) أنّه قال:

إنّ جبريل ذهب بإبراهيم(ع) إلى جمرة العقبة ، فعرض له الشّيطان ، فرماه بسبع حصيات ، فساخ. ثمّ أتى الجمرة الوسطى ، فعرض له الشّيطان ، فرماه بسبع حصيات ، فساخ. ثمّ أتى الجمرة القصوى ، فعرض له الشّيطان ، فرماه بسبع حصيات ، فساخ . . .[4].

هكذا جعل اللّه إحياء ذكرى رمي إبراهيم (ع) الشيطان و الاحتفال بذكره من مناسك الحجّ .

د ـ الفدية :

قال اللّه سبحانه في قصّة إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام :

﴿ فبشّرناهُ بغلامٍ حَليم * فلمّا بلغَ معَهُ السّعي قال يابنيّ إنّي أرىٰ في

٣) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب يزفون النسلان في المشي، ١٥٨/٢ ، وراجع معجم البلدان، مادة: (زمزم)، و ذكر تاريخ إسماعيل (ع) من تاريخ الطبري و آبن الأثير.

٤) مسند أحمد ٣٠٦/١، وقريب منه في ١٢٧ . ومسند الطيالسي ح ٢٦٩٧. وراجع مادة: (الكعبة) من معجم البلدان؛ و تاريخ إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام من تاريخ الطبري و آبن الأثير، وساخت قوائمه في الأرض: غاصت في الأرض.

المنام أنّي أذبحُك فأنظرْ ماذا ترى، قال يا ابتِ افعلْ ما تُؤمر ستجدُني إن شاء اللّهُ منَ الصّـابرين * فلمّا أسلما وتلّه للجبين * وناديناهُ أن يا إبراهيم * قد صدّقت الرُّؤيا إنّا كذلك نجزي المحسنين * إنّ هذا لَهو البلؤا المبين * وفديناهُ بذبحٍ عظيم ﴾ الصّافّات/١٠١ - ١٠٧.

* * *

وكذلـك جعل اللّه إحياء ذكرى فداء إبراهيم (ع) آبنه إسماعيل (ع) وإرسال اللّه الكبش فدية له والاحتفال بها من مناسك الحجّ ، وأمر الحجّاج بالفدية في منىً اقتداءً بإبراهيم (ع) وآحتفالاً بذكرى موقفه من طاعة اللّه.

* * *

في مقام إبراهيم (ع)،انتشرت البركة من قدمي إبراهيم (ع) إلى موطئ قدميه ، وأمر اللّه باتّخاذه مسجداً في بيته الحرام ، وجعله اللّه من مناسك الحج إحياءً لذكره.

وفي ما يأتـي نذكر آنتشار البركة من آدم (ع) أبـي البشر.

إنتشار البركة من آدم (ع) والاحتفال بذكره

وفي بعض الأخبار أن اللّه جلّ آسمه تاب على آدم (ع) عصر التّاسع من ذي الحجّة بعرفات ، ثمّ أفاض به جبرائيل عند المغيب إلى المشعر الحرام ، وبات فيه ليلة العاشر يدعو اللّه ويشكره على قبول توبته. ثمّ أفاض منه صباحاً إلى منىً وحلق فيه رأسه يوم العاشر إمارةً لقبول توبته وعتقه من الذنوب ، فجعل اللّه ذلك اليوم عيداً له ولذرّيّته ، وجعل كلّ ما فعله آدم أبد الدهر من مناسك الحجّ لذرّيّته ، يقبل توبتهم عصر التاسع بعرفات ، ويذكرون اللّه ليلاً بالمشعـر الحرام ، ويحلقون رؤوسهم يوم العاشر بمنىً. ثمّ أضيف إلى هذه المناسك ما فعله بعد ذلك إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وهاجر،وتمّت بها

مناسك الحجّ للنّاس كما ذكرناه سابقاً.

إذاً، فإنّ أعمال الحجّ كلّها تبرّك بتلك الأزمنة و الأمكنة الّتي حلّ بها عباد اللّه الصّالحون أولئك ، و كلّها احتفال بذكرهم أبد الدهر.

و في ما يأتي نضرب مثالاً لانتشار الشؤم ـ أيضاً ـ إلى المكان من المكين.

انتشار الشؤم إلى المكان من المكين

روى مسلم أنّ رسول اللّه (ص) عام تبوك نزل بالناس الحجر عند بيوت ثمود ، فٱستسقى الناس من الآبار الّتي كان يشرب منها ثمود ، فعَجنوا منها و نصبوا القدور باللّحم. فأمرهم رسول اللّه (ص) فأهرقوا القدور و علفوا العجين الإبل. ثمّ ٱرتحل بهم حتى نزل بهم على البئر الّتي كانت تشرب منها الناقة و نهاهم أن يدخلوا على القوم الّذين عذّبوا ، قال: إنّي أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم ، فلا تدخلوا عليهم[٥].

و في لفظ مسلم: و لا تدخلوا مساكن الّذين ظلموا أنفسهم إلاّ أن تكونوا باكين ، حذراً أن يصيبكم مثل ما أصابهم. ثمّ زجر و أسرع حتّى خلفها.

و في لفظ البخاري: ثمّ قنع رأسه و أسرع السّير حتّى أجاز الوادي.

و في رواية أخرى بمسند أحمد: و تقنّع بردائه و هو على الرحل[٦].

منشأ الشؤم و البركة في المكان

من أين نشأ شؤم بلاد ثمود و آبار ثمود و ٱنتشر منها إلى غيرها عدا أنه نشأ من قوم ثمود ، و ٱنتشر منهم إلى بلادهم و آبارهم ، و بقي فيها إلى عصر

٥) أورده مسلم باختصار في صحيحه، كتاب الزهد و الرقايق، باب لا تدخلوا مساكن الّذين ظلموا أنفسهم. . . ح ٤٠، و اللفظ لمسند أحمد ٢/ ١١٧. و صحيح البخاري، كتاب المغازي باب نزول النبيّ (ص) الحجر. و الطبري في خبر ثمود، ط. أوربا ١/ ٢٥٠.

٦) مسند أحمد ٢/ ٦٦.

خاتم الأنبياء (ص)، وإلى ما شاء اللّه. ومن أين نشأ فضل بئر ناقة صالح (ع) عدا ما كان من شرب ناقة صالح (ع) منها ، وآنتشر الفضل منها إلى البئر ، وبقي فيها إلى عصر خاتم الأنبياء (ص)، وإلى ما شاء اللّه.

وليست ناقة صالح (ع) وبئرها بأكرم على اللّه من إسماعيل (ع) وبئره زمزم ، بل كذلك جعل اللّه البركة في زمزم من بركة إسماعيل (ع) أبد الدهر.

وكذلك شأن آنتشار البركة مما يفيضه اللّه على عباده الصّالحين في أزمنة خاصّة مثل بركة يوم الجمعة.

بركة يوم الجمعة

في صحيح مسلم :

«أنَّ اللّه خلق آدم يوم الجمعة ، وأدخله الجنة يوم الجمعة...»[٧].

هذا وغيره ممّا أفاضه اللّه على عباده الصّالحين في يوم الجمعة ، خلّد البركة في يوم الجمعة أبد الدهر.

البركة في شهر رمضان

وكذلك الشأن في بركة شهر رمضان؛ فقد قال سبحانه :

﴿ شهر رمضان الّذي أنزل فيه القرآن هدىً للنّاس وبيّنات من الهدى والفرقان ﴾ البقرة/ ١٨٥ .

وقال سبحانه :

﴿ إنّا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر... ﴾ القدر/ ١ ـ ٣ .

إذاً فقد آنتشرت البركة من ليلة القدر الّتي أنزل فيها القرآن على خاتم

٧) صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب فضل الجمعة، ح ١٧ و ١٨ .

أنبياء اللّه (ص) إلى جميع أزمنة شهر رمضان ، و تخلّدت البركة في ذلك الشّهر من تلك اللّيلة إلى أبد الدهر.

هكذا وجدنا آنتشارالبركة من الزمان المبارك و المكان المبارك بما بارك به على أصفيائه ، وأمرنا اللّه بأن نقتدي بعمل أصفيائه ، ونقلّد أعمالهم في أزمنتها وأمكنتها ، آحتفالاً بذكرهم و إحياءً لأمرهم ، ولتشملنا البركة الّتي عمّتهم. وما المانع الشرعي من القيام بالاحتفال بأمثالها من المناسبات الإسلامية كميلاد الرسول (ص)، وليلة أسري به (ص) من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، ويوم بعثه (ص) اللّه رحمة للعالمين ؟

* * *

بعد آنتهائنا من الإشارة إلى رجحان الأحتفال بذكرى أصفياء اللّه ، نؤكد أنّنا نقصد من الاحتفال بذكرى أصفياء اللّه ـ مثلاً ـ قراءة سيرة رسول اللّه (ص) الصحيحة غير المحرّفة في ليلة ميلاده (ص)، وإطعام الطّعام في سبيل اللّه وإهداء ثوابه لرسول اللّه (ص) مع الاجتناب من القيام بأعمال آبتدعها بعض المتصوّفة.

ونشير في ما يأتي إشارة عابرة إلى الخلاف حول مسألة البناء على القبور واتّخاذها محلاً للعبادة.

ـ ٦ ـ

الخلاف حول البناء على قبور الأنبياء و آتّخاذها محلاً للعبادة

إِستدّل قسم من المسلمين على تحريم البناء على القبور بروايات أهمها ما يأتي :

أ ـ عن عليّ قال : كان رسول اللّه (ص) في جنازة ، فقال :

أيّكم ينطلق إلى المدينة فلا يدع بها وثناً إلّا كسره ، ولا قبراً إلّا سوّاه ، ولا صورة إلّا لطخها ؟ فقال (رجل) :

أنا يا رسول اللّه ، فآنطلق فهابَ أهل المدينة ، فرجع . فقال عليّ :

أنا أنطلق يا رسول اللّه . قال :

فآنطلِق . فآنطلَق ، ثمّ رجع ، فقال :

يا رسول اللّه ، لم أدع بها وثناً إلّا كسرته ولا قبراً إلّا سوّيته ، ولا صورة إلّا لطختها .

وقد تكرّر ورود هذا الحديث في كتب الحديث واكتفينا بإيراد أتمّ لفظ منه[1] .

١) مسند احمد ١/٨٧ و٨٩ و٩٦ و١١٠ ، ١١١ ، ١٢٨ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٥ ، ١٥٠ .
ومسند الطيالسي ، ح ٩٦ ، ١٥٥ .

علّة الحديث:

أوّلاً ـ سنذكر في ما يأتي أنّ رسول اللّه (ص) زار قبر أمّه ، وبكىٰ وأبكىٰ مَن حوله. وكانت أمّه قد توفّيت في السنة السادسة من عمره الشريف بالمدينة المنوّرة ، وعلى هذا فقد زار الرسول قبر أمّه بعد نيف وأربعين سنة ، حين هاجر إلى المدينة المنوّرة ، وأن أثر قبر أمّه عند ذاك كان ماثلاً للعيان ، وإلاّ لما عرف قبرها. وإذا كان الحكم الإسلامي ، هو تسوية القبور فلِمَ لم يأمر النبيّ (ص) بهدم قبر أمّه عند ذاك ؟

ثانياً ـ إنّ أهل المدينة بعد أن أسلم بعضهم أرسل لهم الرسول (ص) بادئ ذي بدء مصعب بن عمير ، يُعلّم من أسلم منهم ما ورد من الإسلام يوم ذاك. ولـمّا وفدوا إلى الحجّ ، حضر المسلمون منهم العقبة وبايعوا رسول اللّه (ص) سرّاً ، ولم ينتشر الإسلام بينهم ، إلى أن هاجر الرسول (ص) إليهم ، وتبعه الإمام عليّ (ع) بعد ثلاث أو أكثر وقصّة وروده المدينة بعد ذلك مشهورة.

وتدرّج الرسول (ص) في بسط حكمه على المدينة بعد أن عاهد يهود قريظة وبني النضير وبني قينقاع ، ودخل أهل المدينة كلّهم في الإسلام متدرّجاً. فمتىٰ كان إرسال النبيّ (ص) الإمام عليّاً (ع) من تشييع جنازة إلى المدينة ليهدم الأصنام ويسوّي القبور ويلطخ الصّور ، كالحاكم الّذي لا رادّ لأمره ؟ أضف إليه أنّ محتوى الخبر أنّ المرسل الأول ذهب ، وهم في تشييع الجنازة ، ورجع خائباً ، ثمّ أرسل النبيّ (ص) الإمام عليّاً (ع) بعده وهم لا يزالون في تشييع الجنازة. فكيف يتمّ ذلك !؟

ثالثاً ـ وفي بقية الحديث أنّ الإمام عليّاً (ع) قال لأبي الهياج الأسدي : أبعثك فيما بعثني رسول اللّه (ص) أمرني أن أسوّي كلّ قبر وأطمس كلّ

صنم[2].

و لا يكون إرسال الإمام أبا الهياج الأسدي في أمر إلّا في عصر خلافته ، وعليه يتّجه هذا السؤال : متى كان إرسال الإمام أبا الهياج الأسدي ؟ أ في عصر خلافته وبعد الفتوحات الإسلامية وبعد زمن الخلفاء الثلاثة أم قبله ؟ وإلى أي بلد بعث الإمام عليّ أبا الهياج لتهديم القبور وطمس الأصنام ؟

وأخيراً في كلا الخبرين أمر من الرسول (ص) والإمام عليّ (ع) - إن صحّ الخبران - بتهديم قبور المشركين في بلد الشّرك ، فكيف يدلّ ذلك على انتشار هذا الحكم إلى قبور المسلمين ووجوب تهديمها ؟

ب - رووا عن النبيّ (ص) أنّه قال: اللهمّ لا تجعل قبري وثناً، لعن اللّه قوماً اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد[3].

وفي الرواية الثانية شخّص الّذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وقال: قاتل اللّه اليهود،اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد[4].

علّة الحديث:

إنّ بني إسرائيل بعد أن ساروا من مصر وعبروا البحر وجازوا التّيه وبلغوا فلسطين ، أصبح لهم بيت عبادة وهو (بيت المقدس) ولم يكن لهم بيت عبادة غيره. وفي عصر سليمان أصبح لسليمان الملك النبيّ بلاط يسمّى هيكل سليمان. فأين كانت قبور أنبيائهم الّتي اتّخذوها مساجد ؟ وكان بيت المقدس وبلده تحت أنظار المسلمين والعرب قبل عصر رسول اللّه (ص). وأمّا ما بقي من قبور أنبيائهم مثل قبر الخليل وموسى بن عمران ، فإنّا لم نر ولم نسمع ولم

٢) مسند أحمد ١/ ٨٩ و ٩٦.
٣) مسند أحمد ٢/ ٢٤٦.
٤) مسند أحمد ٢/ ٢٨٥.

يكتب أحد أنّ اليهود آتّخذوهما وثناً. وعلى فرض أن قبراً اتّخذ وثناً، فإنه لا يصدق على آحترام القبر وزيارة القبر، فإنّ آتّخاذه وثناً يعني أن يستقبل القبر كما تستقبل الكعبة في الصّلوات. فأين هذا من ذاك ؟

* * *

ليس مورد الشك في كلّ ما ذكرناه، وما سنذكره بعد هذا، أحاديث رسول اللّه (ص) ـ معاذ اللّه ـ وإنّما البحث يجري حول رواة الأحاديث الّذين لم يعصمهم اللّه من الخطأ والسهو والنسيان.

كان ما ذكرناه أمثلة من أدلّة من رأى البناء على القبور مخالفاً للشّريعة الإسلاميّة.

وفي ما يأتي أدلّة من رأى ذلك موافقاً لها.

أدلّة من رأى جواز آتّخاذ مقابر الأنبياء محلاًّ للعبادة

يستدلّ من يرى صحّة آتّخاذ مقابر الأنبياء محلاًّ للعبادة بأنّ الطائفين حول الكعبة يطوفون حول حجر إسماعيل (ع) ويتمسّحون بجداره، وفيه قبر إسماعيل (ع) وأمّه هاجر، كما أجمع عليه علماء الأمّة الإسلامية:

فقد ورد في سيرة آبن هشام (ت: ٢١٨ هـ) وتاريخ الطبري (ت: ٣١٠ هـ) وآبن الأثير (ت: ٦٣٠ هـ) وآبن كثير (ت: ٧٧٤ هـ) واللفظ لابن هشام: ودفن ـ إسماعيل ـ في الحجر مع أمّه هاجر. وفي لفظ آبن الأثير: وأوصى إسماعيل أن يدفن عند قبر أمّه في الحجر [٥].

وروى آبن سعد في طبقاته وقال:

٥) راجع ذكر خبر إسماعيل (ع) وولده في كلّ من سيرة آبن هشام ط. مصر، سنة ١٣٥٥ هـ ٦/١ وتاريخ الطبري ط. أوربا ٣٥٢/١. وتاريخ آبن الأثير ط. أوربا ٨٩/١. وتاريخ آبن كثير ١٩٣/١. ومادة: (حجر) من معجم البلدان.

إنّ إسـماعيل لـمّا بلغ عشرين سنة توفّيت أمّه هاجر وهي ابنة تسعين سنة ، فدفنها إسماعيل في الحجر. وإنّ إسماعيل توفّي بعد أبيه ، فدفن في الحجر مـمّا يلي الكعبة مع أمّه هاجر.

وفي رواية بعدها:

قبر إسماعيل تحت الميزاب بين الركن والبيت[٦].

وفي الاكتفاء للكلاعي ما موجزه : دفن هاجر وإسماعيل وابنه نابت في الحجر[٧].

وقد وصف آبن جبير قبري إسماعيل وأمّه هاجر في رحلته وقال:

وتحت الميزاب في صحن الحِجْر ، بمقربة من جدار البيت الكريم ، قبر إسماعيل (ع) وعلامته رخامة خضراء مستطيلة قليـلاً شبكل محراب تتّصل بها رخامة خضراء مستديرة ، وكلتاهما غريبة المنظر ، فيهما نُكَت تنفتح عن لونها إلى الصفـرة قليـلاً كأنّها تجزيع ، وهي أشبه الأشياء بالنُكَت الّتي تبقى في البيدق من حَـلّ الذهب فيه . وإلى جانبه مـمّا يلي الركن العراقي قبر أمّه هاجر رضي اللّه عنها ، وعلامته رخامة خضراء سعتها مقدار شبر ونصف . يتبـرّك الناس بالصلاة في هذين الموضعين من الحِجْر ، وحُقّ لهم ذلك لأنّهما من البيت العتيق ، وقد آنـطبقـا على جَسَدين مقدّسين مكرّمين ، نوّرهما اللّه ، ونفع ببركتهما كلّ من صـلّى عليهما . وبين القبرين المقدّسين سبعة أشبار[٨].

٦) لـخّصنا روايات آبن سعد الثلاث من طبقاته ١/٢٥ ، ط. أوربا.

٧) الاكتفاء في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفاء ص : ١١٩ ، تصحيح هنري ماسة ، مطبعة جول كريونل، الجزائر، ١٩٣١ م.

والكلاعي هو أبو الربيع، سليمان بن موسى بن سالم الحميري الكلاعي، ولد سنة ٥٦٥ هـ، وتوفّي سنة ٦٣٤ هـ . اعتمدنا ترجمته من مقدّمة الكتاب.

٨) ابن جبـير هو محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، البلنسي الأصل، الغرناطي الاستيطان. ولد ليلة السبت عاشر ربيع الأول سنة ٥٤٠ أو سنة ٥٣٩ هـ، وتوفي بالإسكندرية

كان هذا ما ورد في كتب مدرسة الخلفاء ، وورد في كتب حديث مدرسة هل البيت كالآتـي :

ورد في الكـافي للكليني (ت: ٣٢٩ هـ) وكتاب من لايحضره الفقيه وعلل الشرائع للصدوق (ت: ٣٨١ هـ) والوافي للفيض (ت: ١٠٨٩ هـ) البحار للمجلسي (ت: ١١١١ هـ) واللفظ للأول: وفيه ـ أي في الحجر ـ قبر هاجر وقبر إسماعيل (ع)[٩].

وفيها أيضاً: وفيه ـ أي في الحجر ـ قبور أنبياء[١٠].

وورد أيضاً في الكافي والوافي والبحار: ودفن في الحجر ، ممّا يلي الركن

ليلة الأربعاء، التاسع أو السابع والعشرين لشعبان سنة ٦١٦ هـ. وكان أديباً بارعاً، شاعراً مجيداً، سريّ النفس، كريم الأخلاق، من علماء الأندلس بالفقه والحديث.

ورحلة ابن جبير : كتاب وصف فيه ابن جبير رحلةً قام بها للحجّ ، استغرقت عامين وثلاثة أشهر ونصفاً، من يوم الاثنين التاسع عشر لشهر شوال ٥٧٨ هـ، إلى يوم الخميس الثاني والعشرين لمحرم ٥٨١ هـ، وزار فيها مصر وبلاد العرب والعراق والشام وصقلية وغيرها. ووصف هذا الرحالة المدن الّتي مرّ بها، والمنازل الّتي حلّ فيها من هذه الأقطار جميعاً.

وقد نقلنا ما أوردناه هنا من ط. دار مصر للطباعة، عام ١٣٧٤ هـ، تحقيق الدكتور حسين نصار، ص ٦٣، ورجعنا إلى مقدمة الكتاب في ترجمة ابن جبير.

٩) فروع الكافي، كتاب الحجّ، باب حجّ إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وبنائهما البيت. . . ح ١٤، ط. دارالكتب الإسلامية، طهران. ١٣٩١ هـ، ٢١٠/٤. وفقيه من لايحضره الفقيه، كتاب الحجّ، باب علل الحجّ، ح ٣، ط. دارالكتب الإسلامية، طهران ١٣٩٠ هـ، ١٢٥/٢ ـ ١٢٦، وباب نكت في حجّ الأنبياء والمرسلين ، ح ٨، ١٤٩/٢. والوافي، كتاب الحجّ، باب حجّ إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ... ط. الأولى، ٢٨/٨. والبحار، كتاب النبوة، باب أحوال أولاد إبراهيم (ع) وأزواجه وبناء البيت، ح ٤١، ١٤٣/٥، وح ٥٤، ١٤٤/٥.

١٠) فروع الكافي، كتاب الحجّ، باب حجّ ابراهيم (ع) . . . ح ١٥، ٢١٠/٤. والبحار عن الصدوق، كتاب النبوة، باب أحوال أولاد إبراهيم (ع) ، ح ٤٠، ١٤٢/٥، ط. الأولى كمباني وباب أخبار أولاد إبراهيم. . . ح: ٥٥، ١٤٤/٥. والوافي، كتاب الحجّ، باب حجّ إبراهيم. . . ٢٨/٨.

الثالث ، عذارى بنات إسماعيل (ع)[11] .

وروى أبو بكر الفقيه عن النبيّ (ص) أنّه قال:

ما من نبيّ هرب من قومه إلّا هرب إلى الكعبة يعبد اللّه فيها حتّى يموت وأنّ قبر هود وشعيب وصالح في ما بين زمزم والمقام ، وأنّ في الكعبة قبر ثلاثمائة نبيّ ، وما بين الركن اليماني إلى الركن الأسود قبر سبعين نبيّاً[12] .

ويستدلّون على صحّة البناء على القبر ، إضافة إلى ما سبق ، بأنّ قبور رسول اللّه (ص) والخليفتين أبي بكر وعمر في بناء مسقّف منذ أن توفّوا إلى يومنا الحاضر.

ويستدلّون أيضاً بقوله تعالى:

﴿ واتّخذوا من مقام إبراهيم مصلّى ﴾ البقرة/ ١٢٥ . وقوله تعالى في ما أخبر عن قصّة أصحاب الكهف:

﴿ قال الّذين غلبوا على أمرهم لنتّخذنّ عليهم مسجداً﴾ الكهف/ ٢١ .

* * *

إنّ الوهابيّين يسمّون المسلمين الّذين يزورون قبور الأنبياء والصّحابة والأئمة بالقبوريّين . ومن الأحرى ، مع ما ذكرنا ، أن يسمّوا خاتم الأنبياء (ص) وأصحابه والأنبياء من قبلهم الّذين طافوا حول حجر إسماعيل (ع) بالقبوريّين ، لما في حجر إسماعيل مِن قبر هاجر وإسماعيل (ع) وولده وكذلك أنبياء من قبلهم ! !

* * *

١١) فروع الكافي، كتاب الحجّ، باب حجّ إبراهيم... ح ١٦، ٤/ ٢١٠. والوافي، كتاب الحجّ، باب حجّ إبراهيم... ٢٨/٨. والبحار، ح ٥٦، ١٤٤/٥.

١٢) مختصر كتاب البلدان، تاليف أبى بكر أحمد بن الفقيه الهمداني (ت: ٣٤٠ هـ) ط. بريل بليدن سنة ١٣٠٢ هـ ص ١٧.

هكذا كان آختلاف الأحاديث في بناء القبور، أو بالأحرى آختلاف فهم الأحاديث، منشأ هذا الخلاف .

وفي مايأتي نذكر الخلاف حول البكاء على الميِّت ومنشأه .

- ٧ -

الاختلاف في البكاء على الميّت و منشؤه

كان البكاء على الميّت ، وخاصّة الشهيد ، من سنّة الرسول (ص) فقد روى البخاري في صحيحه : أنّ النبيّ نعىٰ زيداً وجعفراً وآبن رواحة للنّاس قبل أن يأتيهم خبرهم وقال:

أخذ الراية زيد ، فأصيب . ثمّ أخذ جعفر ، فأصيب . ثمّ أخذ ابن رواحة ، فأصيب ، ـ وعيناه تذرفان ـ . . . [١].

وفي ترجمة جعفر من الاستيعاب وأسد الغابة والإصابة وخبر غزوة مؤتة من تاريخ الطبريّ وغيره ما ملخّصه :

لـمّا أُصيب جعفر وأصحابه دخل رسول اللّه (ص) بيته وطلب بني جعفر ، فشمّهم ودمعت عيناه ، فقالت زوجته أسماء : بأبي وأمّي ما يبكيك ؟ أ بلغك عن جعفر وأصحابه شيء؟ قال : نعم أصيبوا هذا اليوم . فقالت أسماء: فقمت أصيح وأجمع النساء، ودخلت فاطمة وهي تبكي وتقول: واعمّاه. فقال رسول اللّه (ص) على مثل جعفر فلتبك البواكي .

١) صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي، باب مناقب خالد بن الوليد، ٢٠٣/٢ ط. الحلبي بمصر .

بكاء الرسول (ص) على ابنه إبراهيم

في صحيح البخاري:

قال أنس: دخلنا مع رسول اللّه (ص) . . . وإبراهيم يجود بنفسه. فجعلَتْ عينا رسول اللّه تذرفان، فقال له عبدالرحمن بن عوف (رض): وأنت يا رسول اللّه! ؟ فقال: يا ابن عوف، إنّها رحمة. ثمّ أتْبَعَها بأخرى فقال: إنّ العين تدمع والقلب يحزن، ولا نقول إلّا ما يرضي ربّنا، وإنّا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون.

وفي سنن ابن ماجة:

فأنكبّ عليه وبكى[٢].

بكاء الرسول (ص) على حفيده

في صحيح البخاري:

أنّ ابنة النبيّ (ص) أرسلت إليه: أنّ آبناً لي قبض فأتنا. فقام ومعه سعد بن عبادة ورجال من أصحابه. فَرُفِعَ إلى رسول اللّه (ص) ونفسه تتقعقعُ. ففاضت عيناه، فقال سعد:

يارسول اللّه ما هذا ؟ فقال:

هذه رحمة جعلها اللّه في قلوب عباده، وإنّما يرحم اللّه من عباده الرُّحماء[٣].

٢) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبيّ(ص): إنّا بك لمحزونون، ١٥٨/١ واللفظ له. وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته بالصبيان والعيال، ح ٦٢. وسنن ابن ماجة، كتاب الجنائز، باب ما جاء في النظر إلى الميّت، ح ١٤٧٥، ١/ ٤٧٣. وطبقات آبن سعد، ط. أوربا، ١/ق ١/ ٨٨. ومسند أحمد ٣/ ١٩٤.

٣) تتقعقع: أي تضطرب روحه لها صوت وحشرجة كصوت الماء إذا ارتقى في القربة الخالية.

ندب الرسول (ص) إلى البكاء على عمّه حمزة

في مغازي الواقدي وطبقات ابن سعد ما موجزه:

لـمّا سمع رسول اللّه (ص) بعد غزوة أحد البكاء من دور الأنصار على قتلاهم ، ذرفت عينا رسول اللّه (ص) وبكى ، وقال : لكن، حمزة لا بواكي له . فسمع ذلك سعد بن معاذ ، فرجع إلى نساء بني عبد الأشهل فساقهنّ إلى باب رسول اللّه (ص) فبكين على حمزة . فسمع ذلك رسول اللّه (ص) فدعا لهنّ وردّهنّ . فلم تبكِ امرأة من الأنصار بعد ذلك إلى اليوم على ميّت ، إلّا بدأت بالبكاء على حمزة ، ثمّ بكت على ميّتها[٤] .

بكى الرّسول (ص) على قبر امّه و أبكىٰ من حوله

زار رسول اللّه (ص) قبر امّه فبكىٰ و أبكىٰ من حوله[٥] .

أمر الرسول (ص) بإرسال الطعام لأهل المصاب

لـمّا جاء نعي جعفر ، قال النبيّ(ص) : اصنعوا لأهل جعفر طعاماً ،

صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبيّ (ص): «يعذّب الميّت ببعض بكاء أهله عليه» واللفظ له . وكتاب المرضىٰ، باب عيادة الصبيان، ٣/٤ . وصحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، ح ١١، ص: ٦٣٦ . وسنن أبي داود، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، ح ٣١٢٥، ١٩٣/٣ . وسنن النسائي، كتاب الجنائز، باب الأمر بالاحتساب والصبر، ٢٦٤/١ . ومسند أحمد ٣٠٦/٢ و ٨٣/٣ و ٨٨ و ٨٩ .

٤) أوردناه من ترجمة حمزة في طبقات ابن سعد ط. دار صادر بيروت ١٣٧٧ هـ، ١١/٣ . وأكثر تفصيلاً منه في مغازي الواقدي ٣١٥/١ ـ ٣١٧ . وبعده إمتاع الأسماع ١٦٣/١ . ومسند أحمد ٤٠/٢ . وتاريخ الطبري .

وأورده ابن عبدالبرّ بإيجاز بترجمة حمزة من الاستيعاب، وباختصار أيضاً . ابن الأثير بترجمته من أسد الغابة .

٥) سنن النسائي، كتاب الجنائز، باب زيارة قبر المشرك، ٢٦٧/١ . وسنن أبي داود، كتاب الجنائز، باب زيارة القبور، ح ٣٢٣٤، ٢١٨/٣ . وسنن ابن ماجة، كتاب الجنائز، باب ما جاء في زيارة قبور المشركين، ح ١٥٧٢، ٥٠١/١ .

فإنّه قد جاءهمْ ما يشغلهم[6].

عيّن الرسول (ص) أيام الحداد على الميّت

تواتر عن النبيّ (ص) أنّه عيّن حداد المرأة على غير زوجها ثلاثاً، وعلى زوجها فكما قال اللّه: ﴿أربعة أشهر وعشراً﴾[7] البقرة/ ٢٣٤.

منشأ الخلاف حول البكاء على الميّت

مرّ في ما سبق أنّ رســول اللّه (ص) بكى على المتـوفّى قبـل أن يتـوفّى وبعده، خاصّة الشّهيد، وأنّه أمر بالبكاء على الشّهيد، وبكى على قبر أمّه

٦) سنن ابن ماجة، كتاب الجنائز، باب ماجاء في الطعام يبعث إلى أهل الميت ح ١٦١٠ و١٦١١، ١/٥١٤. وفي سنن الترمذي ٢١٩/٤، أبواب الجنائز، باب ما جاء في الطعام يصنع لأهل الميّت، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وسنن أبي داود، كتاب الجنائز، باب صنعة الطعام لأهل الميّت، ح ٣١٣٢، ١٩٥/٣، ومسند أحمد ٢٠٥/١ و٣٧٠/٦.

٧) راجع البخاري، كتاب الجنائز، باب حداد المرأة على غير زوجها، ١٥٤/١، وكتاب الطلاق باب تحدّ المتوفىٰ عنها زوجها أربعة أشهر وعشراً، ١٨٩/٣، وباب ٦٨ الكحل للحادة وباب القسط للحادة عند الطهر وباب تلبس الحادة ثياب العصب وباب ﴿والّذين يتوفّون منكم ويذرون أزواجاً﴾ ١٨٩/٣ ـ ١٩٠. وصحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب وجوب الإحداد في عدة الوفاة وتحريمه في غير ذلك إلاّ ثلاثة أيام، ح ١٤٨٦ و١٤٨٧، ١٤٩٠، ١٤٩١ ص ١١٢٤ و١١٢٥ و١١٢٦ و١١٢٧ و١١٢٨. وسنن أبي داود، كتاب الطلاق، باب حداد المتوفىٰ عنها زوجها، ح ٢٢٩٩، ٢٩٠/٢، وباب فيما تجتنبه المعتدة في عدتها ح ٢٣٠٢، ٢٩١/٢. وسنن الترمذي، كتاب الطلاق واللعان، باب ماجاء في عدة المتوفّىٰ عنها زوجها، ١٧١/٥ ـ ١٧٤. وسنن النسائي، كتاب الطلاق، باب عدة المتوفىٰ عنها زوجها، وباب الإحداد، وباب سقوط الإحداد عن الكتابية المتوفىٰ عنها زوجها، وباب ترك الزينة للحادة المسلمة دون اليهودية والنصرانية، وباب ماتجتنب الحادة من الثياب المصبغة، وباب الخضاب للحادة. وسنن ابن ماجة، كتاب الطلاق، باب هل تحد المرأة على غير زوجها، ح ٢٠٨٥ ـ ٢٠٨٧، ٣٧٤/١. وسنن الدارمي، كتاب الطلاق، باب في إحداد المرأة على الزوج، ١٦٧/٢. وموطأ مالك، كتاب الطلاق ح ١٠١، ١٠٥. وطبقات ابن سعد ٤/ق ٢٧/١، ٢٨ و٧٠/٨. ومسند أحمد ٥/ ٨٤ و٣٧/٦، ١٨٤، ٢٤٩، ٢٨١، ٢٨٦، ٢٨٧، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٦٩، ٤٠٨، ٤٢٦. ومسند الطيالسي ح ١٥٨٧، ١٥٨٩، ١٥٩١.

وأبكى من حوله ، وأمر بصنع الطّعام لأهل الميّت ، وعين حداد المرأة على غير الزوج ثلاثاً .

إذن ، فالبكاء على المتوفّى والحداد عليه وصنع الطّعام لأهله ، من سنّة الرسول (ص) فما هو منشأ الخلاف والنهي عن البكاء على الميّت ؟ نرجع أيضاً إلى صحيحي البخاري ومسلم فنجد حديث المنع عن البكاء من الخليفة عمر (رض) .

الخليفة عمر يروي أنّ رسول اللّه(ص) نهىٰ عن البكاء ، وأمّ المؤمنين عائشة تستدرك عليه .

في صحيح البخاري ومسلم ، عن ٱبن عبّاس :

لـمّا أن أصيب عمر دخل صهيب يبكي ويقول: وا أخاه ! وا صاحباه ! فقال عمر: يا صهيب، أ تبكي علـيَّ وقد قال رسول اللّه : « إنّ الميّت ليعذّب ببكـاء أهله عليه » ؟ فقال ٱبن عباس: فلمّا مات عمر، ذكرت ذلك لعائشة فقالت: رحم اللّه عمر، واللّه ما حدّث رسول اللّه (ص): إنّ اللّه ليعذّب المؤمن ببكاء أهله عليه، ولكن رسول اللّه (ص) قال: « إنّ اللّه ليزيد الكافر عذابـاً ببكاء أهله عليه »، وقالت: حسبكم القرآن: ﴿ ولا تَزِرُ وازِرةٌ وِزرَ أُخرىٰ ﴾ . قال ٱبن عبّاس(رض) عند ذلك: واللّه هو أضحك وأبكى [٨].

وفي صحيح مسلم : ذكر عند عائشة أنّ ٱبن عمر يرفع إلى النبيّ (ص) :

«إنّ الميّـت يعذّب في قبره ببكاء أهله عليه » فقالت :

٨) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي (ص) يعذب الميت ببكاء أهله عليه، ١٥٥/١ ـ ١٥٦، و صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه، ح٢٢، ص ٦٤١ .

وَهِلَ[9]، إنّما قال رسول اللّه (ص):

«إنّه ليعذّب بخطيئته أو بذنبه و إنَّ أهله ليبكون عليه» .

و في رواية قبله:

ذكر عند عائشة قول ابن عمر: الميّت يعذّب ببكاء أهله عليه، فقالت رحم اللّه أبا عبدالرحمن سمع شيئاً فلم يحفظه. إنّما مرّت جنازة يهوديّ على رسول اللّه و هم يبكون عليه، فقال:

«أنتم تبكون و إنّه ليعذّب.»[10].

قال الإمام النّووي (ت: ٦٧٦ هـ) في شرح صحيح مسلم عن روايات النهي عن البكاء المرويّة عن رسول اللّه (ص): و هذه الروايات من رواية عمر ابن الخطّاب و ابنه عبد اللّه ـ رضي اللّه عنهما ـ و أنكرت عائشة و نسبتها إلى النسيان و الاشتباه عليهما، و أنكرت أن يكون النبيّ (ص) قال ذلك[11].

ويظهر من الحديث الآتـي أنّ منشأ الخلاف كان اجتهاد الخليفة عمر في النهي عن البكاء في مقابل سنّة الرسول (ص) بالبكاء، فقد ورد في الحديث أنه: مات ميّت من آل الرسول (ص) فاجتمع النساء يبكين عليه، فقام عمر ينهاهنّ ويطردهنّ فقال رسول اللّه (ص): دعهنّ يا عمر فإنّ العين دامعة و القلب مصاب و العهد قريب[12].

٩) وهل: بفتح الواو و فتح الهاء و كسرها، أي غلط و نسي.

١٠) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه، ح ٢٥ و ٢٦، ص ٦٤٢ ـ ٦٤٣ و ح ٢٧، ص ٦٤٣. وقريب من لفظ الترمذي في كتاب الجنائز، باب ما جاء في الرخصة في البكاء على الميّت، ٤/٢٢٥. وسنن أبي داود، كتاب الجنائز، ح ٣١٢٩، ٣/١٩٤.

١١) شرح النووي بهامش صحيح مسلم ط. المطبعة المصرية ١٣٤٩ هـ، ٦/ ٢٢٨، كتاب الجنائز، باب الميّت يعذّب ببكاء أهله عليه.

١٢) سنن النسائي، كتاب الجنائز، باب الرخصة في البكاء على الميّت. و سنن ابن ماجة، كتاب الجنائز، باب ماجاء في البكاء على الميّت ح ١٥٨٧ ص: ٥٠٥. ومسند أحمد ٢/ ١١٠، ٢٧٣، ٣٣٣، ٤٠٨، ٤٤٤.

وفي صحيح البخاري: كان عمر (رض) يضرب فيه بالعصا، ويرمي بالحجارة، ويحثي بالتراب[١٣].

* * *

كان ذلكم منشأ الخلاف في شأن البكاء على الميّت، الأحاديثَ المتعارضة الواردة بشأنه في كتب الصّحاح، ولعلّ آجتهاد الخليفة عمر (رض) في المنع كان منشأ للأحاديث المرويّة في منع البكاء على الميت. فقد رووا غير ما ذكرنا بعض الحديث في تأييد آجتهاد الخليفة الصحابيّ عمر، ولا مجال في هذه العجالة لبيان علل تلك الأحاديث. وفي ما ذكرنا الكفاية في معرفة منشأ الخلاف في شأن البكاء والّذي نحن بصدده.

* * *

إلى هنا استعرضنا أمثلة من مسائل الخلاف الّتي كان منشؤها اختلاف الأحاديث في كلّ منها. ونذكر بحوله تعالى في ما يأتي آيات من كتاب اللّه ممّا نشأ الخلاف حول تأويلها.

١٣) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب البكاء عند المريض، ١/١٥٨.
وقوله: «يضرب فيه» أي يضرب لأجل المنع من البكاء.

- ٨ -
آيات من كتاب اللّه نشأ الخلاف حول تأويلها

من أمثلة ما نشأ الخلاف حولها،خلاف في تأويل بعض آيات من كتاب اللّه المجيد نذكر أمثلة منها في ما يأتـي :

دُعاء غير اللّه و حُكْم غير اللّه

أ ـ دُعاء غير اللّه

قال الشيخ محمد بن عبد الوهّاب مؤسس المذهب الوهّابي في كتابه (الأصول الثلاثة و أدلّتها) ص ٤ منه :

إعلم رحمك اللّه أنّه يجب على كلّ مسلم و مسلمة تعلّم هذه الثلاث مسائل و العمل بهنّ[١] :

الأولى ـ أنّ اللّه خلقنا . . . .

الثّانية ـ أنّ اللّه لا يرضى أن يشرك معه في عبادته أحد، لا ملك مقرّب و لا نبيّ مرسـل، و الدليل قوله تعالى: ﴿و أنّ المساجد للّه فلا تدعُ مع اللّهِ أحداً﴾[٢] الجن/٢٨ .

١) كذا ورد في الأصل.

٢) رسالة الأصول الثلاثة ط. مطبعة المدني، ٢٩٥ شارع رمسيس بالقاهرة سنة ١٣٨٠ هـ و رسالة الدين و شروطها أيضاً طبع فيها، و كذلك استدلّوا بقوله تعالى: ﴿قل ادعوا الّذين زعمتم

وقال في ص ٥ منه:

انّ الحنيفية ملّة إبراهيم أن تعبد اللّه وحده مخلصاً له الدّين، وبذلك أمر جميع الناس وخلقهم لها، كما قال تعالى: ﴿وماخلقت الجنّ والإنس إلاّ ليعبُدون﴾ ومعنى يعبدون يوحّدوني. وأعظم ما أمر اللّه به التوحيد، وهو إفراد اللّه بالعبادة، وأعظم ما نهى عنه الشرك وهو دعوة غيره معه ـ إلى قوله في ص ٨ منه: ـ والدليل قوله تعالى: ﴿وأنّ المساجد للّه...﴾.

وقال في ص ٤٦ منه:

القاعدة الرابعة: إنّ مشركي زماننا أغلظ شركاً من الأوّلين، لأنّ الأولين يُشركون في الرخاء ويُخلصون في الشدّة، ومشركو زماننا شركهم دائماً في الرخاء والشدّة، والدليل قوله تعالى: ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا اللّه مخلصين له الدّين فلمّا نجّاهم إلى البرّ إذا هم يشركون﴾ العنكبوت/٦٥.

وقال في ص ٨ من رسالته (الدين وشروط الصّلاة)[٣] ما ملخّصه: العبادة لها أنواع كثيرة؛ منها الدعاء، الدليل قوله تعالى: ﴿وأنّ المساجد للّه﴾.

وورد في رسالة (شفاء الصدور) الّتي أصدرتها دار الإفتاء العامّة ردّاً على رسالة الجواب المشكور ص ٣:

رفعوا إلى خليفة زعماء دعوة التوحيد والّذين أزاحوا غياهب الشرك عن هذه البلاد ـ أي عن مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة ـ وطهّروها من أدرانه وقضوا على كلّ أثر له...[٤].

* * *

من دونه، فلا يملكون كشف الضرّ عنكم ولا تحويلاً﴾ الإسراء/٥٦ وآيات أخرى نظيرها.

٣) رسالة الأصول الثلاثة ط. مطبعة المدني ٢٩٥ شارع رمسيس بالقاهرة سنة ١٣٨٠ ـ ورسالة الدين وشروطها أيضاً طبع فيها بلا تاريخ.

٤) رسالة شفاء الصدور، ط. الأولى مؤسسة النور للطباعة والتجليد.

يقصدون بدعاء غير اللّه أو مع اللّه أن يقول المسلم مثلاً: (يارسول اللّه) للتوسّل به إلى اللّه، أو يدعو غيره من أولياء اللّه كذلك. وأدلّتهم كلّها تدور حول قوله تعالى: ﴿ لاتدعُوا معَ اللّهِ ﴾ ونظائرها ممّا نهى اللّه عن الدّعاء مع اللّه أو غير اللّه.

ب ـ حُكْم غير اللّه

حُكم غير اللّه مثله كمثل دُعاء غير اللّه

وقال مخالفوهم: ما أشبه الليلة بالبارحة! وما أشبه هذا الاستدلال بآستدلال الخوارج في تكفير من رضي بالتحكيم في صفّين بأمثال قوله تعالى:

﴿ إن الحُكـم إلاّ للّه عليه توكّلت وعليه فليتـوكّـل المتـوكلون ﴾[٥] يوسف/٦٧. وقوله:

﴿ أ فَغير اللّه أبتغي حكماً وهو الّذي أنزل إليكم الكتاب ﴾ الأنعام/١١٤.

وكان بداية ذلك في معركة صفّين، عندما أمر معاوية برفع كتاب اللّه على الرماح ودعوة جيش العراق إلى قبول حكم القرآن، وآنخداع أكثرية قراء جيش العراق بذلك، وإجبارهم الإمام عليّاً بترك القتال وقبول دعوة معاوية بالتحكيم، ثمّ تعيين معاوية من قبله عمرو بن العاص حكمـاً، وإجبار جيش العـراق الإمـام عليّاً على تعيين أبـي موسى الأشعري حكمـاً من قبله. فلمّا آجتمـع الحكـمان وخدع عمـرو بن العاص أبا موسى وقال له: نخلع عليّاً ومعاوية ونترك الأمر للناس ليختاروا لهم إماماً. وسبق أبو موسى عمراً بالكلام وقال: أنا أخلع عليّاً ومعاوية عن الأمر ليختار المسلمون لهم إماماً. ثمّ خطب بعـده ابن العـاص وقال: إنّه خلع صاحبه كما رأيتم، وأنا أنصب صاحبي للإمامة. فتنازعا وتسابّا وآفترقا. بعد هذا أحسّ من قبل التحكيم من جيش العـراق بخـطئهم ونادوا بشعـار: «لاحُكم إلاّ للّه» وقـالوا: إنّا كفرنا بقبولنا

٥) نكرّر قولنا: بأننا لسنا بصدد إحصاء أدلّة الطرفين في البحث، وإنّما نأتي بأمثلة منها.

التحكيم، وتبنـا إلى اللّه، ويجب على الآخرين أن يعترفوا بالكفر، ثمّ يتوبوا مثلنا؛ ومن لم يفعل، فأولئك هم الكافرون.

وهكذا كفّروا أوّلاً من آشترك في تلك الحوادث من عائشة وعثمان وعليّ وطلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص ومن تبعهم؛ ثمّ شمل حكمهم بالكفر عامّة المسلمين، وسمّوا أنفسهم بالشُراة، ووضعوا سيوفهم قروناً طويلة على عواتقهم يقتلون بها المسلمين ويقتلون[6].

وصدق رسول اللّه (ص) حيث أخبر عن الخوارج وقال: يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، لئن أدركتهم لأقتلنّهم قتل عاد[7]. وفي أحاديث أخرى: لأقتلنّهم قتل ثمود[8].

جواب مخالفيهم في المسألتين

يقول في جواب هؤلاء وأولئك مخالفوهم بأنّ القرآن يفسّر بعضه بعضاً، وإذا كان قد ورد في القرآن قوله تعالى: ﴿إنِ الحُكم إلّا للّه﴾ فقد ورد فيه أيضاً قوله تعالى:

﴿فـإن جاؤوك فٱحْكُم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن

٦) راجع أخبار يوم صفّين في تاريخ الطبري وابن الأثير وابن كثير، ثمّ أخبار الخوارج فيها وفي غيرها من كتب التاريخ.

٧) كان ذلك عندما بعث ابن عمّ الرسول عليّ من اليمن بذهيبة إلى الرسول فقسّمها بين أربعة من المؤلفة قلوبهم، فتغضبت قريش والأنصار، فقالوا: يعطيه صناديد أهل نجد ويدعنا! قال: إنّما أتألّفهم. فأقبل رجل... محلوق الرأس فقال: يا محمد، إتق اللّه! فقال النبي (ص): فمن يطيع الله إذا عصيته، أَ يأمنني على أهل الأرض ولا تأمنوني!؟ فلمّا ولّى،قال النبي (ص) إنّ من ضئضئ هذا قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية يقتلون أهل الاسلام ـ الحديث. صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول اللّه تعالى: ﴿تعرج الملائكة...﴾ ١٨٨/٤. وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم ح ١٤٣ ص ٧٤١.

٨) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، ح ١٤٣ و ١٤٤ و١٤٥ و١٤٦.

يضرّوك شيئاً وإن حكمت فاحكُم بينهم بالقسط﴾ المائدة/٤٢.

فقد خوّل نبيّه في هذه الآية أن يحكم بين أهل الكتاب، وفي آية أخرى أمر بأن يتّخذوا حكماً من النّاس بقوله تعالى: ﴿وإن خِفتُم شِقاقَ بينهما فابعثوا حَكماً من أهلِه وحكَماً من أهلِها إن يُريدا إصْلاحاً يوفِّق اللّه﴾ النساء/٣٥.

ولا منافاة بين الآيتين، فإنّ الآية الأولى عندما أثبتت (الحكم) للّه لم تثبت له حكماً محدوداً مثل ما للقضاة في المحاكم بأنّ لهم أن يحكموا بين الناس بموجب القوانين المرعيّة، وأنّه ليس لهم أن يعيّنوا حاكماً من قبلهم، وإنّما ذلك لذي سلطة أعلى، وعلىٰ هذا فليس للقضاة (الحكم) مطلقاً، وإنّما لهم أن يحكموا بين الناس فحسب، ولكنّ اللّه له أن يحكم بين الناس بموجب حكمه، وله أن يأذن لغيره بالحكم، أي: له أن يعيِّن حاكماً على أي جهة في ملكه، فله الحكم مطلقاً. وعلى هذا فإن الأنبياء بحكم اللّه يحكمون، حين يحكمون، وكذلك الاثنان اللّذان يحكمان بين الزوجين. إذاً فإنّ حكم أولئك الحكّام إذا حكموا بموجب ما أمر اللّه، ليس حكم ما سوى اللّه، ولا حكم غير اللّه، ولا حكم دون اللّه، ولا حكم مع اللّه، وإنّما هو حكم بأمر اللّه وحكم بإذن اللّه.

وسيأتي جوابهم على دعاء غير اللّه في ذكر (دعوة الرسول (ص) والتوّسل به الى اللّه) بعيد هذا إن شاء اللّه تعالى.

وكذلك الشأن بالنسبة إلى بعض الآيات الأخرى الّتي تُثبت بعض الصفات للّه فإنّها لا تثبتها للّه محدودة بحدّ، وإنّما تثبتها للّه مطلقاً. مثل إثبات صفة الملك للّه تعالى.

صفة الملك للّه

لا منافاة في إثبات صفة الملك للّه في قوله تعالى:

﴿وللّه ملك السموٰات والأرض وما بينهما وإليه المصير﴾ المائدة/١٨،

وقوله تعالى:

﴿ لَمْ يَتَّخِذ ولداً ولَمْ يكُن له شريك في الملك ﴾ الإسراء/١١١، والفرقان/٢، وأمثالها.

وبين قوله تعالى:

﴿ وما مَلَكَت أيمانكم ﴾ النساء/٣ و٢٤ و٢٥ و٣٦ وآيات أُخرى مثلها، لأنّه سبحانه وتعالى يقول: ﴿ قلِ اللّهمّ مالك الملك تُؤتي الملك من تشاء وتنزِعُ الملك ممّن تشاء وتُعزّ من تشاءُ وتذلُّ مَن تشاءُ بيدكَ الخير إنّك على كلِّ شيءٍ قدير ﴾ آل عمران/٢٦.

إذاً فإنّ اللّه تعالىٰ حين يُملِّك عبده لم يملِك العبد عندئذ مع اللّه، ولم يملِك غير اللّه ولا سوى اللّه ولا دون اللّه، وإنّما العبد وما يملِك لمولاه، وإنّ تملّك العبد بإذن اللّه من أجلىٰ مصاديق (الملك للّه)، أي: إنّ ملك اللّه ليس محدوداً كملك عبيده الّذي يحدُّ بحدود مشيئة اللّه وإذن اللّه،ولا حول للعبد أن يتصرّف في ما خوّله اللّه بأكثر مما حدّد اللّه له في التصرّف من زمان ومكان وسيطرة. وكذلك الشأن في صفة الخالقية.

الخالق والمحيي

كذلك شأن صفة(الخالق) و(المحيي)، فإنّه سبحانه وتعالى ﴿ خالق كلّ شيء ﴾ الأنعام/١٠٢. و﴿ هَل مِن خالقٍ غير اللّه ﴾ فاطر/٣. وقال اللّه تعالى: ﴿ ألا له الخلق والأمر ﴾ الأعراف/٥٤. وقال تعالى: ﴿ وهو الّذي يُحيي ويميت ﴾ المؤمنون/٨٠. وقال: ﴿ فاللّه هو الوليّ وهو يحيي الموتى ﴾ الشورى/٩.

ولا منافاة بين هذا وبين أن يأذن لعيسى بن مريم (ع) أن يخلق ويحيي كما قال سبحانه مخاطباً إيّاه: ﴿ وإذ تخلق من الطّين كهيئة الطّير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى

بإذني ﴾ المائدة/ ١١٠ و قوله تعالى عن لسان عيسىٰ : ﴿ أنّي أخلق لكم من الطّين كهيئة الطّير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن اللّه وأُبرئ الأكمه و الأبرص وأحيي الموتى بإذن الله ﴾ آل عمران/ ٤٩.

فإنّ اللّه سبحانه حين يخلق ليس كالآلة الصّانعة لا يحول عن عمله ولا يزول ـ جلّ عن ذلك ـ وليس كالبشر حين يعمل لا يستطيع أن يهب قدرة العمل لغيره، بل إنّه قادر أن يخلق الحياة، إنساناً كان أو حيواناً، من طريق اللّقاح بين الزّوجين، ويستطيع أن يخلقه بيديه دون أب ولا أمّ، مثل آدم، ويقدر كذلك أن يأذن لعيسى فيخلق بإذنه، والخالق في كلّ ذلك هو اللّه تعالى.

وكذلك شأن الإحياء، فإنّه قادر على أن يحيي الموتى بلا واسطة يوم القيامة، وقادر على أن يهب الإحياء لرسوله عيسى بن مريم (ع) فيحيي الموتى بإذنه، وقادر على أن يجعل الإحياء في ضرب بعض بقرة بني إسرائيل الصّفراء بميّتهم المقتول فيحيا المقتول ويخبرهم عن قاتله[٩].

وإنّ عيسى بن مريم حين خلق الطير وأحيا الموتى، كان الخلق والإحياء بإذن اللّه، وعلى هذا فإنّ عيسى حين خلق الطّير وأحيا الموتى لم يخلق مع اللّه، ولم يُحْيي مع اللّه، ولم يخلق ولم يُحْيي غير اللّه ولا دون اللّه، وإنّما خلق وأحيا بإذن اللّه.

الوليّ و الشفيع

وكذلك شأن صفة الوليّ والشّفيع:

فإنّه لا منافاة في شأن الشفاعة بين قوله تعالى:

أ ـ ﴿ أَمِ اتّخذوا من دون اللّه شفعاء قلْ أَولَو كانوا لا يملكون شيئاً

٩) إشارة إلى الآيات ٦٧ ـ ٧٣ من سورة البقرة.

ولا يعقلون. قلْ لِلّه الشّفاعة جميعاً له ملك السّموات والأرض ثمّ إليه ترجعون ﴾ الزمر/٤٣، ٤٤.

ب - ﴿ مالكم مِن دونه مِن وليّ ولا شفيعٍ أفلا تتذكّرون ﴾ السجدة/٤.

ج - ﴿ لَيس لهم مِن دونه وليّ ولا شفيع ﴾ الأنعام/٥١.

د - ﴿ وذكّر به أن تبسلَ نفس بما كسبت ليس لها من دون اللّه وليّ ولا شفيع ﴾ الأنعام/٧٠.

وبين قوله تعالى:

أ - ﴿ ما من شفيع إلّا من بعد إذنه ﴾ يونس/٣.

ب - ﴿ من ذا الّذي يشفع عنده إلّا بإذنه ﴾ البقرة/٢٥٥.

ج - ﴿ يومئذ لا تنفع الشّفاعة إلّا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً ﴾ طه/١٠٩.

د - ﴿ ولا تنفع الشّفاعة عنده إلّا لمن أذن له... ﴾ سبأ/٢٣.

هـ - ﴿ لا يملكون الشّفاعة إلّا من اتّخذ عند الرحمن عهداً ﴾ مريم/٨٧.

و - ﴿ ولا يشفعون إلّا لمن ارتضى ﴾ الأنبياء/٢٨.

فإنّه تعالى حين يأذن لعباده الصّالحين أن يشفعوا، كانت الشّفاعة للّه فأذن لهم أن يشفعوا. فالشفيع عندئذ ليس دون اللّه.

وكذلك شأن الولي:

فإنّ قوله تعالى: ﴿ إنّ اللّه له ملك السموات والأرض يحيي ويميت ومالكم من دون اللّه من وليّ ولا نصير ﴾ التوبة/١١٦.

وقوله: ﴿ ألم تعلم أنّ اللّه له ملك السموات والأرض ومالكم من دون اللّه من وليّ ولا نصير ﴾ البقرة/١٠٧.

وقوله: ﴿ أفحسب الّذين كفروا أن يتّخذوا عبادي من دوني أولياء. إنّا أعتدنا جهنّم للكافرين نزلاً ﴾ الكهف/١٠٢.

هذه الأقوال لاتنافي قوله تعالى:

﴿ إنّما وليّكم اللّه ورسوله والّذين آمنوا الّذين يقيمون الصّلاة ويؤتون الزّكاة وهم راكعون ﴾ المائدة/٥٥.

لا منافاة بينهما وليس شركاً أن نقول: اللّه وليّنا ورسوله ومن يقيم الصّلاة ويؤتي الزّكاة في الركوع من المؤمنين، لأنّ الولاية للّه وهو الّذي أعطى هذه الولاية لهما كما أعطى للوالد الولاية على ولده.

* * *

في كلّ الصّفات المذكورة صحّ أن يقال: اللّه، هو الحاكم والمالك والشفيع والولي و... وصحّ - أيضاً - أن يقال لمن منح من عبيده هذه الصفات: المالك والحاكم والشفيع والولي. وإنّ أوضح مثال لما قلنا، المورد الآتي.

من يتوفّى الأنفس

قال تعالى: ﴿ الّذين تتوفّاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ﴾ النحل/٢٨.

وقال: ﴿ تتوفّاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ﴾ النحل/٣٢.

وقال: ﴿ توفّته رسلنا وهم لايفرطون ﴾ الأنعام/٦١.

وقال: ﴿ قل يتوفّاكم ملك الموت الّذي وكّل بكم ثمّ إلى ربّكم ترجعون ﴾ السجدة/١١.

وقال: ﴿ اللّه يتوفّى الأنفس حين موتها ﴾ الزمر/٤٢.

فمن قال: إنّ الملائكة تتوفّى الأنفس حين موتها بإذن اللّه، لم يكذب ولم يشرك، ومن قال: ملك الموت عزرائيل يتوفّى الأنفس حين موتها بإذن اللّه، لم يكذب ولم يشرك. ولا منافاة بين القولين وبين القول بأنّ اللّه يتوفّى الأنفس

حين موتها، و في كلّ هذه الحالات لم يتوفّ الأنفس غير اللّه و لا مع اللّه بل إنّ اللّه هو الذي توفّاها[10]. وكذلك الشّأن بالنسبة إلى الصفات الأخرى المذكورة سابقاً.

دعوة الرّسول (ص) و التوسّل به إلى اللّه

بناءً على ما بيّنّا بأنّ كلّاً من الحاكم و المالك و الشّفيع و الخالق و المحيي و المميت و الوليّ إذا كان بإذن اللّه فليس ثمّت غير اللّه و لا دون اللّه و لا مع اللّه، بناءً على ذلك فإنّ دعوة النبيّ (ص) في التوسّل به إلى اللّه ـ أيضاً ـ إذا كان بإذن اللّه، فليس ثمّت دعاء غير اللّه و لا دون اللّه و لا مع اللّه، و ليس من مصاديق ما نهى اللّه عنه في قوله تعالى: ﴿ و لا تدعوا مع اللّه أحداً ﴾.

و قد مرّ بنا في الحديث المرويّ بمسند أحمد و سنن الترمذي و ابن ماجة و رواية البيهقي و الّتي صحّحوها بأن رسول اللّه (ص) علّم الصحابي الضرير أن يدعو بعد الصّلاة و يقول:

«اللّهمّ إنّي أسألك و أتوجّه بنبيّك محمّد نبيّ الرحمة. يا محمّد إنّي توجّهت بك إلى ربّي في حاجتي لتقضى لي. اللّهمّ فشفّعه فيّ»[11].

فقضى اللّه حاجته و شفّع رسوله فيه و شافاه، و إنّ هذا النوع من التوسّل من مصاديق قوله تعالى:

﴿ و ابتغوا إليه الوسيلة ﴾ المائدة/٣٥.

﴿ يبتغون إلى ربّهم الوسيلة ﴾ الإسراء/٥٧.

* * *

١٠) هذا الاستدلال مستفاد من قول الإمام عليّ، برواية الصدوق عنه في باب الردّ على الثنوية و الزنادقة بكتاب التوحيد، ص: ٢٤١.

١١) راجع مصادره في باب الاستشفاع برسول اللّه في حياته من هذه المقدّمة.

إلى هنا آستعرضنا بعض مسائل الخلاف وأشرنا إلى ما كان ظاهراً من منشئها. وفي ما يلي ندرس الباعث الحقيقي لما نشأ من الخلاف وهما أمران:

أ ـ إستكبار المخلوقين أبد الدهر.

ب ـ حاجة السلطة في هذه الأمّة إلى إراءة حياة قدوات الإنسانية بما لا يناقض حياتها الغارقة في الشهوات. وفي ما يلي بيانهما:

أ ـ الباعث الحقيقي الأوّل على ما نشأ من الخلاف

أوّلاً ـ في بدء الخليقة:

حكى اللّه سبحانه عمّا جرى من إبليس حين لم يسجد لآدم (ع) بقوله:

﴿ قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أَستكبرت أم كنت من العالين * قال أنا خيرٌ منه . . . ﴾ ص/ ٧٥ و ٧٦ .

و ﴿ قال لم أكن لأسجد لبشرٍ خلقته من صلصال من حمأ مسنون ﴾ الحجر/٣٣.

إنّ إبليس عبَدَ اللّه وحده لا شريك له عمر الملائكة، ثمّ لم يخضع لآدم صفيّ اللّه في عصره وآستهان به فكان من أمره ما كان.

أمّا الناس الّذين آستكبروا وآستهانوا بأنبياء اللّه وأصفيائه بعد ذلك فإليكم أمثلة من أمرهم في ما يأتـي:

ثانياً ـ في الأمم السّابقة:

قال قوم نوح لنبيّهم نوح:

﴿ مانراك إلاّ بشراً مثلنا. . . وما نرى لكم علينا من فضل ﴾ هود/٢٧ .

وقالوا: ﴿ما هذا إلّا بشر مثلكم يريد أن يتفضّل عليكم﴾ المؤمنون/٢٤.

وقال قوم نوح وعاد وثمود لرسلهم:

﴿إن أنتم إلّا بشر مثلنا...﴾ إبراهيم/١٠.

وقالوا لنبيّهم:

﴿ما هذا إلّا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب ممّا تشربون﴾ المؤمنون/٣٣.

وكان جواب الأنبياء لأممهم في هذا الاعتراض والاستهانة بهم ما أخبر اللّه عنه وقال:

﴿قالت لهم رُسلُهم إنْ نحن إلّا بشر مثلكم ولكنّ اللّه يمنّ على من يشاء من عباده﴾ إبراهيم/١١.

ثالثاً - في عصر خاتم الأنبياء (ص):

روى ابن حجر في ترجمة ذي الخويصرة رأس الخوارج من الإصابة عن أنس، قال:

كان في عهد رسول اللّه (ص) رجل يعجبنا تعبّده وآجتهاده، وقد ذكرناه لرسول اللّه (ص) فلم يعرفه، فوصفناه بصفته فلم يعرفه. فبينا نحن نذكره إذ طلع الرجل علينا فقلنا: هو هذا. قال: إنّكم لتخبروني عن رجل إنّ في وجهه لسعفة من الشيطان. فأقبل حتّى وقف عليهم ولم يسلّم، فقال له رسول اللّه (ص): أنشدك اللّه، هل قلت حين وقفتَ على المجلس: «ما في القوم أحد أفضل منّي أو خير منّي»؟ قال: اللّهمّ نعم! ثمّ دخل يصلّي فقال رسول اللّه (ص): من يقتل الرجل - الحديث. وفي آخر الحديث قال (ص): لو قتل

ما اختلف من أمّتي رجلان . . .[12].

رابعاً ـ في عصرنا

قال الرجل (ذو المعرفة) من السعوديين :

(محمّد رجالاً مثلي، مات).

و سبب هذا القول ـ أيضاً ـ هو الاستكبار كما كان شأن السابقين.

خلاصة البحث

إنّ إبليس لا يرى فضلاً لصفيّ اللّه و نبيّه آدم على نفسه فلا يخضع له ويقول عنه: إنّه بشر.

و قوم نوح وعاد و ثمود لا يرون لأنبيائهم من فضل عليهم و يقولون لأنبيائهم: إن أنتم إلّا بشر مثلنا.

و ذو الخويصرة رأس الخوارج يقول لجمع فيهم رسول اللّه: ما في القوم أفضل منّي أو خير منّي.

وكذلك الأمر في عصرنا.

إذاً فالباعث الأول للاستهانة بأصفياء اللّه هو الاستكبار.

١٢) راجع ترجمة ذي الخويصرة من الإصابة.

وذو الخويصرة التميمي حرقوص بن زهير،أصل الخوارج قال لرسول اللّه عندما كان يقسم قسمًا: يا رسول اللّه، إعدل! فقال له: ويحك من يعدل إذا لم أعدل!؟ وقال فيه: إنّ له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم و صيامه مع صيامهم، يمرقون من الدين كمروق السهم من الرمية. راجع ترجمة ذي الخويصرة في أسد الغابة. وتفصيل قول رسول اللّه فيه و في الخوارج وقتال الإمام علي إيّاهم في صحيح مسلم، باب ذكر الخوارج، وباب التحريض على قتل الخوارج، وباب الخوارج شرّ الخلق و الخليقة.

و السعفة: قروح تخرج في الوجه و الرأس، ويكون المعنى أثر ضربة الشيطان في وجهه.

ب ـ الباعث الثاني لما نشأ من الخلاف

الباعث الثاني على الخلاف في الأمّة الإسلامية مدى القرون، هو حاجة السّلطات الحاكمة على المسلمين إلى إراءة حياة القدوات الإنسانية، من الأنبياء والأصفياء، بما لا يناقض حياتهم الغارقة في الشّهوات والمنهمكة في اتّباع هوى النفس.

وكان من أثر العاملين الأول والثاني، أن أُوّلت آيات من الذكر الحكيم إلى ما يبيّن صدور المعاصي من أنبياء اللّه وأصفيائه، و وضعت روايات في انغماسهم في الملاهي والشهوات، وأحياناً استفادوا من الأخبار الإسرائيليّة في ذلك مثل ما رووا عن داوود وزوجة أوريا[١٣]، إلى غيرها، والكثير من أمثالها الّتي رووها في سيرة الأنبياء؛ وقد مرّ بنا أمثلة ممّا رووا في سيرة أفضل الأنبياء وخاتمهم محمّد (ص). وفي هذا السبيل، سبيل تسوية الأنبياء والأوصياء بغيرهم من البشر، والقول بعدم وجود ميزة لهم عمّن سواهم، أوّلوا آيات من الكتاب العزيز المصرّحة بمعجزات الأنبياء، مثل خلق عيسى (ع) من الطّين طيراً بإذن اللّه ونظائره، ووضعت روايات تتّفق وما يقولون به من عدم وجود ميزة لأصفياء اللّه عمّن سواهم من البشر.

وفي مقابل تلكم الأحاديث وتأويلات آيات كتاب اللّه، بدافع العاملين المذكورين آنفاً، نجد في كتب التفسير والحديث والسّيرة أحاديث أخرى تدلّ على ميّزات أصفياء اللّه. فآمن بها طائفة من المسلمين، وأوّلت آيات كتاب اللّه بما يوافق تلك الأحاديث. وأنتج ما ذكرناه رؤية خاصّة لصفات اللّه وصفات أنبيائه وعن العرش والكرسيّ وسائر المعارف الإسلاميّة تناقض

١٣) راجع أخبار سيرة النبيّ داوود (ع) في تاريخ الطبريّ وغيره

رؤية الطائفة الأخرى. وكل طائفة آمنت بما لديها بما يبلغ بها إلى تكفير من يخالفها في الرأي. وإنّ ما وقع من التفرقة مدى القرون كان من أثر ما ذكرناه. أمّا العلاج فسنذكره بحوله تعالى في الخاتمة الآتية.

- ٩ -
خلاصة و خاتمة

شرع اللّه للإنسان الإسلام نظاماً مناسباً لفطرته، وهداه بواسطة أنبيائه (ع) وكان كلّما توفّي نبيّ وغيّرت أمّته شريعته، جدّد اللّه دينه بإرسال نبيّ جديد. واقتضت حكمته ختم الشّرائع بشريعة خاتمهم، فحفظ أصول الإسلام بحفظ القرآن من الزّيادة والنقصان أبد الدهر، وجعل بيان الأحكام وشرحها في سنّة رسوله (ص) ولم يحفظها مثل القرآن من الزيادة والنّقصان، ولم يعصم رواتها عن السّهو والنسيان، ولم يعصم نسّاخ كتب الحديث من الخطأ والزلل. ومضى على رواية سنّة الرسول (ص) أربعة عشر قرناً وتداول المسلمون من روايات سنّة الرسول (ص) سيرة وحديثاً ما تعارض بعضه مع بعض الشيء الكثير، مع وجود المجمل والمفصّل والعامّ والخاصّ فيها، والعوامل الخارجية المؤثرة في رواية الحديث، والّتي أشرنا إليها سابقاً، فاختلفت اجتهادات المجتهدين في ترجيح بعضها على بعض، مضافاً إلى اجتهاداتهم الخاصّة في مختلف معارف الإسلام وأحكامه. فتعصّب كلٌّ لآرائه، فتكوّنت لكلّ فرقة رؤية خاصّة للإسلام أوّلت بموجبها آيات متشابهات في كتاب اللّه

الكريم، وحملت عليها آيات محكمات أخرى.

* * *

وهكذا أنقسم المسلمون إلى فرق ومذاهب، ومضت عليهم قرون طويلة كفّر خلالها المسلمون بعضهم بعضاً، و قتلت كلّ فرقة من خالفها في الرأي أحياناً، وهدّمت ديارهم! فكيف يمكن توحيد كلمة المسلمين مع وجود هذه المفارقات، و وجود مسائل الخلاف بينهم ممّا أوردنا أمثلة منها في ما سبق ؟ لا، لن يتمّ التقارب بين المسلمين هكذا، ومع بقائهم على تقليد اجتهادات السّلف، فلا بدّ للمسلمين من أن تبدي كلّ طائفة منهم ما لديها من رؤى للإسلام و تأويل للقرآن و حديث مرويّ و اجتهادات للسّلف نشأ منها الخلاف، على شرط أن يتمّ ذلك بأسلوب الدعوة إلى الحقّ و البحث العلميّ الرصين، دون الرّكون إلى السباب و الشتائم و الافتراء انتصاراً لرأيها و طائفتها - أعاذنا اللّه من ذلك - ثمّ الاستماع بتجرّد إلى مالدى الطّوائف الأخرى كذلك، و الحقيقة بنت البحث.

و السّبيل الصّحيح للوصول إلى ذلك، أن يبادر علماء المسلمين إلى تلك الدراسات بتجرّد علميّ بحت، ثمّ تعرض نتائج تلك الدراسات على الأندية العلميّة الإسلاميّة الكبرى، مثل الجامع الأزهر الشريف في القاهرة، و الجامعة الإسلاميّة في المدينة المنوّرة، ورابطة العالم الإسلامي في مكّة المكرمة، و الجوامع الإسلاميّة الكبرى في النجف الأشرف وقم وخراسان و القيروان و الزيتونة، لبحثها و تمحيصها. ثمّ لتنشر بعد ذلك حكومات البلاد الإسلاميّة ما تتمخّض عنه دراسات تلك الجامعات بين المسلمين كافّة ليتسنّى لجميع المسلمين من أراد منهم أن يفهم رأي غيره تفهماً واعياً لا لبس فيه ولا غموض ولا نبز، و له بعد ذلك أن يتقبّل رأي غيره بقبول حسن، أو يعذر أخاه المسلم في ما اتّخذ له من رأي. وهكذا يتيسّر للمسلمين أن يتفهّم بعضهم بعضاً

ويتقاربوا ويوحّدوا جهودهم في ما يصلح لهم[1].

ومن الضروريّ في هذا السبيل أن يبدأ بالبحث عن مصادر الشّريعة الإسلاميّة وكيفيّة أخذ المسلمين منها وسبل الوصول إلى السنّة النبويّة.

وللوصول إلى هذا الهدف الجليل قمت مستعيناً باللّه تعالى بتأليف هذا الكتاب وفق المنهج التالي.

منهج البحث في الكتاب:

أوردنا في ما سبق أمثلة من مسائل الخلاف ومنشأ الاختلاف ودوافعهما وبقي لنا دراسة جذور الخلاف والاختلاف. وسندرسها في أبواب القسم الأوّل من هذا الكتاب ليدرسها المصلحون الغيارى على الإسلام والمسلمين وينسّقوا جهودهم في ضوء معرفتها لتقريب أبناء الأمّة الإسلاميّة وتوحيد

١) لقد شرحت ضرورة القيام بدراسات مقارنة لسنّة الرسول (ص) بتجرّد علميّ بحت لعلماء المسلمين وكتّابهم ومفكّريهم بمصر والحجاز والشام ولبنان والهند وباكستان والعراق وغيرها، سواء في الجامعات الإسلامية والأندية العلميّة بها أو في آجتماعي بالعلماء على انفراد، وآستعنت اللّه وقمت منذ نيف وخمسين سنة بهذه الدراسات. ولما كانت أمّ المؤمنين عائشة أكثر من تحدّثت عن سيرة الرسول الاكرم (ص) بين أمّهات المؤمنين وأهل البيت وجميع الصّحابة، وكان أكثر الباحثين مسلمين وغير مسلمين من المستشرقين وتلاميذهم يتعرّفون على سيرة الرسول (ص) من خلال الأحاديث المرويّة عنها، ولن تتيسّر دراسة سيرة الرسول دون الدراسة العلمية لمجموعة الأحاديث المرويّة عنها بتجرّد علميّ بحت، لهذا اضطررت إلى دراسة أحاديثها دراسة مقارنة، وطبعت الجزء الأول منها، ولـمّا يطبع الجزء الثاني منها. ورأيت خلال دراساتي من الاختلاف في أخبار السيرة وأخبار العصر الإسلامي الأول ما أكرهني على نشر بعض دراساتي بآسم (خمسون ومائة صحابي مختلق) وقصدي من هذه التسمية أن أُنبّه العلماء إلى ما في أخبار العصر الإسلامي الأوّل من عظيم الاختلاق، وطبع منها جزءان ترجم فيهما ثلاثة وتسعون صحابيّاً مختلقاً وأكثر من سبعين راوياً للحديث مختلقين - أيضاً - أسندت إليهم روايات في الفتوح والردة وغير ذلك مختلقة جميعها. وكتبت مقدّمة لهذه الدراسة مجلّدي عبد اللّه بن سبأ ونُشرا، وبقي نشر المجلد الثالث من (خمسون ومائة صحابي مختلق) والثالث من عبد اللّه بن سبأ، وإلى اللّه أشكو ما لا قيت من الإرجاف في هذا السبيل.

كلمتهم ضدّ أعداء الإسلام إن شاء اللّه تعالى.

و نقول في هذا الصدد: لـمّا كان جميع طوائف المسلمين ينتهـون إلى مدرستين[٢]: مدرسة الإمامة ومدرسة الخلافة، بحثت في الكتاب:

أولاً ـ عن رأي المـدرستـين في الصّحابة وعدالتهم، لأنّهم من سبل الـوصول إلى سنّة الرسول (ص). وترى مدرسة الخلافة أنّهم جميعاً عدول لا يتـطـرّق الشّـكّ إلى عدالة أيّ واحـد منهم، ويصـحّ أخـذ الحديث من جميعهم. وترى المدرسة الأخرى أنّ في الصحابة البرّ التّقي الّذي يؤخذ منه الحديث، وفيهم من وصمه اللّه في كتابه بالنفاق وقال: ﴿ ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم ﴾ التوبة/١٠١.

هكذا درست أدّلة الطّرفين في هذا الباب بتجرّد علميّ، ثمّ بحثتُ عن رأي المدرستين في الإمامة و الخلافة وأدلّتهما في ما آرتأتا، لأنّ الخلفاء الأربعة الأوائـل لدى إحـداهما من سبل الوصول إلى الشّريعة الإسلامية وتروي في حقّهم عن الرسول (ص) أنّه قال: «خذوا بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين من بعدي وعضّوا عليها بالنواجذ»، ثمّ إنّها تتّخذ من آجتهاداتهم مصدراً للشّريعة الإسلاميّة[٣].

وكذلك الأئمة الاثنا عشر لدى مدرسة أهل البيت (ع) فإنّهم يرونهم من سبـل الوصول إلى الشريعة الإسلاميّة ويأخذون منهم كلّ مايروون عن الرّسول (ص) من أحكام بلا ترديد. فلا بدّ مع هذا من تمحيص أدلّة الطرفين في هذا السبيل.

ثانياً ـ درست بحوث المدرستين في مصادر الشّريعة الإسلاميّة بكلّ أمانة

٢) سيأتـي بيانه في بداية البحوث ، إن شاء اللّه تعالى.

٣) يأتـي بحث نقد الحديث و دراسة مواقفهم من اجتهادات مجتهدي مدرسة الخلفاء في الجزء الثاني في باب: بحوث المدرستين حول مصادر الشريعة الإسلامية ، إن شاء اللّه تعالى.

علميّة ، وختمت البحوث بذكر بعض أنواع نشاط المدرستين الثقافيّ والسياسيّ والاجتماعيّ وآثارها في المجتمع الإسلامي .

ثالثاً ـ أوردت في الأخير بعض ما افتري به على مدرسة أهل البيت (ع) وحاولت القيام بتمحيصه.

و أسال اللّه أن يوفقني للبحث عن روايات المدرستين حول القرآن الكريم بمنّه تعالى.

و ها هي البحوث أعرضها على الملأ الإسلاميّ الكريم راجياً أن ينظروا فيها بتجرّد علميّ، وينبّهوني على أخطائي في سبيل نشر المعرفة الإسلامية وتيسير التقارب و التّفاهم بين المسلمين، إن شاء اللّه تعالى.

﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى اللّه على بصيرة أنا و من اتّبعني و سبحان اللّه وما أنا من المشركين ﴾. يوسف/ ١٠٨.

القسم الأوّل

بحوث المدرستين حول مصادر الشريعة الإسلامية

توطئـة

في تاريخ الفكر الإسلاميّ نجد ٱنقساماً بيّناً بعد وفاة النبيّ (ص) بين مدرستين متعارضتين، مدرسة السّلطة الحاكمة بعد الرسول حتى آخر الخلفاء العثمانيين، ومدرسة أئمة أهل البيت (ع) حتّى الإمام الثاني عشر[1]. ولم يزل الخلاف قائماً بين خرّيجي المدرستين وأتباعهما من المسلمين، ولا يزال كذلك حتّى عصرنا الحاضر، وإلى ماشاء اللّه.

وفي ما يلي من هذا البحث نسمّي المدرسة الأولى بمدرسة الخلفاء والأخرى بمدرسة أهل البيت. ونبدأ بذكر منشأ الخلاف بينهما، ثمّ نورد أمثلة من وجوه الخلاف، إن شاء اللّه تعالى.

منشأ الخلاف:

تتّفق المدرستان في القرآن الكريم، وتلتزمان بما أحلّه وحرّمه وفرضه

١) إنّما حدّدنا مدرسة السلطة الحاكمة بآخر الخلفاء العثمانيّين، ومدرسة أهل البيت بالإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت، لانّ مدرسة الخلفاء تلتزم بشرعية حكومة الخلفاء بعد النبيّ وتسمّيهم بخلفاء النبيّ، وتلتزم مدرسة أهل البيت بأحقيّة الأئمة الاثني عشر في الحكم وتسمّيهم أوصياء النبي. ولهذا سمّينا الأولى بمدرسة الخلفاء، والثانية بمدرسة أهل البيت.

وندب إليه، وتختلفان في تأويله وخاصّة متشابه آياته أشدَّ الاختلاف. ثمّ تختلفان في الأمور الثلاثة التالية:

أ ـ في الصحابة.

ب ـ في الإمامة والخلافة، وهما من سبل الوصول إلى مصادر الشّريعة الإسلاميّة.

ج ـ في مصادر الشّريعة الإسلامية بعد القرآن.

وسندرس بحوث المدرستين في كلّ منها بعد دراسة المصطلحات الواردة في بابه في أوّل الباب. ونبدأ هنا بدراسة المصطلحات المشتركة في جميع أبواب الكتاب أوّلاً، ثمّ بدراسة كيفيّة تدوين معاجم اللّغة العربيّة ثانياً.

اللّغة العربيّة و المصطلحات الإسلاميّة

أوّلاً ـ تعريف المصطلحات و هي:

أ ـ لغة العرب.

ب ـ المصطلح الشرعيّ أو المصطلح الإسلامي.

ج ـ مصطلح المتشـرّعة أو مصطلح المسلمين.

د ـ الحقيقة و المجاز.

و نسمّي الأوّل أحياناً بـ (تسمية العرب)، و الثاني بـ (تسمية الشارع) و الثالث بـ (تسمية المسلمين) و نقول:

أ ـ لغة العرب

إنّما نتحدّث عن لغة العرب، لأنّ القرآن نزل بلغتهم، فنقول:

إنَّ جلّ الألفاظ العربيّة الّتي نستعملها اليوم، كانت شائعة في معانيها قبل الإسلام و بعد الإسلام حتّى اليوم ، مثل: الأكل و النوم و اللّيل و النهار.

و من تلكم الألفاظ ما ورد في لغة العرب في معان متعدّدة ، مثل لفظ: (غنم) الّـذي كان في البـدء بمعنى كسب الغنم ، ثمّ استعمل أيضاً في لغة العـرب بمعنى الفـوز بالشيء بلا مشقّـة ، ثمّ استعمل في الإسلام في الفوز

بالشيء مطلقاً ، سواء أكان الفوز بمشقّة أم دون مشقّة.

وقد يرد لفظ عند قبيلة بمعنى، وعند أخرى بمعنى آخر ، مثل: (الأثلب) فإنّه في لغة أهل الحجاز: الحجر، وفي لغة تميم: التراب[1].

وفي عصرنا يستعمل لفظ: (المبسوط) ويراد به عند العراقيين: المضروب، ولدى الشاميّين واللّبنانيّين: المسرور، وفي مثل هذه الحالة يجب أن نقول مثلاً: (الأثلب) في لغة تميم بمعنى كذا ، وفي لغة الحجازيين بمعنى كذا، وكذلك الأمر في (المبسوط).

ب ـ المصطلح الشرعي أو «المصطلح الإسلامي»

عندما بعث اللّه خاتم أنبيائه (ص) استعمل بعض الألفاظ العربيّة في غير معانيها الشّائعة لدى العرب، مثل: (الصلاة) الّتي كانت تستعمل في مطلق (الدعاء) واستعملها رسول اللّه (ص) في عبادة خاصّة لها قراءات خاصّة مقارنة بأفعال خاصّة من قيام وركوع وسجود، ممّا لم تكن معروفة لدى العرب. وهذا ما نسمّيه بـ(المصطلح الشرعي أو الإسلامي) سواء في ذلك أ غُيّر المعنى اللّغوي للّفظ مثل (الصلاة) أم جاء الشّارع الإسلاميّ بلفظ جديد في معنى جديد، مثل: (الرحمٰن) صفة للّه تعالى.

ويعرف (المصطلح الشرعي) بورود اللّفظ في معناه في القرآن الكريم أو الحديث النبويّ الشريف، وبدون ذلك لا يوجد المصطلح الشرعي.

إذاً فالمصطلح الشرعيّ: ماآستعمله الشارع في معنى خاصّ وبلّغ الرسول (ص) ذلك.

١) تهذيب اللغة للأزهري، ط. القاهرة، سنة ١٣٨٤ هـ، ١٥/ ٩١.

ج ـ مصطلح المتشـرِّعة أو «تسمية المسلمين»

من الألفاظ ما هي شائعة في معان خاصّة بها لدى المسلمين عامّة مثل: (الاجتهاد) و (المجتهد) الشائعَين لدى عامّة المسلمين في الفقه و الفقيه ، و كان اللّفـظان في لغـة العرب بمعنى بذل الجهد في طلب الأمر[٢]، و باذل الجهد، و آستعملا بنفس المعنى اللّغوي في حديث الرسول (ص) كما روي عن رسول اللّه (ص) أنه قال:

«فضل العالم على المجتهد مائة درجة»، أي على المجتهد في العبادة[٣].

و في ما روي عن سيرته (ص) و قيل:

كان رسول اللّه يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره[٤].

و لم يرد (الاجتهـاد) و (المجتهـد) بمعنى: الفقـه و الفقيه، في القرآن الكـريم و لا الحـديث النبـويّ الشريف، و نسمّي هذا النـوع من التسمية بـ (عرف المتشـرِّعة) و (تسمية المسلمين).

و من هذا النوع من التسمية ما لا يكون شائعاً لدى عامّة المسلمين، بل يكـون شائعاً لدى بعضهم، مثل كلمة: (صوم زكريّا) المستعمل لدى بعض المسلمين في الصّوم مع الالتزام بالصّمت و الامتناع عن التكلّم. و هذا النوع من المصطلح ينبغي أن نسمّيه بآسم البلد الشائع فيه، فنقول: هذا اصطلاح المسلمين من أهل بغداد، أو اصطلاح المسلمين في القاهرة مثلاً، و لا يصحّ أن نسمّيه بـ (اصطلاح المسلمين) أو (عرف المتشـرّعة) أو (تسمية المسلمين) مطلقاً

٢) مادة: (جهد) من نهاية اللغة لابن الاثير.
٣) مقدّمة سنن الدارمي، باب فضل العلم و العالم، ح ٣٢، ١/١٠٠.
٤) صحيح مسلم، كتاب الاعتكاف، باب الاجتهاد في العشر الأواخر من شهر رمضان، ح ١١٧٥.

و بدون تقييد.

و كذلك الأمر بالنسبة إلى التسمية الشائعة لدى أهل مذهب من المذاهب الإسلامية أو لدى فرقة تنتمي إلى الإسلام.

مثل: (الشاري) و (المشرك) لدى الخوارج؛ فـ (الشاري) عندهم بمثابة المجاهد عند كافّة المسلمين، و (المشرك) عندهم: جميع المسلمين وكلّ من لا ينتمي إلى الخوارج.

ومثل (الرافضي) الّذي ينبز به بعض أتباع مدرسة الخلفاء بعض أتباع مدرسة أهل البيت (ع).

و (الناصبيّ) عند أتباع مدرسة أهل البيت (ع) الّذي يسمّون به: كل من يبغض الأئمة من أهل البيت (ع).

وفي مثل هذه الحالة، نسمّي الأول بـ (آصطلاح الخوارج) و الثاني بـ (آصطلاح مدرسة الخلفاء) و الثالث بـ (آصطلاح مدرسة أهل البيت).

وبناءً على ما ذكرنا، فإذا ورد لفظ (الناصبيّ) لدى أتباع مدرسة الخلفاء لا ينبغي أن نفهم منه أعداء أهل البيت (ع). وكذلك إذا ورد لفظ (الشاري) عند غير الخوارج لا نفهم منه ما آصطلح عليه الخوارج.

د ـ الحقيقة و المجاز

إذا شاع آستعمال اللّفظ في معناه، بحيث لم يتبادر إلى ذهن السّامع عند آستماع الكلمة غير ذلك المعنى، مثل لفظ: (الأسد) الّذي يفهم منه: الحيوان المفترس، لا غيره. ومثل لفظ: (الصلاة) الّتي لا يفهم منها لدى المسلمين غير: القيام بالأعمال الخاصّة المقرونة بأذكار خاصّة.

في مثل هذه الحالة، يوصف (الأسد) بأنّه حقيقة في الحيوان المفترس، و (الصلاة) بأنّها حقيقة في الأعمال المخصوصة، ويسمّى الأول بـ (الحقيقة

اللغوية) والثاني بـ (الحقيقة الشرعيّة).

وقد يستعمل لفظ (الأسد) ويقصد به: الرجل الشجاع، ويقال: رأيت أسداً يتكلّم في المسجد. وهذا الاستعمال يسمّى استعمالاً مجازياً ويقال: استعمل (الأسد) مجازاً في الرجل الشّجاع. ولا بدَّ عند ذلك من وجود قرينة في الكلام أو في المقام، تدلّ على أنّه لم يقصد من (الأسد) المعنى الحقيقي، مثل قولك هنا: (يتكلّم في المسجد) فإنّ الأسد لا يتكلّم، وهذه قرينة على أنّ القائل لم يقصد الحيوان المفترس، وإنّما قصد رجلاً شجاعاً.

ثانياً ـ كيفيّة تأليف مجاميع اللّغة العربيّة

عندما قام علماء اللّغة العربيّة بتدوين اللّغة العربيّة في القرنين الثاني والثالث الهجريّين، سجّلوا أمام كلّ لفظ ما وجدوا له من معنى، منذ العصر الجاهليّ إلى زمانهم، سواء أكان ذلك المعنى شائعاً عند أهل اللغة أم في الشرع الإسلامي، أو لدى المسلمين، غير أنَّ فقهاء المسلمين بذلوا جهداً مشكوراً مدى القرون في تحديد المصطلحات الإسلاميّة الفقهيّة وتعريفها، مثل مصطلح الصلاة والصّوم والحجّ وغيرها، فأصبحت المصطلحات الإسلامية الفقهية معروفة لدى جميع المسلمين. ولـمّا لم يبذل نظير ذلك الجهد في تعريف المصطلحات الإسلامية غير الفقهية، أصبح بعض المصطلحات غير معروف لدى المسلمين، أ هي من نوع الاصطلاح الشرعيّ؟ أم من نوع تسمية المسلمين واصطلاح المتشرِّعة. وأدّى ذلك إلى اللَّبس والغموض في إدراك المفاهيم الإسلاميّة، وأحياناً في معرفة بعض الأحكام الشرعية، نظير ما وقع في لفظَي الصحابيّ، والصحابة، كما سندرسهما في ما يأتـي.

البحث الأوّل

بحوث المدرستين حول الصّحبة و الصّحابة

تعريف الصحابي لدى المدرستين
عدالة الصحابة لدى المدرستين
خلاصة بحث الصحابة لدى المدرستين

الفصل الأوّل

تعريف الصحابـي لدى المدرسـتيـن

تعريف الصحابـي في مدرسة الخلفاء

تعريف الصحابـي بمدرسة أهل البيت(ع)

ضابطتهم لمعرفة الصحابـي

مناقشة ضابطة معرفة الصحابـي

تعريف الصّحابيّ لدى المدرستين

تعريف الصحابيّ في مدرسة الخلفاء

قال آبن حجر في مقدّمة الإصابة، الفصل الأول في تعريف الصحابيّ:

الصحابيّ من لقي النبي (ص) مؤمناً به، ومات على الإسلام.

فيدخل في من لقيه من طالت مجالسته له أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو، ومن غزا معه أو لم يغز، ومن رآه رؤية ولولم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى[1].

وذكر في (ضابط يستفاد من معرفته صحبة جمع كثير) وقال: (إنّهم كانوا في الفتوح لا يؤمّرون إلاّ الصحابة).

(وانّه لم يبق بمكة ولا الطّائف أحد في سنة عشر إلاّ أسلم وشهد مع النبي حجّة الوداع) و(أنّه لم يبق في الأوس والخزرج أحد في آخر عهد النبي (ص) إلاّ دخل في الإسلام) و(ما مات النبيّ (ص) وأحد منهم يظهر

١) الإصابة ١/١٠.

وهذا القول بمدرسة الخلفاء هو مصدر الشهيد الثاني حين قال في كتابه الدراية؛ الباب الرابع في بعض المصطلحات في أسماء الرجال وطبقاتهم: (الصحابيّ) من لقي النبيّ مؤمناً به ومات على الإسلام.

الكفر[2].

وإذا راجع باحث أجزاء كتابنا (خمسون ومائة صحابيّ مختلق) يرى مدى تسامحهم في ذلك ومبلغ ضرره على الحديث.

تعريف الصّحابيّ بمدرسة أهل البيت (ع)

إن مدرسة أهل البيت ترى أنّ تعريف الصحابي: هو ما ورد في قواميس اللغة العربية كالآتي:

الصاحب وجمعه: صَحب، وأصحاب، وصِحاب، وصَحابة[3] و(الصاحب: المعاشر[4] والملازم[5])، (ولا يقال إلّا لمن كثرت ملازمته)[6]، (وانّ المصاحبة تقتضي طول لبثه)[7].

وبما أنّ الصُّحبة تكون بين اثنين، يتّضح لنا أنّه لا بدّ أن يضاف لفظ (الصاحب) وجمعه (الصَحب و. . .) إلى اسم ما في الكلام، وكذلك ورد في القرآن في قوله تعالى: ﴿ يا صاحبي السّجن ﴾ و﴿ أصحاب موسى ﴾، وكان يقال في عصر الرسول (ص): (صاحب رسول اللّه) و(أصحاب رسول اللّه) مضافاً إلى رسول اللّه (ص) كما كان يقال: (أصحاب بيعة الشّجرة) و(أصحاب الصفّة) مضافاً إلى غيره، ولم يكن لفظ الصاحب والأصحاب يوم ذاك أسماءً لأصحاب الرسول (ص) ولكنّ المسلمين من أصحاب مدرسة الخلافة تدرّجوا بعد ذلك في تسمية أصحاب رسول اللّه (ص) بالصحابيّ والأصحاب، وعلى هذا فإنّ هذه التسمية من نوع (تسمية المسلمين) و(مصطلح المتشرّعة).

٢) المصدر السابق ص ١٦ وقبله ص ١٣. ٣و٤) راجع لسان العرب، مادة: (صحب).
٥و٦و٧) مفردات الراغب، مادة: (صحب).

كان هذا رأي المدرستين في تعريف الصحابي.

ضابطتهم لمعرفة الصحابيّ

ذكر مترجمو الصحابة بمدرسة الخلفاء ضابطة لمعرفة الصحابي، كما نقلها آبن حجر في الإصابة وقال:

ومـمّا جاء عن الأئمة من الأقوال المجملة في الصفة الّتي يعرف بها كون الرجل صحابياً وإن لم يرد التنصيص على ذلك، ما أورده آبن أبي شيبة في مصنّفه من طريق لا بأس به: أنّهم كانوا في الفتوح لا يؤمّرون إلّا الصحابة[8].

والرواية الّتي جاءت من طريق لا بأس به بهذا الصدد هي الّتي رواها الطبريّ وآبن عساكر بسندهما، عن سيف، عن أبي عثمان، عن خالد وعبادة، قال فيها:

وكانت الرؤساء تكون من الصحابة حتى لا يجدوا من يحتمل ذلك[9].

وفي رواية أخرى عند الطبري عن سيف قال:

إنّ الخليفة عمر كان لا يعدل أن يؤمّر الصحابة إذا وجد من يجزي عنه في حربه. فإن لم يجد ففي التّابعين بإحسان، ولا يطمع مَنْ انْبَعَثَ في الردّة في الرئاسة...[10].

مناقشة ضابطة معرفة الصّحابي

إنّ مصدر الروايتين هو سيف المتّهم بالوضع والزندقة[11].

وسيف يروي الضابطة عن أبي عثمان، وأبوعثمان الّذي يروي عن

٨) الإصابة ١/١٣.
٩) الطبري ط. أوربا، ١/٢١٥١.
١٠) الطبري ط. أوربا، ١/٢٤٥٧ ـ ٢٤٥٨.
١١) راجع ترجمة سيف في أول الجزء الأول من كتاب عبد اللّه بن سبأ.

خالد و عبادة في روايات سيف، تخيّله سيف: يزيد بن أسيد الغسّاني، و هذا الاسم من مختلقات سيف من الرواة[١٢].

و مهما تكن حال الرواة الّذين رووا أمثال هذه الروايات، وكائنين من كانوا، فإنّ الواقع التاريخيّ يناقض ما ذكروا؛ فقد روى صاحب الأغاني وقال:

أسلم امرؤ القيس على يد عمر وولّاه قبل أن يصلي للّه ركعة واحدة[١٣].

و تفصيل الخبر في رواية بعدها عن عوف بن خارجة المرّي قال:

و اللّه إنّي لعند عمر بن الخطاب (رض) في خلافته، إذ أقبل رجل أفحج[١٤] أجلح أمعر يتخطّى رقاب الناس حتى قام بين يدي عمر، فحيّاه بتحيّة الخلافة.

فقال له عمر: فمن أنت؟

قال: أنا امرؤ نصرانيّ، أنا امرؤ القيس بن عدي الكلبي.

فعرفه عمر، فقال له: فما تريد؟

قال: الإسلام.

فعرضه عليه عمر، فقبله. ثمّ دعا له برمح فعقد له على من أسلم بالشّام من قضاعة[١٥]. فأدبر الشّيخ و اللّواء يهتزّ على رأسه ـ الحديث[١٦].

١٢) راجع مخطوطة (رواة مختلقون) للمؤلّف وكتاب عبد اللّه بن سبأ ط. بيروت سنة ١٤٠٣ هـ ١/١١٧.

١٣) الأغاني،ط. ساسي، ١٤/١٥٨.

١٤) الأفحج: من تدانت صدور قدميه وتباعد عقباه. و الأجلح: الّذي انحسر شعره عن جانبي رأسه. و الأمعر: قليل الشعر.

١٥) قضاعة: قبائل كبيرة، منهم قبائل حيدان و بهراء و بلي و جهينة، ترجمتهم في جمهرة أنساب ابن حزم ص ٤٤٠ ـ ٤٦٠. وكانت ديارهم في الشحر ثمّ في نجران ثمّ في الشّام، فكان لهم ملك ما بين الشام و الحجاز إلى العراق، راجع مادة قضاعة، معجم قبائل العرب ٣/٩٥٧.

١٦) الأغاني،ط. ساسي ١٤/١٥٧، و أوجزه ابن حزم في جمهرة أنساب العرب ص ٢٨٤.

ويخـالفـه ـ أيضـاً ـ ما في قصّـة تأمـير علقمة بن علاثة الكلبي بعد آرتداده ، وقصّته كما في الأغاني و الإصابة[17] بترجمته ما يلي:

أسـلم علقمة على عهد رسول اللّه و أدرك صحبته. ثمّ آرتدّ على عهد أبـي بكر. فبعث أبوبكر إليه خالداً ففـرّ منه.

قالوا: ثمّ رجع فأسلم.

وفي الإصابة:

شرب الخمر على عهد عمر، فحدّه، فآرتدّ ولحق بالروم. فأكرمه ملك الروم ، قال له: أنت آبن عمّ عامر بن الطفيل. فغضب وقال: لا أراني أعرف إلّا بعامر[18]. فرجع و أسلم.

و في الأغاني و الإصابة ـ و اللفظ للأوّل ـ :

لـمّا قدم علقمـة بن علاثة المدينة وكان قد آرتدّ عن الإسلام، وكان لخالد بن الوليد صديقاً، فلقيه عمر بن الخطاب (رض) في المسجد في جوف اللّيل ، وكان عمر (رض) يشبه بخالد ، فسلّم عليه وظنّ أنه خالد.

فقال له: عزلك ؟

قال: كان ذلك.

١٧) ترجمته في الإصابة ٢/٤٩٦ ـ ٤٩٨، والأغاني،ط. ساسي ١٥/٥٦، وقصة تنافر علقمة وعامر في الأغاني ١٥/٥٠ ـ ٥٥، وفي جمهرة آبن حزم ص ٢٨٤.

١٨) وقعت منافرة بين علقمة وعامر ذكرها الأخباريون، قال في الأغاني،ط. ساسي ١٥/٥٠:
انّ علقمة كان قاعداً ذات يوم يبول، فبصر به عامر، فقال: لم أر كاليوم عورة رجل أقبح . . . .
فقال علقمة: أما و اللّه ما وثبت على جاراتها ولا تنازل كناتها، يعرض بعامر. . . .
فقال عامر: واللّه لأنا أكرم منك حسباً و اثبت منك نسباً.
فقال علقمة: لأنا خير منك ليلاً و نهاراً.
فقال عامر: لأنا أحبّ إلى نسائك ـ إلى آخر القصةفي الأغاني، وترجمة علقمة في الإصابة.
قال المؤلف:
و لذلك أنف علقمة من أن يكرم لأنه آبن عمّ عامر ويشتهر ذلك عنه.

قال: و اللّه ما هو إلا نفاسة عليك وحسداً لك.

فقال له عمر: فما عندك معونة على ذلك ؟

قال: معاذ اللّه، إنّ لعمر علينا سمعاً وطاعة و ما نخرج إلى خلافه.

فلمّا أصبح عمر (رض) أذن للنّاس ، فدخل خالد وعلقمة. فجلس علقمة إلى جنب خالد ، فألتفت عمر إلى علقمة فقال له:

إيه يا علقمة، أنت القائل لخالد ما قلت ؟

فألتفت علقمة إلى خالد، فقال:

يا أبا سليمان أفعلتها ؟

قال: ويحك! و اللّه ما لقيتك قبل ما ترى، و إنّي أراك لقيت الرجل.

قال: أراه و اللّه.

ثم التفت إلى عمر (رض) فقال:

يا أمير المؤمنين! ما سمعت إلّا خيراً.

قال: أجل، فهل لك أن أولّيك حوران[19]؟

قال: نعم.

فولّاه إياها فمات بها، فقال الحطيئة يرثيه ـ الحديث.

و زاد في الإصابة:

فقال عمر: لأن يكون من ورائي على مثل رأيك أحبّ إليّ من كذا و كذا.

* * *

كان ما نقلناه هو الواقع التاريخيّ غير أن علماء مدرسة الخلفاء آستندوا إلى ما رووا و آكتشفوا مـمّا رووا ضابطة لمعرفة صحابة رسول اللّه (ص) و أدخلوا

19) حوران: كورة واسعة من أعمال دمشق ذات قرى كثيرة و مزارع. معجم البلدان ٢/٣٥٨.

في عداد الصّحابة مختلقات سيف بن عمر المتّهم بالزندقة ممّا درسناه في كتابنا (خمسون ومائة صحابيّ مختلق).

* * *

بعد دراسة رأي المدرستين في تعريف الصحابيّ ، ندرس في ما يأتي أمر عدالة الصّحابة لدى المدرستين.

الفصل الثاني

عدالة الصحابة لدى المدرستين

رأي مدرسة الخلفاء في عدالة الصحابة

رأي مدرسة أهل البيت(ع) في عدالة الصحابة

ضابطة لمعرفة المؤمن و المنافق

رأي مدرسة الخلفاء في عدالة الصّحابة

ترى مدرسة الخلفاء أنّ الصّحابة كلّهم عدول، وترجع إلى جميعهم في أخذ معالم دينها.

قال إمام أهل الجرح و التعديل الحافظ أبوحاتم الرازي[1] في تقدمة كتابه:

(فأما أصحاب رسول اللّه (ص) فهم الّذين شهدوا الوحي و التّنزيل، وعرفوا التّفسير و التّأويل، وهم الّذين اختارهم اللّه عزّ وجلّ لصحبة نبيّه (ص) ونصرته وإقامة دينه وإظهار حقّه، فرضيهم له صحابة، وجعلهم لنا أعلاماً و قدوة، فحفظوا عنه (ص) ما بلّغهم عن اللّه عزّ وجلّ، وما سنّ وشرع وحكم وقضى وندب وأمر ونهى وحظر وأدّب، ووعوه وأتقنوه، ففقهوا في الدّين، وعلموا أمر اللّه ونهيه ومراده، بمعاينة رسول اللّه (ص) ومشاهدتهم منه تفسير الكتاب وتأويله، وتلقّفهم منه واستنباطهم عنه؛ فشرّفهم اللّه عزّ وجلّ بما منّ عليهم وأكرمهم به من وضعه إيّاهم موضع

١) هو أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي المتوفى سنة ٣٢٧ هـ، وكتابه هذا (تقدمة المعرفة لكتاب الجرح و التعديل) ط. حيدر آباد سنة ١٣٧١ هـ، نقلنا ما أوردناه من ص ٧ ـ ٩ منه.

القـدوة ، فنفى عنهم الشـكّ والكـذب والغلط والـريبة والفخر واللّمز، وسمّاهم عدول الأمّة ، فقال عزّ ذكره في محكم كتابه : ﴿ وكذلك جعلناكم أمّة وسطاً لتكونوا شهداء على النّاس ﴾ البقرة/١٤٣. ففسّر النبيّ (ص) عن اللّه عزّ ذكره قوله : ﴿ وسطاً ﴾ قال: عدلاً . فكانوا عدول الأمّة ، وأئمة الهدى ، وحجج الدّين ، ونقلة الكتاب والسنّة .

وندب اللّه عزّوجلّ إلى التمسّك بهـديهم والجـري على منهـاجهم والسلوك لسبيلهم والاقتداء بهم ، فقال: ﴿ ومن يشاقق الرسول . . . ويتّبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولّى . . ﴾[٢] الآية ، النساء/١١٥ .

ووجدنا النبيّ (ص) قد حضّ على التبليغ عنه في أخبار كثيرة ووجدناه يخاطب أصحابه فيها ، منها أن دعا لهم فقال: «نضّر اللّه امرءاً سمع مقالتي فحفظها ووعاها حتّى يبلغها غيره». وقال (ص) في خطبته: «فليبلّغ الشاهد منكم الغائب» وقال: «بلّغوا عنّي ولو آية ، وحدّثوا عني ولا حرج».

ثمّ تفرّقت الصّحابة ـ رضى اللّه عنهم ـ في النواحي والأمصار والثغور، وفي فتوح البلدان والمغازي والإمارة والقضاء والأحكام ، فبثّ كلّ واحد منهم في ناحيته والبلد الّذي هو به ما وعاه وحفظه عن رسول اللّه (ص)[٣] وأفتوا في ما سئلوا عنـه مـمّا حضرهم من جواب رسـول اللّه (ص) عن نظائـرهـا من المسائل ، وجرّدوا أنفسهم مع تقدمة حسن النيّة والقربة إلى اللّه تقدّس اسمه لتعليم الناس الفرائض والأحكام والسنن الحلال والحرام ، حتّى قبضهم اللّه عزّوجّل. رضوان اللّه ومغفرته ورحمته عليهم أجمعين .

٢) ترى مدرسة أهل البيت أنّ المقصود من كل ذلك:المؤمنون منهم ، كما نصّت الآية عليه، وسيأتي مزيد بيانه إن شاء اللّه تعالى .

٣) سترى في ما يأتي إن شاء اللّه أنّ مدرسة الخلافة منعت نشر حديث الرسول وخاصة كتابته إلى رأس المائة من الهجرة!

وقال آبن عبدالبرّ في مقدمة كتابه:الاستيعاب[4]:

(ثبتت عدالة جميعهم). ثمّ أخذ بإيراد آيات وأحاديث وردت في حقّ المؤمنين منهم نظير ما أوردناه من الرازي.

وقال آبن الاثير في مقدمته لكتاب أسد الغابّة[5]:

(... إنّ السنن الّتي عليها مدار تفصيل الأحكام ومعرفة الحلال والحرام إلى غير ذلك من أمور الدّين، إنّما ثبتت بعد معرفة رجال أسانيدها ورواتها، وأوّلهم والمقدّم عليهم أصحاب رسول اللّه (ص) فإذا جهلهم الإنسان كان بغيرهم أشدّ جهلاً وأعظم إنكاراً، فينبغي أن يعرفوا بأنسابهم وأحوالهم...

والصّحابة يشاركون سائر الرواة في جميع ذلك إلّا في الجرح والتعديل، فإنّهم كلّهم عدول لا يتطرّق إليهم الجرح...).

وقال الحافظ آبن حجر في الفصل الثالث، في بيان حال الصّحابة من العدالة، من مقدمة الإصابة[6]:

(إتّفق أهل السنّة على أنّ الجميع عدول، ولم يخالف في ذلك إلّا شذوذ من المبتدعة...).

وروى عن أبي زرعة أنّه قال:

(إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول اللّه (ص) فاعلَم أنّه

٤) الاستيعاب في أسماء الاصحاب للحافظ المحدث أبي عمر يوسف بن عبد اللّه بن محمد بن عبد البرّ النمري القرطبي المالكي (٣٦٨ - ٤٦٣ هـ).

٥) أسد الغابة في معرفة الصحابة لابي الحسن عزالدين علي بن محمد بن عبد الكريم الجزريّ المعروف بابن الأثير (ت: ٦٣٠ هـ)، ٣/١.

٦) الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني الشافعي المعروف بابن حجر (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ). وقد رجعنا إلى ط. المكتبة التجارية سنة ١٣٥٨ هـ بمصر، ١٧/١ - ٢٢.

زنديق، وذلك أنّ الرسول حقّ ، والقرآن حقّ ، وما جاء به حقّ ، وإنّما أدّى ذلك إلينا كلّه الصّحابة ، وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنّة ، والجرح بهم أولى وهم زنادقة)[٧].

كان هذا رأي مدرسة الخلفاء في عدالة الصّحابة، وفي ما يلي رأي مدرسة أهل البيت (ع) في ذلك.

رأي مدرسة أهل البيت (ع) في عدالة الصّحابة

ترى مدرسة أهل البيت تبعاً للقرآن الكريم : أنّ في الصّحابة مؤمنين أثنى عليهم اللّه في القرآن الكريم وقال في بيعة الشجرة مثلا: ﴿ لقد رضي اللّه عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشّجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السّكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً ﴾ الفتح/١٨ . فقد خصّ اللّه الثّناء بالمؤمنين ممّن حضروا بيعة الشجرة ولم يشمل المنافقين الّذين حضروها مثل عبد اللّه بن أبيّ وأوس بن خولي[٨].

وكذلك تبعاً للقرآن ترى فيهم منافقين ذمّهم اللّه في آيات كثيرة مثل قوله تعالى:

﴿ وممّن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النّفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذّبهم مرّتين ثم يردّون إلى عذاب عظيم ﴾ التوبة/١٠١ .

٧) الإصابة ١٨/١ . وأبوزرعة: هو عبيد اللّه بن عبد الكريم بن يزيد. قال آبن حجر في تقريب التهذيب ٥٣٦/٢ الترجمة ١٤٧٩ : إمام حافظ ثقة مشهور من الطبقة الحادية عشرة من الرواة. مات سنة أربع وستّين ومأتين، وروى عنه من أصحاب الصحاح مسلم والترمذي والنسائي وآبن ماجة.

أقول: لست أدري ماذا يقول الإمام أبو زرعة في حقّ المنافقين من أصحاب رسول اللّه (ص).

٨) راجع خبر بيعة الشجرة=بيعة الرضوان في مغازي الواقدي ص ٦٠٤. وإمتاع الاسماع للمقريزي ص ٢٩١.

و فيهم من أخبر اللّه عنهم بالإفك، أي من رَموا فراش رسول اللّه (ص) بالإفك[٩] ـ نعوذ باللّه من هذا القول ـ و فيهم من أخبر اللّه عنهم بقوله: ﴿ و إذا رأوا تجارة أو لهواً آنفضّوا إليها و تركوك قائماً ﴾ الجمعة/ ١١. و كان ذلك عندما كان رسول اللّه قائماً في مسجده يخطب خطبة الجمعة.

و فيهم من قصد اغتيال رسول اللّه في عقبة هرشىٰ عند رجوعه من غزوة تبوك[١٠]، أو من حجّة الوداع[١١].

و إنّ التشرف بصحبة النبيّ (ص) ليس أكثر امتيازاً من التشرف بالزواج بالنبيّ (ص)، فإن مصاحبتهن له كانت من أعلى درجات الصحبة، و قد قال اللّه تعالى في شأنهن:

﴿ يا نِساءَ النبيّ مَن يَأْتِ مِنكنّ بِفاحِشَةٍ مُبيّنةٍ يُضاعَفْ لها العذابُ ضِعفَينِ و كانَ ذلكَ علىٰ اللّهِ يسيراً * و مَن يَقنُتْ مِنكنَّ للّهِ و رسولِهِ و تَعملْ صالحاً نُؤْتِها أجرَها مَرّتينِ و أعتدْنا لها رِزقاً كَريماً * يا نساءَ النبيِّ لَستُنَّ كأحدٍ من النساء ... ﴾ الأحزاب/ ٣٠ ـ ٣٢.

و قال في آثنتين منهنَّ:

﴿ إن تَتُوبا إلى اللّهِ فَقد صَغتْ قُلوبُكما و إنْ تَظاهَرا عَليهِ فإنّ اللّهَ هُو مَوْلَيه و جِبريلُ و صالحُ المؤمنينَ و الملائكةُ بَعدَ ذلك ظَهير ـ إلى قوله تعالى: ـ

٩) إشارة إلى قصة الإفك التي نزلت في شأنها الآيات ١١ ـ ١٧ من سورة النور في براءة أمّ المؤمنين عائشة عمّا رُميت به كما روتها هي، أو في براءة مارية عما رُميت به على قول غيرها، كما في الجزء الثاني من أحاديث أمّ المؤمنين عائشة.

١٠) مسند أحمد ٥/ ٣٩٠ و ٤٥٣. وراجع صحيح مسلم ٨/ ١٢٢ ـ ١٢٣، باب صفات المنافقين. و مجمع الزوائد ١/ ١١٠ و ٦/ ١٩٥. و مغازي الواقدي ٣/ ١٠٤٢. و إمتاع الأسماع للمقريزي ص ٤٧٧، وفي تفسير ﴿ و همّوا بما لم ينالوا ﴾ الآية ٧٤ من سورة التوبة بتفسير الدر المنثور للسيوطي ٣/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩.

١١) ورد في أحاديث الشيعة أنّ ذلك كان عند مرجعه من حجّة الوداع و بمناسبة واقعة غدير خم بأرض الجحفة. راجع البحار، ط. المكتبة الإسلامية بطهران سنة ١٣٩٢ هـ، ٢٨/ ٩٧

ضربَ اللّهُ مثلاً للّذينَ كَفروا آمرأةَ نوحٍ و آمرأةَ لوطٍ كانتا تَحتَ عَبدينِ مِن عِبادِنا صالحينِ فَخانَتاهُما فلم يُغنِيا عَنهُما مِنَ اللّهِ شيئاً و قيلَ آدخُلا النّارَ مع الداخلين وضربَ اللّهُ مثلاً للّذينَ آمنوا آمرأة فرعونَ إذ قالتْ ربِّ آبْنِ لي عِندك بيتاً في الجنّة . . . و مريمَ آبنتَ عمرانَ . . .) التحريم من أوّل السورة إلى آخرها.

ومنهم من أخبر عنهم الرسول (ص) في قوله عن يوم القيامة:

«و إنّه يُجاء برجال من أمّتي ، فيؤخذ بهم ذات الشمال ، فأقول: يا ربِّ أُصيحابي. فيقال: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول كما قال العبد الصالح : ﴿ وكنتُ عليهم شهيداً ما دمتُ فيهم فلما توفّيتني كنتَ أنتَ الرقيب عليهم ﴾ المائدة/١١٧ . فيقال: إنّ هؤلاء لم يزالوا مرتدّين على أعقابهم منذ فارقتهم»[١٢]

و في رواية:

«ليردَنَّ عليَّ ناس من أصحابي الحوض حتّى عرفتهم آختلجوا دوني ، فأقول: أصحابي . فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك»[١٣] .

و في صحيح مسلم:

ليردنّ عليّ الحوض رجال مِمّن صاحبني حتّى إذا رأيتهم ورفعوا إليّ آختلجوا دوني ، فلأقولنّ: أي ربِّ أصيحابي. فَلَيُقالنّ لي: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك»[١٤] .

١٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة المائدة، باب وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلمّا توفيتني ، وكتاب الأنبياء، باب و آتّخذ اللّه إبراهيم خليلاً. و الترمذي، أبواب صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الحشر، و تفسير سورة طه.

١٣) البخاري، كتاب الرقاق، باب في الحوض، ٩٥/٤، وراجع كتاب الفتن، باب ما جاء في قول اللّه تعالى: ﴿ وآتقوا فتنة لاتصيبن. . . ﴾ الأنفال/٢٥ . منه. و آبن ماجة، كتاب المناسك، باب الخطبة يوم النحر، ح ٥٨٣٠ . وراجع مسند أحمد ٤٥٣/١ و٢٨/٣ و٤٨/٥ .

١٤) صحيح مسلم كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا، ١٨٠٠/٤ ح ٤٠ .

ضابطة لمعرفة المؤمن و المنافق

لـمّا كان في الصحابة منافقون لا يعلمهم إلاّ اللّه، وقد أخبر نبيّه بأنّ عليّاً لا يحبّــه إلاّ مؤمن ولا يبغضــه إلاّ منــافق، كما رواه الإمام علـيّ (ع)[١٥] وأُمّ المؤمنــين أمّ سلمـة[١٦] وعبـد اللّه بن عبـاس[١٧]، وأبـوذرّ الغفـاري[١٨]،

١٥) الإمام علي آبن عمّ الرسول أبي طالب بن عبد المطّلب: ولد في جوف الكعبة، كما رواه الحاكم في المستدرك ٤٨٣/٣، والمالكي في الفصول المهمة. وآبن المغازلي الشافعي (ت: ٤٨٣ هـ) في المناقب، ح ٣ ص ٧. والشبلنجي في نور الأبصار ص ٩٦. وكانت ولادته في ١٣ رجب سنة ثلاثين من عام الفيل. وبايعه المهاجرون والأنصار سنة ٣٥ هـ. وضربه آبن ملجم المرادي ليلة التاسعة عشرة من شهر رمضان سنة ٤٠ للهجرة في محراب مسجد الكوفة، وتوفّي في يوم ٢١ منه. روى عنه أصحاب الصحاح ٥٣٦ حديثاً. راجع ترجمته في الاستيعاب وأسد الغابة والإصابة وص ٢٧٦ من جوامع السيرة.

وروايته في المنافقين في صحيح مسلم ٦١/١، باب الدليل على أنّ حبّ الأنصار وعليّ من الإيمان وبغضهم من علامات النفاق. وصحيح الترمذي ١٧٧/١٣، باب مناقب عليّ. وسنن آبن ماجة الباب الحادي عشر من مقدمته. وسنن النسائي ٢٧١/٢، باب علامة المؤمن وباب علامة المنافق كتاب الإيمان وشرائعه وخصائص النسائي ص ٣٨. ومسند أحمد ٨٤/١ و٩٥ و١٢٨. وتاريخ بغداد ٢٥٥/٢ و٤١٧/٨، و٤٢٦/١٦. وحلية الأولياء لأبي نعيم ١٨٥/٤ وقال: حديث صحيح متّفق عليه. وتاريخ الإسلام للذهبي ١٩٨/٢. وتاريخ ابن كثير ٣٥٤/٧، وبترجمته في كلّ من الاستيعاب ٤٦١/٢ وأسد الغابة ٢٩٢/٤. وكنز العمّال ١٠٥/١٥. والرياض النضرة ٢٨٤/٢. والمناقب لابن المغازلي، ح ٢٢٥، ص ١٩٠.

١٦) أمّ سلمة هند ابنة أبي أميّة بن المغيرة القرشي المخزومي: كانت قبل رسول اللّه (ص) عند أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي، أسلما قديماً وهاجرا إلى الحبشة ثمّ إلى المدينة. ولـمّا جرح أبوسلمة بأحد وتوفّي سنة ثلاث من الهجرة، تزوّجها رسول اللّه وكانت مصبية، وتوفّيت بعد قتل الحسين سنة إحدى وستين. روى عنها أصحاب الصحاح ٣٧٨ حديثاً. راجع ترجمتها وترجمة زوجها بأسد الغابة، وجوامع السيرة، ص ٢٧٦، وتقريب التهذيب، ٦١٧/٢.

وحديثها في شأن المنافقين في سنن الترمذي ١٦٨/١٣. ومسند أحمد ٢٩٢/٦. والاستيعاب ٤٦٠/٢، بطرق متعددة. وتاريخ آبن كثير ٣٥٤/٧. وكنز العمّال ط. الأولى ١٥٨/٦.

١٧) عبد اللّه ابن عمّ النبيّ العباس بن عبد المطّلب، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، وتوفّي سنة ثمان وستّين بالطائف، وروى عنه أصحاب الصحاح ١٦٦٠ حديثاً. ترجمته بأسد الغابة الإصابة وجوامع السيرة ص ٢٧٦.

١٨) أبو ذرّ جندب أو بريد بن جنادة أو عبد اللّه أو السكن أو غير ذلك: تقدم إسلامه وتأخّرت

وأنس بن مالك[19]، وعمران بن حصين[20]. وكان ذلك شائعاً ومشهوراً في عصر رسول الله (ص):

قال أبوذرّ: ماكنّا نعرف المنافقين إلاّ بتكذيبهم الله ورسوله والتخلّف عن الصّلوات والبغض لعليّ بن أبي طالب[21].

وقال أبوسعيد الخدري: إنّا كُنّا لنعرف المنافقين ـ نحن معاشر الأنصار ـ ببغضهم عليّ بن أبي طالب[22].

وقال عبد الله بن عبّاس: إنّا كنّا نعرف المنافقين على عهد رسول الله (ص) ببغضهم عليّ بن أبي طالب[23].

هجرته، فشهد ما بعد بدر من غزوات رسول الله. توفّي منفيّاً بالربذة سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة. روى عنه أصحاب الصحاح ٢٨١ حديثاً. ترجمته في التقريب ٢/٤٢٠. وجوامع السيرة ص ٢٧٧. والجزء الثاني من عبد الله بن سبأ.

١٩) أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي: روى هو أنه خدم النبيّ عشر سنين، كان يخلق ذراعيه بخلوق للمعة بياض كانت به، وكان ذلك من دعاء الإمام عليّ عليه لكتمانه الشهادة بحديث الغدير أن يضربه الله ببيضاء لا تواريها العمامة، أشار إليه في الأعلاق النفيسة ص ١٢٢، وتفصيله بشرح نهج البلاغة ٤/٣٨٨، وتوفي في البصرة بعد التسعين. روى عنه أصحاب الصحاح ٢٢٨٦ حديثاً. ترجمته بأسد الغابة. والتقريب. وجوامع السيرة ص ٢٧٦. وروايته في شأن المنافقين بكنز العمال ط. الأولى ٧/١٤٠.

٢٠) أبو نجيد عمران بن حصين الخزاعي الكعبي: أسلم عام خيبر، وصحب الرسول وقضى بالكوفة، وتوفّي بالبصرة سنة ٥٢. روى عنه أصحاب الصّحاح ١٨٠ حديثاً. وروايته بشأن المنافقين بكنز العمّال، ط. الأولى ٧/١٤٠. ترجمته في التقريب ٢/٧٢. وجوامع السيرة ص ٢٧٧.

٢١) مستدرك الصحيحين ٣/١٢٩ وكنزل العمال ١٥/٩١

٢٢) أبوسعيد سعد بن مالك بن سنان الخزرجي الخدري: شهد الخندق وما بعدها. مات بالمدينة سنة ثلاث أو أربع أو خمس وستّين وقيل: سنة أربع وسبعين. وروى عنه أصحاب الصحاح ١١٧٠ حديثاً. ترجمته بأسد الغابة ٢/٢٨٩، والتقريب ١/٢٨٩. وجوامع السيرة ص ٢٧٦. وحديثه في شأن المنافقين في صحيح الترمذي ١٣/١٦٧. وحلية أبي نعيم ٦/٢٨٤.

٢٣) في تاريخ بغداد ٣/١٥٣، قال: كانوا عند آبن مسعود فتلا آبن عباس: ﴿ يعجب الزرّاع ليغيظ بهم الكفّار ﴾ الفتح/٢٩. قال: على بن أبي طالب. ثمّ قال: إنّا كنّا نعرف ـ الحديث.

وقال جابر بن عبد اللّه الأنصاريّ: ما كنّا نعرف المنافقين إلّا ببغض عليّ بن أبي طالب[٢٤].

لهذا كلّه ولقول رسول اللّه (ص) في حقّ الإمام عليّ (ع):

«اللهمّ والِ مَن والاه وعادِ مَن عاداه»[٢٥].

فهم يحتاطون في أخذ معالم دينهم من صحابيّ عادىٰ عليّاً ولم يواله، حذراً من أن يكون الصحابيّ من المنافقين الّذين لا يعلمهم إلّا اللّه.

٢٤) جابر بن عبد اللّه بن عمرو الأنصاري السلمي: صحابيّ آبن صحابيّ، شهد بيعة العقبة مع أبيه، وشهد ١٧ غزوة مع النبيّ وصفّين مع الإمام عليّ، ومات بالمدينة بعد السبعين. روى عنه أصحاب الصحاح ١٥٤٠ حديثاً. ترجمته بأسد الغابة ١/٢٥٦ - ٢٥٧. والتقريب ١/١٢٢. وجوامع السيرة ص ٢٧٦. وروايته في شأن المنافقين في الاستيعاب ٢/٤٦٤. والرياض النضرة ٢/٢٨٤. وفي تاريخ الذهبي ٢/١٩٨ ولفظه: (ما كنّا نعرف منافقي هذه الأمّة). وفي مجمع الزوائد ٩/١٣٣ ولفظه: (ماكنّا نعرف منافقينا معشر الأنصار...).

٢٥) سنن الترمذي ١٣/١٦٥ باب مناقب علي. وسنن آبن ماجة باب فضل عليّ، الحديث المرقم ١١٦. وخصائص النسائي ص ٤ و٣٠. ومسند أحمد ١/٨٤ و٨٨ و١١٨ و١١٩ و١٥٢ و٣٣٠ و٤/٢٨١ و٣٦٨ و٣٧٠ و٣٧٢ و٥/٣٠٧ و٣٤٧ و٣٥٠ و٣٥٨ و٣٦١ و٣٦٦ و٤١٩ و٥٦٨. ومستدرك الصحيحين ٢/١٢٩ و٣/٩. والرياض النضرة ٢/٢٢٢ - ٢٢٥. وتاريخ بغداد ٧/٣٧٧ و٨/٢٩٠ و١٢/٣٤٣. ومصادر أخرى كثيرة.

الفصل الثالث

خلاصة بحث الصحابة لدى المدرستين

الصحابـي و عدالته في مدرسة الخلفاء

الصحابـي في مدرسة أهل البيت (ع)

الصّحابيّ و عدالته في مدرسة الخلافة

ترى مدرسة الخلفاء أنّ الصحابيّ من لَقِي النبيَّ (ص) مؤمناً به، ولو ساعة من نهار، ومات على الإسلام.

وأنّه لم يبقَ بمكّة والطائف أحدٌ سنة عشر إلّا أسلم وشهد مع النبي (ص) حجّة الوداع.

وأنّه لم يبقَ في الأوس والخزرج أحد في آخر عهد النبيّ (ص) إلّا دخل في الإسلام.

وأنّهم (كانوا في الفتوح لا يؤمّرون إلّا الصحابة) وبهذه القاعدة عدّوا جمعاً في عداد الصّحابة ممّن برهنّا في كتابنا (خمسون ومائة صحابيّ مختلق) أنّهم مختلقون ولم يكن لهم وجود في التاريخ.

وترى أنّ جميع الصّحابة عدول لا يتطرق إليهم الجرح، ومن انتقص أحداً منهم فهو من الزنادقة، ثمّ يلتزمون بصحّة كلّ ما رواه من سُمّي في اصطلاحهم بالصحابيّ، ويأخذون من جميعهم معالم دينهم.

الصحابيّ في مدرسة أهل البيت (ع)

ترى مدرسة أهل البيت (ع) أن لفظ الصحابيّ ليس مصطلحاً شرعيّاً، وإنّما شأنه شأن سائر مفردات اللّغة العربية، و(الصاحب) في لغة العرب بمعنى الملازم والمعاشر ولا يقال إلاّ لمن كثرت ملازمته، والصُّحبة نسبة بين آثنين، ولذلك لا يستعمل الصاحب وجمعه الأصحاب والصحابة في الكلام إلاّ مضافاً، كما ورد في القرآن الكريم ﴿ يا صاحبي السّجن ﴾ و﴿ أصحاب موسى ﴾. وكذلك كان يستعمل في عصر الرسول (ص) ويقال: صاحب رسول اللّه، وأصحاب رسول اللّه، مضافاً إلى رسول اللّه (ص) أو مضافاً إلى غيره، مثل قولهم (أصحاب الصُّفّة) لمن كانوا يسكنون صفّة مسجد الرسول(ص) ثمّ آستعمل الصحابيّ بعد رسول اللّه (ص) بلا مضاف إليه وقصد به أصحاب رسول اللّه (ص) وصار آسماً لهم، وعلى هذا فإنّ (الصحابي) و(الصحابة) من آصطلاح المتشرّعة وتسمية المسلمين وليس آصطلاحاً شرعيّاً.

أمّا عدالتهم؛ فإنّ مدرسة أهل البيت ترى، تبعاً للقرآن الكريم، أنّ في الصّحابة منافقين مردوا على النفاق، ورَموا فراش رسول اللّه (ص) بالإفك، وحاولوا آغتيال رسول اللّه (ص) وأخبر عنهم الرسول أنّهم يوم القيامة يختلجون دون رسول اللّه (ص) فينادي: **أصيحابي أصيحابي**، فيقال له: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك، لم يزالوا مرتدّين على أعقابهم منذ فارقتهم. وأنّ منهم مؤمنين أثنى اللّه عليهم والرسول (ص) في أحاديثه، وأنّهم المقصودون في ما ورد من الثناء في القرآن والحديث، وقد عيّن النبيّ (ص) العَلاَمة الفارقة بين المؤمن والمنافق:حُبّ الإمام عليّ وبغضه، ومن ثمّ فإنّهم

ينظرون في حال الراوي فإن كان ممّن قاتل الإمام عليّاً أو الأئمة من أهل البيت (ع) وعاداهم فإنّهم لا يلتزمون بأخذ ما يروي أمثال هؤلاء ، صحابياً كان أو غير صحابيّ .

* * *

كان هذا رأي المدرستين في تعريف الصّحابي وعدالته. وفي ما يأتي بحوثهما في الإمامة و الخلافة .

البـحـث الـثـانـي

بحـوث المـدرستـين في الامامة

الواقع التاريخي لقيام الخلافة في صدر الاسلام .
بحوث مدرسة الخلفاء في الإمامة .
بحوث مدرسه أهل البيت (ع) في الإمامة .
خلاصة بحث الإمامة لدى المدرستين .

الفصل الأول

الواقع التاريخي لقيام الخلافة في صدر الإسلام

أمر كتابة وصيّة رسول اللّه (ص).
موقف الخليفة عمر في وفاة الرسول.
السقيفة و بيعة أبـي بكر.
دفن رسول اللّه (ص) و من حضر دفنه.
التحصن بدار فاطمه عليها السلام.
من تخلّف عن بيعة الخليفة أبـي بكر.
استحلاف عمر و بيعته.
الشورى و بيعة عثمان.
الإمام عليّ (ع) يعلم بأنّ الخلافة زويت عنه.
بيعة الإمام (ع).

ينبغي لنا قبل الشّروع في دراسة رأي المدرستين في الإمامة والخلافة ، أن ندرس الواقع التاريخيّ لإقامة الخلافة في صدر الإسلام، فنقول:

بُدئ الخلاف في أمر الحكم في الإسلام يوم وفاة رسول اللّه (ص). فقد كان رسول اللّه (ص) عقد لواءً بيده لمولاه وآبن مولاه أسامة بن زيد لحرب الرّوم ، وأمّره على جيش لم يبق أحدٌ من وجوه المهاجرين الأُولين والأنصار إلا آنتدب فيه، فيهم أبوبكر ، وعمر بن الخطاب ، وأبوعبيدة ، وسعد بن أبي وقّاص ، وسعيد بن زيد ... فعسكر بالجرف ـ موضع على ثلاثة أميال من المدينة ـ فتكلّم قوم وقالوا: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأوّلين! فغضب رسول اللّه (ص) غضباً شديداً، وخرج معصباً، عليه قطيفة، فصعد المنبر وقال:

« ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة ؟ولقد طعنتم في إمارة أبيه قبله. وأيم اللّه إن كان للإمارة خليقاً، وإنّ آبنه من بعده لخليق للإمارة ».

ثمّ نزل. وجاءه الّذين يخرجون مع أسامة يودّعونه ويمضون إلى المعسكر. وثقل رسول اللّه (ص)، وجعل يقول:

« أنفذوا بعث أسامة ».

فلـمّا كان يوم الأحد آشتدّ برسول اللّه (ص) وجعه.

وفي يوم الاثنين أمر أسامة الجيش بالرحيل، فجاءهم الخبر أنّ رسول اللّه (ص) يموت. فأقبل أسامة وعمر وأبوعبيدة إلى المدينة[1].

أمر كتابة وصية رسول اللّه(ص)

روى آبن عبّاس وقال:

لـمّا حضر النبيّ (ص) وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال:

«هلمَّ أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده».

قال عمر: إنّ النبيّ غلبه الوجع وعندكم كتاب اللّه، فحسبنا كتاب اللّه. وآختلف أهل البيت، فمنهم من يقول ما قال عمر. فلمّا أكثروا اللّغط والاختلاف قال:

«قوموا عنّي، لا ينبغي عندي التّنازع»[2].

وفي رواية:

بكى آبن عباس حتى خضب دمعه الحصباء فقال: اشتدّ برسول اللّه (ص) وجعه، فقال:

«آتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً». فتنازعوا ولا ينبغي عند نبيّ التنازع فقالوا: هجر رسول اللّه (ص)...[3].

١) أوردتها ملخّصة من طبقات آبن سعد ط. بيروت، ٢/١٩٠ - ١٩٢. وراجع بقية مصادره في باب بعث أسامة من عبد اللّه بن سبأ،الجزء الأوّل.

٢) البخاري، كتاب العلم، باب كتابة العلم، ١/٢٢-٢٣.

٣) البخاري، باب جوائز الوفد من كتاب الجهاد، ٢/١٢٠. وكتاب الجزية، باب إخراج اليهود من جزيرة العرب. وفي صحيح مسلم، كتاب الوصية، باب ترك الوصية. وراجع سائر مصادر الخبر ونصوصه في أوّل خبر السقيفة في حديث غير سيف من كتاب عبد اللّه بن سبأ ط. الخامسة، بيروت، سنة ١٤٠٣ هـ، ١/٩٨-١٠٢.

وفي رواية:

فكان ٱبن عبّاس يقول: إن الرزيّة كلّ الرزيّة ما حال بين رسول اللّه (ص) و بين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من ٱختلافهم ولغطهم[٤].

موقف الخليفة عمر في وفاة الرسول (ص)

توفّي رسول اللّه (ص) نصف النّهار يوم الاثنين و أبو بكر غائب بالسّنح، و عمر حاضر، فٱستأذن عمر و دخل عليه مع المغيرة بن شعبة، و كشف الثوب عن وجهه، و قال عمر:

واغشياه، ما أشدّ غشي رسول اللّه (ص).

فقال المغيرة: مات و اللّه رسول اللّه (ص).

فقال عمر: كذبت، ما مات رسول اللّه (ص)، و لكنّك رجل تحوسك فتنة، ولن يموت رسول اللّه حتى يُفني المنافقين[٥].

أخذ عمر يقول: إنّ رجالاً من المنافقين يزعمون أنّ رسول اللّه توفّي، إنّ رسول اللّه ما مات، ولكنّه ذهب إلى ربّه، كما ذهب موسى عن قومه، وغاب أربعين ليلة. و اللّه ليرجعنّ رسول اللّه فليقطعنّ أيدي رجال و أرجل من يزعمون أنّه مات[٦].

من قال إنّه مات، علوت رأسه بسيفي، و إنّما ارتفع إلى السماء[٧].

٤) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب و السنة، باب كراهية الخلاف، وباب قول المريض: قوموا عنّي، من كتاب المرضىٰ. و في باب مرض النبي من كتاب المغازي، وبآخر باب ترك الوصية من كتاب الوصية من صحيح مسلم. وسائر مصادره في كتاب عبد اللّه بن سبأ ١٠١/١.

٥) مسند أحمد ٢١٩/٦. وسائر مصادره في عبد اللّه بن سبأ ١٠٢/١ ـ ١٠٣.

٦) تاريخ الطبري ط. أوربا، ١٨١٨/١.

٧) تاريخ أبي الفداء ١٦٤/١.

فتلي عليه في المسجد:

﴿ وما محمّد إلّا رسول قد خلت من قبله الرّسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ﴾[8].

وقال العبّاس بن عبد المطلب: إنّ رسول اللّه قد مات وإنّي رأيت في وجهه ما لم أزل أعرفه في وجوه بني عبد المطّلب عند الموت، وقال: هل عند أحدكم عهد من رسول اللّه (ص) في وفاته فليحدّثنا ؟ قالوا: لا. فقال: آشهدوا أيّها الناس أنّ أحداً لا يشهد على رسول اللّه بعهد عهد إليه في وفاته...[9].

فما زال عمر يتكلّم حتّى آزبدّ شدقاه[10]، حتّى جاء الخليفة أبو بكر من السنح وتلا: ﴿ وما محمّد إلّا رسول قد خلت من قبله الرسل - الآية ﴾. فقال عمر: هذا في كتاب اللّه ؟ قال: نعم. فسكت عمر[11].

السّقيفة و بيعة أبـي بكر

اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة، وتبعهم جماعة من المهاجرين،

٨) رواه آبن سعد في طبقاته ٢/ق ٥٧/٢، وفي كنز العمّال ٥٣/٤ ح ١٠٩٢. وآبن كثير في ٥ / ٢٤٣ من تاريخه. ورواه الأميني في غديره عن شرح المواهب للزرقاني ٢٨١/٨. وراجع آبن ماجة ح ٦٢٧. والآية: ١٤٤ من سورة آل عمران.

٩) رواه آبن سعد في طبقاته ٢/ق ٥٧/٢. وآبن كثير في تاريخه ٢٤٣/٥. وفي السيرة الحلبية ٣٩٠/٣ - ٣٩١. وكنز العمال ٥٣/٤، ح ١٠٩٢. والتمهيد للباقلاني ص ١٩٢ - ١٩٣.

١٠) أنساب الأشراف ٥٦٧/١، وآبن سعد ٢/ق ٥٣/٢. وكنز العمّال ٥٣/٤. وتاريخ الخميس ١٨٥/٢. والسيرة الحلبية ٣٩٢/٣.

١١) الطبقات لابن سعد ٢/ق ٥٤/٢. والطبري ١٨١٧/١ - ١٨١٨. وآبن كثير ٢٤٣/٥. والسيرة الحلبية ٣٩٢/٣. وآبن ماجة، ح ١٦٢٧. وإنّ هذه الآية الّتي قرأها على عمر هي التي كان آبن أمّ مكتوم قد قرأها عليه قبل ذلك. وكان التشكيك في موت الرسول يوم وفاته من خصائص الخليفة عمر بن الخطاب، فإنّ أصحاب السير والمؤرّخين لم يذكروا هذا التشكيك عن غيره.

ولم يبق حول رسول اللّه إلّا أقاربه، وهم تولّوا غسله وتكفينه وهم: عليّ، والعبّاس، وآبناه الفضل وقثم، وأسامة بن زيد، وصالح مولى رسول اللّه، وأوس بن خولي الأنصاري[١٢].

السقيفة برواية الخليفة عمر

قال: إنّه كان من خبرنا حين توفّى اللّه نبيّه، أنّ الأنصار آجتمعوا في سقيفة بني ساعدة، وخالف عنّا عليّ والزبير ومن معهما، فقلت لأبي بكر: انطلق بنا إلى إخواننا الأنصار. فانطلقنا حتّى أتيناهم، فإذا رجل مزمّل، فقالوا: هذا سعد بن عبادة يوعك، فلمّا جلسنا قليلاً، تشهّد خطيبهم فأثنى على اللّه، ثمّ قال: أمّا بعد، فنحن أنصار اللّه وكتيبة الإسلام، وأنتم معشر المهاجرين رهط.... فأردت أن أتكلّم، فقال أبوبكر: على رسلك. فتكلّم هو، واللّه ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلّا قال في بديهته مثلها أو أفضل؛ قال: ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل، ولن يعرف هذا الأمر إلّا لهذا الحيّ من قريش، هم أوسط العرب نسباً وداراً، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيّهما شئتم. فأخذ بيدي وبيد أبي عُبَيدة، فلم أكره ممّا قال غيرها، فقال قائل من الأنصار: أنا جذيلها المحكّك وعُذيقُها المرجب، منّا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش. فكثر اللّغط وآرتفعت الأصوات، حتّى فرقت من الاختلاف فقلت: أبسط يدك يا أبا بكر. فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون، ثمّ بايعته الأنصار ونزونا على سعد بن عبادة ـ إلى قوله ـ فمن بايع رجلاً على غير مشورة من المسلمين فلا يبايَع هو ولا الّذي بايعه، تغرة أن يقتلا[١٣].

١٢) راجع النصّ لابن سعد في الطبقات ٢/ق ٢/٧٠. وفي البدء والتاريخ قريب منه. وكنز العمال ٤/٥٤ و٦٠، وهذه عبارته: (ولي دفنه وإجنانه أربعة من الناس) ثم ذكر ما أوردناه. والعقد الفريد ٣/٦١. وقريب منه نصّ الذهبي في تاريخه ١/٣٢١ و٣٢٤ و٣٢٦.

١٣) صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب رجم الحبلى من الزّنا، ٤/١٢٠.

روى الطبري[١٤] في ذكر خبر السّقيفة وبيعة أبـي بكر وقال:

اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة، وتركوا جنازة الرّسول يغسله أهله، فقالوا: نولّي هذا الأمر بعد محمّد، سعد بن عبادة. وأخرجوا سعداً إليهم وهو مريض...

فحمد الله وأثنى عليه، وذكر سابقة الأنصار في الدين وفضيلتهم في الإسلام، وإعزازهم للنبي وأصحابه وجهادهم لأعدائه، حتّى استقامت العرب، وتوفّي الرسول وهو عنهم راض، وقال: استبدّوا بهذا الأمر دون النّاس. فأجابوه بأجمعهم أن قد وفّقت في الرأي، وأصبت في القول، ولن نعدو ما رأيت، نولّيك هذا الأمر. ثمّ إنهم ترادّوا الكلام بينهم، فقالوا: فإن أبَت مُهاجِرَة قريش فقالوا: نحن المهاجرون وصحابة رسول الله الأوّلون، ونحن عشيرته وأولياؤه، فعلامَ تنازعوننا هذا الأمر بعده؟ فقالت طائفة منهم: فإنّا نقول إذاً: منّا أمير ومنكم أمير. فقال سَعْد بن عبادَة: هذا أوّل الوهن[١٥].

سمع أبو بكر وعمر بذلك، فأسرعا إلى السّقيفة مع أبـي عُبَيْدة بن الجرّاح وآنحاز معهم أُسيد بن حُضَيْر[١٦] وعُويم بن ساعدَة[١٧] وعاصم بن

١٤) نقلنا هذا الخبر ملخصاً من تاريخ الطبري في ذكره حوادث بعد وفاة الرسول، وما كان من غير الطبري أشرنا إليه في الهامش. وقد أوردنا تفصيل الخبر في كتاب عبد الله بن سبأ الجزء ١.

١٥) الطبري في ذكره لحوادث سنة ١١ هـ، ٢/٤٥٦، وط. أوربا ١/١٨٣٨، عن عبد الله بن عبد الرّحمن بن أبـي عمرة الأنصاري. وآبن الاثير ٢/١٢٥. وتاريخ الخلفاء لابن قتيبة ١/٥، قريب منه. وأبو بكر الجوهري في كتابه السقيفة في الجزء الثاني من شرح آبن أبـي الحديد في خطبة (ومن كلام له في معنى الأنصار)

١٦) ورد آسمه في سيرة آبن هشام ٤/٣٣٥، وأسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبدالأشهل بن الحرث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأشهلي، شهد العقبة الثانية وكان ممّن ثبت في أُحد، وشهد جميع مشاهد النبيّ، وكان أبو بكر لا يقدم أحداً من الأنصار عليه. توفي سنة ٢٠ أو ٢١ هـ فحمل عمر نعشه بنفسه. روى عنه أصحاب الصحاح ١٨ حديثاً. ترجمته في الاستيعاب ١/٣١-٣٣. والإصابة ١/٦٤. وجوامع السيرة ص ٢٨٣.

١٧) عويم بن ساعدة بن عائش بن قيس بن النعمان بن زيد بن أمية بن مالك بن عوف بن ←

عَدِيّ[18] من بني العَجْلان[19].

تكلّم أبو بكر ـ بعد أن منع عمر عن الكلام ـ فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ ذكر سابقة المهاجرين في التصديق بالرّسول دون جميع العرب، وقال: (فهم أول من عبد الله في الأرض وآمن بالرسول، وهم أولياؤه وعشيرته وأحقّ الناس بهذا الأمر من بعده، ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم). ثمّ ذكر فضيلة الأنصار، وقال: (فليس بعد المهاجرين الأوّلين عندنا بمنزلتكم، فنحن الأمراء، وأنتم الوزراء).

فقام الـحُباب بن المنذر[20] وقال: يا معشر الأنصار املكوا عليكم أمركم فإن الناس في فيئكم وفي ظلّكم، ولن يجترئ مجترئ على خلافكم، ولا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم، وينتقض عليكم أمركم. فإن أبىٰ هؤلاء إلّا ما سمعتم، فمنّا أمير ومنهم أمير.

فقال عمر: هيهات! لا يجتمع اثنان في قرن... والله لا ترضى العرب أن يؤمّروكم ونبيّها من غيركم، ولكنّ العرب لا تمتنع أن تولّي أمرها من كانت النبوة فيهم، وولي أمورهم منهم. ولنا بذلك على من أبى الحجّة

عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي: شهد العقبة وبدراً وما بعدها، وتوفي في خلافة عمر وبترجمته في النبلاء: أنّه كان أخا الخليفة عمر. وقال عمر علىٰ قبره: «لا يستطيع أحد من أهل الأرض أن يقول: أنا خير من صاحب هذا القبر». الاستيعاب ٣/ ١٧٠ والإصابة ٣/ ٤٥ وأسد الغابة ٤/ ١٥٨.

١٨) عاصم بن عدي بن الجدّ بن العجلان بن حارثة بن ضُبَيْعَة بن حرام البلويّ العجلاني، حليف الأنصار وكان سيد بني عَجْلان. شهد أحداً وما بعدها. توفي سنة ٤٥ هجرية. الاستيعاب ٣/ ١٣٣. والإصابة ٢/ ٢٣٧. وأسد الغابة ٣/ ٧٥.

١٩) سيرة ابن هشام ٤/ ٣٣٩.

٢٠) الحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري، شهد بدراً وما بعدها، وتوفّي في خلافة عمر. الاستيعاب بهامش الإصابة ١/ ٣٥٣. والإصابة ١/ ٣٠٢. وأسد الغابة ١/ ٣٦٤. ونسبه في جمهرة ابن حزم ص ٣٥٩.

الظاهرة و السلطان المبين، من ذا ينازعنا سلطان محمّد و إمارته، و نحن أولياؤه و عشيرته[٢١] إلّا مدل بباطل أو متجانف لإثم أو متورّط في هلكة.

فقام الحباب بنْ الـمُنذر وقال: يامعشر الأنصار، املكوا على أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، فإن أبوا عليكم ما سألتموهم، فأجلوهم عن هذه البلاد، وتولّوا عليهم هذه الأمور، فأنتم و اللّه أحقّ بهذا الأمر منهم، فإنّه بأسيافكم دان لهذا الدين من لـم يكن يدين به. أنا جُذَيْلُها الـمُحَكَك[٢٢] وعُذَيْقُها الـمُرَجّب[٢٣]. أما و اللّه لو شئتم لنُعيدنها جَذَعَة[٢٤].

قال عمر: إذاً يقتلَك اللّه.

قال: بل إيّاك يقتل.

فقال أبو عُبيدة: يا معشر الأنصار، إنّكم كنتم أوّل من نصر و آزر، فلا تكونوا أوّل من بدَّل و غيّر.

فقام بشير بن سعد الخزرجيّ أبو النعمان بن بشير فقال: يا معشر الأنصار، إنّا و اللّه لئن كنّا أولي فضيلة في جهاد المشركين، و سابقة في هذا الدين، ما أردنا به إلا رضا ربّنا وطاعة نبيّنا و الكدح لأنفسنا؛ فما ينبغي لنا أن نستطيل على النّاس بذلك، و لا نبتغي به من الدنيا عرضاً، فإنّ اللّه وليّ النعمة

٢١) لـمّا سمع عليّ بن أبي طالب هذا الاحتجاج من المهاجرين قال: احتجّوا بالشجرة و أضاعوا الثمرة. النهج و شرحه لابن أبي الحديد، ط. الأولى، ٢/٢.

٢٢) جُذيلها، تصغير الجذل: أصل الشجرة. و المحك: عود ينصب في مبارك الإبل لتتمرس به الإبل الجربى، أي قد جربتني الأمور و لي رأي و علم يُشتفىٰ بهما كما تشتفي هذه الإبل الجربى بالجذل و صغره على جهة المدح.

٢٣) عذيق: تصغير العذق، و هي: النخلة. و المرجب. ما جعل له رجبة، و هي: دعامة تبتنىٰ من الحجارة حول النخلة الكريمة إذا طالت وتخوفوا عليها أن تنقعر في الرياح العواصف.

٢٤) أعدت الأمر جذعاً، أي جديداً كما بدأ، و إذا أطفئت حرب بين قوم فقال بعضهم: إن شئتم أعدناها جذعة، أي: أول ما يبتدأ فيها.

علينا بذلك، ألا إنّ محمّداً (ص) من قريش، وقومه أحقُّ به وأولى، وأيم الله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر أبداً. فاتّقوا الله، ولا تخالفوهم، ولا تنازعوهم.

فقال أبوبكر: هذا عمر، وهذا أبوعبيدة، فأيّهما شئتم فبايعوا. فقالا: والله لا نتولّى هذا الأمر عليك ـ الخ[٢٥].

«وقام عبد الرّحمن بن عوف، وتكلّم فقال: يا معشر الأنصار إنّكم وإن كنتم على فضل، فليس فيكم مثل أبـي بكر وعمر وعليّ. وقام المنذر ابن الأرقم فقال: ما ندفع فضل من ذكرت، وإنّ فيهم لرجلاً لو طلب هذا الأمر لم ينازعه فيه أحد ـ يعني عليّ بن أبـي طالب ـ[٢٦].

(فقالت الأنصار أو بعض الأنصار: لا نبايع إلاّ عليّاً)[٢٧].

(قال عمر: فكثر اللّغط وآرتفعت الأصوات حتّى تَخَوّفت الاختلاف فقلت: ابسط يدك لأبايعك[٢٨]. فلمّا ذهبا ليبايعاه، سبقهما إليه بشيربن سعد فبايعه، فناداه الحُباب بن المنذر: يا بشير بن سعد عَقَقْتَ عَقاقِ[٢٩]! أنفست على آبن عمّك الإمارة؟ فقال: لا والله، ولكنّي كرهت أن أنازع قوماً حقّاً جعله الله لهم. ولـمّا رأت الأوس ما صنع بشيربن سعد وما تدعو إليه قريش وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عبادة، قال بعضهم لبعض ـ وفيهم أُسَيْد

٢٥) لم نسجّل هنا بقيّة الحوار وتعليقنا عليه طلباً للاختصار.

٢٦) رواه اليعقوبي بعد ذكر ماتقدم في تاريخه ٢/١٠٣. والموفقيات للزبيربن بكار ص ٥٧٩.

٢٧) في رواية الطبري ٣/٢٠٨ (وط. أوربا ١/١٨١٨) عن إبراهيم، وآبن الأثير ٢/١٢٣: «أن الأنصار قالت ذلك بعد أن بايع عمر أبابكر».

٢٨) عن سيرة آبن هشام ٤/٣٣٦. وجميع من روى حديث الفلتة. راجع بعده حديث الفلتة في ذكر رأي عمر في بيعة أبـي بكر.

٢٩) الطبري ط. أوربا ١/١٨٤٢. وفي رواية آبن ابـي الحديد: عقّك عقاق.

ابن حُضير وكان أحد النُقباء ـ : والله لئن ولّيتها الخزرج عليكم مرّة، لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة، ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيباً أبداً، فقوموا فبايعوا أبا بكر[٣٠].

فقاموا إليه فبايعوه، فانكسر على سعد بن عبادة وعلى الخزرج ما كانوا أجمعوا له من أمرهم. . . فأقبل النّاس من كلّ جانب يبايعون أبا بكر، وكادوا يطؤون سعد بن عبادة.

فقال أناس من أصحاب سعد: اتّقوا سعداً لا تطؤوه.

فقال عمر: اقتلوه، قتله الله.

ثمّ قام على رأسه فقال: لقد هَـمَمْتُ أن أطأك حتّى تَنْدُرَ عُضوك. فأخذ قيس بن سعد بلحية عمر فقال: والله لو حصصت منه شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة.

فقال أبو بكر: مهلاً يا عمر ! الرفق ها هنا أبلغ.

فأعرض عنه عمر[٣١].

وقال سعد: أما والله لو أنّ بـي قوّة مّاأقوى على النهوض لسمعت منّي في أقطارها وسككها زئيراً يُجْحِرُك وأصحابك. أما والله إذاً لألحقنّك بقوم كنتَ فيهم تابعاً غير متبوع. احملوني من هذا المكان. فحملوه فأدخلوه في داره[٣٢].

وروى أبو بكر الجوهري: أنّ عمر كان يومئذ ـ يعني يوم بويع أبو بكر ـ

٣٠) وفي رواية أبـي بكر في سقيفته: لـمّا رأت الأوس أنّ رئيساً من رؤساء الخزرج قد بايع، قام أسيد بن حضير ـ وهو رئيس الأوس ـ فبايع حسداً لسعد ومنافسة له أن يلي الأمر. راجع شرح النهج ٢/٢ في شرحه (ومن كلام له في معنى الأنصار).

٣١) إن هذا الموقف يوضح بجلاء جماع سياسة الخليفتين من شدّة ولين.

٣٢) الطبري ٣/ ٤٥٥ ـ ٤٥٩، وط. أوربا ١/١٨٤٣. (وتندر عضوك) كذا ورد ويعني تسقط أعضاؤك.

محتجزاً يهرول بين يدي أبـي بكر ويقول: ألا إنّ الناس قد بايعوا أبا بكر ـ الخ[٣٣].

بايع النـاس أبـا بكر وأتوا به المسجد يبايعونه فسمع العبّاس وعلـيّ التكبير في المسجد ولم يفرغوا من غسل رسول اللّه (ص).

فقال علـيّ: ما هذا؟

قال العباس: ما رئيَ مثل هذا قـطّ!! أما قلت لك[٣٤]؟

النـذيـر

وجاء البراء بن عازب فضرب الباب على بني هاشم وقال:

يا معشر بني هاشم! بويع أبوبكر.

فقال بعضهم لبعض: ما كان المسلمون يحدثون حدثاً نغيب عنه ونحن أولى بمحمّد.

فقال العباس: فعلوها وربِّ الكعبة!

وكان عامّة المهاجرين وجلّ الأنصار لا يشكّون أنّ عليّاً هو صاحب الأمر بعد رسول اللّه (ص)[٣٥].

وكان المهاجرون والأنصار لا يشكُّون في علـيّ.

روى الطبري: أنّ (أسلم) أقبلت بجماعتها حتى تضايق بهم السِّكك فبايعوا أبا بكر فكان عمر يقول:

٣٣) في كتابه السقيفة، راجع ابن أبي الحديد ١٣٣/١. وفي ص ٧٤ منه بلفظ آخر.

٣٤) ابن عبد ربّه في العقد الفريد ٢٥٨/٤ . وأبو بكر الجوهري في كتابه السقيفة برواية ابن أبـي الحديد عنه في ١٣٢/١، و يروي تفصيله في ص ٧٤ منه. والزبير بن بكار في الموفقيات ص ٥٧٧ ـ ٥٨٠ و٥٨٣ و٥٩٢. كما يروي عنـه ابن أبـي الحديد في شرح النهج ٢/٢ ـ ١٦، في شرحه: (ومن كلام له في معنى الأنصار).

٣٥) الموفّقيات للزبير بن بكار، ص ٥٨٠.

(ما هو إلا أن رأيتُ أسلم فأيقنت بالنصر)[٣٦].

فلـمّا بويع أبو بكر أقبلت الجماعة الّتي بايعته تزفّه زفّاً إلى مسجد رسول اللّه (ص) فصعد على المنبر ـ منبر رسول اللّه(ص) ـ فبايعه الناس حتّى أمسى، وشُغِلُوا عن دفن رسول اللّه حتى كانت ليلة الثلاثاء[٣٧].

البَيْعَة العامّة

ولما بويع أبو بكر في السَّقيفة وكان في الغد، جلس أبو بكر على المنبر، فقام عمر فتكلّم قبل أبي بكر فحمد اللّه وأثنى عليه. . . ، وذكر أنَّ قوله بالأمس لم يكن من كتاب اللّه ولا عهداً من رسوله ولكنَّه كان يرى أن الرسول سيدبّر أمرهم ويكون آخرهم. ثمّ قال:

وإنّ اللّه قد أبقى فيكم كتابه الّذي به هدى رسوله. فإن آعتصمتم به هداكم اللّه لما كان هداه له. وإنّ اللّه قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول اللّه (ص) ثاني اثنين إذ هما في الغار؛ فقوموا فبايعوه.

فبايع الناس أبا بكر بيعته العامَّة بعد بيعة السَّقيفة.

وفي البخاري: (وكان طائفة منهم قد بايعوه قبل ذلك في سقيفة بني ساعدة، وكانت بيعة أبي بكر العامّة على المنبر). قال أنس بن مالك: (سمعت عمر يقول لأبي بكر يومئذ: إصعد المنبر. فلم يزل به حتّى صعد المنبر فبايعه الناس عامّة).

ثم تكلّم أبو بكر، فحمد اللّه وأثنى عليه ثمّ قال:

(أمّا بعد، أيّها النّاس، فإنّي قد وُلّيتُ عليكم، ولست بخيركم، فإن

٣٦) الطبري ٢/٤٥٨، وط. أوربا، ١/١٨٤٣. وفي رواية آبن الاثير ٢/٢٢٤: (وجاءت أسلم فبايعت). وقال الزبير بن بكار في الموفّقيات برواية النهج ٦/٢٨٧. «فقوي بهم أبو بكر» ولم يعيّنا متى جاءت أسلم، ويقوى الظنّ أن يكون ذلك يوم الثلاثاء. وقال المفيد في كتابه «الجَمَل»: إنّ القبيلة كانت قد جاءت لتمتار من المدينة، (الجمل ص ٤٣).

٣٧) الموفّقيات ص ٥٧٨. والرياض النضرة ١/١٦٤. وتاريخ الخميس ١/١٨٨.

احسنت فأعينوني ، و إن أسأت فقوّموني ـ إلى قوله :ـ أطيعوني ما أطعت اللّه ورسوله ، فإذا عصيت اللّه و رسوله ، فلا طاعة لي عليكم . قوموا إلى صلاتكم ، يرحمكم اللّه)[٣٨] .

بعد بيعة أبـي بكر العامّة

(توفّي رسول اللّه يوم الاثنين حين زاغت الشّمس فشغل الناس عن دفنه)[٣٩] .

شُغِلَ الناس عن رسول اللّه بقيّة يوم الاثنين حتّى عصر الثلاثاء :

أولا : بخُطب السّقيفة .

ثم : ببيعة أبـي بكر الأولى ثم ببيعته العامّة وخُطبته وخُطبة عمر حتّى صلّى بهم .

قالوا : (فلمّا بويع أبو بكر أقبل الناس على جهاز رسول اللّه يوم الثلاثاء)[٤٠] . (ثمّ دخل الناس يصلّون عليه)[٤١] . (و صُلّي على رسول اللّه بغير إمام . يدخلُ عليه المسلمون زُمَراً زُمَراً يصلّون عليه)[٤٢] .

٣٨) ابن هشام ، ٤/ ٣٤٠ . و الطبري ، ٣/٢٠٣ (وط . أوربا ١/١٨٢٩) . وعُيون الأخبار لابن قتيبة ٢/ ٢٣٤ . والرياض النّضرة ١/ ١٦٧ . وآبن كثير ٥/٢٤٨ . والسّيوطي في تاريخ الخلفاء ص ٤٧ . وكنز العمال ٣/ ١٢٩ ، ح ٢٢٥٣ . والحَلبيّة ٣/ ٣٩٧ . وذكر البخاري في صحيحه ص ١٦٥ من ج ٤ كتاب البيعة عن أنس ، خطبة عمر باختلاف يسير.

وممن ذكر خطبة أبـي بكر فقط ، أبو بكر الجوهري في كتابه: السقيفة حسب رواية آبن أبـي الحديد عنه ، ١/ ١٣٤ . وصفوة الصفوة ١/ ٩٨ .

٣٩) طبقات آبن سعد ٢/ق ٢/ ٧٨ ، ط . لِيدن .

٤٠) سيرة آبن هشام ٤/٣٤٣ . والطبري : ٢/ ٤٥٠ (وط . أوربا ١/ ١٨٣٠) . وآبن الأثير ٢/ ١٢٦ . وآبن كثير ٥/ ٢٤٨ . والحلبيّة ٣/ ٣٩٢ و ٣٩٤ . وهذا الأخير لم يعين اليوم الّذي آنتهوا فيه من بيعة أبـي بكر و أقبلوا على جهاز رسول اللّه .

٤١) ابن هشام ٤/ ٣٤٣ .

٤٢) طبقات آبن سعد ٢/ق ٢/ ٧٠ . والكامل لابن الأثير ج ٢ في ذكر حوادث سنة ١١ هـ .

دفن رسول اللّه(ص) و من حَضر دفنه

(وَلِـيَ وضع رسول اللّه في قبره هؤلاء الرهط الّذين غسلوه: العبّاس، وعلـيّ والفضل وصالح مولاه. وخلّى أصحاب رسول اللّه بين رسول اللّه وأهله، فَولوا إجنانه)[٤٣].

(ودخـل القـبر علـيّ، والفضـل وقثم آبنا العباس، وشقران مولاه ـ ويقـال: أسا مة بن زيد ـ وهم تولّوا غسله وتكفينه وأمره كلّه)[٤٤]. (وإنّ أبا بكر وعمر لم يشهدا دفن النبيّ)[٤٥].

وقالت عائشة: (ما علمنا بدفن الرسول حتّى سمعنا صوت المساحي من جوف اللّيل، ليلة الأربعاء)[٤٦].

(ولم يَـلِه إلّا أقاربه ولقد سمِعَتْ بنو غَنْم صَرِيف المساحي حين حضر وإنّهم لَفي بيوتهم)[٤٧].

وقال شيوخ الأنصار من بني غَنْم: (سمعنا صوت المساحي آخر الليل)[٤٨].

٤٣) النصّ لابن سعد في الطبقات ٢/ق ٢/ ٧٠. وفي البدء والتاريخ قريب منه، وكنز العمال ٥٤/٤ و ٦٠ وهذه عبارته: (ولي دفنه وإجنانه أربعة من الناس)ثم ذكر ما أوردناه.

٤٤) العقد الفريد ٣/ ٦١. وقريب منه نصّ الذهبي في تاريخه ١/ ٣٢١ و٣٢٤ و٣٢٦.

٤٥) كنز العمال ٣/ ١٤٠.

٤٦) آبن هشام ٣٤٤/٤. والطبري: ٢/ ٤٥٢ و ٤٥٥ (و ط. أوربا ١/ ١٨٣٣ و١٨٣٧)، وآبن كثير٥/ ٢٧٠. وآبن الأثير في أسد الغابة ١/ ٣٤، في ترجمة الرسول. وقد ورد في روايات أخـرى أنّ سماعهم صريف المسـاحي كان ليلة الثلاثاء كما في طبقات آبن سعد ٢/ق ٧٨/٢. وتاريخ الخميس ١/ ١٩١. والذهبي في تاريخه ١/ ٣٢٧، والأصحّ أن ذلك كان ليلة الأربعاء. وفي مسند أحمد ٦/ ٦٢: في آخر ليلة الأربعاء، وفي ص ٢٤٢ منه وص ٢٧٤: (ما علمنا أين يدفن حتّى سمعنا. . .).

٤٧و٤٨) طبقات ابن سعد ٢ / ق ٢ / ٧٨ .

بعد دفن الرسول (ص)

انـدحـر سعـد ومرشّحوه ، وبقي علـيّ وجماعته ـ بعد أن أصبحوا أقلّية ـ يتنـاحـرون وحزب أبـي بكـر الـظافر وكلّ يجتهد في جلب الأنصار لحوزته . قال الزبير بن بكار في الموفّقيات : لـمّا بويع أبو بكر وآستقرّ أمره ، ندم قوم كثير من الأنصار على بيعته ولامَ بعضهم بعضاً ، وذكروا علـيّ بن أبـي طالب وهتفوا بآسمه[٤٩] .

قال اليعقوبـي[٥٠]:

وتخـلّف عن بيعـة أبـي بكر قوم من المهاجرين والأنصار ومالوا مع علـيّ بن أبـي طالب ، منهم العبّاس بن عبد المطّلب والفضل بن العبّاس ، والـزبـير بن العـوام، وخالـد بن سعيد، والمقـداد بن عمـرو[٥١]، وسلمان الفـارسـيّ، وأبـوذر الغفـاري ، وعمّار بن ياسر ، والـبراء بن عازب[٥٢]،

٤٩) الموفقيات ص ٥٨٣ .

٥٠) في تاريخه ٢ /١٢٤ ـ ١٢٥ . والسّقيفة لأبـي بكر الجوهري حسب رواية آبن أبـي الحديد ١٣/٢، والتفصيل في ٧٤/١ منه . وبلفظ قريب منه في الإمامة والسياسة ١٤/١ .

٥١) المقداد بن الأسود الكندي : هو آبن عَمْرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن عامر بن مطرود البهـراني . أصـاب دماً في قومه، فلحق بحَضْـرَمَوْت، فحالف كندة، وتزوّج آمرأة، فولدت له المقـداد. فلمّا كبر المقداد، وقع بينه وبين أبـي شمر بن حجر الكندي، فضرب رجله بالسيف، وهرب إلى مكّة فحالف الأسود بن عبد يغوث الزُهري فتبنّاه الأسود، فصار يقال له: المقداد بن الأسود الكندي. فلمّا نزلت: ﴿ أُدعـوهـم لآبائـهـم ﴾ الأحزاب/٥. قيل له: المقداد بن عَمْرو. وقال الـرسول: «إن اللّه عزوجل أمرني بحبِّ أربعة من أصحابـي وأخبرني أنه يحبّهم.» فقيل: من هـم ؟ فقـال: «علـيّ والمقـداد وسلمان وأبـوذرّ». توفّي سنـة ٣٣ هـ. الاستيعـاب بهامش الاصابة ٤٥١/٣. والإصابة ٤٣٣/٣ ـ ٤٣٤ .

٥٢) أبـو عمـرو الـبراء بن عازب بن الحارث بن عَدِي بن جشم بن مجدعة بن الحارث بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي: كان مـمّن استصغره الرسول يوم بدر وردّه. وغزا مع الرسول ١٤ غزوة وشهد مع علـيّ الجمل وصفين والنَّهروان. سكن الكوفة وآبتنى بها داراً وتوفّي بها في إمارة مصعب بن الزُبير. الاستيعاب بهامش الاصابة ١٤٣/١ ـ ١٤٤ . والإصابة ١٤٦/١

وأبيّ بن كعب[٥٣]، فأرسل أبو بكر إلى عمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح، والمغيرة بن شعبة

فقال: ما الرأي؟

قالوا[٥٤]: الرأي أن تلقى العبّاس بن عبد المطّلب فتجعل له في هذا الأمر نصيباً يكون له ولعقبه من بعده فتقطعون به ناحية عليّ بن أبي طالب (وتكون لكما حجّة)[٥٥] على عليّ إذا مال معكم.

فآنطلق أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة بن الجراح، والمغيرة، حتّى دخلوا على العباس ليلاً[٥٦]، فحمد اللّه أبو بكر وأثنى عليه ثمّ قال:

إنّ اللّه بعث محمّداً نبيّاً وللمؤمنين وليّاً. فمنّ عليهم بكونه بين أظهرهم حتّى آختار له ما عنده، فخلّى على الناس أمورهم[٥٧] ليختاروا لأنفسهم في مصلحتهم مشفقين[٥٨]. فاختاروني عليهم والياً ولأمورهم راعياً. فوليت ذلك وما أخاف بعون اللّه وتسديده وَهناً، ولا حيرةً، ولا جُبناً، وما توفيقي إلا باللّه عليه توكّلت وإليه أنيب. وما آنفكّ يبلغني عن طاعن بقولِ الخلاف على عامّة المسلمين يتّخذكم لجأً، فتكونوا حصنه المنيع، وخطبه البديع، فإمّا دخلتم مع الناس فيما آجتمعوا عليه، وإمّا صرفتموهم عمّا مالوا إليه. ولقد جئناك ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيباً يكون لك

٥٣) أبيّ بن كعب بن قيس بن عُبيد بن زيد بن معاوية بن عَمْرو بن مالك بن النَّجار: وهو تَيم اللات بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج الأكبر. شهد العقبة الثانية وبايع النبيّ فيها وشهد بدراً وما بعدها، وكان من كتّاب النبيّ. مات في آخر خلافة عمر أو صدر خلافة عثمان. الاستيعاب ١/٢٧ ـ ٣٠. والإصابة ١/٣١ ـ ٣٢.

٥٤) في نصّ الجوهري أنّ قائل هذا الرأي هو المغيرة بن شعبة، وهذا هو الأقرب إلى الصواب.

٥٥) هذه الزيادة في نسخة الإمامة والسياسة ١/١٤.

٥٦) في رواية آبن أبي الحديد أن ذلك كان في الليلة الثانية بعد وفاة النبيّ.

٥٧) إن ضمير (هم) موجود في رواية آبن أبي الحديد.

٥٨) في نسخة الإمامة والسياسة وآبن أبي الحديد ١/٧٤: (متفقين) وهو الأشبه بالصواب.

ويكون لمن بعدك من عقِبك ، إذ كنتَ عمَّ رسول اللّه ، وإن كان الناس قد رأوا مكانك ومكان صاحبك (فعدّلوا الأمر عنكم)[٥٩] على رسْلكم بني هاشم فإنّ رسول اللّه منّا ومنكم .

فقال عمر بن الخطاب : وأُخرى إنّا لم نأتكم لحاجةٍ إليكم، ولكن كُرهاً أن يكون الطعن في ما آجتمع عليه المسلمون منكم فيتفاقم الخطب بكم وبهم ، فانظروا لأنفسكم !

فحمد العبّاس اللّه وأثنى عليه وقال : إنّ اللّه بعث محمّداً كما وصفت نبيّاً، وللمؤمنين وليّاً، فمنّ على أمّته به ، حتّى قبضه اللّه إليه واختار له ما عنده ، فخلّى على المسلمين أمورهم ليختاروا لأنفسهم مصيبين الحقّ لا مائلين بزيغ الهوى . فإن كنتَ برسول اللّه طلبتَ ، فحقّنا أخذتَ ، وإن كنتَ بالمؤمنين أخذتَ فنحن منهم . فما تقدّمنا في أمرك فَرَطاً، ولا حَلَلْنا وسطاً، ولا بَرحنا سخطاً، وإن كان هذا الأمر وجب لك بالمؤمنين ، فما وجب إذ كنّا كارهين . ما أبعد قولك من أنّهم طعنوا عليك من قولك أنّهم آختاروك ومالوا إليك ؛ وما أبعد تسميتك خليفة رسول اللّه من قولك خلّى على الناس أمورهم ليختاروا فآختاروك . فأمّا ما قلت : إنك تجعله لي ، فإن كان حقّاً للمؤمنين فليس لك أن تحكم[٦٠] فيه ، وإن كان لنا فلم نرض ببعضه دون بعض وعلى رسلك ، فإنّ رسول اللّه من شجرة نحن أغصانها وأنتم جيرانها . فخرجوا من عنده .

التّحصن بدار فاطمة(ع)

قال عمر بن الخطّاب : (وإنّه كان من خبرنا حين توفّى اللّه نبيّه أنّ عليّاً

٥٩) الزيادة في نسخة آبن أبي الحديد والإمامة والسياسة .
٦٠) في نسخة الجوهري والإمامة والسياسة : فإن يكن حقّاً لك فلا حاجة لنا فيه .

والزبير ومن معهما تخلّفوا عنّا في بيت فاطمة)[61].

وذكر المؤرّخون في عداد من تخلّف عن بيعة أبي بكر وتحصّن بدار فاطمة مع عليّ والزبير كلاً من:

١) العبّاس بن عبدالمطّلب. ٢) عتبة بن أبي لهب.
٣) سلمان الفارسي. ٤) أبوذرّ الغفاري.
٥) عمّار بن ياسر. ٦) المقداد بن الأسود.
٧) البراء بن عازب. ٨) أُبيّ بن كعب.
٩) سعد بن أبي وقّاص[62]. ١٠) طلحة بن عبيد اللّه.

وجماعة من بني هاشم وجمعٌ من المهاجرين والأنصار[63].

وقد تواتر حديث تخلّف عليّ ومن معه عن بيعة أبي بكر وتحصّنهم بدار فاطمة في كتب السير، والتواريخ، والصّحاح والمسانيد، والأدب، والكلام، والتراجم، غير أنهم لـمّا كرهوا ما جرى بين المتحصّنين والحزب الظافر لم يفصحوا ببيان حوادثها إلّا ما ورد ذكره عفواً. ومن ذلك ما رواه

٦١) مسند أحمد ١/٥٥، والطبري ٢/٤٦٦ (ط. أوربا ١/١٨٢٢). وابن الأثير ٢/١٢٤. وابن كثير ٥/٢٤٦. وصفوة الصفوة ١/٩٧، وابن أبي الحديد ١/١٢٣، وتاريخ السيوطي في مبايعة أبي بكر ص ٤٥، وابن هشام ٤/٣٣٨، وتيسير الوصول ٢/٤١.

٦٢) أبو اسحٰق سعد بن أبي وقّاص، واسم أبي وقّاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زُهْرة بن كِلاب القرَشي، وكان سابع سبعة سبقوا إلى الإسلام. شهد بدراً وما بعدها، وهو أول من رمى بسهم في الإسلام، وكان رأس من فتح العراق وكوّف الكوفة، ووليها لعمر وعيّنه في الستّة أصحاب الشورى، واعتزل الناس بعد مقتل عُثمان. ومات بمسكنه في العَقيق في خلافة معاوية، وحُمِل إلى المدينة ودفن بالبقيع. الاستيعاب ٢/١٨ ـ ٢٥. والإصابة ٢/٣٠ ـ ٣٢.

٦٣) صرّحت المصادر الآتية بالإضافة إلى المصادر المذكورة آنفاً أنّ هؤلاء كانوا قد تخلّفوا عن بيعة أبي بكر واجتمعوا بدار فاطمة. ومن هذه المصادر ماذكرت اسم بعضهم وأنّهم اجتمعوا ليبايعوا عليّاً. الرياض النضرة ١/١٦٧. وتاريخ الخميس ١/١٨٨. وابن عبد ربّه ٣/٦٤. وتاريخ أبي الفداء ١/١٥٦. وابن شحنة بهامش الكامل ١١٢. والجوهري حسب رواية ابن أبي الحديد ١/١٣٠ ـ ١٣٤. والحلبية ٣/٣٩٤ و٣٩٧.

البلاذري وقال : بعث أبو بكر عمر بن الخطّاب إلى عليّ - رضي الله عنهم - حين قعد عن بيعته وقال : ائتني به بأعنف العنف . فلمّا أتاه جرى بينهما كلام ، فقال : آحْلِبْ حَلَباً لك شطره ؛ و اللّه ما حرصك على إمارته اليوم إلاّ ليؤثرك غداً - الحديث[٦٤].

قال أبو بكر في مرض موته : (أما إنّي لا آسي على شيء من الدّنيا إلاّ على ثلاث فعلتهن، ووددت أنّي تركتهن - إلى قوله - : فأمّا الثلاث الّتي فعلتها فوددتُ أنّي لم أكشف بيت فاطمة عن شيء، وإن كانوا قد أغلقوه على الحرب)[٦٥].

و في اليعقوبي : (و ليتني لم أفتّش بيت فاطمة بنت رسول اللّه و أدخِله الرجال و لو كان أغلق على حرب)[٦٦].

و قد عدّ المؤرّخون في الرجال الّذين أُدخلوا بيت فاطمة بنت رسول الله كلاًّ من:

١) عمر بن الخطاب . ٢) خالد بن الوليد[٦٧].

٦٤) أنساب الأشراف ١/٥٨٧.

٦٥) الطبري ٢/٦١٩ (وط. أوربا ١/٢١٤٠) عند ذكره وفاة أبي بكر. ومُروج الذّهب ١/٤١٤، و آبن عبد ربّه ٣/٦٩ عند ذكره استخلاف أبي بكر لعمر. والكنز ٣/١٣٥. ومنتخب الكنز ٢/١٧١. والإمامة و السياسة ١/١٨، والكامل للمُبَرّد حسب رواية آبن أبي الحديد ١/١٣٠ - ١٣١. وقد ذكر أبو عُبَيْد في الأموال ص ١٣١ قول أبي بكر هكذا: (أما الثلاث الّتي فعلتها فوددت أني لم أكن فعلت كذا وكذا - لخلّة ذكرها - قال أبو عُبَيد: لا أريد ذكرها). انتهى. وأبوبكر الجوهري برواية النّهج ٩/١٣٠. ولسان الميزان ٤/١٨٩. وراجع ترجَمَة أبي بكر في آبن عساكر ومرآة الزّمان لسبط آبن الجوزي. وتاريخ الذّهبي ١/٣٨٨.

٦٦) تاريخ اليعقوبي ٢/١١٥ .

٦٧) أبو سُليمان خالد بن الوليد بن المُغيرة بن عبد اللّه بن عُمَر بن مخْزوم القُرَشي، وأمّه: لبابة بنت الحارث بن الحزن الهلالية أخت ميمونة زوجة النبيّ، وكانت إليه أعنّة الخيل في الجاهلية. هاجر بعد الحديبية وشهد فتح مكّة، و أمّره أبو بكر على الجيوش، وكان يقال له: سيف اللّه، وتُوفي بحمص أو بالمدينة . سنة ٢١ أو ٢٢ هـ. الاستيعاب ١/٤٠٥ - ٤٠٨.

٣) عبدالرحمن بن عوف .　　　٤) ثابت بن قيس بن شمّاس[٦٨] .
٥) زياد بن لبيد[٦٩] .　　　٦) محمّد بن مسلمة[٧٠] .
٧) زيد بن ثابت[٧١] .　　　٨) سلمة بن سلامة بن وقش[٧٢] .
٩) سلمة بن أسلم[٧٣] .　　　١٠) أسيد بن حضير[٧٤] .

وقد ذكروا في كيفيّة كشف بيت فاطمة وما جرى للمتحصّنين وهؤلاء الرجال وقالوا :

إنه (غضب رجال من المهاجرين في بيعة أبي بكر منهم عليّ بن أبي

٦٨) ثابت بن قيس بن شمّاس بن زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج الأنصاري: شهد أحداً وما بعدها، وقتل مع خالد في اليمامة. الاستيعاب ١/١٩٣. والإصابة ١/١٩٧.

٦٩) زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سِنان بن عامر بن عَدِيّ بن أميّة بن بياضة الأنصاري من بني بياضة بن عامر بن زريق، مهاجري أنصاري: خرج إلى رسول الله بمكّة وأقام معه حتى هاجر معه إلى المدينة. شهد العقبة وبدراً وما بعدها. مات في أوّل خلافة معاوية. الاستيعاب ١/٥٤٥، والإصابة ١/٥٤٠. في نسبه بجمهرة ابن حزم ص ٣٥٦ سقط (بياضة).

٧٠) محمد بن مَسْلَمة بن سلمة بن خالد بن عَدِيّ بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عَمْرو بن مالك بن الأوس: شهد بدراً وما بعدها، وكان ممن لم يبايع عليَّ بن أبي طالب ولم يشهد معه حروبه، وتوفي سنة ٤٣ أو ٤٦ أو ٤٧ هـ. الاستيعاب ٣/٣١٥. والإصابة ٣/٣٦٣ - ٣٦٤. ونسبه في جمهرة ابن حزم ص ٣٤١.

٧١) راجع أنساب الأشراف ١/٥٨٥.

٧٢) أبو عوف سَلَمَة بن سلامة بن وَقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل الأنصاري، وأمّه: سلمى بنت سلمة بن خالد بن عَدي الأنصارية. شهد العقبة الأولى والآخرة، ثمّ شهد بدراً وما بعدها. توفي بالمدينة سنة ٤٥ هـ. الاستيعاب ٢/٨٤. والإصابة ٢/٦٣.

٧٣) أبو سعيد، سلمة بن أسلم بن حريش بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن عدي بن مالك بن الأوس الأنصاري. شهد بدراً وما بعدها، وقتل يوم جِسْر أبي عبيد سنة ١٤ هـ. الاستيعاب، الترجمة رقم ٢٤٥٥، ٢/٨٣، والاصابة ٢/٦١.

٧٤) الطبري ٢/٤٤٣ و ٤٤٤، وابو بكر الجوهري حسب رواية ابن ابي الحديد ١/١٣٠ - ١٣٤، و٢/٨١٩

وأسيد بن حضير، مرّت ترجمته في الهامش رقم (١٦)من هذا البحث.

طالب و الزبير ، فدخلا بيت فاطمة ومعهما السِّلاح)[75] ، (فبلغ أبا بكر وعمر أنّ جماعة من المهاجرين والأنصار قد آجتمعوا مع عليّ بن أبى طالب في منزل فاطمة بنت رسول الله)[76]، (وانهم اجتمعوا على آن يبايعوا عليّاً)[77].

فبعث إليهم أبوبكر عمر بن الخطّاب ليخرجهم من بيت فاطمة ، وقال له: إن أبوا فقاتلهم .

فأقبل بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار ، فلقيتهم فاطمة فقالت : يا آبن الخطّاب أجئت لتحرق دارنا ! ؟ قال : نعم ، أو تدخلوا في ما دخلت فيه الأمّة !)[78].

وفي أنساب الأشراف:

فتلقّته فاطمة على الباب ، فقالت فاطمة : يا آبن الخطّاب أتراك محرقاً عليّ بابي ! ؟ قال : نعم . . .[79].

وإلى هذا أشار عروة بن الزبير حين كان يعتذر عن أخيه عبد اللّه بن الزبير فيما جرى له مع (بني هاشم وحَصْره إيّاهم في الشعب وجَمْعه الحطب لإحراقهم . . . ليدخلوا في طاعته كما أُرْهب بنو هاشم وجُمِع لهم الحطب لتحريقهم إذ هم أبوا البيعة في ما سلف)[80] يعني ما سلف لبني هاشم من قضيّة

٧٥) الرياض النضرة ٢١٨/١ ط. مصر الثانية سنة ١٣٧٢، و أبو بكر الجوهري برواية آبن أبي الحديد ١٣٢/١، و٢٩٣/٦، وتاريخ الخميس ١٦٩/٢ ط. مؤسسة شعبان ـ بيروت (ب. ت).

٧٦) اليعقوبي ٢/ ١٢٦

٧٧)ابن أبي الحديد ١٣٤/١، وابن شحنة بهامش الكامل ١١٣/١١ بلفظ: «ومالوا مع علي بن أبي طالب».

٧٨) آبن عبد ربّه، ٦٤/٣، و ابوالفداء، ١٥٦/١.

٧٩) أنساب الأشراف ٥٨٦/١. وراجع كنز العمال ١٤٠/٣. و الرياض النضرة، ١٦٧/١، وأبوبكر الجوهري برواية آبن أبي الحديد، ١٣٢/١، وج ٦ في الصفحة الثانية منه، و الخميس ١٧٨/١، وأبوبكر الجوهري برواية آبن أبي الحديد ١٣٤/١، وتاريخ آبن شحنة ص ١١٣ بهامش الكامل ١١٣/١١.

٨٠) مروج الذهب ١٠٠/٢. وأورده آبن أبي الحديد ٤٨١/٢٠ ط. إيران، عند شرحه قول

الحطب والنّار عند آمتناعهم عن بيعة أبـي بكر.

وفي هذا يقول شاعر النيل حافظ إبراهيم :

وقولـة لعلـي قـالها عمـر أكرم بسامعها أعظم بمُلقيها

حرَّقتُ دارك لا أُبقي عليك بها إن لم تبايع وبنت المصطفى فيها

ما كان غير أبـي حفص يفُوه بها أمـام فارس عدنـان وحاميها[81]

وقال اليعقوبـي :

فأتوا في جماعة حتّى هجموا على الدار ـ إلى قوله ـ: وكسر سيفه ـ أي سيف علـيّ ـ ودخلوا الدار[82].

وقال الطبري :

أتـى عمـر بن الخـطاب منـزل علـيّ وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين فخرج عليه الزبير مصلتاً بالسيف ، فعثر فسقط السيف من يده ، فوثبوا عليه فأخذوه[83].

وقال أبو بكر الجوهري

وعلـيّ يقول : «أنا عبد اللّه وأخو رسول اللّه» حتّى آنتهوا به إلى أبـي بكـر ، فقيل له : بايع ، فقال : أنا أحقُّ بهذا الأمر منكم ، لا أبايعكم ، وأنتم أولى بالبيعة لي . أخذتم هذا الأمر من الأنصار ، وآحتججتم عليهم بالقرابة من رسول اللّه ، فأعطوكم المقادة وسلّموا إليكم الإمارة ، وأنا أحتجّ عليكم بمثل ما آحتججتم به على الأنصار ، فأنصفونا إن كنتم تخافون اللّه من

علي (ع) : « الزبير منّا حتّى نشأ آبنه ».

٨١) ديوان حافظ إبراهيم ط. المصرية .

٨٢) اليعقوبـي ٢/١٢٦ .

٨٣) الطبري ٢/٤٤٣ و ٤٤٤ و ٤٤٦ (وط. أوربا ١/١٨١٨ و ١٨٢٠ و ١٨٢٢) وقد أورده العقّـاد في عبْقـريّة عمـر ص ١٧٣ . وذكر كسر سيف الزبير المحبّ الطبري في الرياض النضرة ١/١٦٧ . والخميس ١/١٨٨ . وآبن أبـي الحديد ١/١٢٢ و ١٣٢ و ١٣٤ و٥٨، و٢/٢ ـ ٥. وكنز العمال ٣/١٢٨ .

أنفسكم ، وآعـرفـوا لنا من الأمر مثل ما عرفت الأنصار لكم ، وإلا.فبوءوا بالظلم وأنتم تعلمون . فقال عمر: إنَّك لست متروكاً حتى تبايع . فقال له علـي : اِحْلِب يا عمر حَلَباً لك شطره ؛ اشدد له اليوم أمره ليردَّ عليك غداً. لا واللّه ، لا أقبل قولك ولا أتابعه ، فقال له أبوبكر : فإن لم تبايعني لم أكرهك .

فقـال له أبـوعبيدة : يا أبا الحسن إنّك حدث السّن وهؤلاء مشيخة قريش قومك ، ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأمور، ولا أرى أبا بكر إلاّ أقوى على هذا الأمر منك وأشدّ آحتمالاً له وآضطلاعاً به ، فسلِّم له هذا الأمر وآرض به ؛ فإنّك إن تعش ويطُل عمرك فأنت لهذا الأمر لخليق وعليه حقيق في فضلك وقرابتك وسابقتك وجهادك .

فقـال علـيّ : يا معشر المهـاجـرين ، اللّه اللّه ، لا تُخـرجوا سلطان محمّـد عن داره وبيته إلى بيوتكم ودوركم ، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقّه . فواللّه يا معشر المهاجرين ، لنحن أهل البيت أحقّ بهذا الأمر منكم أما كان منّا القارئ لكتاب اللّه ، الفقيه لدين اللّه ، العالم بالسنّة ، المضطلع بأمر الرعية ؟ واللّه إنّه لفينا، فلا تتّبعوا الهوى فتزدادوا من الحقّ بعداً.

فقال بشير بن سعد : لو كان هذا الكلام سمعَتْه منك الأنصار يا علـيّ قبل بيعتهم لأبـي بكر ما آختلف عليك آثنان ، ولكنّهم قد بايعوا . وآنصرف علـيّ إلى منـزلـه ولم يبـايع . رواه أبـوبكـر الجـوهـري كما في شرح النهـج ٢/٢ ـ ٥ . وروى أبو بكر الجوهري أيضاً وقال:

ورأت فاطمة ما صُنع بهما ـ أي بعلـيّ والزبير ـ فقامت على باب الحجرة وقالت : يا أبـا بكر ، ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول اللّه ، واللّه

لا أكلّم عمر حتى ألقى اللّه[٨٤]

وفي رواية أخرى :

وخرجت فاطمة تبكي وتصيح فَنَهْنَهَت من الناس[٨٥] .

وقال اليعقوبي :

فخرجت فاطمة ، فقالت : واللّه لتخرجنّ أو لأكشفنّ شعري و لأعجّنّ إلى اللّه . فخرجوا وخرج من كان في الدار[٨٦].

وقال المسعودي :

لـمّا بويع أبوبكر في السّقيفة وجدِّدت له البيعة يوم الثلاثاء، خرج عليّ فقال : أفسدت علينا أمورنا ولم تستشر ولم ترع لنا حقّاً !

فقال أبوبكر : بلى ولكنّي خشيت الفتنة [٨٧].

وقال اليعقوبي :

واجتمع جماعة إلى عليّ بن أبي طالب يدعونه إلى البيعة ، فقال لهم : اغدوا عليّ محلّقين الرؤوس . فلم يغد إلّا ثلاثة نفر[٨٨] .

ثمّ إنّ عليّاً حمل فاطمة على حمار ، وسار بها ليلاً إلى بيوت الأنصار يسألهم النصرة ، وتسألهم فاطمة الانتصار له ؛ فكانوا يقولون :

يا بنت رسول اللّه ، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ، ولو كان ابن عمّك سبق إلينا أبا بكر ما عدلنا به . فقال عليّ :

أفكنت أترك رسول اللّه (ص) ميتاً في بيته لم أُجهّزه وأخرج إلى الناس أنازعهم في سلطانه ! ؟ فقالت فاطمة :

٨٤) برواية ابن أبي الحديد ١/١٣٤ ، و٢/٢ ـ ٥ .

٨٥) السقيفة لأبي بكر الجوهري برواية ابن أبي الحديد ١/١٣٤ .

٨٦) تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٢٦ .

٨٧) مروج الذهب ١/٤١٤ . والإمامة والسياسة ١/١٢ ـ ١٤ مع اختلاف .

٨٨) تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٢٦ ، وفي شرح النهج ٢/٤ .

ما صنع أبو الحسن إلاّ ما كان ينبغي له ، ولقد صنعوا ما اللّه حسيبهم عليه[89]

ولقد أشار معاوية إلى هذا وإلى ما نقلناه عن اليعقوبي قبله في كتابه إلى علـيّ :

وأعهدُك أمس تحمل قعيدة بيتك ليلاً على حِمار ويداك في يدي ابنيك الحسن والحسين يوم بويع أبو بكر الصدّيق ، فلم تدع أحداً من أهل بدر والسّوابق إلاّ دعوتهم إلى نفسك ، ومشيت إليهم بآمرأتك ، وأدللت إليهم بآبنيك ، وآستنصرتهم على صاحب رسول اللّه ، فلم يجبك منهم إلاّ أربعة أو خمسة ، ولَعَمْري لو كنت محقّاً لأجابوك ، ولكنّك آدّعيت باطلاً ، وقلت ما لا يعرف ، ورُمت ما لا يدرك . ومهما نسيت فلا أنسى قولك لأبي سفيان لـمّا حرّكَك وهيّجك : لو وجدت أربعين ذوي عزم منهم لناهضت القوم[90].

وروى مُعَمَّر عن الزُّهري عن أمّ المؤمنين عائشة في حديثها عما جرى بين فاطمة وأبي بكر حول ميراث النبيّ (ص) قالت:

فهجرته فاطمة ، فلم تُكَلِّمه حتّى تُوفّيت وعاشت بعد النبيّ (ص) ستّة أشهر . فلـمّا تُوفيت دفنها زوجها ، ولم يؤذِن بها أبا بكر وصلّى عليها . وكان لعليّ من الناس وجهُ حياة فاطمة، فلـمّا تُوفّيت فاطمة آنصرفت وجوه الناس عن عليّ . ومكثت فاطمة ستّة أشهر بعد رسول اللّه (ص) ثمّ توفّيت . قال معمّر :

فقال رجل للزُّهري : أفلم يبايعه علـيّ ستّة أشهر ؟

٨٩) أبو بكر الجوهري في كتابه السقيفة برواية آبن أبي الحديد ٦/٥ ـ ٢٨ ، ط. المصرية وآبن قتيبة ١٢/١ .

٩٠) ابن أبي الحديد ٦٧/٢ . وصفّين لنصر بن مزاحم ص ١٨٢ .

قال : لا[91]، ولا أحد من بني هاشم حتّى بايعه عليّ . فلمّا رأى علي انصراف وجوه الناس عنه ضَرَع إلى مصالحة أبي بكر ـ الحديث[92].

وقال البلاذُري :

لـمّا آرتدّت العرب ، مشى عُثمان إلى عليّ فقال: يا آبن عمّ، انّه لا يخرج أحد إلى قتال هذا العدوّ، وأنت لم تبايع . فلم يزل به حتّى مشى إلى أبي بكر فبايعه . فسُرّ المسلمون ، وجدّ الناس في القتال وقطعت البعوث[93].

ضرع عليّ إلى مصالحة أبي بكر بعد وفاة فاطمة وآنصراف وجوه الناس عنه، غير أنّه بقي يشكو ممّا جرىٰ عليه بعد وفاة النبيّ حتّى في أيّام خلافته . وذكر شكواه في خطبته المشهورة بالشّقشقيّة الّتي سنوردها في آخر هذا الباب .

٩١) في تيسير الوصول ٢/٤٦ : (قال: لا واللّه ولا أحد من بني هاشم) .

٩٢) قد أوردت هذا الحديث مختصراً من كلّ من الطبري ٢/٤٤٨ (وط. أوربا ١/١٨٢٥). وصحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ٣/٣٨. وصحيح مسلم ١/٧٢، و٥/١٥٣، باب قول رسول اللّه: «نحن لا نورث؛ ما تركناه صدقة»، وآبن كثير ٥/٢٨٥ ـ ٢٨٦، وآبن عبد ربّه ٣/٦٤. وقد أورده آبن الأثير ٢/١٢٦ مختصراً. والكنجي في كفاية الطالب ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦. وآبن أبي الحديد ١/١٢٢. والمسعودي ٢/٤١٤ من مروج الذهب. وفي التنبيه والإشراف له ص ٢٥٠ : (ولم يبايع علي حتى توفيت فاطمة). والصواعق ١/١٢. وتاريخ الخميس ١/١٩٣. وفي الإمامة والسياسة ١/١٤ : أن بيعة علي كانت بعد وفاة فاطمة وأنها قد بقيت بعد أبيها ٧٥ يوماً. وفي الاستيعاب ٢/٢٤٤ : أن عليّاً لم يبايعه إلّا بعد موت فاطمة. وأبو الفداء ١/١٥٦. والبدء والتاريخ ٥/٦٦. وأنساب الأشراف ١/٥٨٦. وفي أسد الغابة ٣/٢٢٢ بترجمة أبي بكر: (كانت بيعتهم بعد ستّة أشهر على الأصحّ). وقال اليعقوبي ٢/١٢٦ (لم يبايع علي إلّا بعد ستة أشهر) وفي الغدير ٣/١٠٢ عن الفصل لابن حزم ص ٩٦ ـ ٩٧ «وجدنا عليّاً رضي اللّه عنه تأخر عن البيعة ستة أشهر».

٩٣) انساب الاشراف ١/٥٨٧.

من تخلّف عن بيعة الخليفة أبـي بكر

أ ـ فروة بن عمرو

قال الزبير بن بكّار في الموفّقيات : (كان فروة بن عمرو ممّن تخلّف عن بيعة أبـي بكر، وكان ممّن جاهد مع رسول اللّه (ص) وقاد فرسين في سبيل اللّه . وكان يتصدّق من نخله بألف وسق في كلّ عام ، وكان سيّداً . وهو من أصحاب عليّ ، وممّن شهد معه يوم الجمل .

وذكر الزبير بن بكّار بعد ذلك عتاب فروة لبعض الأنصار الّذين ساعدوا أبا بكر في بيعته[٩٤] .

ب ـ خالد بن سعيد الأموي

كان عاملاً لرسول اللّه على صنعاء اليمن (فلمّا مات رسول اللّه رجع هو وأخواه أبان وعمَر عن عمالتهم ، فقال أبو بكر: ما لكم رجعتم عن عمالتكم ؟ ما أحد أحقّ بالعمل من عمّال رسول اللّه (ص)، ارجعوا إلى أعمالكم . فقالوا : نحن بنو أُحيحة ، لا نعمل لأحد بعد رسول اللّه)[٩٥].

وتأخّر خالد وأخوه أبان عن بيعة أبـي بكر، فقال لبني هاشم : إنّكم

٩٤) الموفقيات ص ٥٩٠ .
وفروة بن عمرو الأنصاري البياضي : شهد العقبة وبدراً وما بعدهما مع رسول اللّه (ص) . أسد الغابة ١٧٨/٤ .

٩٥) خالد بن سعيد بن العاص بن أميّة بن عبد شمس : أسلم قديماً فكان ثالثاً أو رابعاً وقيل كان خامساً، وقال ابن قتيبة في المعارف ص ١٢٨ : (أسلم قبل إسلام أبـي بكر) . وابن أبـي الحديد ١٣/٢ . وكان ممّن هاجر إلى الحبشة وآستعمله رسول اللّه مع أخويه على صدقات مذحج وآستعمله على صنعاء اليمن . ثمّ رجعوا بعد وفاة النبي ثمّ مضوا جميعاً إلى الشام فقتلوا هناك، وآستشهد خالد بأجادين يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ١٣ هـ . الاستيعاب ٣٩٨/١ ـ ٤٠٠ . والإصابة ٤٠٦/١ . وأسد الغابة ٨٢/٢ . وراجع آبن أبـي الحديد ١٣/٦ و١٦ .

لطوال الشَّجَر طيبُّو الثمر نحن تَبَعٌ لكم[96].

و (تربَّص ببيعته شهرين يقول : قد أمّرني رسول اللّه (ص) ثمّ لم يعزلني حتّى قبضه اللّه ، وقد لقي عليّ بن أبي طالب وعثمان بن عفّان ، فقال : يا بني عبد مناف ، لقد طبتم نفساً عن أمركم يليه غيركم ، فأمّا أبوبكر فلم يحفلها عليه ، وأما عمر فأضطغنها عليه)[97].

(وأتىٰ عليّاً فقال: هلُمَّ أبايعك ، فواللّه ما في الناس أحد أولى بمقام محمّد منك)[98]، (فلـمّا بايع بنوهاشم أبا بكر بايعه خالد)[99].

(ثمّ بعث أبوبكر الجنود إلى الشّام وكان أول من آستعمل على ربع منها خالد بن سعيد ، فأخذ عمر يقول : أتُؤمِّره وقد صنع ما صنع وقال ما قال ! ؟ فلم يزل بأبي بكر حتّى عزله ، وأمّر يزيد بن أبي سفيان)[100].

ج ـ سعد بن عُبادة[101].

ذكروا (إنّ سعداً تُرِك أيّاماً ثم بُعث إليه أن أقبل فبايع ، فقد بايع الناس

٩٦) أسد الغابة ٢/٨٢، وآبن أبي الحديد ٢/١٣٥، ط. المصرية الأولى.

٩٧) الطبري ٢/٥٨٦ (ط. أوربا ١/٢٠٧٩). وتهذيب تاريخ آبن عساكر ٥/٥١. وفي أنساب الأشراف ١/٥٨٨ ذكر أنّ خالد بن سعيد تأخر عن البيعة.

٩٨) اليعقوبي ٢/١٢٦.

٩٩) أسد الغابة ٢/٨٢. وراجع تفصيل ذلك في آبن أبي الحديد ١/١٣٥ نقلاً عن سقيفة أبي بكر الجوهري.

١٠٠) الطبري ٢/٥٨٦ (وط. أوربا ١/٢٠٧٩). وتهذيب تاريخ آبن عساكر ٥/٥١. وفي أنساب الأشراف ١/٥٨٨ ذكر أن خالد بن سعيد تأخر عن البيعة.

١٠١) سعد بن عُبادة بن دُلَيم بن حارثة بن أبي خزيمة بن ثعلبة بن طَرِيف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاري: شهد العقبة ومغازي رسول اللّه عدا بدر، فإنه آختلف في أنّه هل شهدها أم لم يشهدها. كان جواداً سخيّاً، وكانت راية الأنصار بيده يوم الفتح، ولـمّا نادى: (اليوم يوم الملحمة اليوم تسبىٰ الحرمة) نزع رسول اللّه اللواء منه وأعطاه لابنه قيس. ولم يبايع أبا بكر حتّى قتل بسهمين في الشام سنة ١٥ هـ ودفن بحوارين، نسبه في جمهرة آبن حزم ص ٦٥. وخبره في الاستيعاب ٢/٢٣ ـ ٣٧. والإصابة ٢/٢٧ ـ ٢٨.

وبايع قومك ، فقال : أما والله حتّى أرميكم بما في كنانتي من نَبل وأخضب سنان رمحي ، وأضربكم بسيفي ما ملكته يدي ، وأقاتلكم بأهل بيتي ومن أطاعني من قومي فلا أفعل . وأيم الله لو أنّ الجنّ آجتمعت لكم مع الإنس ما بايعتكم حتى أعرض على ربّي وأعلم ما حسابي)[١٠٢].

فلـمّا أُتـي أبوبكر بذلك ، قال عمر : لا تدعه حتّى يبايع .

فقـال له بشير بن سعد : إنّه قد لجَّ وأبىٰ ، وليس بمبايعكم حتّى يقتل ، وليس بمقتول حتّى يقتل معه ولده وأهل بيته وطائفة من عشيرته ، فاتركوه فليس تركه بضارّكم ، إنّما هو رجل واحد .

فتركوه وقبلوا مشورة بشير بن سعد ، وآستنصحوه لما بدا لهم منه ، فكان سعـد لا يصـلّي بصـلاتهم ولا يجتمـع معهم ولا يحـجّ ولا يفيض معهم بإفاضتهم ـ إلخ . (فلم يزل كذلك حتّى توفي أبوبكر وولي عمر)[١٠٣].

ولّما ولي عمر الخلافة لقيه في بعض طرق المدينة .

فقال له : إيه يا سعد ! ؟

فقال له : إيه يا عمر ! ؟

فقال له عمر : أنت صاحب المقالة ؟

قال سعد : نعم ، أنا ذلك ، وقد أفضى إليك هذا الأمر ، كان والله صاحبك أحبّ إلينا منك وقد أصبحتُ والله كارهاً لجوارك .

فقال عمر : من كره جوار جارٍ تحوّل عنه .

فقال سعد : ما أنا غير مستسرّ بذلك ، وأنا متحوّل إلى جوار من هو

١٠٢) الطبري ٣/٤٥٩. وآبن الأثير ٢/١٢٦. أورد الرواية إلى: فآتركوه. وكنز العمال ٣/١٣٤، ح ٢٢٩٦. والإمامة والسياسة ١/١٠، والسيرة الحلبية ٣٩٧/٤، بعده: (لايسلّم على من لقي منهم). والطبري ط. أوربا ١/١٨٤٤.

١٠٣) الرياض النضرة ١/١٦٨، مضافاً إلى سائر المصادر.

خير منك .

فلم يلبث إلاّ قليلاً حتّى خرج إلى الشّام في أوّل خلافة عمر - إلخ)[١٠٤] .

وفي رواية البلاذري : أنّ سعد بن عبادة لم يبايع أبا بكر وخرج إلى الشام فبعث عمر رجلاً وقال : أُدعُه إلى البيعة وآحتل له ، فإن أبىٰ فآستعن اللّه عليه . فقدم الرجل الشّام فوجد سعداً في حائط بحُوارين[١٠٥] فدعاه إلى البيعة .

فقال : لا أبايع قُرشياً أبداً .

قال : فإني أقاتلك .

قال : وإن قاتلتني .

قال : أفخارج أنت ممّا دخلت فيه الأمّة ؟

قال : أمّا من البيعة فإنّي خارج . فرماه بسهم فقتله[١٠٦] .

وفي تبصرة العوام : أنّهم أرسلوا محمّد بن مسلمة الأنصاريّ فرماه بسهم .

وقيل : إن خالداً كان في الشّام يومذاك ، فأعانه على ذلك[١٠٧] .

قال المسعودي : (وخرج سعد بن عبادة ولم يبايع ، فصار إلى الشام فقتل هناك سنة ١٥ هـ)[١٠٨] .

وفي رواية آبن عبد ربّه : (رمي سعد بن عبادة بسهم فوجد دفيناً في جسده فمات ، فبكته الجنُّ فقالت :

١٠٤) طبقات آبن سعد ٣/ق ٢/ ١٤٥ . وآبن عساكر ٦/ ٩٠ بترجمة سعد من تهذيبه ، وكنز العمال ٣/ ١٣٤ ، برقم ٢٢٩٦ . والحلبية ٣/ ٣٩٧ .

١٠٥) من قرى حلب معروفة . معجم البلدان .

١٠٦) أنساب الأشراف ١/ ٥٨٩ . والعقد الفريد ٣/ ٦٤ - ٦٥ بآختلاف يسير .

١٠٧) تبصرة العوام ط . المجلس بطهران ص ٣٢ .

١٠٨) مروج الذهب ٢/ ٣٠١ و ٣٠٤ .

وقتلنا سيد الخزرج سعد بن عُبادة

ورميناه بسهمين فلم نُخطئ فؤاده[109]

وروى آبن سعد : (أنه جلس يبول في نفق فاقْتُتِل فمات من ساعته ووجدوه قد آخضرَّ جلده)[110] .

وفي أسد الغابة[111] : (لم يبايع سعد أبا بكر ولا عمر ، وسار إلى الشّام فأقام بحوران إلى أن مات سنة ١٥ هـ، ولم يختلفوا أنّه وجد ميتاً على مغتسله وقد آخضرَّ جسدُه ولم يشعروا بموته حتى سمعوا قائلاً يقول من بئر ولا يرون أحداً . . .) إلخ .

هكذا آنتهت حياة سعد بن عبادة . ولـمّا كان قتل سعد بن عبادة من الحوادث الّتي كره المؤرخون وقوعها ، أغفل جمع منهم ذكرها[112] وأهمل قسم منهم بيان كيفيتها ونسبوها إلى الجنّ[113] ، غير أنّهم لم يكشفوا عن منشأ العداء بين الجنّ وسعد بن عبادة ، ولماذا فوّقت سهمها إلى فُؤاد سعد دون سائر الصحابة ، فلو أنّهم أكملوا الأسطورة وقالوا : إن صلحاء الجِنّ كرهت امتناع سَعد عن البيعة فرمته بسهمين فما أخطا فؤاده لكانت أُسطورتهم تامّة .

من روى أن سعداً لم يبايع :

(١) إبن سعد في الطّبقات . (٢) ابن جرير في تاريخه . (٣) البلاذُري في ج ١ من أنسابه . (٤) ابن عبدالبَـرِّ في الاستيعاب . (٥) إبن عبد ربهّ في العقد الفريد . (٦) إبن قتيبة في الإمامة والسِّياسة ١/ ٩ . (٧) المسعودي في

١٠٩) العقد الفريد ٤/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠ .
١١٠) الطبقات ٣/ق ٢/ ١٤٥ . وأبوحنيفة الدينوري في المعارف ص ١١٣ .
١١١) في ترجمة سعد . والاستيعاب ٢/ ٣٧.
١١٢) كآبن جَرير وآبن كثير وآبن الأثير في تواريخهم.
١١٣) كمحبّ الدين الطبري في الرياض النضرة. وآبن عبد البرّ في الإستيعاب.

مروج الذّهب . (٨) ابن حجر العسقلاني في الإصابة ٢/ ٢٨ . (٩) محبُّ الدين الطّبري في الرِّياض النضِرة ١/ ١٦٨ . (١٠) ابن الأثير في أُسد الغابة ٣/ ٢٢٢ . (١١) تاريخ الخميس . (١٢) علـيّ بن برهـان الدين في السيرة الحلبيّة ٣/ ٣٩٦ ، ٣٩٧ . (١٣) أبو بكر الجوهري ، برواية ابن أبـي الحديد عنه .

كان ما ذكرناه خلاصة من خبر آستخلاف أبـي بكر وبيعته ، أوردناه ملخّصاً من كتاب عبد اللّه بن سبأ الجزء الأول .

وفي ما يلي خبر آستخلاف عمر وبيعته .

استخلاف عمر وبيعته

دعا أبو بكر عثمان خالياً[114] فقال :

أُكتب : بسم اللّه الرحمٰن الرحيم هذا ما عهد أبو بكر بن أبـي قحافة إلى المسلمين ، أمّا بعد .

قال : ثم أغمي عليه فذهب عنه ، فكتب عثمان :

أما بعد فإنّي آستخلفت عليكم عمر بن الخطّاب ولم آلكم خيراً . ثمّ أفاق أبو بكر فقال : إقرأ علـيَّ . فقرأ عليه ، فكبّر أبو بكر وقال : أراك خفت أن يختلف الناس إن آفتُلتت نفسي في غشيتي ؟ قال : نعم . قال: جزاك اللّه خيراً عن الإسلام وأهله . وأقرّها أبو بكر (رض) من هذا الموضع .

وذكر قبل ذلك عن عمر أنّه كان جالساً والنّاس معه وبيده جريدة ومعه شديد مولى لأبـي بكـر معـه الصحيفـة الّتي فيهـا آستخلاف عمر ، وعمر يقول : (أيّها الناس اسمعوا وأطيعوا قول خليفة رسول اللّه إنّه يقول إنّي لم

١١٤) دعاه خالياً: انفرد به في خلوة.

الكم نصحاً»[115] .

كم من الفرق بين موقف أبي حفص هذا وموقفه من كتابة وصيّة الرسول (ص) ! ؟

الشّورى وبيعة عثمان

قال ابن عبد ربّه في العقد الفريد :

لـمّا طعن الخليفة عمر قيل له : لو استخلفت . فقال :

لو كان أبو عبيدة بن الجراح حيّاً لا ستخلفته ، فإن سألني ربّي قلت : نبيّك يقول : إنّه أمين هذه الأمّة . ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حيّاً لا ستخلفنه ، فإن سألني ربّي قلت : سمعت نبيّك يقول : إنّ سالم ليحبّ اللّه حبّاً لو لم يخف اللّه ما عصاه[116] .

وإنّهم قالوا له : يا أمير المؤمنين ، لو عهدت . فقال : لقد كنت أجمعت بعد مقالتي لكم أن أولّي رجلاً أمركم أرجو أن يحملكم على الحقّ ـ وإشار إلى عليّ ـ ثمّ رأيت أن لا أتحمّلها حيّاً وميّتاً . . . إلخ .

وروى البلاذري في أنساب الأشراف[117] قال عمر : أُدعوا لي عليّاً وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرّحمن بن عوف وسعد بن أبي وقّاص . فلم يكلّم أحداً منهم غير عليّ وعثمان ، فقال : يا عليّ ، لعلّ هؤلاء سيعرفون لك قرابتك من النّبيّ (ص) وصهرك وما أنالك اللّه من الفقه والعلم ، فإن وليت هذا الأمر فاتّق اللّه فيه . ثمّ دعا عثمان وقال : يا عثمان ، لعلّ هؤلاء القوم يعرفون لك صهرك من رسول اللّه وسِنّك ، فإن وليت هذا الأمر فاتّقِ اللّه

١١٥) تاريخ الطّبري ط. أوربا ١/٢١٣٨ .
١١٦) العقد الفريد ٤/٢٧٤ ، أوردناه ملخصاً .
١١٧) أنساب الأشراف ٥/١٦ .

و لا تحمل آل أبي مُعيط على رقاب النّاس . ثمّ قال : ادعوا لي صُهَيْباً . فدُعي ، فقال : صلِّ بالناس ثلاثاً ، وليخل هؤلاء النفر في بيت ، فإذا آجتمعوا على رجل منهم ، فمن خالفهم فاضربوا رأسه . فلمّا خرجوا من عند عمر قال: إن وَلّوها الأجلح سلك بهم الطريق[118].

وفي الرِّياض النَّضرة ط ٢ بمصر ١٣٧٣ هـ، **٩٥/٢** .

(للّه درّهم إن ولّوها الأُصيلع كيف يحملهم على الحقّ وإن كان السيف على عنقه . قال محمَّد بن كعب : فقلت: أتعلم ذلك منه ولا تولّيه ؟ فقال : إن تركتهم فقد تركهم من هو خير منّي) .

روى البلاذري في أنساب الأشراف ١٧/٥ عن الواقدي بسنده ، قال :

(ذكر عمر من يستخلف فقيل : أين أنت عن عثمان ؟ قال : لو فعلت لحمل بني أبي معيط على رقاب الناس . قيل: الزُّبير؟ قال : مؤمن الرضى ، كافر الغضب . قيل : طلحة ؟ قال : أنفه في السّماء وآسْته في الماء . قيل : سعد ؟ قال : صاحب مقنب[119]، قرية له كثير . قيل: عبد الرّحمن ؟قال: بحسبه أن يجري على أهل بيته) .

وروى البلاذري في ج ١٨/٥ من أنساب الأشراف : أنّ عمر بن الخطّاب أمر صهيباً مولى عبد اللّه بن جُدعان حين طعن أن يجمع إليه وجوه المهاجرين والأنصار . فلمّا دخلوا عليه قال : إنّي جعلت أمركم شورى إلى ستّة نفر من المهاجرين الأوّلين الّذين قبض رسول اللّه (ص) وهو عنهم راضٍ ليختاروا أحدهم لإمامتكم ـ وسمّاهم ، ثمّ قال لأبي طلحة زيد بن سهل

١١٨) وقريب منه ما في طبقات آبن سعد ج ٣ ق ١ ص ٢٤٧ . وراجع ترجمة عمر من الاستيعاب ومنتخب الكنز ج٤ ص ٤٢٩ .

١١٩) المقنب: جماعة من الخيل تجتمع للغارة.

الخزرجي : آختر خمسين رجلاً من الأنصار يكونوا معك ، فإذا توفّيت فآستَحِثَّ هؤلاء النفر حتّى يختاروا لأنفسهم وللأمّة أحدهم ولا يتأخّروا عن أمرهم فوق ثلاث . وأمر صهيباً أن يصلّي بالناس إلى أن يتّفقوا على إمام . وكان طلحة بن عبيد اللّه غائباً في ماله بالسراة[١٢٠]، فقال عمر: إن قدم طلحة في الثلاثة الأيام ، وإلّا فلا تنتظروه بعدها وأبرموا الأمر وآصرموه ، وبايعوا من تتّفقون عليه ، فمن خالف عليكم فآضربوا عنقه . قال : فبعثوا إلى طلحة رسولاً يستحثّونه ويستعجلونه بالقدوم ، فلم يرد المدينة إلّا بعد وفاة عمر والبيعة لعثمان . فجلس في بيته وقال : أعلىٰ مثلي يُفتات! فأتاه عثمان ، فقال له طلحة : إن رددت أتردّه ؟ قال : نعم . قال : فانّي أمضيته . فبايعه . وقريب منه ما في العقد الفريد ٧٣/٣ .

وروى في ص ٢٠ منه ، قال :

فقال عبد اللّه بن سعد بن أبي سرح : ما زلت خائفاً لأن ينتقض هذا الأمر حتّى كان من طلحة ما كان ، فوصلَته رَحِم ولم يزل عثمان مكرماً لطلحة حتّى حُصِر فكان أشدَّ الناس عليه .

وروى البلاذري في ١٨/٥ من كتابه أنساب الأشراف بسند آبن سعد قال:

(قال عمر : ليتبع الأقل الأكثر ، فمن خالفكم فآضربوا عنقه) .

وروى في ص ١٩ منه : عن أبي مِخْنَف أنّه قال :

(أمر عمر أصحاب الشورى أن يتشاوروا في أمرهم ثلاثاً ، فإن آجتمع آثنان على رجل وآثنان على رجل ، رجعوا في الشورى، فإن آجتمع أربعة على واحد وأباه واحد ، كانوا مع الأربعة ، وإن كانوا ثلاثة وثلاثة كانوا مع الثلاثة

١٢٠) السراة: الجبل الذي فيه طرف الطائف ويقال لأماكن أخرى. معجم البلدان.

الـذين فيهم آبن عوف إذ كان الثقة في دينه ورأيه المأمون للاختيار على المسلمين) . وقريب منه ما في العِقْد الفريد ٣/ ٧٤ .

وروى أيضاً عن هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، أنّ عمر قال : (إن آجتمع رأي ثلاثة وثلاثة فآتّبعوا صنف عبد الرّحمن بن عوف وآسمعوا وأطيعوا) وأخرجه آبن سعد في الطبقات ٣/ق ١/ ٤٣ .

وفي تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٦٠ : وروى البلاذري في أنساب الأشراف ٥/ ١٥ أنّ عمر قال :

(إنّ رجالاً يقولون إنّ بيعة أبي بكر فلتة وقى اللّه شرها ، وإنّ بيعة عمر كانت عن غير مشورة والأمر بعدي شورى ، فإذا آجتمع رأي أربعة فليتّبع الاثنان الأربعة ، وإذا آجتمع رأي ثلاثة وثلاثة فاتّبعوا رأي عبدالرّحمن بن عوف فآسمعوا وأطيعوا وإن صفّق عبد الرّحمن بإحدى يديه على الأخرى فاتّبعوه) .

وروى المتّقي في كنز العمال ٣/ ١٦٠ ، عن محمّد بن جُبَير عن أبيه ، أنّ عمر قال :

(إن ضرب عبد الرّحمن بن عوف إحدى يديه على الأخرى فبايعوه) .

وعن أسلم أنّ عمر بن الخطاب قال :

(بايعوا لمن بايع له عبد الرّحمن بن عوف ، فمن أبى فآضربوا عنقه) .

ومن كلّ هذا يظهر أنّ الخليفة كان قد جعل أمر الترشيح بيد عبد الرّحمن بن عوف ، وبيّت معه أن يشترط في البيعة العمل بسيرة الشيخين ، وهم يعلمون أنّ الإمام عليّاً يأبىٰ أن يجعل العمل بسيرة الشيخين في عداد العمل بكتاب اللّه وسنّة رسوله (ص) وأنّ عثمان يوافق على ذلك ، فيبايع عثمان بالخلافة ، ويخالفهم الإمام علي فيعرض على السيف .

والدليل على ما قلنا بالإضافة إلى ما سبق ، ما رواه آبن سعد في طبقاته

عن سعيد بن العاص ما خلاصته : أنّ سعيد بن العاص أتى الخليفة عمر يستزيده في الأرض ليوسّع داره ، فوعده الخليفة بعد صلاة الغداة وذهب معه حينئذ إلى داره . قال سعيد :

(فزادني وخطّ لي برجليه فقلتُ : يا أمير المؤمنين زدني فإنّه نبتت لي نابتة من ولد وأهل . فقال : حسبك واختبئ عندك ، إنّه سيلي الأمر من بعدي من يصل رحمك ويقضي حاجتك . قال : فمكثت خلافة عمر بن الخطاب حتّى استخلف عثمان وأخذها عن شورى ورضيً فوصلني وأحسن وقضى حاجتي وأشركني في أمانته)[121].

إذاً فالخليفة عمر قد أنبأ سعيد بن العاص أنّه سيلي بعده ذو رحم سعيد وهو عثمان وطلب منه أن يخبئ الأمر عنده؛ ويتّضح من هذه المحاورة أنّ أمر تولية عثمان الخلافة كان قد بُتَّ فيه في حياة الخليفة عمر ، وتعيين الستّة في الشّورى كان من أجل تمرير هذا الأمر بصورة مرضية لدى الجميع .

أمّا تعريض الإمام علي للقتل فممّا يدلّ عليه بالإضافة إلى ما مرّ ما رواه ابن سعد أيضاً بترجمة سعيد بن العاص : أنّ عمر بن الخطاب قال لسعيد بن العاص : (مالي أراك معرضاً كأنّك ترى أنّي قتلت أباك ؟ ما أنا قتلته ولكنّه قتله علي بن أبي طالب)[122] وكان قد قتله ببدر .

أليس في هذا القول تحريش على الإمام عليّ وإثارة للضغائن عليه .

الإمام علي (ع) يعلم بأنّ الخلافة زويت عنه

كان الإمام عليّ يعلم بأنّ الخلافة زُويت عنه وإنّما اشترك معهم في

١٢١) بترجمة سعيد بن العاص من الطّبقات، ط. أوربا ٥/ ٢٠ ـ ٢٢ .

١٢٢) سعيد بن العاص بن سعيد بن أُحيحة بن أميّة : توفي رسول الله (ص) وهو ابن تسع سنين أو نحوه طبقات ابن سعد ٥/ ٢٠ ـ ٢٢ .

الشّورى كي لا يقال: هو الّذي زهد في الخلافة . ويدلّ على أنّه كان يعلم ما بيِّت له، الحديث الآتـي :

روى البلاذري فـي ١٩/٥ من كتابه أنساب الأشراف :

إنّ عليّاً شكا إلى عمّه العبّاس ما سمع من قول عمر : كونوا مع الّذين فيهم عبـد الـرَّحمن بن عوف ، وقال : واللّه لقـد ذهب الأمـر منّا . فقال العبّاس : وكيف قلت ذلك يا ابن أخي ؟ فقال : إنّ سعداً لا يخالف آبن عمِّـه عبـد الـرّحمن وعبـد الرّحمن نظير عثمان وصهره فأحدهما لا يخالف صاحبه لا محالة ، وإن كان الزبير وطلحة معي فلن أنتفع بذلك إذ كان آبن عوف في الثلاثة الآخرين . وقال آبن الكلبي : عبد الرَّحمن بن عوف زوج أمّ كلثوم بنت عقبة بن أبـي مُعيط وأمّها أرْوى بنت كُرَيْز وأروى أمّ عثمان فلذلك قال صهره . وقريب منه ما في العقد الفريد ٧٤/٣ .

وروى في ص ٢١ منه عن أبـي مِخْنَف قال :

لما دفن عمر أمسك أصحاب الشورى وأبو طلحة يؤُمُّهم فلم يحدثوا شيئاً، فلمّا أصبحوا جعل أبو طلحة يَحوشُهم للمناظرة في دار المال، وكان دفن عمر يوم الأحد وهو الرابع من يوم طُعِنَ، وصلّى عليه صهيب بن سِنان . قال: فلمّا رأى عبد الرَّحمن تناجي القوم وتناظرهم وأنَّ كلّ واحد منهم يدفع صاحبه عنها، قال لهم: يا هؤلاء أنا أُخرج نفسي وسعداً على أن أختار يا معشر الأربعة أحـدكم، فقـد طال التنـاجي وتطلّع الناس إلى معرفة خليفتهم وإمامهم، واحتاج من أقام الانتظار ذلك من أهل البلدان الرجوع إلى أوطانهم، فأجابوا إلى ما عرض عليهم إلاّ عليّاً فإنّه قال: أنظر.

وأتاهم أبو طلحة فأخبره عبد الرَّحمن بما عرض وبإجابة القوم إيّاه إلاّ عليّاً فأقبـل أبـو طلحة على علـيّ ، فقال: يا أبا الحسن إنّ أبا محمّد ثقة لك وللمسلمين، فما بالك تخالف وقد عدل الأمر عن نفسه، فلن يتحمَّل المأثم

لغيره ؟فأحلف عليّ عبد الرَّحمن بن عوف أن لا يميل إلى هوى و أن يُؤثر الحق و أن يجتهد للأمّة، و أن لا يُحابي ذا قرابة،فحلف له، فقال: اختر مسدَّداً.
و كانَ ذلك في دار المال و يقال في دار المِسْوَر بن مَخرمَة.

ثم إنَّ عبد الرَّحمن أحلف رجلاً رجلاً منهم بالأيمان المغلظة، و أخذ عليهم المواثيق و العهود أنّهم لا يخالفونه إن بايع منهم رجلاً و أن يكونوا معه على من يناويه،فحلفوا على ذلك، ثمّ أخذ بيد علـيّ فقال له: عليك عهد اللّه وميثاقه إن بايعتك أن لا تحمل بني عبد المطَّلب على رقاب الناس، ولتسيرنَّ بسيرة رسول اللّه (ص) لا تحول عنها و لا تقصر في شيء منها، فقال علـيّ: لا أحمل عهد اللّه و ميثاقه على ما لا أُدركه و لا يدركه أحد. من ذا يطيق سيرة رسول اللّه (ص) و لكنّي أسير من سيرته بما يبلغه الاجتهاد منّي، و بما يمكنني و بقدر علمي. فأرسل عبد الرَّحمن يده. ثمّ أحلف عثمان و أخذ عليه العهود و المواثيق أن لا يحمل بني أُميَّة على رقاب الناس وعلى أن يسير بسيرة رسول اللّه (ص) و أبي بكر وعمر و لا يخالف شيئاً من ذلك، فحلف له. فقال علـيّ: قد أعطاك أبو عبد اللّه الرِّضا فشأنك فبايعه. ثمّ إنّ عبد الرَّحمن عاد إلى علـيّ فأخذ بيده وعرض عليه أن يحلف بمثل تلك اليمين أن لا يخالف سيرة رسـول اللّه وأبـي بكر وعمر، فقال علـيّ: عَلـيَّ الاجتهاد، وعثمان يقول: نعم، علَـيَّ عهد اللّه وميثاقه وأشدّ ما أخذ على أنبيائه أن لا أُخالف سيرة رسـول اللّه (ص) وأبـي بكـر وعمـر في شيء ولا أقصر عنها. فبايعه عبد الرَّحمن و صافحه وبايعه أصحاب الشورى، وكان علـيّ قائمًا، فقعد، فقـال له عبـد الرحمن: بايع وإلاّ ضربت عنقك. ولم يكن مع أحد يومئذ سيف، فيقال: إنّ عليّاً خرج مغضباً فلحقه أصحاب الشورى، فقالوا: بايع وإلّا جاهدناك، فأقبل معهم يمشي حتّى بايع عثمان) اهـ.

في هذا الخبر حذف من أوّل قول عبد الرحمن (وسيرة الشيخين) ونقل

أوّل كلام الإمام عليّ بتصرُّف وحذف آخره؛ وتمام الخبر في الرواية الآتية:

في تاريخ اليعقوبي ١٦٢/١: أنّ عبد الرحمن خلا بعليّ بن أبي طالب، فقال: لنا اللّه عليك، إن وليت هذا الأمر، أن تسير فينا بكتاب اللّه وسنّة نبيّه وسيرة أبي بكر وعمر. فقال: أسير فيكم بكتاب اللّه وسنّة نبيّه ما استطعت. فخلا بعثمان فقال له: لنا اللّه عليك، إن وليت هذا الأمر، أن تسير فينا بكتاب اللّه وسنّة نبيّه وسيرة أبي بكر وعمر. فقال: لكم أن أسير فيكم بكتاب اللّه وسنّة نبيّه وسيرة أبي بكر وعمر. ثمّ خلا بعليّ فقال له مثل مقالته الأولى، فأجابه مثل الجواب الأول؛ ثمّ خلا بعثمان فقال له مثل المقالة الأولى، فأجابه مثل ما كان أجابه، ثمّ خلا بعليّ فقال له مثل المقالة الأولى، فقال: إنّ كتاب اللّه وسنة نبيّه لا يحتاج معهما إلى إجّيري[١٢٣] أحد،أنت مجتهد أن تزوي هذا الأمر عنّي. فخلا بعثمان فأعاد عليه القول، فأجابه بذلك الجواب، وصفق على يده.

وفي ذكر حوادث سنة ٢٣ من تاريخ الطبري ٢٩٧/٣، وكذلك ابن الأثير ٣٧/٣، قال الإمام عليّ لعبد الرحمن لـمّا بايع عثمان في اليوم الثالث:

«حبوته حبوة دهر، ليس هذا أول يوم تظاهرتم فيه علينا، فصبر جميل واللّه المستعان على ما تصفون. واللّه ما ولّيت عثمان إلا ليردّ الأمر إليك، واللّه كلّ يوم في شأن». وكذلك ورد في العقد الفريد ٧٦/٣، في العسجدة الثانية في الخلفاء وتواريخهم برقم: ٥.

بيعة الإمام علي (ع)

قتل عثمان وعاد إلى المسلمين أمرهم وانحلّوا من كل بيعة سابقة

١٢٣) الإجّيري بالكسر والتشديد: العادة والطريقة.

توثقهم، فتهافتوا على آبن أبي طالب يطلبون يده للبيعة؛ قال الطبري[١٢٤]:

فأتاه أصحاب رسول اللّه (ص) فقالوا:

إنّ هذا الرجل قد قتل ولا بدّ للناس من إمام ولا نجد اليوم أحقّ بهذا الأمر منك، لا أقدم سابقة، ولا أقرب من رسول اللّه (ص).

فقال: لا تفعلوا فإنّي أكون وزيراً خير من أن أكون أميراً.

فقالوا: لا، واللّه ما نحن بفاعلين حتّى نبايعك.

قال: ففي المسجد، فإنّ بيعتي لا تكون خفياً، ولا تكون إلّا عن رضى المسلمين....

وروى بسند آخر وقال:

اِجتمع المهاجرون والأنصار فيهم طلحة والزبير فأتوا عليّاً فقالوا: يا أبا الحسن، هلُمَّ نبايعك.

فقال: لا حاجة لي في أمركم. أنا معكم فمن آخترتم فقد رضيت به، فاختاروا.

فقالوا: واللّه ما نختار غيرك.

قال: فآختلفوا إليه بعد ما قتل عثمان (رض) مراراً ثمّ أتوه في آخر ذلك، فقالوا له:

إنّه لا يصلح الناس إلّا بإمرة وقد طال الأمر.

فقال لهم: إنّكم قد آختلفتم إليّ وأتيتم وإنّي قائل لكم قولاً إن قبلتموه قبلت أمركم وإلّا فلا حاجة لي فيه.

قالوا: ما قلت قبلناه إن شاء اللّه. فجاء فصعد المنبر فآجتمع الناس

---

١٢٤ الطبري ١٥٢/٥ ـ ١٥٣، وط. أوربا ٣٠٦٦/١. وراجع الكنز ١٦١/٣ ح ٢٤٧١ فإنّه يروي تفصيل بيعة عليّ ومجيء طلحة والزبير إليه وآمتناعه عن البيعة.... وكذلك حكاه آبن أعثم بالتفصيل في ص ١٦٠ ـ ١٦١ من تأريخه.

إليه.

فقال: إنّي قد كنت كارهاً لأمركم فأبيتم إلّا أن أكون عليكم. ألا وإنّه ليس لي أمر دونكم، ألا إنّ مفاتيح مالكم معي. ألاّ وإنّه ليس لي أن آخذ منه درهماً دونكم. رضيتم؟

قالو: نعم.

قال: اللّهمّ اشهد عليهم. ثمّ بايعهم على ذلك.

وروى البلاذري[125] وقال:

وخرج عليّ فأتى منزله، وجاء الناس كلّهم يهرعون إلى عليّ، أصحاب النبيّ وغيرهم، وهم يقولون: (إنّ أمير المؤمنين عليّ) حتّى دخلوا داره، فقالوا له: نبايعك، فمدّ يدك فإنّه لا بدّ من أمير. فقال عليّ: ليس ذلك إليكم إنّما ذلك إلى أهل بدر، فمن رضي به أهل بدر فهو خليفة. فلم يبق أحد من أهل بدر إلّا أتى عليّاً، فقالوا: ما نرى أحداً أحقّ بهذا الأمر منك.... فلمّا رأى عليّ ذلك صعد المنبر، وكان أوّل من صعد إليه فبايعه طلحة بيده، وكانت إصبع طلحة شلّاء فتطيّر منها عليّ وقال: ما أخلقه أن ينكث.

روى الطبري[126]: (أنّ حبيب بن ذؤيب نظر إلى طلحة حين بايع فقال: أوّل من بدأ بالبيعة يد شلّاء لا يتمّ هذا الأمر...) انتهى.

* * *

بعد دراسة الواقع التاريخي في إقامة الحكم في صدر الإسلام، ندرس في ما يأتي رأي المدرستين في الخلافة والإمامة ونبدأ بذكر آراء مدرسة الخلافة.

١٢٥) الأنساب ٥/ ٧٠. وقد روى الحاكم في المستدرك ٣/ ١١٤ تشاؤم علي من بيعة طلحة.
١٢٦) الطبري ٥/ ١٥٣ وط. اوربا ١/ ٣٠٦٨.

الفصل الثاني

بحوث مدرسة الخلفاء في الإمامة

رأي مدرسة الخلافة وما آستدلوا به
آراء أتباع مدرسة الخلفاء
وجوب طاعة الإمام وإن خالف الرسول (ص)
استدلال أتباع مدرسة الخلافة في القرون الأخيرة
مصطلحات بحث الإمامة والخلافة

دراسة آراء مدرسة الخلفاء في أمر الخلافة
الأول: مناقشة الاستدلال بالشورى
الاستدلال بالشورى بكتاب اللّه وسنة رسوله (ص)
الثاني: مناقشة الاستدلال بالبيعة
الثالث: مناقشة الاستدلال بعمل الصحابة

مناقشة الاستدلال بالشورى والبيعة وعمل الأصحاب

الرابع: مناقشة الاستدلال بأن الخلافة تقام بالقهر والغلبة
إطاعة الإمام الجائر المخالف لسنّة الرسول (ص)
خلاصة البحث

رأي مدرسة الخلافة و ما استدلّوا به

أولاً ـ قال الخليفة أبو بكر[1]:

لن يعرف هذا الأمر إلّا لهذا الحيّ من قريش هم أوسط العرب نسباً و داراً وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين: (عُمر وأبي عبيدة) فبايعوا أيّهما شئتم[2].

ثانياً ـ قال الخليفة عمر بن الخطاب[3]:

فلا يغترّنّ امرؤ أن يقول إنّما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمّت، ألا

١) أبوبكر، عبد الله بن أبي قحافة، عثمان بن عامر القرشي التيمي، وأمّه: أمّ الخير سلمى أوليلى بنت صخر التيمي. ولد بعد الفيل بسنتين أو ثلاث. صاحب الرسول (ص) في هجرته إلى المدينة وسكن (سُنح) خارج المدينة وكان يحلب للحيّ أغنامهم حتّى ولي الخلافة. إنتقل إلى المدينة بعد ستّة أشهر من ذلك، وتوفّي سنة ثلاث عشرة. وروى عنه أصحاب الصحاح ١٤٢ حديثاً. راجع ترجمته بأسد الغابة وفي تاريخ ابن الأثير ١٦٣/٢ في ذكر بعض أخباره. وجوامع السيرة ص: ٢٧٨.

٢) البخاري، كتاب الحدود، باب رجم الحبلى ١٢٠/٤.

٣) أبوحفص، عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، وأمّه: حنتمة بنت هاشم أو هشام بن المغيرة المخزومي. أسلم بعد نيف وخمسين بمكّة وشهد بدراً وما بعدها. إستخلفه أبوبكر في مرض موته، وتوفي من طعنة أبي لؤلؤة إياه، ودفن هلال محرم سنة ٢٤ هـ إلى جنب ←

وإنّها قد كانت كذلك ، ولكنّ اللّه وقىٰ شرّها ، وليس منكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر ، من بايع رجلاً عن غير مشورة من المسلمين فلا يُبايع هو ولا الّذي بايعه تَغرّة أن يقتلا[4] .

آراء أتباع مدرسة الخلفاء :

قال أقضى القضاة الماوردي (ت: ٤٥٠ هـ) في الأحكام السلطانية[5] والإمام علامة الزمان القاضي أبويعلى (ت: ٤٥٨ هـ) في الأحكام السلطانية[6]، كلاهما، قالا في كتابيهما :

الإمامة تنعقد من وجهين : أحدهما بآختيار أهل الحلّ و العقد، و الثاني بعهد الإمام من قبل.

فأمّا آنعقادها بآختيار أهل الحلّ و العقد ، فقد آختلف العلماء في عدد من تنعقد به الإمامة منهم على مذاهب شتّىٰ ، فقالت طائفة :

أبي بكر. روى عنه أصحاب الصحاح ٥٣٧ حديثاً. ترجمته في الاستيعاب و أسد الغابة و جوامع السيرة ص: ٢٧٦ .

٤) البخاري، كتاب الحدود، باب رجم الحبلى ٤/ ١٢٠ . و(التَّغرَّة): مصدر غررته: إذا ألقيته في الغرر وهي من التغرير، كالتعلة من التعليل، و المقصود أن الّذي يبايع آخر دون مشورة من المسلمين، فإنّهما قد غررا بالمسلمين و جزاء المبايع و المبايع له أن يقتلا. (راجع معاجم اللغة).

٥) الأحكام السلطانية لأبي الحسن عليّ بن محمد البصريّ البغدادي، ط. الثانية سنة ١٣٥٦ هـ ، ص ٧ ـ ١١ . و الماوردي نسبة إلى (بيع ماء الورد) كان من وجوه فقهاء الشافعية، له مصنّفات كثيرة .

٦) الأحكام السلطانية للشيخ أبي يعلى محمد بن الحسن الفراء الحنبلي ط. الأولى بمصر سنة ١٣٥٦ هـ، ص: ٧ ـ ١١ .

و إنّما اعتمدنا عليهما أكثر من غيرهما من كتب مدرسة الخلفاء، لأنّ هذا النوع من الكتب مثل كتاب الخراج لأبي يوسف، إنّما أُلّف لتدوين الأحكام الّتي تخصّ شؤون الحكم على رأي مدرسة الخلفاء و من أجل العمل به، خلافاً للكتب الّتي دوّنت في مقام المناظرة و ليس للعمل بها. و كلّ ما نورده في ما يلي من كلا الكتابين و ما انفرد به أحدهما ذكرنا ذلك في الهامش.

لا تنعقد إلاّ بجمهور أهل العقد و الحلّ من كلّ بلد ليكون الرضا به عامّاً و التسليم لإمامته إجماعاً، وهذا مذهب مدفوع ببيعة أبي بكر (رض) على الخلافة بآختيار من حضرها و لم ينتظر ببيعته قدوم غائب عنها.

و قالت طائفة أُخرى :

أقل من تنعقد به منهم الإمامة خمسة يجتمعون على عقدها أو يعقدها أحدهم برضا الأربعة آستدلالاً بامرين: أحدهما، أنّ بيعة أبي بكر (رض) آنعقدت بخمسة آجتمعوا عليها ثمّ تابعهم الناس فيها ، وهم عمر بن الخطاب ، و أبوعبيدة بن الجراح[٧]، وأسيد بن حضير ، وبشير بن سعد ، وسالم مولى أبي حذيفة (رض). و الثاني ، أنّ عمر (رض) جعل الشورى في ستّة ليعقد لأحدهم برضا الخمسة . وهذا قول أكثر الفقهاء و المتكلّمين من أهل البصرة .

وقال آخرون من علماء الكوفة :

تنعقد بثلاثة يتولاّها أحدهم برضا الاثنين ليكونوا حاكماً و شاهدين كما يصحّ عقد النكاح بوليّ و شاهدين.

٧) أبو عبيدة، عامر بن عبد اللّه بن الجراح: كان حفّاراً للقبور بمكّة شهد بدراً وما بعدها ومات بطاعون عمواس ـ كورة قرب بيت المقدس ـ سنة ١٨ هـ. روى عنه أصحاب الصحاح ١٤ حديثاً. ترجمته بأسد الغابة وجوامع السيرة ص: ٢٨٤، وطبقات آبن سعد، ط. أوربا ٢/٢/٧٤.

و أسيد بن حضير: مرّت ترجمته في ص ١٥٢ ، الهامش رقم (١٦).

و بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي: يقال اول من بايع أبا بكر ، وكان حاسداً لسعد بن عبادة، وقتل يوم عين التمر مع خالد. أخرج حديثه النسائي في سننه. راجع عبداللّه بن سبأ ١/٩٦. و التقريب ١/١٠٣. و أسد الغابة.

و أبو عبد اللّه، سالم مولى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة الأموي: كان من آصطخر فارس أعتقته ثبيتة الأنصارية زوج أبي حذيفة فتبناه أبو حذيفة و لذلك عدّ من المهاجرين.هاجر إلى المدينة قبل رسول اللّه و كان يؤم المهاجرين فيها و فيهم عمر بن الخطاب لأنه كان أقرأهم للقرآن، آخى الرسول بينه و بين معاذ من الأنصار. قتل يوم اليمامة. ترجمته بأسد الغابة و الإصابة.

وقالت طائفة أُخرى:

(تنعقد بواحد، لأنّ العبّاس[8] قال لعليّ رضوان اللّه عليهما: أُمدد يدك أبايعك، فيقول الناس عمّ رسول اللّه (ص) بايع آبن عمّه، فلا يختلف عليك آثنان، ولأنّه حكم وحكم واحد نافذ)[9].

(وأمّا آنعقاد الإمامة بعهد من قبله، فهو ممّا آنعقد الإجماع على جوازه ووقع الاتّفاق على صحّته لأمرين عمل المسلمون بهما ولم يتناكروهما، أحدهما: أنّ أبا بكر (رض) عهد بها إلى عمر (رض) فأثبت المسلمون إمامته بعهده).

والثاني أنّ عمر (رض) عهد بها إلى أهل الشورى... إلى قوله: لأنّ بيعة عمر (رض) لم تتوقف على رضا الصحابة، ولأن الإمام أحقّ بها)[10].

ونقل آختلاف العلماء في لزوم معرفة الإمام وأنّ بعضهم قال:

(واجب على الناس كلّهم معرفة الإمام بعينه وآسمه، كما عليهم معرفة اللّه ومعرفة رسوله).

ثمّ قال:

(والّذي عليه جمهور الناس، أنّ معرفة الإمام تلزم الكافّة بالجملة دون التفصيل)[11].

وأضاف قاضي القضاة أبو يعلى الفرّاء الحنبلي في الأحكام السلطانية[12].

٨) أبو الفضل، العبّاس بن عبد المطّلب، وأمّه: نتيلة بنت خباب النمري. شهد مع رسول اللّه بيعة العقبة وأسر في بدر ففدى نفسه وآبني أخويه عقيلاً ونوفلاً، هاجر قبل فتح مكة وشهده. استسقى به عمر بن الخطاب في عام الرمادة - عام الجدب والقحط -. توفّي سنة ٣٢ هـ. روى عنه أصحاب الصحاح ٣٥ حديثاً. ترجمته بأسد الغابة وجوامع السيرة ص: ٢٨١

٩) الأحكام السلطانية للماوردي ص: ٦ - ٧.

١٠) المصدر السابق ص: ١٠. ويظهر من أقوالهم بأنّهم يدينون بما وقع وأنّ الأمر الذي وقع هو الدين ولا يختلفون في ذلك وإنما الاختلاف في كيفية ما وقع.

١١) المصدر السابق ص: ١٥.

١٢) الأحكام السلطانية ص: ٧ - ١١.

على تلكم الأقوال قول بعضهم :

(إنّها تثبت بالقهر و الغلبة ، و لا تفتقر إلى العقد) .

(و من غلب عليهم بالسيف حتّى صار خليفة و سمّي أمير المؤمنين، فلا يحلّ لأحد يؤمن باللّه و اليوم الآخر أن يبيت و لا يراه إماماً برّاً كان أو فاجراً ، فهو أمير المؤمنين) .

و قال في الإمام يخرج عليه من يطلب الملك فيكون مع هذا قوم و مع هذا قوم : (تكون الجمعة مع من غلب) و آحتجّ بأنّ آبن عمر صلّى بأهل المدينة في زمن الحرّة و قال : (نحن مع من غلب)[١٣] .

وقال إمام الحرمين الجويني (ت: ٤٧٨ هـ) في باب الاختيار وصفته و ذكر ما ينعقد به الإمامة من كتاب الإرشاد :

(إعلموا أنّه لا يشترط في عقد الإمامة الإجماع ، بل تنعقد الإمامة و إن لم تجمع الأمّة على عقدها . و الدليل عليه أنّ الإمامة لـمّا عقدت لأبـي بكر آبتدر لإمضاء أحكام المسلمين ، و لم يتأنّ لانتشار الأخبار إلى من نأى من الصّحابة في الأقطار، و لم ينكر عليه منكر، و لم يحمله على التريُّث حامل . فإذا لم يشترط الإجماع في عقد الإمامة، لم يثبت عددٌ معدود، و لا حدٌّ محدود،

١٣) المصدر السابق ص ٧ ـ ٨ في طبعة و في أخرى ص ٢٠ ـ ٢٣ .

و آبن عمر، هو عبد اللّه بن عمر بن الخطاب، أمّه زينب بنت مظعون الجمحية . استصغره الرسول في أحد و شهد ما بعدها . روي عنه في الثناء على نفسه و أبيه روايات متعددة . أفتى ستّين سنة بعد رسول اللّه في الموسم . قالوا : كان جيّد الحديث، و لم يكن جيّد الفقه . لم يشهد شيئاً من الحروب مع عليّ ، ثمّ ندم من ذلك لـمّا حضرته الوفاة ، قال : (ما أجد في نفسي من الدنيا إلا أنّي لم أقاتل الفئة الباغية مع عليّ بن أبي طالب) . و كان سبب وفاته أنّ الحجّاج أمر رجلاً فوضع زجّ رمح مسموم على قدمه في الزحام فمات سنة ٧٣ هـ، و روى عنه أصحاب الصحاح ٢٦٣٠ حديثاً . ترجمته بأسد الغابة و سير النبلاء و جوامع السيرة ص ٢٧٥ .

فالوجه الحكم بأنّ الإمامة تنعقد بعقد واحد من أهل الحلّ و العقد)[١٤].

و قال الإمام ٱبن العربي (ت: ٥٤٣ هـ) :

(لا يلزم في عقد البيعة للإمام أن تكون من جميع الأنام، بل يكفي لعقد ذلك اثنان أو واحد)[١٥].

و قال الشيخ الفقيه الإمام العلّامة المحدّث القرطبي (ت: ٦٧١ هـ) في المسألة الثامنة في تفسير ﴿ إنّي جاعل في الأرض خليفة ﴾ البقرة/ ٣٠، من تفسير سورة البقرة:

(فإن عقدها واحد من أهل الحلّ و العقد، فذلك ثابت، و يلزم الغير فعله، خلافاً لبعض الناس حيث قال: لا تنعقد إلّا بجماعة من أهل الحلّ و العقد. و دليلنا أنّ عمر (رض) عقد البيعة لأبي بكر و لم ينكر أحد من الصحابة ذلك، فوجب ألا يفتقر إلى عدد يعقدونه كسائر العقود).

وقال الإمام أبو المعالي: (من ٱنعقدت له الإمامة بعقد واحد فقد لزمت، و لا يجوز خلعه من غير حدث و تغَير أمر، قال: و هذا مجمع عليه).

و قال في المسألة الخامسة عشرة من تفسير الآية:

(إذا ٱنعقدت الإمامة بٱتّفاق أهل الحلّ و العقد أو بواحد على ما تقدّم، وجب على النّاس كافّة مبايعته)[١٦].

وقال أقضى القضاة عضد الدين الأيجي (ت: ٧٥٦ هـ) في المواقف:

المقصد الثالث فيما تثبت به الإمامة، ما ملخّصه: أنّها تثبت بالنصّ من

١٤) الإرشاد في الكلام لإمام الحرمين عبد الملك بن عبد اللّه الجويني ط. القاهرة ١٣٦٩ هـ، ص ٤٢٤.

١٥) الإمام أبو بكر محمد بن عبد اللّه الإشبيلي المشهور بابن العربي في شرحه سنن الترمذي ١٣/ ٢٢٩.

١٦) القرطبي، هو أبو عبد اللّه محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي في كتاب جامع أحكام القرآن، ط. مصر سنة ١٣٨٧ هـ، ١/ ٢٦٩، ٢٧٢.

الرَّسول، ومن الإمام السابق بالإجماع، وتثبت ببيعة أهل الحلّ والعقد خلافاً للشيعة. دليلنا ثبوت إمامة أبي بكر (رض) بالبيعة.

وقال:

إذا ثبت حصول الإمامة بالاختيار والبيعة، فآعلم أنَّ ذلك لا يفتقر إلى الإجماع، إذ لم يقم عليه دليل من العقل أو السمع، بل الواحد والاثنان من أهل الحلّ والعقد كاف، لعلمنا أنَّ الصّحابة مع صلابتهم في الدين آكتفوا بذلك كعقد عمر لأبي بكر، وعقد عبد الرّحمن بن عوف لعثمان، ولم يشترطوا آجتماع من في المدينة فضلاً عن إجماع الأُمّة. هذا ولم ينكر عليهم أحدٌ، وعليه آنطوت الأعصار إلى وقتنا هذا[١٧].

ووافق القاضي الأيجي شرّاح كتابه كتاب المواقف مثل السيد الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦ هـ)[١٨].

وجوب طاعة الإمام وإن خالف الرسول (ص)

روى مسلم في صحيحه عن حذيفة قال: قال رسول اللّه:

«يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنّون بسنّتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشّياطين في جثمان إنس» قال:

قلت: كيف أصنع يا رسول اللّه إن أدركت ذلك؟ قال:

«تسمعُ وتُطيعُ للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فآسمع وأطع».

وروى عن آبن عباس أنّ رسول اللّه قال:

«من رأى من إمامه شيئاً يكرهه فليصبر، فإنّه من فارق الجماعة شبراً

١٧) المواقف في علم الكلام، ط. مصر ١٣٢٥ هـ، ٨/٣٥١ ـ ٣٥٣ تأليف القاضي عبد الرحمن بن أحمد الأيجي، توفّي بالسجن عام ٧٥٦ هـ.

١٨) السيد الشريف الجرجاني في شرحه على المواقف والّذي طبع مع الكتاب بمصر.

فمات، مات ميتة جاهليّة».

وفي أخرى:

«ليس أحد خرج من السلطان شبراً فمات عليه إلّا مات ميتة جاهلية».

وروي عن عبد اللّه بن عمر بن الخطاب أنّه حين كان من أمر الحرّة ما كان زمن يزيد بن معاوية قال: سمعت رسول اللّه (ص) يقول:

«من خلع يداً من طاعة لقي اللّه يوم القيامة لاحجّة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهليّة»[19].

وقال النووي في شرحه بباب لزوم طاعة الأمراء في غير معصية:

(وقال جماهير أهل السنّة من الفقهاء والمحدّثين والمتكلّمين: لا ينعزل بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق، ولا يخلع ولا يجوز الخروج عليه بذلك، بل يجب وعظه وتخويفه للأحاديث الواردة في ذلك). وقال قبله:

(وأمّا الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين وإن كانوا فسقة ظالمين، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته، وأجمع أهل السنّة أنّه لا ينعزل السلطان بالفسق)[20].

قال القاضي أبو بكر محمّد بن الطيّب الباقلاني (ت: ٤٠٣ هـ) في كتاب التمهيد[21] في باب ذكر ما يوجب خلع الإمام وسقوط فرض طاعته

١٩) صحيح مسلم ٦/ ٢٠ - ٢٢ كتاب الإمارة باب الأمر بلزوم الجماعة.

وروى الحديث عن حذيفة، وهو ابن اليمان العبسي، كان أبوه قد أصاب دماً في الجاهلية، فهرب الى المدينة، وتزوّج بها وحالف بني عبد الأشهل، وسمّي اليمان لمحالفته اليمانية واسمه حسل. شهد حذيفة الخندق وما بعدها، وولي لعمر المدائن، ومات بها سنة ستّ وثلاثين، أربعين ليلة بعد بيعة الإمام علي. روى عنه أصحاب الصّحاح ٢٢٥ حديثاً. ترجمته في الاستيعاب وأسد الغابة والإصابة وبجوامع السيرة ص ٢٧٧.

٢٠) ١٢/ ٢٢٩ في شرحه على صحيح مسلم، وراجع سنن البيهقي ٨/ ١٥٨ - ١٥٩.

٢١) ط. القاهرة ١٣٦٦ هـ.

ما ملخّصه:

(قال الجمهور من أهل الإثبات وأصحاب الحديث: لا ينخلع الإمام بفسقه وظلمه بغصب الأموال، وضرب الأبشار، وتناول النفوس المحرَّمة، وتضييع الحقوق، وتعطيل الحدود، ولا يجب الخروج عليه، بل يجب وعظه وتخويفه وترك طاعته في شيء ممّا يدعو إليه من معاصي اللّه. واحتجّوا في ذلك بأخبار كثيرة متظافرة عن النبيّ (ص) وعن الصَّحابة في وجوب طاعة الأئمَّة وإن جاروا واستأثروا بالأموال، وأنَّه قال (ع): اسمعوا وأطيعوا ولو لعبد أجدع، ولو لعبد حبشيّ، وصلّوا وراء كلّ برّ وفاجر. وروي أنَّه قال: أطِعْهم وإن أكلوا مالك، وضربوا ظهرك).

استدلال أتباع مدرسة الخلافة في القرون الأخيرة

في القرون الأخيرة غالباً ما يستدلّ أتباع مدرسة الخلافة على صحّة قيام حكم الخلافة في الماضي على أنّه كان قائماً على أساس الشّورى بين المسلمين للخليفة، وبعضهم يستنتج من ذلك أنّ الحكم الإسلاميّ أيضاً يقام اليوم على أساس البيعة فمن بايعه المسلمون أصبح حاكماً إسلاميّاً يجب على جميع المسلمين بذل الطّاعة له.

* * *

كان ذلكم رأي مدرسة الخلفاء في كيفية إقامة الحكم الإسلامي وأدلّتهم على ما يرتأون، وقبل البدء بدراسة ما ارتأوا وما استدلّوا عليه، ينبغي أن ندرس المصطلحات الّتي يدور عليها البحث في ما يأتي.

مصطلحات بحث الإمامة والخلافة

يدور بحث الإمامة و الخلافة على المصطلحات السبعة التالية :

أ ـ الشورىٰ

ب ـ البيعة

ج ـ الخليفة و خليفة اللّٰه في الأرض

د ـ أمير المؤمنين

هـ ـ الإمـام

و ـ الأمر و أولو الأمر

ز ـ الوصيّ و الوصيّة

و في ما يلي تعريف المصطلحات المذكورة آنفاً:

أوّلاً ـ الشورىٰ

التشاور، و المشاورة، و المشورة في لغة العرب: استخراج الرأي بمراجعة البعض البعض الآخر.

و شاوره: استخرج ما عنده من رأي.

و أشار عليه بالرأي، يشير: إذا ما وجه الرأي.

﴿ وأمرهم شورىٰ بينهم ﴾ الشورى/٣٨ من صار هذا الشيء شورىٰ بين القوم إذا تشاوروا فيه[١].

لم يتغيّر معنى مشتقّات هذه المادّة في آستعمال القرآن الكريم ، و الحديث الشريف ، ولدى المسلمين عمّا كانت عليه فى لغة العرب ، و إنّما الكلام في مورد الشورى و المشاورة في الشرع الإسلاميّ و حكمها . كما سيأتـي بيانه بَعيد هذا ان شاء اللّه .

ثانياً ـ البيعة

أ ـ البيعة في لغة العرب :

البيعة في لغة العرب : الصفقة على إيجاب البيع[٢] ، و صفق يده بالبيعة و البيع ، و على يده صفقاً : ضرب بيده على يده عند وجوب البيع ، و تصافقوا : تبايعوا[٣] . كان هذا معنى البيعة لدى العرب .

أمّا العهد و الحلف : فقد كانت العرب تعقد الحلف و العهد بأساليب مختلفة ، مثل ما فعل بنو عبد مناف حين أرادوا أنْ يقاتلوا بني عبد الدار على من يقوم بحجابة البيت و سقاية الحاجّ و غيرهما من أعمال السيادة بمكة .

فروى آبن إسحاق أنّ بني عبد مناف أخرجوا جفنة مملوءة طيباً فوضعوها في المسجد عند الكعبة ، ثم غمسوا أيديهم فيها ، و تعاقدوا و تعاهدوا هم و حلفاؤهم ، ثمّ مسحوا الكعبة بأيديهم توكيداً على أنفسهم وسمّوا (المطيبين)[٤] .

و روى ـ أيضاً ـ في أمر تجديد الكعبة : أنّ البنيان عندما بلغ موضع

١) راجع مادة : (شور) من : مفردات الراغب . ولسان العرب . ومعجم ألفاظ القرآن الكريم .
٢) لسان العرب ، مادة : (بيع) .
٣) لسان العرب ، مادة : (صفق) .
٤) سيرة آبن هشام ١/ ١٤١ ـ ١٤٣

الركن آختصموا فيه، كلّ قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأُخرى، حتّى تحاوروا وتحالفوا، وأعدّوا للقتال، فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دماً، ثمّ تعاقدوا هم وبنو عدي بن كعب بن لؤي على الموت، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة، فسمّوا (لعقة الدم)*.

ب ـ البيعة في الإسلام

كانت البيعة،أي: صفق اليد على اليد، في لغة العرب علامة على وجوب البيع، وأصبحت في الإسلام علامة على معاهدة المبايع المبايع له أن يبذل له الطاعة في ما تقرّر بينهما، ويقال: بايعه عليه مبايعة: عاهده عليه.

وورد في القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿ إنّ الّذين يبايعونك إنّما يبايعون اللّه يد اللّه فوق أيديهم فمن نكث فإنّما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه اللّه فسيؤتيه أجراً عظيماً ﴾ الفتح / ١٠.

ونذكر من سنّة الرسول (ص) ثلاث مرّات أخذ الرسول (ص) فيها البيعة من المسلمين:

١ـ البيعة الأولى

إنّ أول بيعة جرت في الإسلام بيعة العقبة الأولى، أخبر عنها عبادة بن الصامت وقال:

(وافى موسم الحج من الأنصار آثنا عشر رجلاً ممن أسلم منهم في المدينة، وقال عبادة:

بايعنا رسول اللّه (ص) بيعة النساء وذلك قبل أن يفترض علينا الحرب، على أن لا نشرك باللّه شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا،

*) سيرة آبن هشام ١/ ٢١٣.

ولا نأتـي ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف، فإن وفيتم فلكم الجنّة، وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأخذتم بحدّه في الدنيا فهو كفّارة له، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى اللّه عزّ وجلّ؛ إن شاء عذّب، وإن شاء غفر[6]. وسمّيت هذه البيعة ببيعة العقبة الأولى).

٢ـ البيعة الثانية الكبرى بالعقبة

روى كعب بن مالك وقال:

خرجنا من المدينة للحجّ وتواعدنا مع رسول اللّه (ص) العقبة أواسط أيّام التشريق، وخرجنا بعد مضيّ ثلث الليل متسلّلين مستخفين حتّى آجتمعنا في الشّعب عنـد العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلًا وآمرأتان، فجاء رسول اللّه (ص) ومعه عمّه العبّاس، فتكلّم رسول اللّه (ص) فتلا القرآن ودعا إلى اللّه ورغب في الإسلام ثمّ قال:

«أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون نساءكم وأبناءكم» فأخذ البَرَاء بن معـرور بيده ثم قال: نعم والّذي بعثك بالحقّ لنمنعنّك مما نمنع به أُزُرَنا[7]، فبايعنا يا رسول اللّه فنحن واللّه أهل الحروب. . . .

فقال أبو الهيثم بن التيّهان: يا رسول اللّه إنّ بيننا وبين الرجال حبالاً، وإنّا قاطعوها (يعني اليهود) فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثمّ أظهرك اللّه أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ فتبسّم رسول اللّه (ص) ثمّ قال: «بل الدم الدم والهدم الهدم. . .» أي: ذمّتي ذمّتكم وحرمتي حرمتكم.

وقال رسول اللّه (ص): «أخرجوا إلـيّ منكم آثني عشر نقيباً ليكونوا على قومهم بما فيهم». فأخرجوا منهم آثني عشر نقيباً؛ تسعة من الخزرج وثلاثة ن الأوس، قال رسول اللّه (ص): «أنتم على قومكم بما فيكم كفلاء ككفالة

٦) سيرة آبن هشام ٢ / ٤٠ ـ ٤٢.
٧) أُزُرُنا: نساؤنا، والمرأة يكنّى عنها بالازار.

الحواريّين لعيسى بن مريم، وأنا كفيل على قومي» يعني: المسلمين. قالوا: نعم.

وآختلفوا فيمن كان أوّل من ضرب على يده، أسعد بن زرارة أم أبوالهيثم بن التيّهان[8].

٣- بيعة الرضوان ، او بيعه الشّجرة

في سنة سبع من الهجرة، استنفر رسول اللّه (ص) أصحابه للعمرة فخرج معه ألف وثلاثمائة، أو ألف وستّمائة، ومعه سبعون بدنة، وقال: لست أحمل السّلاح، إنّما خرجت معتمراً. وأحرموا من ذي الحليفة، وساروا حتّى دنوا من الحديبية على تسعة أميال من مكّة، فبلغ الخبر أهل مكّة فراعهم، وآستنفروا من أطاعهم من القبائل حولهم وقدّموا مائتي فارس عليهم خالد بن الوليد أو عكرمة بن أبي جهل، فآستعدّ لهم رسول اللّه (ص) وقال: إن اللّه أمرني بالبيعة. فأقبل النّاس يبايعونه على ألّا يفرّوا، وقيل: بايعهم على الموت، وأرسلت قريش وفداً للمفاوضة، فلمّا رأوا ذلك تهيّبوا وصالحوا رسول اللّه (ص)...[9].

هذه ثلاثة أنواع من البيعة على عهد الرسول (ص) وهي :

أ - البيعة على الإسلام.

ب - البيعة على إقامة الدولة الإسلامية.

ج - البيعة على القتال.

والبيعة الثالثة تجديد للبيعة الثانية، وذلك لأنّ الرسول (ص) كان قد آستنفرهم للعمرة. وبعد تبدّل الحالة من العمرة إلى القتال، كانت الحالة

٨) سيرة آبن هشام ٢/٤٧ - ٥٦.

٩) إمتاع الأسماع للمقريزي ص ٢٧٤ - ٢٩١.

الحادثة مخالفة للعمل الّذي استنفرهم له وخرجوا من أجله، فكأنّه كان مخالفاً لما عاهدهم عليه، فلذلك احتاج إلى أخذ البيعة للقيام بالعمل الجديد، وفعل ذلك وأعطى ثمره في إرعاب أهل مكّة، وحصول النتيجة المطلوبة.

ونختم البحث بستّ روايات وردت في البيعة وطاعة الإمام:

١ـ روى ابن عمر قال: كنا نبايع رسول اللّه (ص) على السّمع والطّاعة ثمّ يقول لنا: «فيما استطعت»[10].

٢ـ وفي رواية، وقال عليّ: «ما استطعتم»[11].

٣ـ وفي رواية، وقال جرير: قال: «قل: في ما استطعت»[12].

٤ـ وروى الهرماس بن زياد قال: مددت يدي إلى النبيّ (ص) وأنا غلام ليبايعني، فلم يبايعني[13].

وعن ابن عمر قال: قال رسول اللّه (ص):

«على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحبّ وكره، إلّا أن يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»[14].

١٠) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب البيعة، ح ٥، وصحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب البيعة على السمع والطاعة في ما استطاع، ح ٩٠، وسنن النسائي، كتاب البيعة، باب البيعة في ما يستطيع الإنسان.

١١) سنن النسائي، كتاب البيعة، باب البيعة في ما يستطيع الإنسان.

١٢) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب البيعة، ح ٥.

١٣) البخاري كتاب الأحكام، باب بيعة الصغير. وسنن النسائي، كتاب البيعة، باب بيعة الغلام.

والهرماس بن زياد، أبوحيدر البصري الباهلي: من قيس عيلان. مات باليمامة بعد المائة. راجع ترجمته بأسد الغابة، وتقريب التهذيب.

١٤) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، ح ٣. وصحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، ح ١٨٣٩. وسنن ابن ماجة، كتاب الجهاد، باب لا طاعة في معصية اللّه، ح ٢٨٦٣. وسنن النسائي، كتاب البيعة، باب جزاء من أمر بمعصية. ومسند أحمد ٢/١٧ و١٤٢.

٥ـ وعن آبن مسعود قال:

قال (ص): «سيلي أموركم بعدي رجال يطفئون السنّة ويعملون بالبدعة، ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها». فقلت: يا رسول اللّه ! إن أدركتهم كيف أفعل ؟ قال: «تسألني يا آبن أمّ عبد كيف تفعل ؟ لا طاعة لمن عصى اللّه»[١٥].

٦ـ وعن عبادة بن الصامت في حديث طويل آخره:

«فلا طاعة لمن عصى اللّه تبارك وتعالى فلا تعتلوا بربكم»[١٦].

وفي رواية:

«لا تضلوا بربّكم»[١٧].

يتّضح لنا من دراسة البيعة في سنّة الرسول (ص) أنّ للبيعة ثلاثة أركان:

أ ـ المبايع.

ب ـ المبايع له.

ج ـ المعاهدة على الطّاعة للقيام بعمل ما.

وتقوم البيعة أولاً على تفهّم ما يطلب الطاعة على القيام به، ثمّ تنعقد المعاهدة بضرب يد المبايع على يد المبايع له بالكيفيّة الواردة في السنّة، والبيعة على هذا مصطلح شرعيّ، غير أنّ شروط تحقّق البيعة المشروعة في الإسلام غير واضحة لكثير من المسلمين اليوم، فنقول:

تنعقد البيعة في الإسلام إذا توفرت فيها الشروط الثلاثة التالية:

١٥) سنن ابن ماجة ٩٥٦/٢، ح ٢٨٦٥. ومسند أحمد ٤٠٠/١ وفي لفظ: ليس طاعة لمن عصى اللّه.

١٦) مسند أحمد ٣٢٥/٥ عن عبادة بن الصامت وأنه روى الحديث في دار عثمان عندما شكاه معاوية إلى عثمان فجلبه عثمان إلى المدينة، ومختصر الحديث برواية عبادة في ص ٣٢٩ منه.

١٧) تهذيب تاريخ آبن عساكر ٢١٥/٧.

أ ـ أن يكون المبايع ممن تصحّ منه البيعة، ويبايع مختاراً .
ب ـ أن يكون المبايع له ممّن تصحّ مبايعته .
ج ـ أن تكون البيعة لأمر يصحّ القيام به .

وعلى ما بيّنّا لا تصحّ البيعة من صبيّ أو مجنون، لأنّهما غير مكلّفين بالأحكام في الإسلام، ولا تنعقد بيعة المكره، لأنّ البيعة مثل البيع، فكما لا ينعقد البيع بأخذ المال من صاحبه قهراً ودفع الثمن له، كذلك البيعة لا تنعقد بأخذها بالجبر وفي ظلّ السيف .

وكذلك لا تصحّ البيعة للمتجاهر بالمعصية، ولا تصحّ البيعة للقيام بمعصية اللّه . إذن فالبيعة مصطلح إسلاميّ، ولها أحكامها في الشرع الإسلاميّ .

الخلاصة :

البيعة في لغة العرب : الصفقة على إيجاب البيع . وفي الإسلام أمارة على معاهدة المبايع المبايع له على أن يبذل له الطاعة في ما تقرر بينهما، ولا تنعقد إذا لم تتوفر شروطها : فإنها لا تصحّ من صبي أو مجنون، ولا تنعقد البيعة من مكره ولا تصحّ للمتجاهر بالمعصية ولا تصحّ للقيام بمعصية اللّه .

وقد بايع رسول اللّه (ص) على الإسلام أوّلاً، وعلى إقامة الدولة الإسلامية ثانياً، كما بايع المسلمين على القتال، وأشار اللّه سبحانه وتعالى إلى الأخير في قوله تعالى :

﴿ إنّ الّذين يبايعونك إنّما يبايعون اللّه يد اللّه فوق أيديهم ﴾ الفتح / ١٠ .

ثالثاً ـ الخليفة و خليفة اللّه في الأرض

أوّلاً ـ الخليفة و الخلافة:

الخلافة في لغة العرب: النيابة عن الغير[18] .

و الخليفة: من يخلف غيره، و يقوم مقامه، و يسدّ مسدّه[19] .

و بهذا المعنى ورد في القرآن الكريم، في قوله تعالى:

أ ـ في سورة الاعراف :

﴿ وآذكُروا إذ جَعلَكُم خُلفاءَ مِن بعدِ قَوم نُوح . . . ﴾ (۶۹).

﴿ وآذكُروا إذ جَعلكُم خُلفاءَ مِن بعدِ عاد . . . ﴾ (۷۴).

﴿ فَخَلفَ مِن بَعدِهم خَلفٌ ورثوا الكتاب . . . ﴾ (۱۶۹).

ب ـ في سورة مريم :

﴿ فخَلفَ مِن بعدِهم خَلفٌ أَضاعُوا الصلاة . . . ﴾ (۵۹).

ج ـ في سورة الأنعام :

﴿ إن يَشأ يُذهِبْكم ويَستخلِف مِن بعدِكم ما يَشاء . . . ﴾ (۱۳۲).

و كذلك ورد في غيرها و نظائرها من آيات كريمة.

و ورد في المعنى اللغوي ـ أيضاً ـ في حديث الرسول (ص) في قوله:

۱۸) مفردات الراغب، مادة: (خلف).

۱۹) نهاية اللغة، لابن الأثير، و لسان العرب، مادة (خلف).

« اللهمّ آرحم خلفائي، اللهمّ آرحم خلفائي، اللهمّ آرحم خلفائي » .

قيل له: يا رسول اللّه (ص) من خلفاؤك ؟

قال: « الذين يأتون من بعدي يروون حديثي و سنّتي » .

و آستعمل ـ أيضاً ـ في المعنى اللغوي في عصر الصحابة كالآتي :

أ ـ على عهد الخليفة الأول :

قال آبن الأثير في نهاية اللّغة :

وفي حديث أبي بكر ، جاءه أعرابيّ فقال له: أنت خليفة رسول اللّه ؟

فقال : لا .

فقال : ما أنت ؟

قال : أنا الخالفة من بعده .

قال آبن الأثير: الخالفة: الّذي لا غناء عنده ولا خير فيه، وإنّما قال ذلك تواضعاً. . .[٢٠].

ب ـ على عهد الخليفة الثاني :

روى السيوطي (ت: ٩١١ هـ) في تاريخه وقال: (فصل في نبذ من أخباره وقضاياه) أخرج العسكري في (الأوائل) و الطبراني في (الكبير) و الحاكم في (المستدرك): «أنّ عمر بن عبدالعزيز سأل أبا بكر بن سليمان بن أبي حثمة: لأيّ شيء كان يكتب: « من خليفة رسول اللّه (ص) » في عهد أبي بكر ؟ ثمّ كان عمر كتب أوّلاً: « من خليفة أبي بكر »،فمن أوّل من كتب: « من أمير

٢٠) و عن آبن الأثير نقل ذلك في لسان العرب .

المؤمنين » ؟ فقال: حدّثتني الشفاء ـ وكانت من المهاجرات ـ أنّ أبا بكر كان يكتب: من خليفة رسول اللّه، وكان عمر يكتب: من خليفة خليفة رسول اللّه، حتى كتب عمر إلى عامل العراق أن يبعث إليه رجلين جلدين يسألهما عن العراق وأهله، فبعث إليه لبيد بن ربيعة وعديّ بن حاتم، فقدما المدينة، ودخلا المسجد، فوجدا عمرو بن العاص، فقالا: إستأذن لنا على أمير المؤمنين: فقال عمرو: أنتما واللّه أصبتما آسمه. فدخل عليه عمرو، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين. فقال: ما بدا لك في هذا الاسم ؟ لتخرجنّ ممّا قلت. فأخبره وقال: أنت الأمير ونحن المؤمنون، فجرى الكتاب بذلك من يومئذ ».

وروى عن النووي في تهذيبه، وقال:

قال عمر للناس: أنتم المؤمنون وأنا أميركم، فسُمّي أمير المؤمنين، وكان قبل ذلك يقال له: خليفة خليفة رسول اللّه، فعدلوا عن تلك العبارة لطولها[٢١].

٢١) تاريخ السيوطي، ط. مطبعة السعادة بمصر، ١٣٧١ هـ، ص ١٣٧ ـ ١٣٨. والحاكم في المستدرك ٣/٨١ ـ ٨٢. والأوائل للعسكري ص ١٠٣ ـ ١٠٤.

ثانياً: خليفة اللّه في الأرض :

١ - في المصطلح الإسلامي :

ورد « خليفة اللّه في الأرض » في المصطلح الإسلامي بمعنى من آصطفاه اللّه من البشر وجعله إماماً للناس وحاكمًا.

وقد ورد بهذا المعنى في قوله تعالىٰ في سورة البقرة:

﴿ وإذ قال ربّك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة. . . ﴾ (٣٠).

وفسرّ بعضهم الآية بأنَّ اللّه تعالى جعل آدم (ع) خليفته في الأرض؛ وفسّرها آخرون بأنّ اللّه تعالى جعل نوع الإنسان خليفته في الأرض، ويؤيد التفسير الأوّل قوله تعالى في سوره (ص) :

﴿ يا داود إنّا جعلناك خليفة في الأرض فآحكم بين الناس. . . ﴾ (٢٦).

فإنّه لو كان معنى الآية الأولى: إنّ اللّه جعل نوع الإنسان خليفته في الأرض فلا معنى عندئذ لتخصيص داود (ع) بجعله خليفة اللّه في الأرض من بين نوعه الإنساني الذي كان اللّه قد جعله خليفته في الأرض قبل داود (ع) ومع

وقد آستعمل خليفة اللّه بهذا المعنى في روايات أئمة أهل البيت (ع)[٢٣].

جعل اللّه خلفاءه أئمة للناس:

وقـد جعـل اللّه تعالى خلفاءه في الأرض أئمة للناس وآتاهم الكتاب والنبـوة، كما أخبر اللّه تعالى عن إبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب في سورة الأنبياء وقال:

﴿ . . . وكلاًّ جعلنا صالحين * وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين ﴾ (٧٢ - ٧٣).

وقال جلَّ ذكره في سورة الأنعام :

﴿ وتلك حُجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ووهبنا له إسحق و يعقوب كُلاًّ هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون . . . * وزكـريا ويحـيىٰ وعيسىٰ و إلياس . . . * وإسـماعيل اليسـع ويونس ولوطـاً وكُلاّ فضلنـا على العـالمين * . . . وآجتبينـاهم

٢٣) راجع البحار (٢٦/٢٦٣) الحديث (٤٧) نقلا عن كنز الفوائد للكراجكي، والكافي (٢٠٠/)، ومن لا يحضره الفقيه (٢/٣٦٩ و ٣٧١).

و هديناهم إلى صراط مستقيم * . . . أُولئك الذين آتيناهم الكتاب و الحكم و النبوة ﴾ (٨٣ ـ ٨٩).

إذاً فإنّ من جعله اللّه خليفة في الأرض يحكم بين الناس، جعله ـ أيضاً ـ إماماً لهم يهديهم بكتاب اللّه و يبلغهم شريعته. و بناءً على ذلك يكون أهم وظائف خلفاء اللّه التبليغ. كما ورد التصريح بذلك في قوله تعالى:

أ ـ في سورة النحل:

﴿ فهل على الرسل إلاّ البلاغ المبين ﴾ (٣٥).

ب ـ في سورة النور (٥٤) و سورة العنكبوت (١٨):

﴿ و ما على الرسول إلاّ البلاغ المبين ﴾.

ج ـ و أمثالهما في سور:

آل عمران (٢٠)، و المائدة (٩٢، ٩٩)، و الرعد (٤٠)، و إبراهيم (٥٢)، و النحل (٣٥)، و الشورى (٤٨)، و الاحقاف (٣٥)، و التغابن (١٢).

ثمّ إنه لا يبلّغ عن اللّه عزّ وجل إلاّ رسول يوحىٰ إليه، أو وصيّ عيّنه اللّه لذلك. كما نجد مثالاً له في خبر تبليغ الآيات العشر الأُولى من سورة براءة كالآتي تفصيله.

أ ـ في مسند أحمد و غيره و اللفظ لمسند أحمد قال:

« عن علي قال:

لما نزلت عشر آيات من براءة على النبي صلّى اللّه عليه و سلم دعا النبيُّ صلّى اللّه عليه و سلم أبا بكر فبعثه بها ليقرأها على أهل مكّة، ثمّ دعاني النبيُّ صلّى اللّه عليه و سلم فقال لي:

أدرك أبا بكر ، فحيثما لحقته فخذ الكتاب منه فاذهب به إلى أهل مكّة فاقرأه عليهم ، فلحقته بالجحفة فأخذت الكتاب منه ، ورجع أبو بكر إلى النبيّ صلّى اللّه عليه وسلم فقال: يا رسول اللّه ! نزل فيَّ شيءٌ ؟ قال: لا . ولكن جبرئيل جاءني فقال: لن يؤدّي عنك إلاّ أنت أو رجل منك »[٢٤].

ب ـ في تفسير السيوطي عن أبي رافع قال:

بعث رسول اللّه (ص) أبا بكر (رض) ببراءة إلى الموسم ، فأتى جبرئيل عليه السلام فقال: إنّه لن يؤديها عنك إلاّ أنت أو رجل منك ، فبعث عليّاً رضي اللّه عنه على أثره حتّى لحقه بين مكّة و المدينة فأخذها فقرأها على الناس في الموسم[٢٥].

ج ـ وفي رواية أخرى عن سعد بن أبي وقاص قال:

« إنّ رسول اللّه (ص) بعث أبا بكر (رض) ببراءة إلى أهل مكّة ، ثمّ بعث عليّاً (رضي اللّه عنه) على أثره فأخذها منه . فكأنّ أبا بكر (رض) وجد في نفسه فقال النبيّ (ص) يا أبا بكر ! إنّه لا يؤدّي عنّي إلاّ أنا أو رجل منّي »[٢٦].

في هذا الخبر أرسل الرسول (ص) صحابيّهُ أبا بكر لتبليغ عشر آيات من صدر البراءة إلى المشركين في حجّ العام التاسع للهجرة ، فأتاه جبرئيل ـ أمين وحي اللّه ـ وقال له: إنّه لن يؤديها عنّك إلاّ أنت أو رجل منك . أي إن تبليغ

٢٤) مسند أحمد (١/١٥١) ، و تحقيق أحمد محمد شاكر (٢/٣٢٢) الحديث ١٢٩٦ ، و في الدرّ المنثور للسيوطي (٣/٢٠٩) ، وفيه عن أنس بن مالك وسعد بن أبي وقاص ، وجاء في لفظ سعد: « . . . فكأنّ أبا بكر (رض) وجد في نفسه فقال النبي (ص) يا أبا بكر ! إنّه لا يؤدّي عنّي إلاّ أنا أو رجل مني ».

٢٥) تفسير الدر المنثور للسيوطي ٣/٢١٠ .

٢٦) تفسير الدر المنثور للسيوطي ٣/ ٢٠٩ .

عشر آيات من سورة البراءة للمخاطبين بها مباشرة وظيفة تبليغية خاصة بالرسول، ولن يؤدي هذه الوظيفة عن الرسول إلّا هو أو رجل منه وهو عليّ بن أبي طالب وصيّه على شريعته. كما ستأتي الروايات في تعيين الوصيّ للرسول (ص) في بحث الوصيّة إن شاء اللّه تعالى، ومن ثمّ ندرك أنّ التبليغ عن اللّه مباشرة وظيفة و ولاية للرسول و وصيّه.

يؤتي اللّه خلفاءه ما يعجز عنه البشر :

أحياناً تقتضي حكمة اللّه أن يأتي خليفته ـ الذي جعله إماماً للناس ومبلغاً لكتابه و شريعته ـ بآية تدلُّ على صدقه في ما يبلّغ عن اللّه، وتسمى تلك الآية في العرف الإسلامي بالمعجزة؛ لعجز البشر عن الإتيان بمثلها.

كما أخبر اللّه تعالى عن بعض ما أتى به رسولاه موسى و عيسى (ع) وقال في خبر ما أتى به كليمه موسى عليه السلام :

أ ـ في سورة الاعراف :

﴿ فألقىٰ عصاه فإذا هي ثُعبان مبين ﴾ (١٠٧).

﴿ و نزَع يدَه فإذا هي بيضاءُ للناظرين ﴾ (١٠٨).

﴿ و أوحينا إلى موسىٰ أن ألقِ عصاك فإذا هي تلقفُ ما يأفكون ﴾ (١١٧).

﴿ و أوحينا إلى موسى إذ آستسقاهُ قومُه أنِ آضرب بعصاكَ الحجرَ فانبجست منه آثنتا عشرَةَ عيناً قد علمَ كلّ أُناسٍ مشربهم ﴾ (١٦٠).

ب ـ في سورة الشعراء :

﴿ فألقىٰ عصاه فإذا هي ثعبان مبين ﴾ (٣٢).

﴿ فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون ﴾ (٤٥).

﴿ فأوحينا إلى موسى ان آضرب بعصاك الحجرَ فآنفلقَ فكان كل فرقٍ

كالطود العظيم ﴾ (٦٣).

و أخبر جل ذكره عما آتى رسوله عيسى بن مريم (ع) في سورة المائدة، فقال تعالى:

﴿ . . . إذ أيدتـك بروح القـدس تكلِّم النـاس في المهـد وكهلاً وإذ علَّمتك الكتاب و الحكمة و التوراة و الإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني وتبرئ الأكمه و الأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني . . . ﴾ (١١٠).

وفي سورة آل عمران حكى عن عيسى (ع) أنّه قال:

﴿ . . . و أُحيي الموتىٰ بإذن اللّه و أُنبئكم بما تأكلون و ما تدَّخرون في بيوتكم . . . ﴾ (٤٩).

و أخبر تعالى عن ما آتىٰ داود وسليمان الوصيين على شريعته في سورة الأنبياء وقال عزّ اسمه:

﴿ وسخّرنا مع داود الجبال يُسبّحْن والطيْر . . . ﴾ (٧٩).

﴿ ولسليمانَ الـريحَ عاصفـة تجري بأمره . . . * ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملاً دون ذلك . . . ﴾ (٨١ ـ ٨٢).

وليس من الضروري أن يؤتـي اللّه جميع الأئمة جميع المعجزات كما لم يذكر سبحانه عن هود ولوط و شعيب أنّه آتاهم معجزات موسى وعيسى وداود وسليمان صلوات اللّه عليهم أجمعين، وكذلك لم يمكِّنِ الناس بعض الرسل من أن يحكموا بينهم بالعدل، وكذلك لم يتسنّ للرسول موسى (ع) ولخاتم الرسل محمد (ص) أن يحكما بين الناس في أوّل أمرهما، بينما هم أئمة خلفاء منذ بدء تكليفهم بالتبليغ. إذاً فإنّ الخلافة والإمامة ملازمتان لتعيين اللّه صفيّاً من أصفيائه لتبليغ كتابه و دينه، وليستا ملازمتينْ للحكم بين الناس وإتيان

المعجزات. وبناءً على ذلك فإن خليفة الله هو المبلغ عن اللّه.

كان ذلكم معنى خليفة اللّه في كتاب اللّه.

و ورد معنى خليفة الرسول (ص) في حديث الرسول (ص) كالآتـي:

«اللّهـم آرحم خلفائي، اللّهم آرحم خلفائي، اللّهم آرحم خلفائي».

قيل له: يا رسول اللّه! من خلفاؤك. ؟

قال: «الذين يأتون من بعدي يروون حديثي و سنتي»[٢٧].

إذاً فإن خليفة اللّه هو الذي عيّنه اللّه لتبليغ شريعته، وخليفة الرسول هو الذي يقوم بتبليغ حديث الرسول و سنته من تلقاء نفسه.

كذلـك آستعمـل مصـطلحـا خليفة اللّه و خليفة الرسول في الكتاب و السنّة و استعملا في مصطلح المسلمين كالآتـي بيانه:

٢ ـ الخليفة و خليفة اللّه في مصطلح المسلمين:

مرّ بنـا في بحث معنى الخليفة اللغوي أنّ أبا بكر كان يسمّى بخليفة رسول اللّه (ص) وعمر بخليفة خليفة رسول اللّه (ص)، و أنّه سمي بعد ذلك بأمير المؤمنين، و بقي ذلك متداولاً إلى آخر الخلفاء العثمانيين، و إلى جانب ذلك سُمِّي الحاكم الإسلامي الأعلى بما يأتـي:

أ ـ في العصر الأموي و العباسي:

تعارف أتباع مدرسة الخلفاء منذ العصر الأموي و إلى العصر العباسي على تسمية الحاكم الأعلى بخليفة اللّه.

فقد قال الحجاج في خطبة صلاة الجمعة:

٢٧) راجع مصادره في المجلد الثاني من هذا الكتاب (ط٣، ص ٥٨ ـ ٥٩)

فآسمعوا و أطيعوا لخليفة اللّه و صفيّه عبدالملك بن مروان[28].

و لـمّا قيل في مجلس المهديّ العباسيّ: إنّ الخليفة الأموي الوليد كان زنديقاً، قال المهدي:

خلافة اللّه عنده أجلُّ من أن يجعلها في زنديق[29].

و آشتهر ذلك على لسانهم في العصر الأموي و العصر العباسي، وورد ذكره في شعر الشعراء، كما قال جرير في قصيدة أنشدها في الخليفة عمر بن عبدالعزيز وقال:

خليفة اللّه ماذا تأمرون بنا لسنا إليكم ولا في دار منتظر[30]

و إنّ عمر بن عبدالعزيز مع آشتهاره بالتديُّن لم ينكر ذلك من قول جرير.

وقال ـ أيضاً ـ مروان بن أبي حفصة (ت: ١٨٢) في الخليفة أبي جعفر المنصور في قصيدته الّتي مدح بها معن بن زائدة الشيباني (ت: ١٥١هـ) حيث قال:

ما زلت يوم الهاشمية معلناً بالسيف دون خليفة الرحمن

فمنعت حوزته و كنت وقاءه من وقع كلِّ مهنَّد و سنان[31]

ب ـ في العصر العثماني:

في عصر العثمانيّين آستعمل لفظ الخليفة آسماً لسلطان المسلمين

٢٨) سنن أبي داود ٢/ ٢١٠، ح ٤٦٤٥ باب في الخلفاء

٢٩) تاريخ آبن الأثير ١٠/ ٧ ـ ٨.

٣٠) شرح شواهد المغني للسيوطي، ط منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ١/١٩٧.

٣١) الكنى و الألقاب للقمّي ١/٢٥٢.

الأعظم[٣٢]. بدون إضافة إلى (اللّه) أو (الرسول).

ج ـ في عصرنا :

اشتهر في عصرنا أنّ المقصود في قوله تعالى للملائكة: ﴿ إنّي جاعل في الأرض خليفة ﴾ أنّ اللّه تعالى جعل نوع الإنسان خليفته في الأرض[٣٣]. وبناءً عليه يكون معنى (خليفة اللّه في الأرض) نوع الإنسان، ومعنى (استخلف) و(يستخلف) وغيرهما ممّا ورد من مادّة (خلف) استخلاف نوع الإنسان، وآشتهر ـ أيضاً ـ أن المقصود في تسمية الحاكم الأعلى للمسلمين بالخليفة إلى آخر عصر الخلافة العثمانية أنّه خليفة رسول اللّه (ص) في الحكم على المسلمين. وعليه يكون معنى (الخليفة) خليفة رسول اللّه (ص)، ويصفون الخلفاء الأربعة بعد رسول اللّه (ص) بالراشدين دون من جاء بعدهم إلى آخر العثمانيين، واشتهرت هذه التسمية بين المسلمين حتّى اليوم.

انتقال مصطلح الخليفة من مدرسة الخلفاء إلى أتباع مدرسة أهل البيت (ع)

جرى بعد الرسول (ص) كل ذلك التبديل لمعنى (الخليفة) و(خليفة اللّه في الأرض) في مدرسه الخلفاء.

٣٢) راجع المعجم الوسيط، ماده. (خلف).

٣٣) قال سيد قطب في تفسير قوله تعالى: ﴿وإذ قال ربّك للملائكة إنّي جاعل في الأرض خليفة ﴾.

(وإذن فهى المشيئة العليا تريد أن تسلّم لهذا الكائن الجديد في الوجود زمام هذه الأرض وتطلق فيها يده...

وإذن فهذه منزلة عظيمة، منزله هذا الإنسان في نظام هذا الوجود على هذه الارض الفسيحة). تفسير في ظلال القرآن (١/٦٥ ـ ٦٦)

ويرى مؤلف كتاب (خليفة) وسلطان و. و. پارتولد، ترجمة ايزدي. ط. طهران ١٣٥٨، ص ١٦. أن هذا المعنى قد تسرّب إلى المجتمعات الإسلامية من أفكار أهل الكتاب.

راجع الملحق في آخر الكتاب.

وفي مدرسة أهل البيت (ع) ورد لفظ (خليفة الله في الأرض) في روايات أئمة أهل البيت (ع) بمعنى المصطلح الاسلامي كما أشرنا إليه.

و آنتقل مصطلح (الخليفة) بمعنى: خليفة رسول اللّه (ص) من مدرسة الخلفاء إلى أتباع مدرسة أهل البيت (ع) منذ القرن الخامس الهجري وحتّى اليوم. وآستندت مدرسة الخلفاء إلى عدم ورود (الخليفة) بالمعنى الذي استحدثوه بعدالرسول (ص) في حديث الرسول (ص)،وقالوا: إنّ الرسول (ص) ترك أُمّته هملاً ولم يعين المرجع من بعده.

وفي مقام الردّ عليهم آستند أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام إلى ما ورد عن الرسول (ص) في تعيين الإمام علي وصياً من بعده وقالوا: إن الرسول (ص) عيَّنه خليفة من بعده بالمعنى الذي آستحدث للخليفة بعد الرسول (ص) ولم يترك أُمّته هملاً[34]

جرى كل ذلك من أتباع المدرستين غفلة منهم عن أن المصطلح الذي أحدثته مدرسة الخلفاء بعد الرسول (ص) لم يكن ليرد في حديث الرسول (ص).

الخلاصة:

أ ـ خليفة الشخص في اللغة: من يقوم بعمله في غيابه، وقد ورد بالمعنى اللغوي في القرآن وحديث الرسول (ص) ومحاورات الصحابة.

ب ـ خليفة اللّه في الأرض في المصطلح الإسلامي: من يعيِّنه اللّه تعالى لتبليغ شريعته آخذاً من الوحي أو من الرسول (ص)، وللحكم بين الناس، ويؤتي بعضهم ما يعجز البشر عن الإتيان بمثله، وقد ورد بهذا المعنى في

٣٤) نجد بعض تلك الأدلة في كتاب (الألفين) للعلامة الحلي (ره).

القرآن و روايات أئمة أهل البيت (ع).

ج ـ خليفة الرسول في حديث الرسول (ص): من يقوم بتبليغ حديثه وسنّته.

د ـ في مصطلح المسلمين سُمّي أبو بكر بخليفة رسول اللّه (ص)، و سُمّي عمر بخليفة خليفة رسول اللّه، ثم سُمّي عمر بأمير المؤمنين و بقيت هذه التسمية للحاكم الإسلامي الأعلى إلى آخر الخلفاء العثمانيين، وفي العهدين الأموي و العباسي أُضيف إلى ذلك تسميته بخليفة اللّه، و إلى جانب ذين الاسمين آشتهرت تسمية الحاكم الأعلى في العهد العثماني بـ (الخليفة) أي خليفة الرسول، و آنتشرت هذه التسمية لدى المسلمين بعد العهد العثماني حتّى اليوم، وقيل لجميع من ولي الحكم بعد الرسول (ص) إلى العثمانيين بـ (الخليفة) أي خليفة الرسول (ص)، و سمّي الخلفاء الأربعة بعد الرسول (ص) بـ (الخلفاء الراشدين)، و آنتقل مصطلح (الخليفة) إلى أتباع مدرسة أهل البيت و سمّوا من وَلِيَ الحكم بعد الرسول (ص) إلى العثمانيين بـ (الخليفة)، وقد أدّت الغفلة عن هذا الأمر إلى التشويش على المسلمين فآشتهر لدى مدرسة الخلفاء أنّ الرسول (ص) ترك أُمّته هملاً و لم يعين المرجع من بعده لأن المصطلح الذي استحدثوه بعد الرسول (ص) لم يرد في حديث الرسول (ص)، و آستند أتباع مدرسة أهل البيت إلى ما ورد عن الرسول (ص) في تعيين الإمام عليّ وصيّاً بعده، وقالوا: إن الرسول (ص) عيّنه خليفة للمسلمين بالمعنى الذي استحدثه المسلمون للخليفة بعد الرسول (ص)، و آشتدّ الخلاف بين المسلمين في هذا الأمر.

و سيأتي البحث في ما فعله الرسول (ص)، و ما قاله في هذا الصدد يكشف عن حقيقة الأمر، بُعيد هذا إن شاء اللّه تعالى.

رابعاً ـ أمير المؤمنين

ممّا أوردنا سابقاً عرفنا أن لفظ أمير المؤمنين آستعمل منذ عصر الخليفة عمر بن الخطاب و أريد به الحاكم الإسلاميّ الأعلى، و بقي متداولاً كذلك إلى عصر العثمانيّين.

خامساً ـ الإمام

الإمام في اللّغة: الإنسان الّذي يؤتمّ به و يقتدى بقوله أو فعله محقّاً كان أو مبطلا[٣٥]، كما ورد في قوله تعالى:

﴿ يوم ندعو كلّ أناسٍ بإمامهم فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرءُون كتابهم ولا يظلمون فتيلاً * و من كان في هذه أعمىٰ فهو في الآخرة أعمى و أضلّ سبيلاً ﴾ الإسراء/٧١ ـ ٧٢.

و من الثّاني ما ورد ذكره في قوله تعالى:

﴿ فقاتلوا أئمة الكفر إنّهم لا أيمان لهم لعلّهم ينتهون ﴾ التوبة/١٢.

و الإمام في الإسلام هو الهادي إلى سبيل اللّه بأمرٍ من اللّه إنساناً كان كما ورد ذكره في قوله تعالى:

﴿ و إذ آبتلى إبراهيم ربّه بكلمات فأتمّهنّ قال إنّي جاعلك للناس إماماً قال و من ذرّيّتي قال لا ينال عهدي الظّالمين ﴾ البقرة/١٢٤.

و قوله تعالى: ﴿ و جعلناهم أئمة يهدون بأمرنا... ﴾ الأنبياء/٧٣.

أو كان كتاباً كما ورد ذكره في قوله تعالى:

﴿ و من قبلهِ كتاب موسى إماماً و رحمة ﴾ هود/١٧.

٣٥) راجع مادة (أمّ) في معاجم اللغة.

وندرك من فحوىٰ الآيتين المذكورتين أعلاه ان شرط الإمام في الإ
إن كان كتاباً أن يكون منزلاً من قبل اللّه على رسله لهداية النّاس كما كان
كتـاب محمّـد (ص): القـرآن الكـريم، ومن قبله كتاب موسى: التور
وكذلك شأن كتب سائر الأنبياء[36].

وإن كان إنساناً أن يكون معيّناً من قبل اللّه لقوله تعالى:

﴿ إني جاعلك للناس إماما ﴾ و﴿ عهدي ﴾.

وأن يكون غير ظالم لنفسه ولا لغيره أي غير عاصٍ للّه لقوله تعالى:
﴿ لا ينال عهدي الظّالمين ﴾.

وفي ضوء ما سبق يصحّ القول بأنّ الإمام في الاصطلاح الإسلامي هو:

أ ـ الكتاب المنزل من قبل اللّه على رسله لهداية النّاس.

ب ـ الإنسان المعيّن من قبل اللّه لهداية الناس وشرطه أن يكون معصوماً من الذنوب.

سادساً ـ الأمر وأولو الأمر

لمعرفة معنى (الأمر) و(أولي الأمر) وهل هما مصطلحان شرعيّان أم لا؟ نستعرض في ما يلي موارد استعمالهما في لغة العرب وعرف المسلمين والنصوص الإسلامية كتاباً وسنةً، فنقول:

أ ـ في لغة العرب

ورد في سيرة ابن هشام، والطّبري، وغيرهما، أنّ رسول اللّه كان يعرض نفسه في المواسم على قبائل العرب، يدعوهم إلى الإسلام، ويخبرهم أنه نبي

٣٦) راجع مادة: (الكتاب) في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

مرسل من قبل اللّه، ويسألهم أن يُصدّقوه ويمنعوه حتى يبيّن عن اللّه ما بعثه به.

قال: وإنّه أتى بني عامر بن صعصعة ذات مرّة فدعاهم إلى اللّه عزّوجلّ، وعرض عليهم نفسه، فقال له رجل منهم يقال له بيحرة بن فراس[37]: واللّه لو أنّي أخذت هذا الفتى من قريش لأكلتُ به العرب. ثمّ قال له: أرأيت إن نحن تابعناك على أمرك ثم أظهرك اللّه على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: «الأمر إلى اللّه يضعه حيث يشاء» قال: فقال له: أفنُهدف نحورنا[38] للعرب دونك فإذا أظهرك اللّه كان الأمر لغيرنا؟! لا حاجة لنا بأمرك[39].

* * *

إنّ هذا العربي كان يفهم (أمر رسول اللّه (ص)) على أنه سيادة وحكم على العرب، فأراد أن يعقد مع الرسول (ص) حلفاً يكون لقبيلته الحكم والسيادة على العرب من بعد الرسول (ص)، لكنّ الرسول (ص) امتنع من إجابته رغم حاجته الشديدة يومذاك إلى المؤازرين، لأنّ الأمر ليس إليه وإنّما الأمر إلى اللّه يضعه حيث يشاء.

وكذلك كان شأن هوذة بن عليّ الحنفي في طلبه من الرسول (ص) حين دعاه الرسول (ص) إلى الإسلام كما في طبقات ابن سعد، ما ملخّصه:

كتب رسول اللّه (ص) إلى هوذة بن عليّ الحنفي يدعوه إلى الإسلام،

٣٧) قال ابن هشام: فراس، ابن عبد الله بن سلمة بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. سيرة ابن هشام ٢/٣٣.

٣٨) (أفنهدف نحورنا) معناه نصيّرها هدفاً، والهدف: الغرض الّذي يرمى بالسهام إليه.

٣٩) سيرة ابن هشام ٢/٣١ ـ ٣٤. والطبري، ط. أوربا ١/١٢٠٥ ـ ١٢٠٦.

فكتب في جواب النبيّ (ص): ما أحسن ما تدعو إليه و أجمله، و أنا شاعر قومي و خطيبهم و العرب تهاب مكاني، فاجعل لي بعض الأمر أتّبعك، فقال النبي (ص): «لو سألني سيابة من الأرض ما فعلت»[٤٠].

نرى أن الرسول (ص) قصد من (سيابة): الأرض المهملة. إذن فقد طلب هوذة من الرسول (ص) أن يجعل له بعض الأمر: إمارة ما على أرض أو قبيلة و ما شابههما، فأجابه الرسول (ص) أنّه لا يؤمّره و لا على سيابة من الأرض، و هذا القول من الرسول (ص) نظير قول أهل الكوفة أو البصرة عندما وظّف واليهم على كلّ واحد منهم نقل كميّة من الحصباء إلى مسجدهم الجامع ليفرشه بالحصباء، و أمّر عليهم أحدهم و كان يتصعّب في قبول الحصباء منهم، فقالوا: يا حبّذا الإمارة و لو على الحجارة.! و كذلك الأمر في الخبر السابق، فإنّ هوذة طلب من الرسول الإمارة (و لو على الحجارة) فأجابه الرسول (ص): لا، و لا على الحجارة.

ب ـ في عرف المسلمين:

كان أكثر آستعمال (الأمر) في عرف المسلمين يوم السّقيفة و ما بعدها، قال سعد بن عبادة للأنصار يوم السقيفة:

(استبدّوا بهذا الأمر دون الناس...).

٤٠) طبقات آبن سعد، ط. أوربا ١/ق ٢/١٨.

و قالوا في السيابة: واحدة السياب: البسر الأخضر، و على هذا لم يكن من المناسب أن يقول و لا سيابة أي لا بسر من الأرض بل كان المناسب أن يقول و لا بسر من التمر. و نرى أن السيابة مشتقة من السيب و هو كلّ سيب و خلي، و منه السائبة: أي الدابة المهملة، و يكون المعنى: الأرض الخالية و المتروكة.

وأجابته الأنصار بقولهم: (نولّيك هذا الأمر).

ثمّ ترادوا الكلام وقالوا: فان أبت مهاجرة قريش فقالوا: . . . نحن عشيرته وأولياؤه فعلام تنازعوننا هذا الأمر من بعده ؟ . . .).

وقال أبوبكر في آحتجاجه عليهم يومذاك: (ولن يُعرف هذا الأمر إلاّ لهذا الحيّ من قريش. . .).

وقال ـ أيضاً ـ في قريش: (هم أحقّ الناس بهذا الأمر من بعده ولا ينازعهم ذلك إلاّ ظالم).

وقال عمر ـ أيضاً ـ يوم السقيفة: (من ذا ينازعنا سلطان محمّد وإمارته ونحن أهله وعشيرته).

وقال الحُباب بن المنذر في جوابه: (لا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر. . . فأنتم واللّه أحق بهذا الأمر. . .).

وقال بشير بن سعد عندئذ في حقّ قريش: (لا يراني اللّه أنازعهم هذا الأمر أبداً)[٤١].

ج ـ في النصوص الإسلامية:

لقد ورد في حديث الرسول ذكر (الأمر) كثيراً ممّا سندرسه في البحوث الآتية إن شاء اللّه تعالى.ونكتفي هنا بتسجيل كلمة الرسول (ص) في جواب العامري:

«إن الأمر إلى اللّه يضعه حيث يشاء».

وقد ورد في كتاب اللّه تعالى:

﴿ يا أيّها الّذين آمنوا أطيعوا اللّه وأطيعوا الرسول وأولي الأمر

٤١) كل هذه المحاجحات وردت في خبر السقيفة بتاريخ الطبري، ط. أوربا ١/١٨٣٧ ـ ١٨٥١.

منكم... ﴾ النساء/ ٥٩.

* * *

في كلّ هذه الموارد سواء في لغة العرب، وعرف المسلمين، والنصوص الإسلامية سنّةً وكتاباً، إنّما أريد من (الأمر) أمر الإمامة والحكم على المسلمين.

وعلى هذا فإنّ (الأمر) آستعمل في الشّرع الإسلاميّ بنفس المعنى الّذي آستعمل فيه لدى العرب والمسلمين، ولا مانع بعد ذلك أن نسمّي (أولي الأمر) مصطلحاً شرعيّاً وتسمية إسلامية وأنّه أريد به الإمام بعد النبيّ (ص)، ولا خلاف في ذلك، ولكنّ الخلاف بين المدرستين في من يصدق عليه تسمية أولي الأمر، فإنّ مدرسة أهل البيت (ع) ترى أنّه لـمّا كان المقصود من أولي الأمر: الأئمة، فلا بدّ أن يكون منصوباً من قبل اللّه، معصوماً من الذّنوب على التفصيل الّذي سيأتي بيانه في بابه إن شاء اللّه.

وترى مدرسة الخلافة أنّ (أولي الأمر): من بايعه المسلمون بالحكم. وبناءً على ذلك يرون وجوب طاعة كلّ من بايعوه، وعلى هذا الأساس أطاعوا الخليفة يزيد بن معاوية فقتلوا وسبوا آل بيت رسول اللّه (ص) بكربلاء، وأباحوا مدينة الرسول (ص) ثلاثة أيّام، ورموا الكعبة بالمنجنيق، كما سيأتي بيانه في محلّه إن شاء اللّه تعالى.

سابعاً ـ الوصيّ و الوصيّة

ورد مصطلح الوصيّ والوصيّة ومشتقّاتها في كلام العرب بالمعاني الآتية:

يقال لإنسان حيّ يعهد لإنسان آخر أن يقوم بأمر يهمّه بعد وفاته: الموصي، وللآخر: الوصيّ، وللأمر الموصى به: الوصيّة؛ وتجري الوصية بلفظ الوصيّة ومشتقّاتها تارةً مثل أن يقول الموصي لوصيّه: أوصيك بعدي برعاية

أهلي أو إدارة مدرستي، وأن تفعل كذا وكذا، وأخرى بلفظ يؤدّي معنى الوصيّة، مثل أن يقول الموصي لوصيّه: أطلب منك أن تقوم بعدي برعاية أهلي وإدارة مدرستي وتفعل كذا وكذا....

ويخبر الموصي الآخرين عن وصيّته أحياناً بلفظ: أوصيتُ إلى فلان، ووصيّي فلان، وأخرى يقول: عهدت إلى فلان، أو: أوكلت إليه أن يقوم بكذا، وكلا اللّفظين يؤدّيان معنى واحداً، وهكذا نظائرهما.

كان هذا موجز معنى مصطلح الوصيّ والوصيّة ومشتقاتها في لغة العرب، وبنفس المعنى وردت في القرآن الكريم والسنّة النبويّة الشريفة؛ قال اللّه سبحانه في سورة البقرة الآيات ١٨٠ ـ ١٨٢:

﴿ كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصيّة ﴾ ـ إلى قوله تعالى ـ: ﴿ فمن خاف من موصٍ جنفاً أو إثماً فأصلح بينهم ﴾ وفي سورة المائدة الآية ١٠٦:

﴿ يا أيّها الّذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصيّة آثنان ذوا عدل منكم... ﴾ وكذلك وردت في سورة النّساء الآيتان ١١ و١٢.

وممّا ورد في السنّة النبويّة ما رواه كلّ من البخاري في أوّل كتاب الوصايا من صحيحه،ومسلم في كتاب الوصيّة من صحيحه[٤٢]:

إنّ رسول اللّه (ص) قال: «ما حقّ آمرئٍ مسلم له شيء يوصي فيه أن يبيت ليلتين إلّا ووصيّته مكتوبة عنده».

وللوصيّة أحكامها في الفقه الإسلامي. وبناءً على ما ذكرنا إنّ لفظي الوصيّ والوصيّة من المصطلحات الإسلاميّة.

والوصيّة من الأنبياء والرسل كما سننقل أمثلة منها من التوراة والإنجيل

٤٢) صحيح البخاري ٢/٨٣. وصحيح مسلم بشرح النووي ١١/٧٤.

أن يعهد الرسل إلى أوصيائهم حمل شريعتهم بعدهم إلى الناس و رعاية أمّتهم من بعدهم .

و في هذه الأمّة فعل خاتم الأنبياء (ص) مثل من سبقه من الرسل و عهد إلى الإمام علـيّ (ع) تبليغ شريعته و رعاية أمّته من بعده ، و بواسطته عهد ذلك إلى بنيه الأئمة الأحد عشر من بعده و أخبر النبيّ المسلمين بكلّ ذلك ، تارةً بلفظ الوصيّ و الوصيّة و مشتقّاتها ، و أخرى بألفاظ أخرى تؤدي المعنى نفسه . فلُقّب الإمام علـيّ بلقب الوصيّ و أصبح عَلَماً له ، كما سيأتـي بيان كل ذلك في باب النصوص الواردة عن رسول اللّه (ص) في تعيين ولـيّ الأمر من بعده مع بيان قول من أنكر ذلك و رأى أنّ رسول اللّه (ص) لم يهتمّ بأمر المسلمين و لم يوص إلى أحد من بعده ، إن شاء اللّه تعالى .

دراسة رأي مدرسة الخلفاء

بعد دراسة المصطلحات السبعة الماضية تتيسّر لنا دراسة رأي المدرستين في الخلافة والإمامة وما استدلّوا به في هذا المقام، ونبدأ بدراسة آراء مدرسة الخلافة في ما يأتـي .

رأي مدرسة الخلافة وما استدلّوا به:

أولاً - قال الخليفة أبو بكر[1]:

لن يعرف هذا الأمر إلّا لهذا الحيّ من قريش، هم أوسط العرب نسباً وداراً، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين (عمر وأبـي عبيدة) فبايعوا أيّهما شئتم .

ثانياً - قال عمر بن الخطاب[2]:

فلا يغترَّنّ امرؤ أن يقول إنّما كانت بيعة أبـي بكر فلتة وتمّت، ألا

١و٢) البخاري، كتاب الحدود، باب رجم الحبلى.

وإنّها قد كانت كذلك، ولكنّ اللّه وقى شرَّها، وليس منكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر، من بايع رجلاً عن غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الّذي بايعه تغرّة أن يقتلا .

مناقشة الاستدلالين

أشرنا هنا أولاً إلى استدلال الخليفة أبي بكر في السقيفة، وثانياً إلى رفع الخليفة عمر شعار الشورى لولاية الأمر من بعده. أمّا ما كان من احتجاج الخليفة أبي بكر في السقيفة، فإنّ الحقيقة في أمر احتجاجات جميعهم يوم ذاك، هي أنّها كانت تجري وفق المنطق القَبَلي ؛ فإنّ الأنصار لـمّا تركوا جثمان رسول اللّه (ص) ملقىً بين أهله، وبادروا إلى سقيفة بني ساعدة ليولّوا سعداً ما قالوا إنّ سعداً أفضل من غيره وأولى بهذا الأمر، بل قالوا: إنّ الناس في فيئكم ولا يجترئ مجترئ عليكم.

وإنّ مهاجرة قريش ـ أيضاً ـ لـمّا التحقوا بهم احتجّوا بالمنطق القَبَلي حين قالوا: إنّ قريشاً أوسط العرب داراً، وقالوا: من ذا ينازعنا سلطان محمّد ونحن أهله وعشيرته !؟

وكذلك كان قول الأنصاريّ حين قال: منّا أمير ومنكم أمير، وقول المهاجري حين قال: نحن الأمراء وأنتم الوزراء.

وكذلك كان دافع أسيد بن حضير وسائر من حضر من أفراد قبيلته الأوس قَبَليّاً حين خافوا سلطة الخزرج عليهم، وتذكّروا حرب البعاث بينهم، والّتي لم يكن قد مضى عليها عقدان من الزمن وقالوا: واللّه لئن وليتها عليكم الخزرج مرّة، لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة، ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيباً أبداً، فقوموا فبايعوا أبا بكر.

وتمّت الغلبة أخيراً لمهاجرة قريش بمجيء قبيلة (أسلم) الّتي ملأت

سكك المدينة، وبايعت أبا بكر ونصرت مهاجرة قريش على الأنصار. وحقّ للخليفة عمر بعد ذلك أن يعتبر بيعة أبي بكر فلتة !

* * *

كانت هذه حقيقة تلك الواقعة مهما كان نوع الاستدلال فيها.

أمّا ماذكره الخليفة عمر من أمر الشورى، فسندرسه بحوله تعالى ضمن دراسة آراء أتباع مدرسة الخلفاء في ما يأتي.

ثالثاً ـ آراء أتباع مدرسة الخلفاء في أمر الخلافة :

تتلخّص آراء مدرسة الخلفاء في شأن الخلافة وإقامتها في الأمرين التاليين :

أولاً ـ تقام الخلافة :

أ ـ بالشورى

ب ـ بالبيعة

ج ـ بأتّباع ما عملته الصحابة في إقامتها

د ـ بالقهر و الغلبة

ثانياً ـ يجب طاعة الخليفة بعد ما بويع، وإن عصى ربّه.

* * *

بعد دراسة المصطلحات المذكورة تتيسّر لنا دراستها واحدة بعد الأخرى في ما يأتي :

الأول ـ مناقشة الاستدلال بالشّورى

إنّ أوّل من ذكر الشّورى وأمر بها لإقامة الخلافة هو الخليفة عمر بن الخطاب، غير أنه لم يأت بدليل على أن الإمامة في الإسلام تُقام بالشورى،

و استدلّ المتأخّرون من أتباع مدرسة الخلفاء على صحّة إقامة الإمامة بالشورى بآيتين من كتاب اللّه، و بما ورد عن رسول اللّه (ص) أنّه كان يستشير أصحابه في بعض الأمور المهمّة، وبكلمة عن الإمام عليّ. و نحن نبدأ هنا بدراسة ما استدلّوا به في هٰذا الصّدد ثمّ ندرس الشورى الّتي أمر بها الخليفة عمر.

الاستدلال للشورى بكتاب اللّه و سنة رسوله

استدلّوا:

أ ـ بقوله تعالى للمؤمنين: ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ الشورى/ ٣٨.

ب ـ بقوله تعالى لرسوله (ص): ﴿وشاورهم في الأمر﴾ آل عمران/ ١٥٩.

ج ـ إنّ رسول اللّه (ص) كان يستشير أصحابه في الأمور المهمّة، فنقول:

أولاً ـ الاستدلال بآية ﴿ و أمرهم شورى ﴾

إنّ هذه الجملة من الآية ٣٨ من سورة الشورى جاء بعدها: ﴿ وممّا رزقناهم ينفقون ﴾. كلتا الجمنتين تدلان على رجحان الفعل فيهما، و ليس على وجوب التشاور و الإنفاق.

هذا أولاً، وثانياً إنّما يصحّ التشاور في أمر لم يرد فيه من اللّه ورسوله حكم، فقد قال اللّه سبحانه:

﴿ ما كان لمؤمن و لا مؤمنة إذا قضى اللّه و رسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم، و من يعص اللّه و رسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً﴾ الأحزاب/ ٣٦.

و سيأتي بعيد هذا ما ورد عن اللّه ورسوله (ص) في أمر الإمامة ما لا يبقى معه مورد للتشاور.

ثانياً ـ الاستدلال بآية ﴿ و شاورهم في الأمر ﴾

إنّ هذه الآية التاسعة و الخمسين بعد المائة من سورة آل عمران قد وردت

ضمن سلسلة من آيات ١٣٩ ـ ١٦٦ منها، وكلّها في أمر غزوات الرسول (ص) وكيف نصرهم اللّه فيها، وفي بعضها يخاطب المسلمين وخاصة الغزاة منهم ويعظهم، وفي بعضها يخاطب الرسول (ص) خاصّة ومن ضمنها هذه الآية:

﴿ فبما رحمة من اللّه لنت لهم، ولو كنت فظّاً غليظ القلب لا نفضّوا من حولك فآعف عنهم وآستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكّل على اللّه إنّ اللّه يحبّ المتوكّلين ﴾.

يظهر جليّاً أنّ الأمر بالمشاورة في هذه الآية كان بقصد الملاينة معهم والرحمة بهم، ولم يكن أمراً بالعمل برأيهم، بل قال له: فإذا عزمت فتوكّل وآعمل برأيك. ويفهم من المجموع أيضاً أنّ مقام المشاورة الراجحة إنّما هو في الغزوات، وما ذكره من مشاورة الرسول (ص) أصحابه أيضاً كانت في الغزوات كما سنذكرها في ما يأتي:

ثالثاً ـ الاستدلال بمشاورة الرسول (ص) أصحابه

إنّ مشاورة الرسول (ص) أصحابه كانت في الغزوات فقط، كما صرح بذلك الصحابي أبو هريرة، وقال:

فلم أر أحداً كان أكثر مشاورة لأصحابه من رسول اللّه ﷺ، وكانت مشاورته أصحابه في الحرب فقط[٣]. وأشهرها مشاورته معهم في غزوة بدر، وقصتها كما يأتي:

أ ـ غزوة بدر

ندب رسول اللّه (ص) أصحابه للتعرّض لقافلة قريش التجارية الراجعة

٣) كتاب المغازي للواقدي ٢ / ٥٨٠ . تحقيق الدكتور مارسدن جونس .

من **الشام** بقيادة أبي سفيان و خرج معه ٣١٣ شخصاً ممّن آستعدّ للاستيلاء على القافلة التجارية و ليس للقتال، و بلغ الخبر أبا سفيان فآنحرف في سيره عن الطريق، و آستصرخ قُريشاً بمكّة فخرجت مستعدّة للقتال في جيش يقارب الألف محارب، و أفلت أبو سفيان و القافلة، فكان الرسول (ص) أمام خيارين: التراجع إلى المدينة بسلام، أو مقاتلة جيش قريش المتأهّب للقتال بجيشه غير المتكافئ عدداً و عدّة.

تفصيل الخبر:

روى آبن هشام في سيرته و قال:

و أتاه الخبر عن قريش و مسيرهم ليمنعوا عيرهم، فآستشار الناس و أخبرهم عن قريش، فقام أبو بكر الصديق فقال و أحسن، ثمّ قام عمر بن الخطاب فقال و أحسن، ثمّ قام المقداد[4].

ثمّ ذكر ماقاله المقداد وما قالته الأنصار، بينا لم يذكر ما قاله أبو بكر ثمّ عمر!

و في صحيح مسلم:

فتكلّم أبوبكر فأعرض عنه، ثمّ تكلّم عمر فأعرض عنه، فقام المقداد...[5].

إنّ مسلماً هكذا ذكر أيضاً، ولم يذكر ما **تكلّم** به أبوبكر، وكلاهما لم يتمّا ذكر الخبر، ونحن ننقل تمام الخبر من مغازي الواقدي و إمتاع الأسماع للمقريزي و اللفظ للأول قال: قال عمر:

يا رسول اللّه، إنّها و اللّه قُريش وعزُّها، و اللّه ما ذَلّتْ منذ عَزَّتْ، و اللّه ما آمنت منذ كفرت، و اللّه لا تُسلم عزَّها أبداً، ولتقاتلنّك، فاتّهب لذلك أُهْبَتَه و أَعدَّ لذلك عُدَّته. ثم قام المقداد بن عمرو فقال:

4) سيرة آبن هشام ٢/٢٥٣.
5) صحيح مسلم، كتاب الجهاد و السير، باب غزوة بدر ٣/١٤٠٣.

يا رسول اللّه، إمض لأمر اللّه فنحن معك؛ و اللّه لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لنبيّها: ﴿ فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَٰهُنَا قَاعِدونَ ﴾ المائدة/٢٤، و لكن آذهب أنت و ربُّك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون؛ و الّذي بعثك بالحقّ لو سرت بنا إلى بِرْك الغِماد لسرنا معك ـ و بِرْك الغِماد من وراء مكّة بخمس ليال من وراء الساحل ممّا يلي البحر، و هو على ثماني ليال من مكّة إلى اليمن ـ فقال له رسول اللّه (ص) خيراً، و دعا له بخير.

ثمّ قال رسول اللّه (ص): «أشيروا علَيّ أيّها الناس!» و إنما يُريد رسول اللّه (ص) الأنصار، و كان يظنّ أنّ الأنصار لا تنصره إلّا في الدار، و ذلك أنّهم شرطوا له أن يمنعوه ممّا يمنعون منه أنفسهم و أولادهم. فقال رسول اللّه (ص): «أشيروا علَيّ!» فقام سعد بنُ مُعاذ فقال:

أنا أُجيب عن الأنصار؛ كأنّك يا رسول اللّه تُريدنا! فقال: «أجل». قال:

إنّك عسى أن تكون خرجت عن أمرٍ قد أُوحي إليك في غيره، و إنّا قد آمنّا بك و صدّقناك، و شهدنا أنّ كلّ ما جئت به حقّ، و أعطيناك مواثيقنا و عهودنا على السّمع و الطاعة؛ فآمضِ يا نبيّ اللّه؛ فو الّذي بعثك بالحقّ لو آستعرضت هذا البحر فخُضْتَه لخضناه معك، ما بقي منّا رجل؛ وَصِل من شئت، و آقطع من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، و ما أخذت من أموالنا أحبّ إلينا ممّا تركت. و الّذي نفسي بيده، ما سلكت هذا الطريق قطُّ، و مالي بها من علم، و ما نكره أن يلقانا عدوّنا غداً؛ إنّا لصُبُرٌ عند الحرب. صُدُقٌ عند اللِّقاء، لعلّ اللّه يُريك منّا ما تَقَرُّ به عينُك.

حدّثنا محمّد قال: حدّثنا الواقديّ قال: فحدّثني محمّد بن صالح، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لَبيد قال: قال سعد:

يا رسول اللّه، إنّا قد خلّفْنا من قومنا قوماً ما نحن بأشدَّ حُبّاً لك منهم،

ولا أطوع لك منهم، لهم رغبةٌ في الجهاد ونيَّة؛ ولو ظنّوا يا رسول اللّه أنّك ملاق عدوّاً ما تخلّفوا، ولكن إنما ظنّوا أنّها العِير. نبني لك عريشاً فتكون فيه ونعدّ لك رواحلك، ثمّ نلقى عدوّنا، فإن أعزّنا اللّه وأظهرنا على عدوّنا كان ذلك ما أحببنا، وإن تكن الأخرىٰ جلست على رواحلك فلحقت مَن وراءنا.

فقال له النبيّ (ص) خيراً، وقال: «أويقضي اللّه خيراً من ذلك يا سعد!»

قالوا: فلمّا فرغ سعد من المشورة، قال رسول اللّه (ص):

«سيروا على بركة اللّه. فإنّ اللّه قد وعدني إحدى الطائفتين. واللّه، لكأني أنظر إلى مصارع القوم». قال: وأرانا رسول اللّه (ص) مصارعهم يومئذ؛ هذا مصرع فلان، وهذا مصرع فلان، فما عدا كلُّ رجل مصرعه. قال: فعلم القوم أنّهم يُلاقون القتال، وأنّ العِير تُفلت، ورجَوا النَّصر لقول النبي (ص)[٦].

كانت استشارة رسول اللّه (ص) في هذا المقام: أنّه استشار أصحابه في ماذا يفعلون، بعد أن أخبره اللّه سبحانه وتعالى بأنّهم سيقاتلون وينتصرون، وأخبره بمصارع القوم والرسول (ص) أيضاً أخبر أصحابه بمصارع القوم بعد أن وافقوه على القتال، فهو إذ يستشيرهم لا يريد الاستفادة من رأيهم، وإنّما هو نوع من الملاينة وإخبار بإفلات عير قريش وتغيير الأمر من الاستيلاء على مال التجارة إلى القتال ليستعدّوا للقتال.

ب ـ غزوة أحد

كانت تلكم مشاورة الرسول (ص) أصحابه في غزوة بدر. وفي ما يلي قصّة مشاورة الرسول أصحابه في غزوة أحد وفي هذه المشاورة عمل رسول

٦) مغازي الواقدي، ط. اكسفورد ١/٤٨ ـ ٤٩. وإمتاع الأسماع للمقريزي ص ٧٤ ـ ٧٥.

الله (ص) برأي أصحـابـه،كما ورد في مغـازي الـواقـدي وإمتـاع الأسـماع للمقريزي[7]، قالا:

إنّ رسول الله (ص) صعد على المنبر فحمد الله و أثنى عليه ثمّ قال:

«أيُّها النَّاس، إنّي رأيت في منامي رُؤْيـاً: رأيتُ كأنّي في دِرْع حصينة، ورأيت كأنّ سيفي ذا الفقـار انقَصَمَ[8] من عنـد ظُـبَّتِه[9]، ورأيت بقراً تذبح؛ ورأيت كأنّي مُرْدِفٌ كبشاً».

فقال الناس: يا رسول الله (ص)، فما أوَّلْتها؟ قال:

«أما الدّرع الحصينة فالمدينة، فامكثوا فيها. وأمّا انقصام سيفي من عند ظبَتِه فمصيبة في نفسي. وأما البقر المذبَّح فقتلى في أصحابي. وأمّا أنّي مردف كبشاً فكبش الكتيبة نقتله إن شاء الله».

وفي رواية:

«وأمّا انقِصام سيفي فقتل رجل من أهل بيتي». وقال: «أشيروا عَلـيَّ» ورأى رسول الله (ص) ألّا يخرج من المدينة فوافقه عبد الله بن أُبـيّ والأكابر من الصّحـابة مهاجرُهم وأنصارُهم، وقال عليه السلام: «أُمكثوا في المدينة واجعلوا النّسـاء والـذّراريَّ في الآطـام، فإن دُخِـلَ علينا قاتلناهم في الأزقّة ـ فنحن أعلم بهـا منهم ـ ورُمُـوا من فوق الصياصي والآطام»[10]. وكانوا قد شبَّكـوا المدينة بالبنيان من كلّ ناحية فهي كالحصن، فقال فتيان أحداث لم يشهدوا بدراً وطلبوا الشهادة وأحبُّوا لقاء العدوّ: أُخرجْ بنا إلى عدوِّنا. وقال حمزة، وسعد بن عبادة، والنعمانُ بن مالك بن ثعلبة، في طائفة من الأنصار: إنَّا نخشى يا رسول الله أن يظنّ عدونا أنّا كرهنا الخروج إليهم جُبْناً عن لِقائهم،

٧) مغازي الواقدي ص: ٢٠٨ ـ ٢١٤. وإمتاع الأسماع للمقريزي ص ١١٣ ـ ١١٨.

٨) انقصم: تكسّر وتثلم.

٩) الظّبة: حدّ السيف من قبل ذبابه وطرفه.

١٠) الصياصي جمع صِيصِية: وهي الحصون، والآطام جمع أطم: وهي بيوت من حجارة كانت لأهل المدينة.

فيكون هذا جرأة منهم علينا؛ وقد كنتَ يوم بدر في ثلاثمائة رجل فظفّرك اللّه عليهم، ونحن اليوم بشرٌ كثير؛ قد كُنّا نتمنّى هذا اليوم وندعو اللّه به، فساقه اللّه إلينا في ساحتنا. ورسول اللّه (ص) لِـمّا يرى من إلحاحهم كارهٌ، وقد لبسوا السلاح. وقال حمزة: والّذي أنزل عليك الكتاب لا أطعم اليوم طعاماً حتّى أُجالِدَهُم[11] بسيفي خارجاً من المدينة، وكان يوم الجمعة صائماً ويوم السبت صائـمًا. وتكلّم مالك بن سِنان والد أبي سعيد الخُدري، والنُّعمان بن مالك بن ثعلبة، وإياس بن أوس بن عتيك، في معنى الخروج للقتال. فلمّا أبَوْا إلاّ ذلك صلّى[12] رسول اللّه (ص) الجمعة بالناس وقد وعَظَهم وأمرهم بالجدّ والجهاد؛ وأخبرهم أنّ لهم النصر ما صبروا. ففرح النّاس بالشُّخوص[13] إلى عدوّهم، وكره ذلك المخْرَج كثيُر. ثمّ صلّى رسول اللّه (ص) العصْرَ بالنّاس وقد حشدوا، وحضر[14] أهل العوالي[15] ورفعوا النِّساء في الآطام، ودخل (ص) بيته ومعه أبوبكر وعمر (رض) فعَمّماه ولبّساه. وقد صفَّ النّاس له ما بين حجرته إلى منبره، فجاء سعد بن معاذ وأُسيد بن حُضير فقالا للنّاس: قلتم لرسول اللّه (ص) ما قلتم واستكرهتموه على الخروج، والأمر ينزلُ عليه من السماء، فرُدُّوا الأمر إليه فما أمَرَكُم فآفعلوه، وما رأيتم فيه له هَوًى أو رأيٌ فأطيعوه. فبينا هُم على ذلك إذ خرج رسول اللّه (ص) قد لبس لأمَتَه[16]، ولبس الدرع فأظهرها وحَزَمَ وسطها بِمِنْطَقةٍ[17] [مِن أَدَم][18] من حمائل

١١) جالد بالسيف: ضرب به كأنه يجلد بسوط لسرعة ضربه وتتابعه.
١٢) في الأصل: (صلى اللّه).
١٣) الشخوص: الخروج.
١٤) في الأصل: (حضرو).
١٥) العوالي: ضيعة بينها وبين المدينة ثلاثة أميال.
١٦) اللأمة: أداة الحرب ولباسها، كالرمح والبيضة والمغفر والسيف والنبل.
١٧) المنطقة والنطاق، كلّ ما يشدّ به الوسط كالحزام.
١٨) الذي بين المعقوفتين كان في الأصل بعد قوله: (حمائل سيف)، وهذا حقّ موضعه.

سيف، و آعتمّ، و تقلّد السيف. فقال الّذين يُلِحّون: يا رسول اللّه، ما كان لنا أن نُخالفك، فآصْنع ما بدا لَك، فقال: «قد دعَوْتُكم إلى هذا الحديث فأبيتم، ولا ينبغي لنبيٍّ إذا لبس لامته أن يضعها حتّى يحكم اللّه بينه وبين أعدائه، انظروا ما أمرتكم به فآتّبعوه، امضوا على آسم اللّه فلكم النّصر ما صبرتم».

* * *

لعلّ الحكمة في آستجابة رسول اللّه (ص) لإلحاح أصحابه في الخروج أنّه لو لم يستجب لهم الرسول لأثّر في أنفسهم تأثيراً سيّئاً، وأولد فيهم الضعف والاستكانة بدل الإقدام والشجاعة، أمّا عدم آستجابته لهم بعد أن طابقوا رأيه فقد ذكر هو(ص) حكمته.

مثال آخر من عمل الرسول برأي أصحابه فيما أشاروا عليه: قصّة جرت في غزوة الخندق نوردها في ما يأتـي:

ج ـ غزوة الخندق

روى الواقدي و المقريزي عن بدء غزوة الخندق و قالا:

« و شاورهم رسول اللّه (ص). وكان رسول اللّه يكثر مشاورتهم في الحرب . . . فأشار عليهم سلمان بحفر الخندق ».

و أخبرا كذلك عن مشاورة أُخرى في آخر أيام القتال وقالا:

و أقام (ص) و أصحابه محصورين بضع عشرة ليلة حتّى آشتدَّ الكَرْب، و قال (ص): «اللّهم إنّي أنشـدك عهْـدك ووعـدك؛ اللّهم إنّـك إن تشـأ لا تُعْبَـد». و أرسـل إلى عُيَـيْنـة بن حصْن، و الحارث بن عوف ـ وهما رئيسا غَطَفان ـ أن يجعل لهما ثُـلُثَ ثَمَرِ المدينة و يرجعا بمن معهما، فطلبا نصف الثَّمر فأبـى عليهم إلاّ الثّـلُث، فرضيا. وجاءَا في عشرة من قومهما حتّى تقارب الأمـر، و أُحضرت الصَّحيفة و الدَّواة ليكتب عثمان بن عفّان (رض) الصُّلح ـ وعبَّـاد بن بشر قائم على رأس رسـول اللّه (ص) مقنَّعٌ في الحديد ـ، فأَقبل أُسيد بن حضـيْر، و عُيَـيْنَـةُ مادٌّ رجليه فقـال له: يا عَيْنَ الهِجْـرس، اقبض

رجليك. أتمدُّ رجليك بين يدي رسول اللّه (ص) !؟ واللّه لولا رسول اللّه لأنفذتُ حِضْنَيْك بالرُّمح! ثمّ قال: يا رسول اللّه صلّى اللّه عليك، إن كان أمراً من السَّماء فآمض له، وإن كان غير ذلك فوَاللّه لا نعطيهم إلّا السيف. متى طمعتم بهذا منّا؟ فدعا رسول اللّه (ص) سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فآستشارهما خُفْيَةً، فقالا: إن كان هذا أمراً من السَّماء فآمض له، وإن كان أمراً لم تُؤْمر فيه ولك فيه هوًى فسمعٌ وطاعةٌ، وإن كان إنَّما هو الرأي فما لهم عندنا إلّا السيف. فقال رسول اللّه (ص): «إنّي رأيتُ العَرب رمتكم عن قوس واحدة فقلتُ أُرضيهم ولا أُقاتلُهم.»، فقالا: يا رسول اللّه، واللّه إن كانوا ليأكلون العِلْهز في الجاهلية من الجهد، ما طمعوا بهذا مِنَّا قَطُّ: أن يأخذوا ثمرة إلا بشِرَاءٍ أو قِرًى! فحين أتانا اللّه بك وأكرمنا بك؛ وهدانا بك، نعطي الدَّنيَّة !؟ لا نعطيهم أبداً إلّا السيف. فقال (ص): «شقَّ الكتاب» فشقَّه سعد، فقام عُيَيْنَةُ والحارث. فقال (ص): «ارجِعوا بيننا السيف» رافعاً صوته.

كانت هذه قصّة آستشاره الرسول (ص) أصحابه في هذه الغزوة، ويظهر من محاورة الرسول (ص) فيها أنّه ـ صلوات اللّه عليه ـ أراد أن يوقع الخلاف بين القبائل المحاربة، وخاصّة أنّ في آخره يرفع صوته ويقول: «إرجعوا بيننا السيف» فإنّ هذا الخبر ينتشر ويبلغ قريشاً ويقع بينهم الخلاف، وقد روينا بعد هذا: أنّ رسول اللّه (ص) أمر نعيم بن مسعود لذلك ونجح، فألقى الشكّ والترديد والخلاف بين بني قريظة وقريش وكان ذلك من أسباب انكسارهم[19].

١٩) مغازي الواقدي ٢/ ٤٧٧ ـ ٤٨٠. وإمتاع الأسماع للمقريزي ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦.
والعلهز: كان أهل الجاهلية في سنيّ القحط والمجاعة يخلطون الوبر بالدم ويشوونه ويأكلونه ويسمّونه العلهز.
الهجرس: ولد الثعلب، وقيل هو القرد أو دويبة أخرى.

في ضوء ما بيّناه من مشاورات الرسول (ص) يتّضح لنا جليّاً أنّه لم تكن الغاية من تلك المشاورات أن يتعلم الرسول (ص) من أصحابه الرأي الصائب ليعمل به، بل كانت الغاية أحياناً أن يعلمهم الرسول (ص) بأسلوب المشورة الرأي الصائب الّذي كان يعلمه الرسول (ص) مسبقاً ليعملوا به.

كما كان شأن مشورته إيّاهم في غزوة بدر، فإنّ اللّه كان قد أعلم رسوله (ص) النتيجة مسبقاً من أنّهم سيقاتلون قريشاً وينتصرون عليهم، وبعد المشاورة أعلمهم الرسول (ص) نتيجة الأمر، وأراهم مصارع قريش. إذاً كانت الغاية من المشاورة توجيه المسلمين بأسلوب المشاورة إلى ما ينبغي أن يعملوه خلافاً لأسلوب الملوك الجبّارين الّذين يُملون آراءهم على الناس بقولهم مثلاً: نحن ملك... أصدرنا أمرنا الملكي بكذا....

وإنّ صدر الآية يدلّ بوضوح على ما ذكرنا، فإنّه تعالى قال: ﴿ فبما رحمة من اللّه لنت لهم ولو كنت فظّاً غليظ القلب لانفضّوا من حولك، فاْعف عنهم واْستغفر لهم وشاورهم في الأمر... ﴾ آل عمران/ ١٥٩. فالمشاورة هنا من مصاديق اللّيونة وكونها رحمة من اللّه، اللّتين وردتا في صدر الآية.

تارةً تكون الغاية من المشاورة الملاينة كالمثال السابق، وتارةً تكون الغاية تربية نفوس المسلمين، كما كان شأن المشاورة في غزوة أحد، فإنّ رسول اللّه (ص) بعد أن أخذ برأيهم ولبس لامة حربه بقصد السير إلى أحد، ندموا على إلحاحهم على الرسول (ص) بالخروج، وقالوا: يا رسول اللّه (ص) ما كان لنا أن نخالفك، فاْصنع ما بدا لك. فقال: «قد دعوتكم إلى هذا فأبيتم، ولا ينبغي لنبيّ إذا لبس لامته أن يضعها حتّى يحكم اللّه بينه وبين أعدائه».

يظهر من المحاورات الّتي دارت بين الرسول (ص) وأصحابه في هذه الواقعة، أنّ عدم اْستجابة الرسول (ص) لرغبتهم العارمة في الخروج كان يؤثر على نفوسهم تأثيراً سيّئاً، ويولد فيهم ضعف النفس والتردّد وعدم الإقدام في

الحروب، ومن أجل ذلك أخذ برأيهم مع علمه بأنّ رأيهم غير صائب. أمّا في غزوة الخندق، فقد كانت المشاورة كيداً كاد به المشركين، وقد نجحت خطّته صلوات اللّه عليه وآله.

الثاني ـ مناقشة الاستدلال بالبيعة

عرفنا في ما سبق:

أنّ البيعة كالبيع تنعقد بالرضا والاختيار وليس بحدّ السيف والجبر.

وأنّه لا بيعة في معصية.

ولا في خلاف ما أمر اللّه به.

وأنّه لا بيعة لمن يعصي اللّه.

وعرفنا أنّ أوّل بيعة أخذت بعد رسول اللّه هي البيعة للخليفة أبي بكر، وعلى صحّتها تتوقّف صحّة بيعة الخليفة عمر، لأنّها أخذت بأمر من الخليفة أبي بكر. وعلى صحّة بيعة الخليفة عمر تتوقّف صحّة بيعة الخليفة عثمان، لأنّها أخذت بأمر من الخليفة عمر حين أمر أن يبايعوا من الستّة القرشيّين من بايعه عبد الرحمن بن عوف، وأن يقتلوا من خالف.

وعرفنا كيف أخذت البيعة للخليفة أبي بكر غلاباً في سقيفة بني ساعدة، ثمّ بمساعدة قبيلة بني أسلم في سكك المدينة، وكيف حُمِلَت النار إلى بيت فاطمة (ع) آبنة رسول اللّه (ص) لأنّه قد تحصّن فيه من أبى أن يبايع، وأنّ بني هاشم لم يبايعوا مدّة حياة آبنة رسول اللّه (ص)، وأنّ الجنّ قتلت سعد بن عبادة بسهمين لأنّه لم يبايع!

* * *

كان هذا شأن أخذ البيعة في المدينة. أما خارج المدينة، فكان شأن من آمتنع عن بيعة الخليفة أبي بكر وأبى أن يدفع الزكاة لجباة الخليفة، قتل الرجال، وسبي النساء، وسلب الأموال.

كما كان شأن مالك بن نويرة عامل رسول اللّه (ص)[20] وأسرته من قبيلة تميم حين دهمهم جيش خالد بن الوليد ليلاً، وأخذوا السلاح، فقال جيش خالد: إنّا المسلمون. فقال أصحاب مالك: ونحن المسلمون. فقال لهم جيش خالد: فإن كنتم كما تقولون، فضعوا السّلاح. فوضعوها ثمّ صلّوا مع جيش خالد[21]: ثمّ أخذوهم إلى خالد بن الوليد، فأمر بضرب عنق مالك. فالتفت مالك إلى زوجته وقال لخالد: هذه الّتي قتلتني ـ وكانت في غاية الجمال ـ فقال خالد: بل اللّه قتلك برجوعك عن الإسلام. فقال مالك: إنّا على الإسلام. وبعد قتله أمر خالد برأسه فنصب أثفية للقدر وتزوج بامرأته في تلك الليلة ولـمّا يدفن مالك[22].

وكما كان شأن قبائل كندة، فإنّ زياد بن لبيد البياضي عامل أبـي بكر أخذ ناقة لفتى من كندة، فسأله الكندي أخْذ غيرها فأبـىٰ ذلك، لأنّه وسمها بميسم الصدقة[23]. فذهب الفتىٰ إلى رجل من سادات كندة يقال له: حارثة بن سراقة، وقال له: يا ٱبن عمّ إنّ زياد بن لبيد قد أخذ لي ناقة فوسمها وجعلها مع إبل الصدقة، وأنا مشغوف بها، فإن رأيت أن تكلّمه فيها فلعلّه أن يطلقها ويأخذ غيرها من إبلي. فأقبل حارثة إلى زياد وقال له: إن رأيت أن تردّ ناقة هذا الفتى عليه وتأخذ غيرها فعلت منعمًا. فقال زياد: قد وضع عليها ميسم الصدقة. فترادّا الكلام، فأقبل حارثة إلى إبل الصدقة فأخرج الناقة بعينها،

٢٠) راجع ترجمته في الإصابة ٣/٣٣٦، رقم الترجمة: ٧٦٩٨.

٢١) تاريخ الطبري ط. أوربا ١/١٩٢٧ ـ ١٩٢٨ وراجع تاريخ اليعقوبي ط. بيروت، ٢/١٣١.

٢٢) راجع تاريخ أبـي الفداء ص ١٥٨. ووفيات الأعيان، ترجمة وثيمة. وكذلك فوات الوفيات. وبقية المصادر مع تفصيل الخبر في كتاب عبد اللّه بن سبأ ط. بيروت سنة ١٤٠٣ هـ، ١/١٨٥ ـ ١٩١.

٢٣) فتوح البلدان، ردة بني وليعة والأشعث بن قيس.

وقال للفتى: خذ ناقتك فإن كلّمك أحد سأحطم أنفه بالسّيف وقال:

نحن إنما أطعنا رسول اللّه (ص) إذ كان حيّاً، ولو قام رجل من أهل بيته لأطعناه؛ وأمّا آبن أبـي قحافة فلا واللّه ماله في رقابنا طاعة ولا بيعة. وأنشأ أبياتاً من جملتها:

أطعنا رسول اللّه إذ كان بيننا فيا عجباً مـمّن يطيع أبابكر

فقال له الحارث بن معاوية من سادة كندة: إنّك لتدعو إلى طاعة رجل لم يعهد إلينا ولا إليكم فيه عهد.

فقال له زياد: صدقت ولكنّا آخترناه لهذا الأمر.

فقال له الحارث: أخبرني لم نحّيتم عنها أهل بيته؟ وهم أحقّ الناس بها لأنّ اللّه عزّ وجلّ يقول: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب اللّه﴾ الأحزاب/ ٦.

فقال له زياد: إنّ المهاجرين والأنصار أنظر لأنفسهم منك!

فقال له الحارث: لا واللّه ما أزلتموها عن أهلها إلاّ حسداً منكم، وما يستقرّ في قلبي أنّ رسول اللّه (ص) خرج من الدنيا ولم ينصب للنّاس علَماً يتّبعونه، فآرحل عنّا أيّها الرجل فإنك تدعو إلى غير رضا. ثمّ أنشأ الحارث يقول:

كان الرسول هو المطاع فقد مضى صلّى عليه اللّه لم يستخلف

فأرسل زياد إبل الصّدقة أمامه إلى المدينة، ثمّ ساز إلى المدينة وأخبر أبا بكر، فجهّزه في أربعة آلاف مقاتل. فسار زياد يريد حضرموت وفي طريقه كان يباغت قبائل كندة ويقتل منهم ويستأسر، مثل بني هند الّذين هاجمهم وقتل منهم جماعة وآحتوى على نسائهم وذراريهم.

ووافى حيّ بني العاقل من كندة غافلين فلمّا أشرفت الخيل عليهم تصايحت النّساء وآقتتل الرجال ساعة ووقعت الهزيمة عليهم، وآحتوى زياد

نساءهم و أموالهم.

وكبس بخيله في جوف الـلّيل حيّ بني حجـر من كندة، فقتل منهم مائتي رجل، وأسر خمسين، وفرّ الباقون، وآحتوى على النساء و الأولاد.

ثم قاتله الأشعث بن قيس وحاصره في مدينـة (تيم) وآسـترجـع منه الأموال و الذّراريّ وردّها إلى أهلها، فأرسل الخليفة إلى الاشعث كتاباً يسترضيه فقال الأشعث للرسول:

إنّ صاحبك أبا بكر يلزمنا الكفر بمخالفتنا له، ولا يلزم صاحبه الكفر بقتله قومي وبني عمّي.

فقال له الرسول: نعم يا أشعث! يلزمك الكفر لأنّ اللّه تبارك وتعالى قد أوجب عليك الكفر بمخالفتك لجماعة المسلمين.

فضربـه غلام من بني عمّ الأشعث بسيفـه فقتله، واستحسن فعله الأشعث فغضب من ذلك عامّة أصحاب الأشعث حتى بقي في قريب من ألفي رجـل. فكتب زياد إلى أبـي بكـر يخـبره بقتل الرسول و أنهم محاصرون. فأستشار الخليفة المسلمين في ما يصنع فأشار عليه أبو أيّوب الأنصاري وقال:

إنّ القوم كثير عددهم وإذا هـمّوا بالجمع جمعوا خلقاً كثيراً، فلو صرفت عنهم الخيل في عامك هذا رجوت أن يحملوا الزكاة إليك بعد هذا العام طائعين.

فقال أبو بكر: و اللّه لو منعوني عقالاً واحداً مـمّا كان النبيّ وظفه عليهم لقاتلتهم عليه أبداً أو ينيبوا إلى الحقّ. ثمّ كتب إلى عكرمة بن أبـي جهل أن يسـير بمن أجـابـه من أهل مكّة إلى زياد ويستنهض من مرّ عليه من أحياء العرب. فخرج في ألفي فارس من قريش ومواليهم وأحلافهم، ثمّ سار إلى مأرب. وبلغ ذلك أهل دبا فغضبوا وقالوا نشغله عن محاربة بني عمّنا من كنـدة، و أخرجوا عامل أبـي بكر. فكتب أبو بكر إليه أن يسير إليهم، وأن

لا يقصر فيهم، وإذا فرغ منهم أن يبعث بهم أسراء. فسار إليهم عكرمة وقاتلهم وحاصرهم، فسألوا الصّلح وأن يؤدّوا الزكاة، فأبى إلاّ أن ينزلوا على حكمه، فأجابوه. فدخل عكرمة حصنهم، وقتل أشرافهم صبراً، وسبى نساءهم وأولادهم، وأخذ أموالهم ووجّه بالباقين إلى أبي بكر، فهمّ أن يقتل الرجال ويقسم النساء والذرية، فقال له عمر:

يا خليفة رسول اللّه، إنّ القوم على دين الإسلام يحلفون باللّه مجتهدين ما كنّا رجعنا عن دين الإسلام. فحبسهم أبو بكر إلى أن توفّي وأطلق عمر سراحهم على عهده.

فسار عكرمة إلى زياد فبلغ خبر الأشعث فانحاز إلى حصن النجير وجمع فيه نساءه ونساء قومه. فبلغ ذلك قبائل كندة ممّن كان تفرّق عن الأشعث لـمّا قتل رسول أبي بكر فتلاوموا أن يتركوا بني عمّهم محاصرين، فسارت لقتال زياد، فجزع لذلك فقال له عكرمة: أرى أن تقيم محاصراً لمن في الحصن وأمضي أنا فألقى هؤلاء القوم، فقال له زياد: نعم ما رأيت، ولكن إن ظفر اللّه بهم فلا ترفع السيف حتى تبيدهم عن آخرهم.

فقال عكرمة: لست آلو جهداً في ما أقدر عليه.

فسار عكرمة حتّى وافى القوم فتقاتلوا وكانت الحرب بينهم سجالاً والأشعث لا يعلم عن ذلك شيئاً، وطال عليهم الحصار واشتدّ بهم الجوع والعطش، فطلب من زياد الأمان له ولأهل بيته وعشرة من وجوه أصحابه وكتب بينهم، فبعث زياد الكتاب إلى عكرمة، فأخبر عكرمة قبائل كندة بذلك وأراهم الكتاب، فتركوا القتال وانصرفوا، ودخل زياد الحصن وأخذ يضرب أعناق المقاتلة صبراً، ووافاه كتاب أبي بكر أن يحمل من نزل على حكمه إلى المدينة، فصفد من بقي منهم بالحديد وأرسلهم إلى المدينة[٢٤]

٢٤) لقد لـخّصنا الخبر ممّا رواه البلاذريّ في فتوح البلدان في ذكر ردّة بني وليعة، والأشعث بن ←

هكذا تمّت بيعة الخليفة أبي بكر و الّتي يصفها الخليفة عمر بأنها كانت فلتة، وعليها بنيت خلافة الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان وبها يستدلّون.

الثالث ـ مناقشة الاستدلال بعمل الصّحابة

إنّ الاستدلال بعمل الصّحابة يتمّ لو كانت سيرتهم مصدراً للتشريع الإسلامي في عداد الكتاب و السنّة و نزل فيهم ما نزل في رسول اللّه (ص) مثل قوله تعالى:

﴿ لقد كان لكم في رسول اللّه أسوة حسنة ﴾ الأحزاب/٢١.

وقوله:

﴿ ما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فأنتهوا ﴾ الحشر/٧.

وبدون ذلك لا حجّة علينا في عمل الصّحابة. ثمّ لسنا ندري بمن نقتدي، وعمل بعضهم وأقوالهم يخالف البعض الآخر، ومن ثمّ آختلفت آراء العلماء في كيفيّة إقامة الخلافة، أنقتدي ببيعة رجل لأنّ العبّاس عمّ النبي (ص) قال لعلي (ع): (أُمدد يدك أبايعك يبايعك الناس) أم بقول الخليفة عمر حين قال: (بيعة أبي بكر فلتة) أم نقتدي بمعاوية حين شهر السيف في وجه الخليفة الشرعيّ الإمام علي (ع)؟ ولا نرى حاجة إلى المناقشة أكثر مما بيّنّا. أمّا ما آستدلّ بعضهم بقول الإمام عليّ في نهج البلاغة، فسندرسه في ما يأتي:

قيس الكندي ص ١٢٢ ـ ١٢٣. و الحموي في مادة: حضرموت من معجم البلدان، وفتوح آبن أعثم ١/٥٧ ـ ٨٥. وتمام الخبر في عبدالله بن سبأ ٢/٣٩٣ ـ ٤١٠.

مناقشة الاستدلال بما ورد في نهج البلاغة على صحّة الاستدلال بالشورى و البيعة و عمل الأصحاب.

استدلّ بعضهم على ما آرتـأى في الشّورى و البيعة و الاقتداء بعمل الصّحابة بما رواه الشريف الرضي عن الإمام علي (ع) بباب الكتب من نهج البلاغة و هذا نصّه:

و من كتاب له، إلى معاوية:

إنَّهُ بايعني الْقوم الَّذين بايعوا أَبا بكر وعُمر وعُثمان، على ما بايعوهُم عليه فلم يكن للشّاهد أنْ يختارَ، ولا للغائب أن يَرُدَّ، وإنّما الشُّورى للمهاجِرين و الأنْصَار. فإن آجتمعوا على رجلٍ وسمَّوْهُ إماماً كان ذلكَ [لِلّهِ] رضًى؛ فإن خرَج عن أمرهم خارجٌ بطَعنٍ أو بِدْعَةٍ ردُّوهُ إلى ما خرج مِنْهُ؛ فإنْ أبَى قاتلُوه على آتِّباعِهِ غيْرَ سَبيلِ الـمُـؤْمنين، وولّاه آللّهُ ما تولّى... [٢٥].

فإنّ الإمام قد آحتجّ في هذا الكتاب على معاوية بالبيعة و الشورى وإجماع المهاجرين و الأنصار، و بناءً على هذا فإنّ الإمام يرى صحة إقامة الإمامة بما ذكره.

و الجواب أن الشريف الرضي كان أحياناً يتخيّر نتفاً من كتب الإمام وخطبه ممّا يجده في أعلى درجات البلاغة ويترك سائره، وكذلك فعل مع هذا الكتاب و قد أورد الكتاب بتمامه نصر بن مزاحم في كتاب صفّين، و هذا نصّه:

بسم اللّه الرحمن الرحيم.

أمّا بعد، فإنّ بيعتي بالمدينة لزمتك و أنت بالشّام؛ لأنّه بايعني القوم الّذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بويعوا عليه، فلم يكن للشّاهد أن

٢٥) نهج البلاغة و شرحه لابن أبي الحديد، الكتاب السادس من باب المختار من كتب مولانا أمير المؤمنين.

يختار، ولا للغائب أن يردَّ. وإنّما الشُّورى للمهاجرين والأنصار، فإذا آجتمعوا على رجل فسمُّوه إماماً كان ذلك للّه رضًى، فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو رغبة ردُّوه إلى ما خرج منه، فإن أبىٰ قاتلوه على آتّباعه غير سبيل المؤمنين، وولاّه اللّه ما تولّى ويصليه جهنّم وساءت مصيراً. وإنَّ طلحة والزبير بايعاني ثمّ نقضا بيعتي، وكان نقضهما كردِّهما، فجاهدتهما على ذلك حتّى جاء الحقّ وظهر أمر اللّه وهم كارهون. فآدخل فيما دخل فيه المسلمون؛ فإنَّ أحبَّ الأمور إليَّ فيك العافية، إلاّ أن تتعرّض للبلاء. فإن تعرّضت له قاتلتك وآستعنت اللّه عليك. وقد أكثرتَ في قتلة عثمان، فآدخل فيما دخل فيه المسلمون، ثم حاكم القوم إليّ أحملك وإيّاهم على كتاب اللّه. فأمّا تلك الّتي تريدها فخدعة الصبيِّ عن اللّبن. ولعمري لئن نظرتَ بعقلك دون هواك لتجدنّي أبرأ قريش من دم عثمان. وآعلم أنّك من الطّلقاء[٢٦] الّذين لا تحلُّ لهم الخلافة، ولا تعرض فيهم الشُّورى. وقد أرسلتُ إليك وإلى من قبلك جرير بن عبد اللّه، وهو من أهل الإيمان والهجرة: فبايع. ولا قوة إلاّ باللّه[٢٧].

إتّضح لنا من هذا الكتاب أنّ الإمام عليّاً يحتجّ على معاوية بما التزم به هو ونظراؤه ويقول له: إنّ بيعتي بالمدينة لزمتك يا معاوية وأنت بالشام كما آلتزمت ببيعة عثمان بالمدينة وأنت بالشّام، وكذلك لزمت بيعتي نظراءك خارج المدينة كما لزمتهم بيعة عمر في المدينة وهم في أماكن أخرى.

هكذا يلزمه الإمام عليّ بكلّ ما التزمه هو ونظراؤه من مدرسة الخلافة يومذاك، وهذا وارد لدى العقلاء، فإنّهم يحتجّون على الخصم بما التزمه هو. هذا أوّلاً.

٢٦) الطلقاء: جمع طليق، وهو الأسير الّذي أُطلق عنه إساره وخُلي سبيله. ويراد بهم الّذين خلّى عنهم رسول اللّه (ص) يوم فتح مكّه وأطلقهم ولم يسترقهم.

٢٧) صفين لنصر بن مزاحم ط. القاهرة سنة ١٣٨٢ هـ، ص ٢٩.

وثانياً قوله: «فإذا اجتمعوا على رجل فسمّوه إماماً، كان ذلك للّه رضًى» فإنّه قد ورد في بعض النسخ: «كان ذلك رضًى»[٢٨]، أي كان لهم رضًى، على أن يكون ذلك باختيار منهم ولم تؤخذ البيعة بالجبر وحدّ السيف. وعلى فرض أنّـه كان قد قال: «كـان للّه رضًى» نقول: نعم، ما أجمع عليه المهاجرون والأنصار بما فيهم الإمام علـيّ وسبطا الرسول الحسن والحسين، كان ذلك للّه رضىً.

وأخيراً لست أدري كيف آستشهدوا بهذا القول من نهج البلاغة ونسوا أو تناسوا سائر أقوال الإمام الّتي نقلها الشريف الرضي - أيضاً - في نهج البلاغة مثل قوله في باب الحِكَم:

لـمّا آنتهت إلى أمير المؤمنين (ع) أنباءُ السقيفة بعد وفاة رسول اللّه (ص) قال (ع):

ما قالت الأنصار؟ قالوا:

قالت: منّا أمير ومنكم أمير. قال (ع):

فَهَـلَّا آحْـتَـجَجْتُم عليهم بأَنَّ رسول اللّه(ص) وصَّى بأن يُحسن إلى مُحسنهم، ويتجاوز عن مُسيئهم؟!

قالوا: وما في هذا من الحجّة عليهم؟

فقال (ع):

لو كانت الإمارة فيهم لَمْ تكن الوصيَّةُ بِهِم!!

ثم قال (ع):

فماذا قالت قريش؟ قالوا: احتجَّت بأَنها شجرة الرسول (ص)، فقال (ع):

٢٨) راجع نهج البلاغة ط. الاستقامة بالقاهرة تجد لفظ الجلالة «للّه» بين علامتين إشارة الى أنه لم يرد لفظ الجلالة بين النسخ.

اِحتجُّوا بالشَّجَرَةِ و أَضَاعوا الثَّمَرَةَ[٢٩].

و قوله ـ أيضاً ـ في باب الحِكَم:

واعجبا ! أ تكون الخلافة بالصحابة ولا تكون بالصحابة و القرابة[٣٠].

قال الرضي: و له شعر بهذا المعنى:

فإن كنت بالشورى ملكت أمورهم فكيف بهذا و المشيرون غيب

وإن كنت بالقربى حججت خصيمهم فغيرك أولى بالنبيّ و أقربُ

و أجمع أقواله في هذا الباب ما وردت في الخطبة الشقشقية (خ: ٣) الّتي قال فيها (ع):

«أما و اللّهِ لقد تقمَّصَها آبن أَبـي قحافةو إنّه ليعلَم أنّ محلّي منها محلُّ القطْبِ من الـرَّحى ينحدرُ عنّي السَّيلُ ولا يرقى إلـيَّ الطَّيُر، فَسَدَلْتُ دونها ثوباً، و طَوَيْتُ عنها كَشْحاً. و طَفِقْتُ أَرْتئي بين أن أَصولَ بيدٍ جذّاءَ[٣١] أو أَصبرَ على طَخْيةٍ عَمْياءَ[٣٢] يَهْرَمُ فيها الكبيـرُ، ويشيبُ فيها الصغيرُ، ويكدَحُ فيها مؤْمِنٌ حتّى يَلْقى ربّهُ[٣٣] فرأَيْتُ أَنَّ الصَّبرَ على هَاتَا أَحْجَى[٣٤] فصَبَـرْتُ و في العين

٢٩) يريد من الثمرة آل بيت الرسول (ص).

٣٠) نهج البلاغة، الحكمة: رقم ١٨٥، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

٣١) وطفقت ... الخ: بيان لعلة الإغضاء. والجذّاء: بمعنى المقطوعة. ويقولون: رحم جذاء، أي: لم توصل. و سن جذاء أي متهتمة. و المراد هنا ليس ما يؤيدها. كأنه قال: تفكرت في الأمر فوجدت الصبر أولى فسدلت دونها ثوباً و طويت عنها كشحاً.

٣٢) طخية: أي ظلمـة، ونسبـة العمى إليهـا مجـاز عقـلي، و إنما يعمىٰ القائمون فيها إذ لا يهتدون إلى الحق، و هو تأكيد لظلام الحال و آسودادها.

٣٣) يكدح: يسعى سعي المجهود.

٣٤) أحجى: ألزم، من حَجِيَ به كرضي: أولع به و لزمه. و منه: هو حَجِيٌّ بكذا أي: جدير، وما أحجاه وأحج به أي: أخلق به، وأصله من الحجا بمعنى العقل، فهي أحجى أي أقرب إلى العقل، وهاتا بمعنى هذه، أي: رأى الصبر على هذه الحالة التي وصفها أولى بالعقل من الصولة بلا نصير.

قَذَى، وفي الحلق شَجَا[٣٥] أرى تراثي نهْباً، حتَّى مضى الأوَّلُ لِسَبيلِه، فأدلَى بها إلى فُلانٍ بعدَهُ[٣٦] ـ ثمَّ تمثَّلَ بقولِ الأعشى :ـ

شَتَّــان ما يَوْمِي على كُورِهــا ويَوْم حيَّانَ أخي جابِـرِ[٣٧]

فَيَا عَجَباً! بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا في حَيَاتِهِ[٣٨] إذْ عَقَدَها لِآخرَ بَعْدَ وَفاتِه، لَشَدَّ ما تَشَطَّرا ضَرْعَيْها[٣٩] فَصَيَّـرَها في حَوْزَةٍ خَشْناءَ يَغْلُظُ كُلامُها[٤٠]، ويَخْشُنُ مَسُّها، ويَكْثُرُ الْعِثَارُ فِيهَا، والْاعتِذارُ مِنها، فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصَّعْبَةِ[٤١] إنْ أشْنَقَ لَها

٣٥) الشجا: ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه. والتراث: الميراث.

٣٦) أدلى بها: ألقى بها إليه.

٣٧) الكور بالضم: الرحل أو هو مع أداته، والضمير راجع إلى الناقة المذكورة في الأبيات قبل. وحيان كان سيداً في بني حنيفـة مطاعاً فيهم، وله نعمة واسعة ورفاهية وافرة، وكان الأعشى ينادمه، والأعشى هذا: هو الأعشى الكبير أعشى قيس، وهو أبوبصير ميمون بن قيس بن جندل.

وجابر: أخو حيّان أصغر منه.

ومعنى البيت أنّ فرقاً بعيداً بين يومه في سفره وهو على كور ناقته وبين يوم حيان في رفاهيته، فإنّ الأول كثير العناء شديد الشقاء، والثاني وافر النعيم وافي الراحة. ووجه تمثّل الإمام بالبيت ظاهر بأدنى تأمل.

٣٨) رووا أنّ أبا بكر قال بعد البيعة: (أقيلوني فلست بخيركم).

٣٩) لشـدّ ما تشطرا ضرعيها: جملة شبه قسمية اعترضت بين المتعاطفين والشطر أيضاً أن تحلب شطراً وتترك شطراً، فتشطرا: أي أخذ كلّ منهما شطراً. وسمّى شطري الضرع ضرعين مجازاً: وهو ههنا من أبلغ أنواعه حيث أنّ من ولي الخلافة لا ينال الأمر إلّا تامّاً، ولا يجوز أن يترك منه لغيره سهمّا، فأطلق على تناول الأمر واحداً بعد واحد اسم التشطر والاقتسام، كأنّ احدهما ترك منه شيئاً للآخر، واطلق على كل شطر اسم الضرع نظراً لحقيقة ما نال كلّ منهما.

٤٠) الكلام ـ بالضمّ ـ: الأرض الغليظة وفي نسخة كلمها. وإنّما هو بمعنى الجرح كأنّه يقول خشونتها تجرح جرحاً غليظاً.

٤١) الصعبة من الإبل: ما ليست بذلول. وأشنق البعير، وشنقه: كفّه بزمامه حتى ألصق ذفـراه: (العظم الناتئ خلف الأذن) بقادمة الرحل، أو رفع رأسه وهو راكبه. واللام هنا زائدة للتحلية ولتشاكل أسلس. وأسلس: أرخى. وتقحّم: رمى بنفسه في القحمة، أي: أهلكها.

قال الرضي: «كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم وإن أسلس لها تقحم» يريد أنّه إذا شدّد عليها في جذب الزمام وهي تنازعه رأسها خرم أنفها، وإن أرخى لها شيئاً مع صعوبتها تقحمت به فلم

خَرَمَ، وإنْ أسْلَسَ لَها تَقَحَّمَ، فمُنِيَ النَّاسُ لَعَمْرُ اللّهِ ـ بِخَبْطٍ وَشِمَاسٍ[٤٢] وَتَلَوُّنٍ واعتِراضٍ؛ فَصَبَرْتُ عَلى طُولِ المُدَّةِ، وَشِدَّةِ المِحْنَةِ؛ حتّى إذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ جَعَلَهَا في جَمَاعَةٍ زَعَمَ أنّي أحَدُهُم، فَيَا لَلّهِ وَلِلشُّورى[٤٣] مَتَى

يملكها. يقال: أشنق الناقة، إذا جذب رأسها بالزمام فرفعه؛ وشنقها أيضاً، ذكر ذلك ابن السكّيت في إصلاح المنطق. وإنّما قال: «أشنق لها» ولم يقل: «أشنقها» لأنه جعله في مقابلة قوله: «أسلس لها» فكأنّه عليه السلام قال: إن رفع لها رأسها بمعنى أمسكه عليها. انتهى.

الصعبة: إما أن يشنقها فيخرم أنفها، وإما أن يسلس لها فترمي به في مهواة تكون فيها هلكته.

٤٢) مني الناس: ابتلوا وأصيبوا، والشماس ـ بالكسر ـ: إباء ظهر الفرس عن الركوب. والنفار.والخبط: السير على غير جادة. والتلون: التبدل. والاعتراض: السير على غير خط مستقيم، كأنّه يسير عرضاً في حال سيره طولاً يقال: بعير عرضي، يعترض في سيره لأنه لم يتم رياضته، وفي فلان عرضية، أي: عجرفة وصعوبة.

٤٣) لقد أوردنا تفصيل القصّة من أوثق المصادر في ما سبق، وقال الشيخ محمد عبده في شرحه لهذا الكلمة:

كان سعد من بني عمّ عبد الرحمن كلاهما من بني زهرة، وكان في نفسه شيء من عليّ كرم اللّه وجهه من قبل أخواله لأنّ أمه حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس، ولعَلِيّ في قتل صناديدهم ما هو معروف مشهور. وعبد الرحمن كان صهراً لعثمان؛ لأنّ زوجته أمّ كلثوم بنت عقبة ابن أبي معيط كانت أختاً لعثمان من أمّه، وكان طلحة ميّالاً لعثمان لصلات بينهما، على ما ذكره بعض رواة الأثر. وقد يكفي في ميله إلى عثمان انحرافه عن علي، لأنّه تيميّ وقد كان بين بني هاشم وبني تيم مواجد لمكان الخلافة في أبي بكر وبعد موت عمر بن الخطاب (رض) اجتمعوا وتشاوروا فاختلفوا، وانضمّ طلحة في الرأي إلى عثمان، والزبير إلى علي، وسعد إلى عبد الرحمن. وكان عمر قد أوصى بأن لا تطول مدة الشورى فوق ثلاثة أيام، وأن لا يأتي الرابع إلا ولهم أمير وقال: إذا كان خلاف فكونوا مع الفريق الّذي فيه عبد الرحمن. فأقبل عبد الرحمن على عليّ وقال: عليك عهد اللّه وميثاقه لتعملنّ بكتاب اللّه ورسوله ـ (ص) ـ وسيرة الخليفتين من بعده. فقال عليّ: أرجو أن أفعل وأعمل على مبلغ علمي وطاقتي؛ ثم دعا عثمان وقال له مثل ذلك، فأجابه بنعم. فرفع عبد الرحمن رأسه إلى سقف المسجد حيث كانت المشورة وقال: اللهم اسمع واشهد. اللهمّ إنّي جعلت ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان، وصفق يده في يد عثمان. وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين وبايعه. قالوا: وخرج الإمام عليّ واجداً، فقال المقداد بن الأسود لعبد الرحمن: واللّه لقد تركت عليّاً وإنّه من الّذين يقضون بالحقّ وبه يعدلون. فقال: يا مقداد لقد تقصيت الجهد للمسلمين. فقال المقداد: واللّه إني لأعجب من قريش، إنّهم تركوا رجلاً ما أقول ولا أعلم أنّ رجلاً أقضى بالحقّ ولا أعلم به منه. فقال عبد الرحمن: يا مقداد، إني

اَعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الأَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّى صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَى هٰذِهِ النَّظائِرِ[44]!! لٰكِنِّي أَسْفَفْتُ إِذْ أَسَفُّوا[45] وَطِرْتُ إِذْ طَارُوا؛ فَصَغَى رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِهِ[46] وَمَالَ الآخَرُ لِصِهْرِهِ[47] مَعَ هَنٍ وَهَنٍ[48]. إلى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجاً حِضْنَيْهِ[49] بَيْنَ نَثِيلِهِ ومُعْتَلَفِهِ، وقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضَمُونَ مَالَ آللهِ خَضْمَةَ الإِبِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ[50]، إلى أَنْ انْتَكَثَ فَتْلُهُ، وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ[51] وكَبَتْ بِهِ بِطْنَتُهُ[52]. فَمَا رَاعَنِي إِلَّا والنَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ إِلَيَّ يَنْثَالُونَ[53] عَلَيَّ من كُلِّ جانبٍ؛ حَتَّى

أخشى عليك الفتنة فاتّق اللّه. ثم لـمّا حدث في عهد عثمان ما حدث من قيام الأحداث من أقاربه على ولاية الأمصار ووجد عليه كبار الصحابة روي أنّه قيل لعبد الرحمن: هذا عمل يديك، فقال: ما كنت أظنّ هذا به! ولكن للّه عَلَيّ أن لا أكلّمه أبداً، ثم مات عبد الرحمن وهو مهاجر لعثمان، حتى قيل: إن عثمان دخل عليه في مرضه يعوده فتحول إلى الحائط لا يكلّمه! واللّه أعلم، والحكم للّه يفعل ما يشاء.

٤٤) المشابه بعضهم بعضاً دونه.

٤٥) أسف الطائر: دنا من الأرض؛ يريد أنه لم يخالفهم في شيء.

٤٦) صغى صغياً وصغا صغواً: مال. والضغن: الضغينة يشير إلى سعد.

٤٧) يشير إلى عبدالرحمن.

٤٨) يشير إلى أغراض أخرى يكره ذكرها، وقد أشرنا الى بعضها في باب مناقشة الشورى.

٤٩) يشير إلى عثمان، وكان ثالث الخلفاء. ونافجاً حضنيه: رافعاً لهما. والحضن: ما بين الإبط والكشح؛ يقال للمتكبر: جاء نافجاً حضنيه. ويقال مثله لمن امتلأ بطنه طعاماً. والنثيل: الروث. والمعتلف: من مادة (علف) موضع العلف وهو معروف، أي: لاهمّ له إلا ما ذكر.

٥٠) الـخَضْم، على ما في القاموس: الأكل مطلقاً، أو بأقصى الأضراس، أو ملء الفم بالمأكول، أو خاصّ بالشيء الرطب. والقضم: الأكل بأطراف الأسنان أخفّ من الخضم. والنبتة ـ بكسر النون ـ: كالنبات في معناه.

٥١) انتكث فتله: آنتقض. وأجهز عليه عمله: تمم قتله، تقول: أجهزت على الجريح، وذففت عليه.

٥٢) البطنة ـ بالكسر ـ: البطر والأشر والكظة (أي: التخمة) والإسراف في الشبع. وكبت به: من كبا الجواد إذا سقط لوجهه.

٥٣) عُرف الضبع: ما كثر على عنقها من الشعر، وهو ثخين، يضرب به المثل في الكثرة والازدحام.

وينثالون: يتتابعون مزدحمين.

لَقَدْ وُطِئَ الْحَسَنَانِ، وشُقَّ عِطْفَايَ[٥٤]، مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ[٥٥].

فَلَـمَّا نَهَضْتُ بالْأَمْـرِ نَكَثَتْ طائفةٌ، ومَرَقَتْ أُخْرَى، وقَسَطَ آخَرُونَ[٥٦] كأَنَّهُم لَمْ يَسْمَعُوا كَلامَ اللهِ حَيْثُ يَقُولُ ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلوّاً في الأرْضِ وَلا فَسَـاداً وَالعَاقِبَةُ لِـلْمُتَّقِينَ ﴾ بَلَى! واللهِ لَقَدْ سَمِعُـوها وَوَعَوْها، ولـٰكنَّهُمْ حَلِيَتِ الدُّنْيَا في أَعْيُنِهم[٥٧] وَرَاقَهُمْ زِبْرِجُهَا، أَمَا والَّذي فَلَقَ الحبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ[٥٨] لَوْلاَ حُضُورُ الْحَاضِرِ[٥٩] وقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ، وَمَا أَخذَ اللّهُ على العُلَماءِ أَن لا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِـمٍ، وَلاَ سَغَبِ مَظْلُومٍ[٦٠]، لأَلْقَيتُ حَبْلَهَـا عَلَىٰ غَارِبِهَـا[٦١]، وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِها، لأَلْفَيْتُمْ دُنْياكُم هـٰذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ[٦٢].

قالوا: وقام إليه رجل من أهل السواد[٦٣] عند بلوغه إلى هذا الموضع من

٥٤) الحسنان: ولداه الحسن والحسين. وشقّ عطفاه: خدش جانباه من الاصطكاك. وفي رواية: (شقّ عطافي)، والعطاف: الرداء. وكان هذا الازدحام لأجل البيعة على الخلافة.

٥٥) ربيضة الغنم: الطائفة الرابضة من الغنم، يصف آزدحامهم حوله وجثومهم بين يديه.

٥٦) الناكثة: أصحاب الجمل. والمارقة: أصحاب النهروان. والقاسطون ـ أي الجائرون ـ: أصحاب صفّين.

٥٧) حليت الدنيا: من حليت المرأة إذا تزيّنت بحليها. والزبرج: الزينة من وشي أو جوهر.

٥٨) النسمة ـ محركة ـ: الروح، وبرأها: خلقها.

٥٩) من حضر لبيعته، ولزوم البيعة لذمة الإمام بحضوره.

٦٠) والناصر: الجيش الّذي يستعين به على إلزام الخارجين بالدخول في البيعة الصحيحة. والكظة: ما يعتري الآكل من آمتلاء البطن بالطعام، والمراد آستئثار الظالم بالحقوق. والسغب: شدة الجوع، والمراد منه هضم حقوقه.

٦١) الغارب: الكاهل، والكلام تمثيل للترك وإرسال الأمر.

٦٢) عفـطة العنـز: ما تنثره من أنفها، تقول: عفطت تعفط من باب ضرب، غير أنّ أكثر ما يستعمل ذلك في النعجة. والأشهر في العنز النفطة بالنون، يقال: ما له عافط ولا نافط، أي نعجـة ولا عنـز. كما يقال: ماله ثاغية ولا راغية. والعفطة: الحبقة أيضاً، لكنّ الأليق بكلام أمير المؤمنين هو ما تقدم.

٦٣) السـواد: العراق، وسمّي سواداً لخضرته بالزرع والأشجار، والعرب تسمّي الأخضر

خطبتـه فنـاوله كتاباً، فأقبل ينظر فيه، فقال له آبن عبّاس رضي اللّه عنهما: يا أمير المؤمنين، لو آطَّرَدْتَ خطبتَكَ من حيث أفضيتَ.

فقال: هَيْهاتَ ياآبْنِ عبَّاس، تلك شِقْشِقَةٌ[٦٤] هَدَرَتْ ثُمَّ قَـرَّتْ.

قال آبن عبّاس: فو اللّه ما أسفت على كلام قطّ كأسفي على هذا الكلام أن لا يكون أمير المؤمنين (ع) بلغ منه حيث أراد.

نسوا أو تناسوا كلّ هذه الأقوال من الإمام علي (ع) و تمسّكوا بقول آحتجّ به الإمام عليّ على معاوية لالتزام معاوية و نظرائه به.

الرابع ـ مناقشة الاستدلال بأنّ الخلافة تقام بالقهر و الغلبة

من سَبَـرَ التاريخ الإسلامي، وجد أنّ حكم الخلافة إلى عهد الخلفاء العثمانيّين الأتراك كان يقوم على أساس القسر، و شذّ قيامه خلاف ذلك مثل حكم الإمام علي (ع) و هذا هو الصّحيح في الأمر و لا مناقشة لنا في ذلك.

أمّـــا ما قالـوا: (من غلب عليهم بالسيف حتّى صار خليفـة و سمّي أمير المؤمنين فلا يحلّ لأحد يؤمن باللّه و اليوم الآخر أن يبيت و لا يراه إماماً بـرّاً كان أو فاجراً).

لست أدري عمّ يتكلّم هؤلاء الأعلام: عن شريعة اللّه في إقامة الحكم في المجتمع الإسلامي، أم عن شريعة الغاب لمجتمع الأسود و الفهود !؟

و لكي لا يؤاخذنا البعض على إيراد أقوال السّابقين باعتقاد أنّ أهل هذا العصر لا يوافقونهم في آرائهم و معتقداتهم و يقول الآخرون: (فلنكن اليوم في

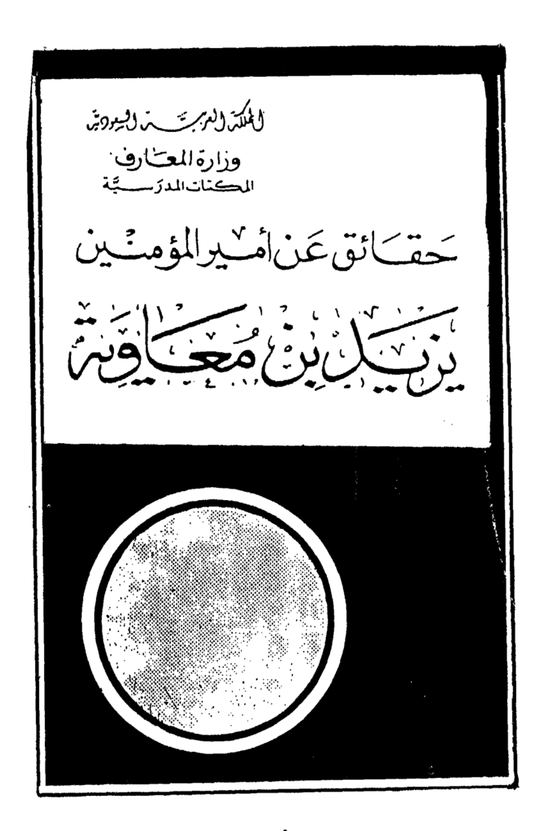
أسود. قال اللّه تعالى: ﴿ مدهامتـان ﴾ يريد الخضرة، كما هو ظاهر.

٦٤) الشقشقة ـ بكسر فسكون فكسر ـ: شيء كالرئة يخرجه البعير من فيه إذا هاج، و صوت البعير بهـا عند إخراجها هدير، و نسبة الهدير إليها نسبة إلى الآلة؛ قال في القاموس: و الخطبة

حاضر الإسلام)[٦٥]، نثبت هنا صورة غلاف كتاب طبع لمدارس بلد فيه الكعبة البيت الحرام ومسجد الرّسول وحرمه، والكتاب يثني على يزيد ويروي الحديث في مدحه، يزيد الّذي رمى الكعبة بالمنجنيق وأباح مسجد الرسول وحرمه لجيشه ثلاثة أيام يقتلون النّاس ويقعون على النساء، كما سيأتي تفصيله في باب (جيش الخلافة يستبيح حرم الرسول) وباب (مسير جيش الخلافة إلى مكّة). وينشر في الحرمين الشّريفين للدفاع عن يزيد والثناء عليه هذا الكتاب:

الشقشقية العلوية، وهي هذه.

٦٥) مجلة الأزهر، مجلد ٣٢، باب الكتب من جلد ١٠، سنة ١٣٨٠ ص ١١٥٠ - ١١٥١ في نقده لكتاب عبدالله بن سبأ.


المملكة العربية السعودية
وزارة المعارف
المكتبات المدرسية
حقائق عن أمير المؤمنين
يزيد بن معاوية

اطاعة الإمام الجائر المخالف لسنة الرسول (ص)

رأينا في بحث وجوب طاعة الإمام بمدرسة الخلفاء كيف رووا عن رسول لله (ص) النهي عن الخروج على السلطان الجائر المخالف لسنّة الرسول (ص) وجوب طاعته؛ أمّا مدرسة أهل البيت (ع) فقد رووا عن رسول الله (ص) وايات تناقض تلك الروايات مثل رواية الإمام الحسين (ع) سبط رسول لله (ع) عن جده قال:

«من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم اللّه ناكثاً عهده مخالفاً لسنّة رسول الله (ص) يعمل في عباد اللّه بالإثم و العدوان، فلم يغيِّر عليه بفعل و لا قول، كان حقّاً على الله أن يدخله مدخله»[٦٦].

و بمقارنة نظير هذه الروايات بروايات مدرسة الخلفاء، أدركنا أنّ تلكم الروايات بمدرسة الخلفاء إنّما رويت عن رسول اللّه (ص) احتساباً للخير و تأييداً للسّلطات الحاكمة على المسلمين، و كان ذلك في أوائل العصر الأمويّ، ثمّ دوّنوها في عصر تدوين الحديث أوائل القرن الثاني الهجري بكتب الحديث صحاحها و مسانيدها[٦٧] و تسالموا جميعاً على صحّتها و العمل بها، و شرحها و علّق عليها و أكّدها علماء بلاط السّلطات الحاكمة من محدّثين و قضاة و خطباء و أئمة الجمعة و الجماعة و أشباههم مدى العصور في شتّى البلاد منذ عصر الخلافة الأمويّة بالشّام و الأندلس ثم العباسيّة في بغداد و العثمانيّين في تركيا وحكّام المماليك في مصر و السلاجقة و الغزنويّين في إيران و الاكراد في الشّام، وأغدقت تلك السّلطات عليهم الجاه و المال و الحظوة في بلاطها،

٦٦) في خطبة الإمام الحسين (ع) لجيش حرّ بن يزيد الرياحي، بتاريخ الطبري وآبن الأثير و مقتل الخوارزمي.

٦٧) تأتي الإشارة اليه في أوائل الجزء الثاني إن شاء اللّه تعالى.

وتابعهم على ذلك الملأ من أتباعهم.

وهكـذا آنقسم المسلمون إلى مدرستين ؛ مدرسة الخلفاء الّتي أغدق حكـامهـا: المـال والجـاه والمناصب والحظوة على مروّجي أفكار مدرستها ، ومدرسـة أهل البيت (ع) الّتي قاومت تلك الأفكار والروايات المرويّة تأييداً للسّلطات واجتهـاداتهـا ، فبـذلت لها السّلطات الحـاكمـة القتـل والسّجن والتشريد وحملات الإبادة وإحراق الكتب والمكتبات مدىٰ العصور[٦٨] لإبعاد أفكارها المحافظة على سنّة الرسول (ص) من المجتمع وإخفائها عن أنظار المسلمين[٦٩].

وبعد كلّ ما ذكرناه،ماذا يصل إلينا من الحقائق في هذا العصر !؟

خلاصة البحث

كان المنطق السّائد يوم السّقيفة في الأفعال والأقوال، هو المنطق القَبَلـي سواء أكان لدى المهاجرين أم الأنصار، وكانت بيعة أبـي بكر يومذاك فلتة حسب تقويم الخليفة عمر لها.

ولم يستند الخليفة عمر إلى أيّ دليل من الكتاب والسنّة في ما طرحه من إقامة الخلافة بالشّورى وإنّـما آعتمد آجتهاده الخاصّ.

اجتهد فجعل تعيين ولـيّ الأمر من بعده بين ستّة أشخاص لا أكثر من ذلك.

وآجتهد فجعلهم من المهاجرين دون الأنصار.

وآجتهـد فجعـل الـترشيح بيد عبـد الرحمن بن عوف دون الآخرين

٦٨) يأتي شرحها في بحث حملة المغول على البلاد الإسلامية من هذا الكتاب إن شاء اللّه تعالى.

٦٩) ندرس تفصيل كلّ ما ذكرناه في البحوث الآتية إن شاء اللّه تعالى.

وقال: إذا آتّفق آثنان على واحد وآثنان على واحد، كونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن.

وآجتهد وقال: إذا صفق عبد الرحمن بإحدى يديه على الأخرى فآتّبعوه، فمن آتّخذ من آجتهاد الخليفة عمر في عداد كتاب الله وسنّة رسوله (ص) مصدراً للتّشريع الإسلامي، قال بأنّ الإمامة تقام بالشورى بين ستّة، يبايع خمسة منهم الواحد منهم.

وأمّا ما آستشهد به أتباع مدرسة الخلفاء بآية: ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ فإنّ الآية لا تدلّ على أكثر من رجحان الشّورى في أمر لم يأت عن اللّه ورسوله فيه أمر، لأنّ اللّه سبحانه كلّما أراد الفرض في أمر قال: كتب اللّه عليكم كذا، أو فرض كذا، أو جعل أو وصّىٰ، أو غيرها من الألفاظ الدالّة على الوجوب.

وأما آية: ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ في الخطاب للرسول (ص) فإنّ القصد المشاورة في الغزوات، ومن أجل تربية نفوس المسلمين أو إيجاد الشكّ والخلاف بين المشركين، وكلّها كانت من أجل تعيين إجراء الحكم الشرعيّ، وليس من أجل معرفة الحكم الشرعيّ. ثم إنّهم لم يعيّنوا كيف تكون الشّورى من أجل تعيين الإمام، وقد رأينا كيف تمّت الشّورى لإقامة خلافة عثمان. هذا عن الشورى.

وأما البيعة فإنّها لا تنعقد بالإجبار وحدّ السيف، ولا تنعقد للقيام بمعصية، ولا لمن يعصي اللّه.

وأما سيرة الأصحاب، فإن آتّخذت في عداد الكتاب والسنّة مصدراً للتّشريع الإسلاميّ، صحّ الاستدلال بها، وإلّا فلا.

وما آستُشْهِد به في هذا المقام، من كلام الإمام علي (ع)، فإنّه كان لمحاججة الخصم بما آلتزم به، وهذا متعارف لدى العقلاء، ثمّ إنّ إجماع

الصحابة بما فيهم الإمام علي و الإمام الحسن و الإمام الحسين يدلّ على رضا اللّه كما عبّر عنه الإمام.

أمّا قولهم: من غلب بالسيف فهو أمير المؤمنين تجب طاعته برّاً كان أو فاجراً، فهو الواقع الّذي دأبوا عليه، كما يظهر ذلك لمن يدرس تاريخ الخلفاء في الإسلام.

كانت هذه دراسة آراء مدرسة الخلفاء و أدلّتهم عليها؛ أمّا مدرسة أهل البيت، فسندرس آراءهم و أدلّتهم في البحث الآتـي بحوله تعالىٰ.

الفصل الثالث

بحوث مدرسة أهل البيت (ع) في الإمامة

اهتمام الرسول (ص) بأمر تعيين أولي الأمر من بعده
وصيّ الرسول (ص) ووزيره ووليّ عهده وخليفته من بعده
مدرسة الخلفاء تبذل جهودا كبيرة في سبيل كتمان أخبار الوصية
دراسة عمل مدرسة الخلفاء بنصوص سنّة الرسول (ص) المخالفة لاتّجاهها
انتشار أحاديث سيف من تاريخ الطبري إلى كتب التاريخ وسببه
ما بقي من النصوص الواردة عن الرسول (ص) في أمر الحكم من بعده.

ما أشبه تعيين الوصيّ في هذه الأمّة بتعيين الوصيّ في أمّة موسى(ع)
الولاية وأولو الأمر في القرآن الكريم
الأئمة عليّ وبنوه مبلغون عن الرسول (ص)

في البحث السابق ذكرنا آراء مدرسة الخلفاء في الإمامة و أدلّتهم عليها.

أمّا أتباع مدرسة أهل البيت (ع) فإنّهم يشترطون في الإمام بعد النبيّ أن يكون معصوماً من الذنوب، منصوباً من قبل اللّه عزّ وجلّ، منصوصاً عليه من قبل نبيّه (ص)، لقوله تعالى لخليله إبراهيم (ع):

﴿ إنّي جاعلك للنـاس إمـاماً، قال و من ذرّيّـتي قال لا ينال عهدي الظّالمين ﴾ البقرة/١٢٤.

إذاً فالإمامة عهد من اللّه يخبر نبيّه عـمّن عهد اللّه إليه، كما يخبر عن سائر أوامر اللّه و أحكامه، و أنّه لا ينال عهد الإمامة من اللّه من كان ظالماً، و أنّ كلّ من لم يتّصف بالظّلم إلى نفسه و لا إلى غيره فهو معصوم.

وعلى هذا فالإمـامـة عهـد وتعيين من اللّه، و الـرسول مبلّغ إيّاها، و يلزمها العصمة. و قد تحقّق هذان الشّرطان في أئمة أهل البيت (ع) كما يأتـي بيانهما.

عصمة أهل البيت (ع)

أخبر اللّه سبحانه و تعالى بأن أهل البيت ـ و هم محمّد و عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين صلوات اللّه عليهم ـ معصومون من الذنوب في قوله تعالى:

﴿ إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً ﴾ الأحزاب/٣٣.

شأن نزول الآية و ما صنع الرسول (ص) بهذه المناسبة

روى عبد اللّه بن جعفر بن أبي طالب[1] قال:

(لـمّا نظر رسول اللّه (ص) إلى الرحمة هابطة، قال: « أُدعوا لي، ادعوا لي ». فقالت صفيّة [2]: من يا رسول اللّه؟ قال: « أهل بيتي عليّاً و فاطمة

١) بمستدرك الصحيحين ٣/١٤٧.

وعبداللّه بن جعفر ذو الجناحين: أبن عمّ النبي أبي طالب و أمّه أسماء بنت عميس الخثعمية. ولد بأرض الحبشة في هجرة أبويه إليها، و هاجر أبوه به إلى المدينة. وكان حليماً كريماً يقال له: بحر الجود، توفي بالمدينة سنة ثمانين عام الجحاف ـ عام جاء فيه سيل عظيم ببطن مكّة جحف الحاجّ وذهب بالإبل عليها أحمالها ـ. وروى عنه أصحاب الصحاح ٢٥ حديثاً. ترجمته بأسد الغابة وجوامع السيرة ص ٢٨٢.

٢) صفية بنت حُيي بن أخطب: من سبط هارون بن عمران من بني إسرائيل، وأمّها برة بنت

والحسن والحسين »[3]. فجيء بهم. فألقى عليهم النبيّ (ص) كساءه، ثمّ رفع

السموأل من بني قريظة. كانت زوجة كنانة بن الربيع من يهود بني النضير فقتل عنها يوم خيبر فآصطفاها النبيّ وقال لها: « إن آخترت الإسلام أمسكتك لنفسي وإن آخترت اليهودية فعسى أن أعتقك فتلحقي بقومك »، فقالت: يارسول اللّه لقد هويت الإسلام وصدقت بك قبل أن تدعوني حيث صرت إلىٰ رحلك، ومالي في اليهودية إرب ومالي فيها والد ولا أخ، وخيّرتني الكفر والإسلام، فاللّه ورسوله أحبّ إليّ من العتق وأن أرجع إلى قومي. فآعتدّت ثم تزوّجها النبيّ وتوفّيت في سنة ٥٢ هـ. وروى عنها أصحاب الصحاح ١٠ أحاديث. ترجمتها بطبقات آبن سعد ٨/١٢٠ ـ ١٢٩. وجوامع السيرة ص ٢٨٥.

٣) فاطمة بنت رسول اللّه (ص) وأمّها أمّ المؤمنين خديجة (ع).

في ترجمتها بأسد الغابة والإصابة: أن كنيتها أمّ أبيها وأنه آنقطع نسل رسول اللّه إلا منها، وقال رسول اللّه (ص) لفاطمة: « إن اللّه يغضب لغضبكِ ويرضى لرضاكِ ». أخرجه ـ أيضاً ـ الحاكم في مستدركه ١٥٣/٣. وبميزان الاعتدال ٧٧/٢. وتهذيب التهذيب ٤٤١/١٢. وفي باب مناقب فاطمة بصحيح البخاري ٢٠٠/٤ و٢٠١ و٢٠٥: قال رسول اللّه (ص): « فاطمة بضعة منّي، من أغضبها أغضبني ».

وفي رواية أخرى فيه بباب ذبّ الرجل عن آبنته من كتاب النكاح ١٧٧/٣، وباب فضائل فاطمة من صحيح مسلم، والترمذي. وبمسند أحمد ٤١/٤ و٣٢٨. ومستدرك الصحيحين ١٥٣/٣: « يؤذيني ما آذاها، أو يؤذيها ».

وكان آخر الناس عهداً برسول اللّه إذا سافر فاطمة، وإذا قدم من سفر كان أول الناس عهداً به فاطمة، كما في مستدرك الصحيحين ١٥٦/٣ و١٥٥ و٤٨٩/١. ومسند أحمد ٢٧٥/٥. وسنن البيهقي ٢٦/١.

وفي باب فرض الخمس من صحيح البخاري ١٢٤/٢، عن عائشة أنّ فاطمة سألت أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول اللّه (ص) أن يقسم لها ميراثها ما ترك رسول اللّه ممّا أفاء اللّه عليه، فقال أبو بكر: إنّ رسول اللّه قال: « لا نورث ما تركنا صدقة ». فغضبت فاطمة بنت رسول اللّه فهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرته حتى توفّيت، وعاشت بعد رسول اللّه (ص) ستّة أشهر.

وفي باب غزوة خيبر منه ٣٨/٣: فلمّا توفيت دفنها زوجها عليّ ليلاً، ولم يؤذن بها أبا بكر، وصلّى عليها، وكان لعليّ وجه حياة فاطمة، فلمّا توفّيت آستنكر عليّ وجوه الناس فالتمس مصالحة أبي بكر...

ورواه مسلم كذلك في صحيحه بكتاب الجهاد ١٥٤/٥. ومسند أحمد ٩/١. وسنن البيهقي ٣٠٠/٦.

وبترجمتها في أسد الغبة: وأوصت إلى أسماء أن تغسلها ولا تدخل عليها أحداً، فلما توفّيت

يديه، ثمّ قال: « اللهمّ هؤلاء آلي فصل على محمّد وآل محمّد ». وأنزل اللّه عزّ وجلّ: ﴿ إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً ﴾.

وفي رواية أمّ المؤمنين عائشة: أنّ الكساء كان مرطاً مرحّلاً من شعر أسود[4].

جاءت عائشة فمنعتها أسماء.

قال المؤلف:

ولم يعرف موضع قبرها حتّى اليوم.

وروى عنها أصحاب الصّحاح ١٨ حديثاً. جوامع السيرة ص ٢٨٣.

والحسنان سبطا رسول اللّه وأبنا عليّ وفاطمة.

ولد الحسن في النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة، وولد الحسين لثلاث خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة.

قال رسول اللّه (ص): الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنّة وأبوهما خير منهما. في سنن آبن ماجة باب فضائل أصحاب رسول اللّه (ص). ومستدرك الصحيحين ١٦٧/٣. ومصادر كثيرة غيرهما.

بايع المسلمون الحسن بعد وفاة أبيه سنة أربعين وبقي أكثر من ستّة أشهر في الخلافة، ثمّ آقتضت مصلحة الإسلام العليا أن يصالح معاوية. ولـمّا أراد معاوية أن يأخذ البيعة لابنه يزيد دسّ إليه السّمّ فقتله سنة خمسين. أحاديث أمّ المؤمنين عائشة ٢٥١/١ ـ ٢٦٦.

وفي سنة ستّين أبى الحسين أن يبايع يزيد وقال: « وعلى الإسلام السلام إذا بليت الأمّة براعٍ مثل يزيد». فقتله جيش يزيد بكربلاء عاشوراء سنة إحدى وستّين. اللهوف لابن طاووس.

روى أصحاب الصحاح عن الحسن ١٣ حديثاً، عدا البخاري ومسلم، وعن الحسين ٨ أحاديث. جوامع السيرة ص ٢٨٤ و٢٨٦. وتقريب التهذيب ١٦٨/١.

٤) المرط: كساء من صوف أو خز. والمرحل من الثياب: ما أشبهت نقوشه رحال الإبل.

وعائشة بنت أبي بكر وأمّها أم رومان. ولدت في السنة الرابعة بعد البعثة، بنى بها الرسول (ص) بعد ثمانية عشر شهراً من هجرته إلى المدينة. وتوفّيت سنة ٥٧ أو ٥٨ أو ٥٩، وصلّى عليها أبو هريرة. وروى عنها أصحاب الصحاح ٢٢١٠ أحاديث، راجع كتابنا أحاديث عائشة.

وروايتها في شأن نزول آية التطهير في صحيح مسلم ١٣٠/٧، باب فضائل أهل بيت النبي. ومستدرك الصحيحين ١٤٧/٣. وبتفسير الآية في تفسير آبن جرير والدر المنثور للسيوطي وآية المباهلة في تفسير الزمخشري والرازي. وسنن البيهقي ١٤٩/٢.

وفي رواية الصّحابيّ واثلة بن الأسقع: إنّ رسول اللّه أدنىٰ عليّاً وفاطمة وأجلسهما بين يديه وأجلس حسناً وحسيناً كلّ واحد منهما على فخذه ـ الحديث[٥].

وفي رواية أمّ المؤمنين أمّ سلمة قالت: نزلت هذه الآية في بيتي: ﴿ إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرّجس... ﴾ وفي البيت سبعة: جبرئيل وميكائيل (ع) وعليّ وفاطمة والحسن والحسين (رض) وأنا على باب البيت، قلت: يا رسول اللّه ألست من أهل البيت؟ قال: «إنك إلى خير. إنك من أزواج النبيّ»[٦].

وقد روى شأن نزول آية التّطهير غير من ذكرنا كلّ من:

أ ـ عبد اللّه بن عباس[٧].

ب ـ عمر بن أبي سلمة[٨] ربيب النبيّ (ص).

٥) واثلة بن الأسقع الليثي: أسلم والنبيّ يتجهّز إلى تبوك. وقيل إنّه خدم النبي ثلاث سنوات ومات سنة خمس وثمانين أو ثلاث وثمانين بدمشق أو ببيت المقدس. روى عنه أصحاب الصحاح ٥٦ حديثاً. ترجمته بأسد الغابة وجوامع السيرة ص ٢٧٩. وروايته في شأن آية التطهير بسنن البيهقي ٢/١٥٢، ورواية أخرى منه بمسند أحمد ٤/١٠٧. ومستدرك الصحيحين ٢/٤١٦ و٣/١٤٧. ومجمع الزوائد ٩/١٦٧. وآبن جرير والسيوطي في تفسير الآية من تفسيريهما. وأسد الغابة ٢/٢٠.

٦) رواية أم سلمة في تفسير الآية بتفسير السيوطي ٥/١٩٨ و١٩٩.

ورواية أخرى في سنن الترمذي، ١٣/٢٤٨. ومسند أحمد ٦/٣٠٦. وأسد الغابة ٤/٢٩، و٢/٢٩٧. وتهذيب التهذيب ٢/٢٩٧.

وأخرى بمستدرك الصحيحين ٢/٤١٦ و٣/١٤٧. وسنن البيهقي ٢/١٥٠. وأسد الغابة ٥/٥٢١ و٥٨٩. وفي تاريخ بغداد ٩/١٢٦.

وأخرى: بمسند أحمد ٦/٢٩٢.

٧) رواية آبن عباس بمسند أحمد ١/٣٣٠، وخصائص النسائي ص ١١. والرياض النضرة ٢/٢٦٩. ومجمع الزوائد ٩/١١٩ و٢٠٧، وتفسير الآية بالدر المنثور.

٨) عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسد أبو حفص المخزومي: ربيب رسول اللّه، أمّه أمّ سلمة. ولد في الحبشة. شهد مع عليّ الحمل، وآستعمله على البحرين وعلى فارس. توفّي سنة ٨٣ هـ.

ج ـ أبو سعيد الخدري[9].

د ـ سعد بن أبـي وقاص[10].

هـ ـ أنس بن مالك[11]، وغيرهم[12].

وآستشهد بها الحسن السبط (ع) على المنبر[13]، وعليّ بن الحسين (ع) في الشّام[14].

كان رسول اللّه بعد نزول هذه الآية عدّة أشهر يأتـي إلى باب دار علـيّ وفاطمة يسلّم عليهم ويقرأ الآية. قال آبن عبّاس:

روى عنه أصحاب الصحاح ١٢ حديثاً. ترجمته بأسد الغابة وجوامع السيرة ص: ٢٨٤. وحديثه بشأن آية التطهير في: «فضائل الخمسة» ١/٢١٤ عن صحيح الترمذي ٢/٢٠٩.

٩) رواية أبـي سعيد في تفسير الآية بتفسير آبن جرير و السيوطي وتاريخ بغداد ١٠/٢٧٨. ومجمع الزوائد ٩/١٦٧ و ١٦٩. وستأتي ترجمته في الهامش رقم (٥) ص ٢٩٥.

١٠) سعد بن أبـي وقاص. ـ مرّت ترجمته في الهامش رقم (٦٢) من بحث: الواقع التاريخي ـ وأبى أن يبايع عليّاً، وأبى على معاوية أن يسبّ عليّاً. ودسّ إليه معاوية السمّ لـمّا أراد أن يبايع ليزيد، فمات. وروى عنه أصحاب الصحاح ٢٧١ حديثاً. ترجمته بأسد الغابة وصحيح مسلم ٧/١٢٠ وأحاديث أم المؤمنين عائشة ١/٣٥٦ ط. بيروت ١٤٠٥ هـ.

وروايته بشأن اية آلتطهير في خصائص النسائى ص ٤ ـ ٥. وسنن الترمذى ١٣/١٧١ ـ ١٧٢.

١١) رواية أنس بن مالك في سنن الترمذي ١٣/٢٤٨. ومجمع الزوائد ٩/٢٠٦.

١٢) مثل قتادة في تفسير الآية عند آبن جرير و السيوطي وعطية بترجمته بأسد الغابة ٣/٤١٣، ومعقل بن يسار، راجع سنن الترمذي ١٣/٢٤٨.

١٣) روي آستشهاد السبط بمستدرك الصحيحين ٣/١٧٢. ومجمع الزوائد ٩/١٤٦ و١٧٢.

١٤) علي بن الحسين: أمّه بنت يزدجرد كما في الباب العاشر من ربيع الأبرار للزمخشري راجع ج ٢ ورقة ٤٤، مصورة مكتبة أمير المؤمنين في النجف تسلسل ٢٠٥٩، أدب. وماتت في نفاسها به، فكفله بعض أمهات ولد أبيه، وزوّجها علي بن الحسين بعد أبيه (عيون أخبار الرضا ٢/١٢٨) ويبدو أنها كانت تسمى غزالة. توفي علي بن الحسين بالمدينة سنة خمس وتسعين. وروى عنه أصحاب الصحاح بعض الأحاديث وآستشهاده بآية التطهير ورد في تفسير الآية بتفسير الطبري. ترجمته بوفيات الأعيان ٢/٤٢٩. وتاريخ اليعقوبي ٢/٣٠٣.

شهدت رسول اللّه (ص) تسعة أشهر يأتـي كلّ يوم باب علـيّ بن أبـي طالب عند وقت كلّ صلاة فيقول: « السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته أهل البيت، إنّما يريد اللّه... الصّلاة رحمكم اللّه » كلّ يوم خمس مرّات[15].

وعن أبـي الحمراء، قال: حفظت رسول اللّه ثمانية أشهر بالمدينة ليس من مرّة يخرج إلى صلاة الغداة إلاّ أتى باب عليّ فوضع يده على جنبتي الباب ثم قال: « الصلاة، إنّما يريد اللّه... »[16]

وقال أبو برزة: إنّه صلّى مع رسول اللّه سبعة أشهر، فإذا خرج من بيته أتى باب فاطمة...[17].

وعن أنس بن مالك ستّة أشهر[18]. وروى ـ أيضاً ـ غيرهم في ذلك.

في هذه الآية، أخبر اللّه عن المعصومين في عصر رسول اللّه خاصّة، وعيّنهم الرسول بما فعل من نشر الكساء عليهم وقراءة الآية في ملأ من أصحابه عدّة شهور على باب بيتهم.

إنّ هذه الآية، وما ورد عن رسـول اللّه (ص) من قول وفعـل في تفسيرها، تكفي دليلاً لإثبات عصمة أهل البيت (ع).

ومن الناحية العمليّة، لم يسجّل التاريخ عن أئمة أهل البيت (ع) ما ينافي عصمتهم، على أنّ التاريخ الإسلاميّ دوّن من قبل علماء مدرسة

١٥) رواية آبن عباس في تفسير الآية وآية ﴿ وأمر اهلك ﴾. من الدر المنثور.

١٦) أبو الحمراء: مولى رسول اللّه، آسمه هلال بن الحارث أو آبن ظفر، والحديث بترجمته في الاستيعاب ٥٩٨/٢. وأسد الغابة ١٧٤/٥. ومجمع الزوائد ١٦٨/٩.

١٧) أبوبرزة الأسلمي: آختلفوا في آسمه. توفّي في البصرة سنة ستّين أو أربع وستّين. روى عنه أصحاب الصحاح ٢٠ أو ٤٦ حديثاً. ترجمته بأسد الغابة وجوامع السيرة ص ٢٨٠ و٢٨٣. وحديثه المذكور في مجمع الزوائد ١٦٩/٩، لفظه: سبعة عشر شهراً ونراه من غلط النساخ.

١٨) رواية أنس بمسند أحمد ٢٥٢/٣. والطيالسي ٢٧٤/٧، ح ٢٥٠٩. وأسد الغابة ٥٢١/٥. وتفسير الآية عند آبن جرير والسيوطي.

الخلفاء، وغالباً ما دوّنوا في كتب التاريخ الإسلامي ما يجلبون به رضا الخلفاء مدى العصور، وكان الخلفاء مدى العصور جادّين لإطفاء نور أئمة أهل البيت (ع) خشية ميل المسلمين إليهم (ع) ومبايعتهم بالخلافة، ولهذا السبب قتلوا منهم من قتلوا، وسجنوا منهم من سجنوا، وشرّدوا منهم من شرّدوا، وخاصّة بنو أميّة الّذين أمروا بلعن الإمام عليّ (ع) في خطب صلاة الجمعة على منابر المسلمين، ولم ينج من عذابهم ومطاردتهم محبّو أئمة أهل البيت وشيعتهم ومن آعتقد بإمامتهم؛ مع كلّ ذلك لا نجد في التاريخ المدوّن أيّة صغيرة أو هفوة نسبت إلى أئمة أهل البيت (ع). وكفى بهذا دليلاً على أن اللّه عصمهم من الرجس وطهّرهم تطهيراً.

كان هذا أهمّ أدلّة مدرسة أهل البيت على عصمة أهل البيت (ع)، وفي ما يأتي بيان بعض النصوص الواردة عن رسول اللّه (ص) في إمامتهم، وقد قال اللّه تعالى في حقّ رسوله:

﴿ وما ينطق عن الهوى * إن هو إلاّ وحي يُوحى ﴾ النجم/ ٣ ـ ٤.

اهتمام الرسول (ص) بأمر تعيين أولي الأمر من بعده

قبـل أن ندرس النصوص الواردة عن رسول اللّه (ص) في تعيين أولي الأمر من بعده، ندرس شيئاً من آهتمام الرسول (ص) بهذا الأمر في ما يأتـي :

إن أمر الإمامة بعد الرسول (ص) كان من الأمور المهمّة الّتي لم تغب عن بال الرسول (ص) ومن كان حوله، بل كانوا يفكّرون فيه منذ البدء؛ فقد رأينا بيحرة من بني عامر بن صعصعة يشترط على رسول اللّه (ص) لإسلامهم أن يكـون لهم أمـر من بعـد الـرسـول (ص)، ورأينـا هوذة الحنفي يطلب من الرسول (ص) منحه شيئاً من الأمر.

وكذلك كان الرسول (ص) ـ أيضاً ـ يفكّر في الأمر من بعده ويدبّر له منذ أوّل يوم دعا إلى الإسلام، وأوّل يوم أخذ فيه البيعة لإقامة المجتمع الإسلامي.

أمّا تدبيره في أوّل يوم أخذ فيه البيعة لإقامة المجتمع الإسلامي، فقد كان ما رواه البخـاريّ ومسلم في صحيحيهما، والنسائيّ وآبن ماجة في سننهما، ومالك في الموطّأ، وأحمد في المسند، وغيرهم في غيرها ـ واللّفظ للأوّل ـ قال:

قال عبادة بن الصامت: بايعنا رسول اللّه (ص) على السمع و الطاعة في (العسر و اليسر) و المنشط و المكره. و أن لا ننازع الأمر أهله. . . .

و عبادة هذا كان أحد النّقباء الاثني عشر على الأنصار يوم بيعة العقبة الكبرى[2] حين قال النبيّ (ص) للنيف و السبعين من الأنصار الّذين بايعوه: أخرجوا إليّ آثني عشر نقيباً يكونون على قومهم بما فيهم. فأخرجوا من بينهم آثني عشر نقيباً، فقال رسول اللّه (ص) للنّقباء: أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء، ككفالة الحواريّين لعيسى بن مريم (ع). . .[3].

إنّ عبادة بن الصّامت أحد أولئك النّقباء الاثني عشر روى من بنود البيعة الّتي بايعوا الرسول عليها: « أن لا ينازعوا الأمر أهله ».

* * *

و إنّما أراد رسول اللّه (ص) من (الأمر) الوارد في هذا الحديث الصّحيح، و الّذي يذكر فيه أخذ البيعة من آثنين و سبعين رجلاً و آمرأتين من الأنصار أن لا ينازعوا الأمر أهله، هو الأمر الّذي تنازعوا عليه في سقيفة بني ساعدة[4]، و أهل الأمر هم الّذين ذكرهم اللّه تعالى في قوله: ﴿ أطيعوا اللّه

١) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب كيف يبايع الإمام الناس، ح ١، ١٦٣/٤. و لفظ العسر و اليسر في صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية و تحريمها في المعصية، ح ٤١ و ٤٢. و سنن النسائي، كتاب البيعة، باب البيعة على أن لا ننازع الأمر أهله. و سنن آبن ماجة، كتاب الجهاد، باب البيعة ح ٢٨٦٦. و موطأ مالك، كتاب الجهاد، باب الترغيب في الجهاد، ح ٥. و مسند أحمد ٣١٤/٥ و ٣١٦ و ٣١٩ و ٣٢١، و راجع ٤١١/٤ منه.

و ترجمة عبادة بسير أعلام النبلاء ٣/٢. و تهذيب آبن عساكر ٢٠٧/٧ ـ ٢١٩.

٢) بترجمة عبادة في الاستيعاب ٤١٢/٢. و أسد الغابة ١٠٦/٣ ـ ٨١٠٧.

٣) الطبري، ط. اوربا ١٢٢١/١.

٤) راجع نزاع الأنصار القَبَلي مع المهاجرين في فصل السقيفة و بيعة أبـي بكر، بأول الكتاب.

وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾

وإنّ رسول اللّه (ص) وإن لم يشخص هنا وليّ الأمر من بعده، لأنّه لم يكن من الحكمة أن يعرّف وليّ الأمر من بعده وهو من غير قبيلة الأنصار، ولعلّ نفوس بعض المبايعين لم تكن تتحمّل ذلك يومئذ، غير أنه أخذ البيعة منهم أن لا ينازعوه حين يعيّنه لهم بعد ذلك.

وقد عيّن الرسول (ص) وليّ الأمر من بعده وشخص وصيّه وخليفته في مجتمع أصغر من هذا المجتمع، وذلك في أوّل يوم دعا الأقربين إليه للإسلام، كما رواه جمع من أهل الحديث والسير مثل: الطبري، وآبن عساكر، وآبن الأثير، وآبن كثير، والمتّقي، وغيرهم ـ واللفظ للأوّل[6] ـ قال: عن عليّ بن أبي طالب (ع) قال:

لـمّا نزلت هذه الآية على رسول اللّه (ص): ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ الشعراء/٢١٤. دعاني رسول اللّه (ص) فقال لي:

يا عليّ، إنّ اللّه أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، فضقت بذلك ذرعاً، وعرفت أنّي متى أباديهم بهذا الأمر، أرى ما أكره، فصمتّ عليه، حتّى جاءني جبرئيل فقال: يا محمّد إن لا تفعل ما تؤمر به يعذّبك ربّك. فآصنع لنا صاعاً من طعام، وآجعل عليه رِجل شاة، وآملأ لنا عسّاً من لبن، ثمّ آجمع لي بني عبد المطّلب حتّى أكلّمهم وأبلّغهم ما أمرت به.

٥) النساء/٥٩. ويأتي تفسيرها والأحاديث الواردة عن رسول اللّه (ص) حوله في بحوث الكتاب إن شاء اللّه تعالى.

٦) تاريخ الطبري ط. أوربا ٣/١١٧١ ـ ١١٧٢. وآبن عساكر تحقيق المحمودي ج ١ من ترجمة الإمام. وتاريخ آبن الأثير ٢/٢٢٢. وشرح آبن أبي الحديد ٣/٢٦٣. وفي تاريخ آبن كثير ٣/٣٩، وقد حذف الألفاظ وقال: كذا وكذا. وكنز العمال للمتقي، ١٥/١٠٠ و١١٥ و١١٦ منه، وفي ص ١٣٠: يكون أخي وصاحبي ووليّكم بعدي. والسيرة الحلبية نشر المكتبة الإسلاميّة ببيروت ١/٢٨٥.

ففعلتُ ما أمرني به، ثمّ دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه، فيهم أعمامه: أبو طالب، وحمزة، والعبّاس، وأبو لهب. فلمّا آجتمعوا إليه دعاني بالطّعام الّذي صنعت لهم، فجئت به. فلمّا وضعته تناول رسول اللّه (ص) حذية (أي: قطعة) من اللّحم فشقّها بأسنانه، ثمّ ألقاها في نواحي الصّحفة، ثمّ قال: خذوا بسم اللّه. فأكل القوم حتّى ما لهم بشيء من حاجة، وما أرى إلاّ موضع أيديهم. وأيم اللّه الّذي نفس عليّ بيده إن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجميعهم. ثمّ قال: إسقِ القوم. فجئتهم بذاك العسّ، فشربوا منه حتّى رووا منه جميعاً، وأيم اللّه إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله.

فلمّا أراد رسول اللّه (ص) أن يكلّمهم، بدره أبو لهب إلى الكلام فقال: لشدّ ما سحركم صاحبكم. فتفرّق القوم ولم يكلّمهم رسول اللّه (ص) فقال الغد: يا عليّ إنّ هذا الرجل سبقني إلى ما قد سمعت من القول، فتفرّق القوم قبل أن أكلّمهم، فعدْ لنا من الطّعام بمثل ما صنعت، ثمّ آجمعهم إليّ.

قال: ففعلت، ثمّ جمعتهم، ثمّ دعاني بالطّعام، فقرّبته لهم ففعل كما فعل بالأمس، فأكلوا حتّى ما لهم بشيء حاجة، ثمّ قال: إسقهم. فجئتهم بذاك العسّ، فشربوا حتّى رووا منه جميعاً. ثمّ تكلّم رسول اللّه (ص) فقال: يا بني عبد المطّلب، إنّي واللّه ما أعلم شابّاً في العرب جاء قومه بأفضل ممّا قد جئتكم به. إنّي قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني اللّه تعالى أن أدعوكم إليه. فأيّكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم؟

قال: فأحجم القوم عنها جميعاً وقلت ـ وإنّي لأحدثهم سنّاً، وأرمصهم عيناً، وأعظمهم بطناً، وأحمشهم ساقاً ـ: أنا يا نبيّ اللّه أكون

وزيرك عليه. فأخذ برقبتي، ثمّ قال: إنّ هذا أخي ووصيّي وخليفتي فيكم، فآسمعوا له وأطيعوا. قال: فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع.

* * *

كانت هذه الدعوة في السنّة الثالثة من البعثة، وهي أوّل مرّة أظهر فيها الرّسول (ص) الدعوة إلى الإسلام، وشخّص فيها الإمام من بعده وعرّفه للأقربين إليه. وإنّما فعل ذلك هنا، ولم يفعله بعدها بعشر سنوات ويوم أخذ البيعة من الأنصار لإقامة المجتمع الإسلامي، لأنّ الإمام كان من غير قبائل الأنصار وكان بناء المجتمع عندهم على أساس قَبَلي، ولم يكن من الحكمة أن يأخذ البيعة منهم لمن يلي الأمر بعده وهو ليس من قبائل الأنصار، فآكتفى في ذلك المقام بأخذ البيعة منهم أن لا ينازعوه في الأمر.

وفي هذه المرّة شخّصه للأقربين إليه في محاورة شبيهة بمشاورة أصحابه في غزوة بدر، فإنّه مع علمه في غزوة بدر بعاقبة الأمر، كما أخبر بها أصحابه بعد الانتهاء من المشاورة وأراهم مصارع المشركين، مع ذلك آستشارهم أوّل الأمر في ما يفعل، وكذلك فعل هنا، فإنّه مع علمه بالعاقبة وأنّ الّذي يقبل مؤازرته هو الإمام عليّ، مع ذلك علّق تعيين الوزير والوصيّ والخليفة من بعده على قبول المؤازرة في التبليغ وليتقدّم بالقبول أيّهم شاء، ولـمّا أبى كلّهم ذلك، وبادر بالقبول آبن عمّه عليّ، أخذ برقبته وقال فيه ما مرّ وأمرهم بطاعته.

* * *

رأينا في ما مرّ بنا إلى هنا آهتمام الرسول (ص) بأمر الإمامة من بعده: يشخّصه في مكان، ويأخذ البيعة أن لا ينازعوه في مكان آخر، ويقابل طمع الطّامعين بالرفض في غيرهما.

ومن أجل أن ندرك مدى آهتمام الرسول (ص) بأمر من يستخلفه من

بعده، ندرس في ما يأتي ما كان يعمله (ص) عندما يغيب عن المدينة أيّاماً معدودات في الغزوات، و كيف كان يعيّن خليفة عليهم من بعده.

باب ذكر من استخلف الرسول (ص) على المدينة في غزواته

في السنة الثانية من الهجرة:

أذِن لرسول اللّه (ص) بالقتال في صفر من السنة الثانية، فغزا بالمهاجرين يعترض عيراً لقريش فبلغ ودّان و الأبواء[7].

أولاً: إستخلف سعد بن عبادة سيّد الخزرج من الأنصار خمس عشرة ليلة، مدة غيبته عن المدينة.

ثانياً: إستخلف في غزوة بواط[8] سعد بن معاذ من سادة الأوس من الأنصار في ربيع الأول.

ثالثاً: إستخلف مولاه زيد بن حارثة في غزوته لطلب كرز بن جابر الفهري ـ وكان أغار على سرح المدينة ـ فبلغ (ص) سفوان وفاته كرز و السرح[9].

رابعاً: إستخلف أبا سلمة المخزومي في غزوة ذي العشيرة، حين ذهب في جمادى الأولى أو الثانية يعترض عيراً لقريش ذاهبة إلى الشام، ففاتته، وكان

٧) الأبواء: قرية من أعمال فراض على بعد ٢٣ ميلاً من المدينة، فيها قبر آمنة أمّ النبيّ (ص).
و ودّان: قرية على مرحلة من الجحفة بينها و بين الأبواء ستّة أميال. معجم البلدان.

٨) بواط: من جبال جهينة من طريق الشام، و بين بواط و المدينة ثمانية برد، و برد: جمع البريد و يبلغ البريد: اثني عشر ميلاً. في معجم البلدان بمادة بواط.
يبدو جلياً مراعاة رسول اللّه (ص) في الغزوتين الأوليين مشاعر الأنصار القبلية حين آستخلف في الأولى سيّد الخزرج و في الثانية سيّداً من الأوس.

٩) كانت هذه الغزوة أيضاً في ربيع الأول وبعد بواط. و سفوان: وادٍ بناحية بدر.
كرز بن جابر بن حسل الفهري: قتل يوم الفتح مع رسول اللّه(ص). راجع جمهرة أنساب العرب لابن حزم في ذكر نسب بني محارب بن فهر، وبترجمته من الإصابة.

القتال ببدر في رجوعها من الشّام[١٠].

خامساً: إستخلف آبن أمّ مكتوم الضرير في غزوة بدر الكبرى، وغاب عن المدينة تسعة عشر يوماً[١١].

سادساً: إستخلف أبا لبابة الأنصاري الأوسي في غزوة بني قينقاع[١٢].

سابعاً: إستخلف أيضاً أبا لبابة في غزوة السويق، وكان خروجه (ص) في طلب أبي سفيان حين أقبل في مائتي راكب ليبرّ بنذره أن لا يمسّ الطّيب والنّساء حتى يثأر لأهل بدر، وآنتهوا إلى العُريضْ فبلغهم خروج النبيّ (ص) فجعلوا يلقون جرب السويق تخفّفاً، فسمّيت غزوة السويق[١٣].

في السنة الثالثة:

ثامناً: إستخلف آبن أمّ مكتوم في غزوة قَـرْقَـرَة الكُـدْر، وسار (ص) للنّصف من المحرّم يريد سليم وغطفان ـ قبيلتين من قيس عيلان ـ فآنجفلوا، وغنم من أموالهم، ورجع ولم يلق كيداً[١٤].

١٠) ذو العشيرة كما في التنبيه، بناحية ينبع يبعد عن المدينة تسعة برد.

وأبو سلمة: عبد الله بن عبد الأسد، أمه برة عمّة الرسول (ص) وآبنة عبدالمطّلب. هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة. حضر بدراً وخرج في أحد ومات منه في جمادى الآخرة سنة ثلاث من الهجرة. راجع ترجمته في أسد الغابة.

١١) خرج الرسول (ص) من المدينة لثلاثٍ خلون من شهر رمضان ووقع القتال يوم الجمعة السابع عشر منه.

١٢) قال أهل السيرة: لـمّا قدم اليهود المدينة نزلوا السافلة منها، فآستوخموها فأتوا العالية فنزل بنو النضير بطحان ونزلت بنو قريظة مهزوراً ـ وهما واديان يهبطان من حرة هناك ـ فاتّخذ بنو النضير الحدائق والآطام وأقاموا فيها، وأقاموا بها إلى أن غزاهم النبيّ (ص) وأخرجهم منها. راجع مادة: (بطحان) و(مهزور) من معجم البلدان.

وأبو لبابة: بشير أو رفاعة بن عبد المنذر، اشتهر بكنيته، أحد النقباء في بيعة العقبة، راجع ترجمة بشير ورفاعة وأبي لبابة في أسد الغابة.

١٣) العريض: وادي المدينة. معجم البلدان، مادة: (عُريض).

١٤) قرقرة الكدر: ناحية معدن بني سليم ممّا يلي حارة العراق إلى مكّة وهي على بعد ثمانية أيام

تاسعاً: اِستخلف آبن أمّ مكتوم في غزوة فَـرّان، وغاب عن المدينة عشرة أيّام من جمادى الآخرة، فتفرّقوا ولم يلق كيداً[١٥].

عاشراً: اِستخلف عثمان بن عفّان في غزوة ذي أمَر بنجد، سار (ص) يريد غطفان، فآنجفلوا من بين يديه ولم يلق كيداً، وغاب فيها عن المدينة عشرة أيّام.

حادي عشر: اِستخلف آبن أمّ مكتوم في غزوة أحد، وقاتل المشركين في سفح جبل أحد ـ على بعد ميل من المدينة ـ غاب فيها عن المدينة يوماً واحداً.

ثاني عشر: اِستخلف آبن أمّ مكتوم في غزوة حمراء الأسد ـ على بعد عشرة أميال من المدينة ـ سار في طلب أبـي سفيان حين بلغه أنه يريد الكرّ على المدينة، ففاته أبو سفيان ومن معه، فأقام فيها ثلاثة أيّام، ثم عاد إلى المدينة.

في السنة الرابعة:

ثالث عشر: اِستخلف آبن أمّ مكتـوم في غزوة بني النضـير بنـاحية الغرس، حصرهم خمسة عشر يوماً، ثم أجلاهم عنها[١٦].

رابع عشر: اِستخلف عبد اللّه بن رواحة الأنصاري في غزوة بدر الثالثة ستّـة عشر يومـاً، وأقام فيها ثمانية أيّام لموعد أبـي سفيان إيّاهم في أحد أنه سيقاتلهم العام القادم في بدر، وخرج أبو سفيان من مكّة إلى عسفان، ثم عاد منها إلى مكة[١٧].

من المدينة. معجم البلدان، مادة: (قرقرة). سار إليها النبيّ في النصف من المحرم.

١٥) فَـرّان: معدن بني سليم بناحية الفرع من المجاز. معجم البلدان ولسان العرب، مادة: (فَـرّان).

١٦) كانت منازل بني النضير من اليهود ببئر غرس بقبا وما والاها، وقبا: قرية على ميلين من المدينة، وأصله آسم بئر هناك عرفت القرية به. معجم البلدان، مادة: (غرس) و(قبا).

١٧) عبداللّه بن رواحة الأنصاري الخزرجي: كان نقيب بني الحارث في بيعة العقبة. شهد المشـاهـد مع رسول اللّه (ص) وكان أحد الأمراء الثلاثة الّذين آستشهدوا في مؤتة. ترجمته في

في السنة الخامسة:

خامس عشر: اِستخلف في غزوة ذات الرقاع عثمان بن عفّان خمس عشرة ليلة وخرج لعشر خلون من المحرّم، فأجفلت العرب من بين يديه ولحقوا برؤوس الجبال وبطون الأودية[18].

سادس عشر: إستخلف آبن أمّ مكتوم في غزوة دومة الجندل حين سار إلى أكيدر بن عبد الملك النصراني ـ وكان يعترض سفر المدينة وتجارتهم ـ فهرب وتفرّق أهلها، فلم يجد بها أحداً، فأقام أيّاماً وعاد إلى المدينة وهي أوّل غزواته إلى الروم[19].

سابع عشر: إستخلف مولاه زيد بن حارثة في غزوة بني المصطلق على ماء الـمُـرَيسِيع ثمانية عشر يوماً، خرج فيها لليلتين خلتا من شعبان[20].

ثامن عشر: إستخلف في غزوة الخندق آبن أمّ مكتوم، وهو يقاتل الأحزاب دون الخندق من داخل المدينة في شهر شوّال أو ذي القعدة.

تاسع عشر: اِستخلف أبا رهم الغفاري في غزوة بني قريظة، وهم على بعض يوم من المدينة، حصرهم خمسة عشر يوماً أو أكثر، بدأهم بسبعٍ بقين من ذي القعدة[21].

الاستيعاب وأسد الغابة.

١٨) ذات الرقاع: جبل قريب من النخيل ممّا يلي السعد والشقرة مختلفة ألوانه فيه بقع حمر وسود وبيض. راجع ترجمة الغزوة من التنبيه والإشراف للمسعودي.

١٩) دومة الجندل: كانت حصناً مبنياً بالجندل في متّسع من الأرض خمسة فراسخ، وهي على سبع مراحل من دمشق، بينها وبين مدينة الرسول (ص) خمس عشرة ليلة. راجع مادة: (دومة) بمعجم البلدان وترجمة الغزوة في التنبيه والإشراف للمسعودي، ذكر السنة الخامسة.

٢٠) ماء المريسيع: على طريق الفرع والفرع ثمانية برد من المدينة.

٢١) أبو رهم؛ كلثوم بن الحصين: أسلم بعد قدوم النبيّ (ص) المدينة، شهد أحداً فرمي بسهم في نحره فبصق عليه النبيّ (ص) فبرأ. انظر ترجمته في أسد الغابة.

في السنة السادسة:

عشرين: إستخلف في غزوة بني لِحيان من هذيل، بالقرب من عسفان، ابن أمّ مكتوم، أربع عشرة ليلة ورجع ولم يلق كيداً[22].

حادي وعشرين: إستخلف آبن أمّ مكتوم، خمس ليال في غزوة ذي قَرَدَ، على ليلتين من المدينة[23].

ثاني وعشرين: إستخلف آبن أمّ مكتوم في غزوة الحديبية[24].

في السنة السابعة:

ثالث وعشرين: إستخلف سِباع بن عُرفُطَة في غزوة خيبر، وهي على بعد ثمانية برد من المدينة، وبعد فتح قلاعها عنوة وصلحاً سار إلى وادي القرى فحصرهم أيّاماً حتى آفتتحها عنوة، ثمّ صالح أهل تيماء وهي على ثمانية مراحل من الشّام، ووادي القرى بينها وبين المدينة[25].

رابع وعشرين: وآستخلف أيضاً سباع بن عرفطة في عمرة القضاء[26].

في السنة الثامنة:

٢٢) بنو لحيان، نسبهم في جمهرة أنساب آبن حزم ط. مصر سنة ١٣٨٢، ص ١٩٦ - ١٩٨. وعسفان بين مكّة والمدينة، آختلفوا في تعيين موضعه. معجم البلدان، مادة: (عسفان).

٢٣) ذي قرد: من طريق خيبر، وكان عيينة بن حصن الفزاري أغار على لقاحه وهو بالغابة وهي على بريد من المدينة أو أكثر. فخرج (ص) يوم الأربعاء لثلاث أو لأربع خلون من شهر ربيع الأول فآستنقذ بعضها وعاد إلى المدينة. التنبيه والإشراف، ذكر السنة السادسة.

٢٤) خرج الرسول (ص) يوم الاثنين هلال ذي القعدة للعمرة فصدّه المشركون عن دخول مكّة، فأقام بالحديبية على تسعة أميال من مكّة، ثمّ وقع الصلح بين الرسول وقريش على أن يعتمر في السنة القادمة.

٢٥) سباع بن عرفطة الغفاري. استعمله النبي على المدينة لـمّا سار إلى خيبر وتيماء. ترجمته بأسد الغابة.

٢٦) سار النبي (ص) لستّ ليال خلون من ذي القعدة.

خامس و عشرين: إستخلف على المدينة أبا رهْم الغفاري في غزوة مكّة.

سادس و عشرين: سار بعد غزوة مكّة إلى هوازن لغزو حنين، وحنين وادٍ إلى جانب ذي المجاز يبعد ثلاث ليال عن مكّة، وبقي ـ أيضاً ـ أبو رهم والياً على المدينة في هذه الغزوة.

سابع و عشرين: وآستخلف علي بن أبـي طالب في غزوة تبوك ـ على بعد تسعين فرسخاً من المدينة ـ.

وهي آخر غزواته، وكانت غزواته ثمانياً وعشرين غزوة إن آعتبرنا خيبر ووادي القرى غزوتين، وإلّا فهي سبع وعشرون غزوة.

* * *

رجعنا في ذكر أسماء من آستخلفهم رسول اللّه (ص) على المدينة في غيابه عنها إلى التنبيه والإشراف للمسعودي في ذكره التأريخ من السنة الثانية إلى السنة الثامنة من الهجرة، وقد يختلف في ذكر أسماء من ولّاه رسول اللّه (ص) على المدينة مع غيره أحياناً. أمّا ما ذكره في آستخلاف الإمام عليّ على المدينة في غزوة تبوك فقد قال ذلك ـ أيضاً ـ إمام الحنابلة في مسنده في ما رواه عن سعد بن أبـي وقّاص؛ قال:

إنّ رسول اللّه (ص) حين خرج في غزوة تبوك آستخلف عليها عليّاً (رض) على المدينة، فقال عليّ: يا رسول اللّه ما كنت أحبُّ أن تخرج وجهاً إلّا وأنا معك. فقال: أو ما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي[٢٧].

ويؤيد ذلك أيضاً ما رواه البخاريّ في صحيحه في كتاب بدء الخلق باب

٢٧) مسند أحمد ١ /١٧٧

غزوة تبوك حيث روى عن سعد بن أبـي وقاص أيضاً أنّه قال:

إنّ رسول اللّه (ص) خرج إلى تبوك و آستخلف عليّاً فقال: أتخلفني في الصّبيان و النساء؟ قال: ألا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه ليس نبيّ بعدي[28].

و ما رواه مسلم ـ أيضاً ـ في صحيحه عن سعد بن أبـي وقّاص أنّه قال:

سمعت رسول اللّه (ص) يقول له و قد خلّفه في بعض مغازيه فقال له عليّ: يا رسول اللّه خلّفتني مع الصّبيان و النساء؟ فقال له رسول اللّه (ص): أما ترضىٰ أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبوّة بعدي[29].

* * *

هكذا لم يغب الرسول (ص) في غزواته عن المدينة أيّاماً معدودات دون أن يستخلف عليهم من يرجعون إليه مدّة غيابه عن المدينة، بل إنّه لم يغب يوماً عن المدينة أو بعض يوم دون أن يستخلف عليهم من يرجعون إليه، كما كان الشأن في غزوة أحد، وكان جبل أحد على بعد ميل من المدينة، فإنّه (ص) قد عيّن خليفته عليهم مدّة غيابه عنهم، بل و في غزوة الخندق أيضاً حيث كان يقاتل في المدينة و آستقرّ دون الخندق، عيّن لأهل المدينة المرجع لانشغاله عنهم في الحرب.

٢٨) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب غزوة تبوك ٣/٥٨.

٢٩) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عليّ بن أبـي طالب، ح ٣٢، وراجع أيضاً مسند أبـي داود الطيالسي ١/٢٩. وحلية الأولياء لأبـي نعيم ٧/١٩٥ و١٩٦. ومسند أحمد ١/١٧٣، ١٨٢، ١٨٤، ٣٣٠ و٤/١٥٣. وتاريخ بغداد للخطيب ١١/٤٣٢. وخصائص النسائي ص ٨ و١٦. وطبقات آبن سعد ٣/ق ١/١٥.

إذا كان هذا دأب الـرسـول (ص) في غيابـه عن المـدينة بعض يوم، كذلك في حال آنشغاله عنهم بالحرب داخل المدينة، فماذا فعل لأمّته من بعده هو يتركهم أبد الدهر؟ هل تركهم هملاً، ولم يعيّـن لهم المرجع من بعده؟ هذا ما سندرسه في ما يأتـي من فصول هذا الكتاب إن شاء اللّه تعالى.

النصـوص الواردة عن رسـول اللّه (ص)
في تعيين ولـيّ الأمر من بعده

نبدأ هذا الباب بذكر ما فعله الأنبياء في تعيين الوصيّ و ولـيّ الأمر لأممهم من بعدهم.

الوصيّة في الأمم السّابقة

قد سلسل المسعوديّ[1] اتّصال الحجج و أوصياء الأنبياء من لدن آدم حتّى خاتم النبـيين ـ صلوات اللّه عليهم أجمعين ـ و أوصيائه، فقد ذكر ـ مثلاً ـ :

أنّ وصيّ آدم كان هبة اللّه و هو شيث بالعبرانية.

و أنّ وصيّ إبراهيم كان إسماعيل (ع).

١) إثبات الوصية، للمسعودي، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف ص: ٥ ـ ٧٠.
و المسعـودي هو: أبـو الحسن، علي بن الحسـين المسعـودي، ينتهي نسبـه إلى الصحـابي عبد اللّه بن مسعود. توفي سنة ٣٤٦ هـ. و في ترجمته بطبقات الشافعية ٢/٣٠٧: قيل كان معتزلي العقيدة. و أشار إلى هذا الكتاب الكتبي في فوات الوفيات ٢/٤٥، و ياقوت الحموي في معجم الأدباء ١٣/٩٤ و قالا: له كتاب البيان في أسماء الأئمة، وفي الميزان، لابن حجر ٤/٢٢٤: له كتاب تعيين الخليفة. و سماه في الذريعة و غيرها: (إثبات الوصية).

وأنّ وصيّ يعقوب كان يوسف (ع).

وأنّ وصيّ موسى كان يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف (ع) وخرجت عليه صفورا زوجة موسى (ع).

وأنّ وصيّ عيسى كان شمعون (ع).

وأنّ وصيّ خاتم الأنبياء محمّد (ص) كان عليّ بن أبي طالب، ثمّ الأحد عشر من ولده (ع).

ونحن نقتصر هنا على ذكر خبر ثلاثة من الأوصياء المذكورين آنفاً:

أ ـ خبر وصيّة آدم لشيث:

قال اليعقوبي في خبر وصيّة آدم لشيث:

لـمّا حضر آدم الوفاة... جعل وصيّته إلى شيث.

وقال الطبري:

هبة الله؛ وبالعبرانية: شيث، وإليه أوصى آدم... وكتب وصيّته، وكان شيث في ما ذكر وصيّ أبيه آدم (ع).

وقال المسعودي في خبر وصيّة آدم لشيث ثمّ وفاته:

ثمّ إنّ آدم حين أدّى الوصيّة إلى شيث، احتقبها واحتفظ بمكنونها، وأتت وفاة آدم....

وقال ابن الأثير:

وتفسير شيث: هبة الله، وهو وصيّ آدم، ولـمّا حضرت آدم الوفاة عهد إلى شيث.

وقال ابن كثير:

ذكر وفاة آدم ووصيّته إلى ابنه شيث (ع):

ومعنى شيث: هبة الله... ولـمّا حضرت آدم الوفاة عهد إلى ابنه

شيث . . . .

ب ـ خبر يوشع بن نون وصيّ موسى

أولاً : يوشع بن نون في التوراة :

ورد في مادة يوشع من قاموس الكتاب المقدس نقلاً عن التوراة : أن يوشع بن نون كان مع موسى في جبل سينا ولم يتلوّث بعبادة العجل على عهد هارون .

وفي آخر الإصحاح السابع والعشرين من سفر العدد[٢] ورد خبر تعيينه من قبل الله وصيّاً لموسى كالنصّ الآتي :

فَكَلَّمَ مُوسَى ٱلرَّبَّ قَائِلًا . ١٦ لِيُوَكِّلِ ٱلرَّبُّ إِلٰهُ

١٧ أَرْوَاحِ جَمِيعِ ٱلْبَشَرِ رَجُلًا عَلَى ٱلْجَمَاعَةِ ١٧ يَخْرُجُ أَمَامَهُمْ وَيَدْخُلُ أَمَامَهُمْ وَيُخْرِجُهُمْ

١٨ وَيُدْخِلُهُمْ لِكَيْلَا تَكُونَ جَمَاعَةُ ٱلرَّبِّ كَٱلْغَنَمِ ٱلَّتِي لَا رَاعِيَ لَهَا . ١٨ فَقَالَ ٱلرَّبُّ لِمُوسَى

١٩ خُذْ يَشُوعَ بْنَ نُونٍ رَجُلًا فِيهِ رُوحٌ وَضَعْ يَدَكَ عَلَيْهِ ١٩ وَأَوْقِفْهُ قُدَّامَ أَلِعَازَارَ ٱلْكَاهِنِ

٢٠ وَقُدَّامَ كُلِّ ٱلْجَمَاعَةِ وَأَوْصِهِ أَمَامَ أَعْيُنِهِمْ . ٢٠ وَٱجْعَلْ مِنْ هَيْبَتِكَ عَلَيْهِ لِكَيْ يَسْمَعَ لَهُ كُلُّ

٢١ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ . ٢١ فَيَقِفَ أَمَامَ أَلِعَازَارَ ٱلْكَاهِنِ فَيَسْأَلُ لَهُ بِقَضَاءِ ٱلْأُورِيمِ أَمَامَ

ٱلرَّبِّ . حَسَبَ قَوْلِهِ يَخْرُجُونَ وَحَسَبَ قَوْلِهِ يَدْخُلُونَ هُوَ وَكُلُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَعَهُ كُلُّ

٢٢ ٱلْجَمَاعَةِ . ٢٢ فَفَعَلَ مُوسَى كَمَا أَمَرَهُ ٱلرَّبُّ . أَخَذَ يَشُوعَ وَأَوْقَفَهُ قُدَّامَ أَلِعَازَارَ ٱلْكَاهِنِ

٢٣ وَقُدَّامَ كُلِّ ٱلْجَمَاعَةِ ٢٣ وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِ وَأَوْصَاهُ كَمَا تَكَلَّمَ ٱلرَّبُّ عَنْ يَدِ مُوسَى . . .

وورد خبر قيامه بأمر بني إسرائيل وحروبه في ثلاثة وعشرين إصحاحاً من سفر يوشع بن نون .

ثانياً : في القرآن الكريم

٢) التوراة من الكتاب المقدس ، بيروت ، المطبعة الأمريكية سنة : ١٩٠٧ م .

في القــرآن الكــريم؛ عُـرِّب يوشـع بـ (اليسـع) في سورة الأنعـام، الآية: ٨٦ وسورة ص، الآية: ٤٨.

ثالثاً: في مصادر الدراسات الإسلامية.

في تاريخ اليعقوبي ١/٤٦:

وكان موسى لـمّا حضرته وفاته أمره اللّه عزّوجلّ أن يدخل يوشع بن نون إلى قبّة الـرُّمـان فيقـدّس عليه، ويضع يده على جسده لتتحوّل فيه بركته، و يوصيه أن يقوم بعده في بني إسرائيل.

وجه الشّبه بين وصيّ خاتم الأنبياء و وصيّ موسى (ع)

إنّ يوسع بن نون كان مع موسى في جبل سينا ولم يعبد العجل. وأمر اللّه نبيّه موسى أن يعيّنه وصيّاً من بعده لئلّا تكون جماعة الربّ كالغنم بلا راع.

وكان الإمام عليّ مع النبيّ في غار حراء ولم يعبد صنماً قطّ وأمر اللّه نبيّه في رجوعه من حجّة الوداع أن يعيّنه أمام الحجيج قائداً للأمة من بعده، ولا يترك أمّته هملاً؛ وقد صدع بذلك رسول اللّه (ص) في غدير خم وعيّنه وليّاً للعهد من بعده كما سنذكره في ما يأتي، وصدق رسول اللّه (ص) حيث قال:

« ليأتيـنّ على أمّتي ما أتىٰ على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل... »

وقد أوردنا مصادره في أول الجزء الثاني من (خمسون ومائة صحابيّ مختلق).

ج ـ خبر شمعون وصيّ عيسىٰ

أولاً: شمعون في الانجيل.

ورد في قاموس الكتاب المقدّس ذكر عشرة أشخاص بهذا الاسم،

منهم: شمعون بطرس وشمعون آسمه في التوراة سمعون، وقد ورد خبره في إنجيل متّى،الإصحاح العاشر كالآتـي:

« ثمّ دعا - يعني عيسى - تلاميذه الاثني عشر وأعطاهم سلطاناً على أرواح نجسة حتّى يخرجوها، ويشفوا كلّ مرض وكلّ ضعف. وهذه أسماء الاثني عشر رسولاً: الأول سمعان الّذي يقال له بطرس. . . ».

وفي إنجيل يوحنا، الإصحاح ٢١ العدد: ١٥ - ١٨ أن عيسى أوصى إليه وقال له: « ارع غنمي » كناية عن رعاية من آمن به.

وجاء في قاموس الكتاب المقدّس أيضاً:

« عيّنه المسيح لهداية الكنيسة ».

ثانياً: شمعون في مصادر الدراسات الإسلاميّة:

ذكر خبره اليعقوبـي وسمّاه: سمعان الصفا.

وقال المسعودي في ١/٣٤٣ :

قتل برومية بطرس وآسمه باليونانية: شمعون والعرب تسمّيه: سمعان.

وفي مادة : دير سمعان من معجم البلدان:

« دير سمعان: بنواحي دمشق، وسمعان هذا الّذي ينسب إليه الدير أحد أكابر النصارى، ويقولون إنه شمعون الصفا ».

* * *

أوردنا نتفاً من أخبار هؤلاء الأوصياء الثلاثة كمثال لأخبار بقيّة أوصياء الأنبياء في الأمم السابقة.

ولم يكن خاتم الأنبياء بدعاً من الرسل ليترك أمّته دون تعيين ولـيّ الأمر من بعـده، وهو الّذي لم يغب عن المدينة - المجتمع الإسلاميّ الصغير- في

غزواته ولا ساعة من نهار دون أن يستخلف عليها أحداً. كلّا لم يترك خاتم الأنبياء والمرسلين المجتمعات الإسلاميّة للأبد دون أن يعيّـن أولي الأمر من بعـده، بل عيّنهم بألفـاظ مختلفة وفي أماكن متعدّدة؛ منها ما خصّ بالذكر الإمام من بعده ومنها ما ذكر فيها جميع الأئمة.

وممّا خصّ بالذكر الإ م عليّ بن أبي طالب وحده؛ الأحاديث الآتية:

وصيّ الرسول (ص) و وزيره و ولي عهده و خليفته من بعده

الوصيّ في أحاديث الرسول (ص)

أوردنا في أول الباب قصّة إنذار بني هاشم و أنّ رسول اللّه (ص) قال لعليّ بن أبـي طالب (ع) بمحضر من رجال بني هاشم في ذلك اليوم:

« إنّ هذا أخي و وصيّـي و خليفتي فيكم فآسمعوا له و أطيعوا ».

و بهـذا القـول عيّـن الـرسـول (ص) وصيّه و خليفتـه فيهم و أمـرهم بإطاعته، وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿ وما آتاكم الرّسول فخذوه ﴾ الحشر/٧.

و روى الطبراني عن سلمان، قال: قلت: يا رسول اللّه، إنَّ لكلِّ نبيٍّ وصيّاً فمن وصيُّك ؟ فسكت عنّي، فلمّا كان بعـد رآني فقـال: يا سلمان. فأسرعـت إليه، قلت: لبّيك. قال: تَـعْلَم من وصِيُّ موسى ؟ قال: نعم، يوشع بن نون. قال: لم ؟ قلت: لأنّه كان أعلمهم يومئذ. قال:

« فإنّ وصِيّـي وموضـع سـرّي وخير من أتـرك بعدي وينجز عدتـي ويقضي ديني عليّ بن أبـي طالب »[٣].

٣) رواه الهيثمي عن الطبراني في المعجم الكبير ٢٢١/٦، ومجمع الزوائد ١١٣/٩، ورواه سبط ابن الجوزي في كتاب تذكرة خواص الأمّة باب حديث النجوى عن كتاب الفضائل لأحمد بن حنبل و هذا لفظه:

وعن أبي أيّوب أنّ رسول اللّه (ص) قال لابنته فاطمة:

«أما علمت أنّ الله عزّ وجلّ آطّلع على أهل الأرض فآختار منهم أباكِ فبعثه نبيّاً، ثمّ آطّلع الثانية فآختار بعلك فأوحى إليّ فأنكحته وآتّخذته وصيّاً»[4].

وعن أبي سعيد أنّ رسول الله (ص) قال:

« إنّ وصيّي وموضع سرّي وخير من أترك بعدي وينجز عدتي ويقضي ديني عليّ بن أبي طالب »[5].

وعن أنس بن مالك أنّ الرسول توضّأ وصلّى ركعتين وقال له:

« أوّل من يدخل عليك من هذا الباب إمام المتّقين، وسيّد المسلمين، ويعسوب الدين، وخاتم الوصيين... » فجاء عليّ (ع) فقال (ص): من

قال أنس:

قلنا لسلمان: سلْ رسول اللّه (ص) من وصيّك؟ فسأل سلمان رسول اللّه (ص)، فقال: من كان وصيّ موسى بن عمران؟ فقال: يوشع بن نون. قال: إنّ وصييّ ووارثي ومنجز وعدي، علي بن أبي طالب. وراجع الرياض النضرة للمحب الطبري، (١٧٨/٢).

٤) مجمع الزوائد للهيتمي ٢٥٣/٨، وفي ١٦٥/٩ منه عن عليّ بن عليّ الهلالي: ووصيّي خير الأوصياء وأحبّهم إلى اللّه وهو بعلك ـ الحديث. ومنتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ٣١/٥. وكنز العمال، كتاب الفضائل، الفصل الثاني، فضائل عليّ بن أبي طالب، ح ١١٦٣، ٢٠٢/١٢.

وفي موسوعة أطراف الحديث عن المعجم الكبير للطبراني ٢٠٥/٤ . وجمع الجوامع للسيوطي، رقم الحديث: ٤٢٦١ .

وأبو أيوب الأنصاري: اسمه خالد بن زيد الخزرجي. شهد بيعة العقبة وجميع مشاهد رسول اللّه (ص) وشهد مع الإمام عليّ الجمل وصفّين ونهروان. وتوفّي عند مدينة القسطنطينية سنة خمسين أو إحدى وخمسين. أسد الغابة ١٤٣/٥ .

٥) كنز العمال، كتاب الفضائل، الفصل الثاني، فضائل عليّ بن أبي طالب، ح ١١٩٢، الثانية ٢٠٩/١٢ .

وفي أطراف الحديث عن كنز العمال، الحديث ٣٢٩٥٢. والطبراني ٢٧١/٦

وأبو سعيد الخدري: سعد بن مالك الخزرجي، كان من الحفّاظ لحديث رسول اللّه (ص) (ت: ٥٤ هـ). أسد الغابة ٢١١/٥.

جاء يا أنس ؟ فقلت: علـيّ . فقام إليه مستبشراً فأعتنقه ـ الحديث[6].

وعن الصحابي بريدة قال: قال النبيّ :

« لكلّ نبيّ وصيّ ووارث، وإنّ علياً وصيّي ووارثي »[7].

وفي المحاسن والمساوئ للبيهقي ، ما موجزه: إنّ جبرائيل جاء بهديّة من اللّه ليهديها الرسول (ص) إلى آبن عمّه ووصيّه علي بن أبـي طالب ـ الحديث[8].

كان هذا ما وجدناه في الوصية في أحاديث الرسول (ص).

الوصيّة في كتب الأمم السّابقة

روى نصر بن مزاحم في كتابه وقعة صفّين والخطيب في تاريخ بغداد واللّفظ للأول:

إنّ الإمام عليّاً في مسيره إلى صفّين عطش جيشه في صحراء، فأنطلق بهم حتّى أتى بهم على صخرة، فأعانهم حتى آقتلعوها وشرب الجيش حتّى آرتووا، وكان بالقرب منهم دير، فلمّا آطلع صاحب الدير على هذا الأمر قال: ما بُني هذا الدير إلا بذلك الماء وما آستخرجه إلّا نبيّ أو وصيّ نبيّ[9].

٦) حلية الأولياء ١/٦٣. وتاريخ آبن عساكر ٢/٤٨٦. وشرح نهج البلاغة، ط الأولى ١/٤٥٠. وفي موسوعة أطراف الحديث عن اتحاف السادة المتّقين للزبيدي ٧/٤٦١.

وانس بن مالك: أبو ثمامة الخزرجي ، روى عنه البخاري ومسلم ٢٢٨٦ حديثا. احتلف في سنة وفاته من ٩٠ ـ ٩٣ هـ. الاستيعاب. وأسد الغابة. والإصابة. مرّت ترجمته في ص١٣٤ .

٧) تاريخ دمشق لابن عساكر ٣/٥. والرياض النضرة ٢/١٧٨ عن بريدة وهو:

أبو عبد اللّه بريدة بن الحصيب بن عبد اللّه الأسلمي؛ قدم المدينة بعد أحد فشهد مع رسول اللّه (ص) مشاهده وتحول بعده إلى البصرة وآبتنى بها داراً. ثم خرج غازياً إلى خراسان فأقام بمرو وتوفّي بها. أسد الغابة ١/١٧٥.

٨) المحاسن والمساوئ لمحمد بن إبراهيم البيهقي (كان حيّاً قبل: ٣٢٠ هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط. القاهرة سنة ١٣٨٠ هـ ١/٦٤ ـ ٦٥.

٩) وقعة صفين، ط. المدني بمصر سنة ١٣٨٢ هـ ص ١٤٥. وتاريخ الخطيب ١٢/٣٠٥. وقد أوردنا الخبر بإيجاز من الأوّل.

خبر آخر يؤيد الخبر السابق:

في صفّين لنصر بن مزاحم و تاريخ آبن كثير و اللّفظ للأول:

قال: لـمّا نزل عليّ الرقّة بمكان يقال له بليخ على جانب الفرات، فنزل راهب هناك من صومعته فقال لعلي: إنّ عندنا كتاباً توارثناه عن آبائنا، كتبه أصحاب عيسى بن مريم، أعرضه عليك؟ قال علـيّ: نعم، فما هو؟ قال الراهب:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الّذي قضى فيما قضى، وسطر فيما سطر، أنّه باعث في الأميّـين رسولاً منهم يعلّمهم الكتاب و الحكمة، و يدلّـهم على سبيل اللّه، لا فظّ و لا غليظ، و لا صخّاب في الأسواق، و لا يجزي بالسيئة السيئة، و لكن يعفو و يصفح، أمّـته الحـمّادون الّذين يحمدون اللّه على كلّ نشز، وفي كلّ صعود و هبوط، تذلّ ألسنتهم بالتهليل و التكبير و التسبيح، و ينصره اللّه على كلّ من ناواه، فإذا توفّاه اللّه آختلفت أمّـته ثمّ آجتمعت، فلبثت بذلك ما شاء اللّه ثمّ آختلفت، فيمـرّ رجل من أمّته بشاطئ هذا الفرات، يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر، و يقضي بالحقّ، و لا يرتشي في الحكم. الدنيا أهون عليه من الرماد في يوم عصفت به الريح، و الموت أهون عليه من شرب الماء على الظماء. يخاف اللّه في السـرّ، و ينصـح له في العـلانية، و لا يخـاف في اللّه لومـة لائم. من أدرك ذلـك النبيّ (ص) من أهل هذه البلاد فآمن به كان ثوابه رضواني و الجنّة، و من أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره؛ فإنّ القتل معه شهادة.

→

و قد بني في مكان الدير منذ قرون مسجد براثا، و تغيّـر مجرى نهري دجلة و الفرات اللّذين انا يجريان في أرض العراق و أصبح مجرى نهر دجلة قريباً من المسجد المذكور.

ثمّ قال له: فأنا مصاحبك غير مفارقك حتّى يصيبني ما أصابك. قال: فبكى عليّ ثمّ قال: الحمد للّه الّذي لم يجعلني عنده منسياً. الحمد للّه الّذي ذكرني في كتب الأبرار. ومضى الراهب معه، وكان ـ فيما ذكروا ـ يتغدّى مع عليّ ويتعشّى حتّى أصيب يوم صفّين. فلمّا خرج الناس يدفنون قتلاهم قال عليّ: أطلبوه. فلمّا وجدوه، صلّى عليه ودفنه، وقال: هذا منّا أهل البيت. واستغفر له مراراً[10].

الوصية في أحاديث الصّحابة و التّابعين

الوصية في خطبة أبي ذر

وقف أبو ذر على عهد عثمان بباب مسجد رسول اللّه وخطب وقال في خطبته:

(ومحمد وارث علم آدم وما فضّل به النبيّون، وعلي بن أبي طالب وصيّ محمد ووارث علمه...).

سيأتي تمام الخطبة في ذكر النوع العاشر من أنواع الكتمان في مدرسة الخلفاء إن شاء اللّه تعالى.

الوصية في حديث الأشتر

قال مالك بن الحارث الأشتر لـمّا بويع أمير المؤمنين (ع):

أيّها النّاس هذا وصيّ الأوصياء، ووارث علم الأنبياء، العظيم البلاء الحسن العناء، الّذي شهد له كتاب اللّه بالإيمان، ورسوله بجنّة الرضوان، من كملت فيه الفضائل، ولم يشكّ في سابقته وعلمه وفضله الأواخر ولا الأوائل[11].

١٠) صفين ص ١٤٧ ـ ١٤٨. وابن كثير ٧/٢٥٤

والبليخ: اسم نهر بالرقّة، يجتمع فيه الماء من عيون. معجم البلدان.

١١) تاريخ اليعقوبي ٢/١٧٨.

الوصية في حديث عمرو بن الحمق الخزاعي

عندما جمع أمير المؤمنين الناس بالكوفة وخاطبهم في شأن المسير إلى صفّين لحرب معاوية، قام عمرو بن الحمق الخزاعي وخاطب الإمام وقال:

يا أمير المؤمنين إنّي ما أحببتك ولا بايعتك على قرابة بيني وبينك، ولا إرادة مال تؤتينيه، ولا آلتماس سلطان ترفع ذكري به، ولكنّني أحببتك بخصال خمس: إنك آبن عمّ رسول اللّه (ص)، ووصيّه، وأبو الذريّة الّتي بقيت فينا من رسول اللّه (ص)، وأسبق الناس إلى الإسلام، وأعظم المهاجرين سهماً في الجهاد[١٢].

الوصيّة في كتاب محمّد بن أبي بكر

كتب محمّد بن أبي بكر إلى معاوية:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

من محمّد بن أبي بكر إلى الغاوي آبن صخر. سلام على أهل طاعة اللّه ممّن هو مسلم لأهل ولاية اللّه. أما بعد فإنّ اللّه. . . آنتخب

١٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ١/ ٢٨١.

وعمرو بن الحمق الخزاعي: هاجر إلى النبيّ (ص) بعد الحديبية، سقى النبيّ (ص) فدعا له وقال: اللّهمّ متّعه بشبابه، فمرّت عليه ثمانون سنة لا ترى في لحيته شعرة بيضاء. شهد مع عليّ مشاهده كلّها وكان من أصحاب حجر بن عدي. وخاف زياد بن أبيه وهرب من الكوفة إلى الموصل وآختفى في غار بالقرب منه، فأرسل معاويه إلى العامل بالموصل ـ وكان العامل عمرو بن الحكم آبن أخت معاوية ـ ليحمل إليه عمراً فوجده ميتاً، كان قد نهشته حيّة فقطع رأسه وبعث به إلى خاله معاوية. وكان رأسه أول رأس حمل في الإسلام. وكان معاوية قد حبس زوجة عمرو بن الحمق، آمنة بنت الشريد، فوجّه إليها رأس عمرو فألقي في حجرها فآرتاعت لذلك ثم وضعته في حجرها ووضعت كفّها على جبينه ثمّ لثمت فاه وقالت: غيبتموه عني طويلاً ثمّ أهديتموه إليّ قتيلاً فأهلاً بها من هديّة غير قالية ولا مقلية. وكان قتله في سنة خمسين للهجرة. ترجمته بأسد الغابة ٤/ ١٠٠ ـ ١٠١.

محمّداً (ص) فآختصّه برسالته، وآختارهَ لوحيه، وآئتمنه على أمره، وبعثه رسولاً مصدّقاً لما بين يديه من الكتب، ودليلاً على الشرائع، فدعا إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة، فكان أول من أجاب وأناب، وصدق ووافق، وأسلم وسلم؛ أخوه وآبن عمّه عليّ بن أبي طالب (ع)، فصدّقه بالغيب المكتوم، وآثره على كلّ حميم، فوقاه كلّ هول، وواساه بنفسه في كلّ خوف، فحارب حربه، وسالم سَلْمَه، فلم يبرح مبتذلاً لنفسه في ساعات الأزْل، ومقامات الروع، حتّى برز سابقاً لا نظير له في جهاده، ولا مقارب له في فعله. وقد رأيتك تساميه وأنت أنت، وهو هو المبرَّز السابق في كلّ خير، أوّل الناس إسلاماً، وأصدق الناس نيَّة، وأطيب الناس ذرّيّة، وأفضل الناس زوجة، وخير الناس آبن عمّ... ثمّ لم تزل أنت وأبوك تبغيان الغوائل لدين اللّه، وتجهدان على إطفاء نور اللّه، وتجمعان على ذلك الجموع، وتبذلان فيه المال، وتحالفان فيه القبائل. على ذلك مات أبوك، وعلى ذلك خلفته، والشاهد عليك بذلك من يأوي ويلجأ إليك من بقية الأحزاب رؤوس النفاق والشقاق لرسول اللّه (ص). والشاهد لعليٍّ مع فضله المبين وسبقه القديم، أنصاره الّذين ذُكروا بفضلهم في القرآن فأثنى اللّه عليهم، من المهاجرين والأنصار، فهم معه عصائبُ وكتائب حوله، يجالدون بأسيافهم، ويُهريقون دماءهم دونه، يرون الفضل في آتّباعه، والشَّقاء في خلافه، فكيف ـ يا لك الويل ـ تعدِل نفسك بعليٍّ، وهو وارث رسول اللّه (ص)، ووصيُّه وأبو ولده وأول الناس له آتّباعاً، وآخرهم به عهداً، يخبره بسرّه ويشركه في أمره.

وكتب معاوية في جوابه:

من معاوية بن أبي سفيان إلى الزاري على أبيه محمّد بن أبي بكر.

سلام على أهل طاعة اللّه. أمّا بعد فقد أتاني كتابك، تذكر فيه ما اللّه أهله في قدرتـه وسلطانـه وما أصفى به نبـيّه، مع كلام ألّفتـه ووضعته، لرأيك فيه تضعيف، ولأبيك فيه تعنيف. ذكرت حقّ آبن أبـي طالب، وقديم سوابقه وقرابته من نبيّ اللّه (ص)، ونصرته له ومواساته إيّاه في كل خوف وهول، وآحتجاجك علـيّ بفضل غيرك لا بفضلك. فأحمد إلـهاً صرف الفضل عنك وجعله لغيرك. وقد كنّا وأبوك معنا في حياة من نبيّنا (ص)، نرى حقّ آبن أبـي طالب لازماً لنا، وفضله مبـرّزاً علينا فلمّا آختار اللّه لنبيّه (ص) ما عنده، وأتمّ له ما وعده، وأظهر دعوته وأفلج حجّته، قبضه اللّه إليه، فكان أبوك وفاروقه أوّل من آبتـزّه وخالفه. على ذلك آتّفقا وآتّسقا، ثمّ دَعَوَاهُ إلى أنفسهم فأبطأ عنهـما وتلكـأ عليهما، فهمّا به الهموم، وأرادا به العظيم، فبايع وسلم لهما، لا يشركانه في أمرهما، ولا يطلعانه على سـرّهما، حتّى قبضا وآنقضى أمرهما. ثمّ قام بعدهما ثالثهما عثمان بن عفّان، يهتدي بهديهما - إلى آخر الكتاب.

أوردنا جواب معاوية لما فيه من الاعتراف بما ذكره محمّد بن أبـي بكر.

وأورد تمام الكتابين نصر بن مزاحم في كتابه وقعة صفّين والمسعودي في مروج الذّهب. وأشار إليهما الطبريّ وآبن الأثير في ذكرهما حوادث سنة ستّ وثلاثين هجرية.

روى الطبري بسنده عن يزيد بن ظبيان:

أنّ محمد بن أبـي بكر كتب إلى معاوية بن أبـي سفيان لـمّا ولي. فذكر مكاتبات جرت بينهما كرهت ذكرها لما فيه مـمّا لا يحتمل سماعه العامة. . . .

إذاً فإنّ الـطبري لم يورد في موسـوعتـه التـاريخية الكـبرى ما دار بين محمّد بن أبـي بكر ومعاوية من مكاتبات لأنّه لم ير من الحكمة أن يطلع عليها عامّة الناس وليس من باب عدم آعتماده على صحّة الخبر. وتبعه العلّامة آبن الأثير ولم يورد تلك المكاتبات في موسوعته التاريخية (الكامل) وذكر نفس

العلة و قال: كرهت ذكرها لما فيه ممّا لا يحتمل سماعه العامّة[13].

الوصيّة في كتاب عمرو بن العاص

روى الخوارزمي كتابا لعمرو بن العاص إلى معاوية قال فيه:

فأمّا ما دعوتني إليه. . . ، و إعانتي إيّاك على الباطل، و آخترط السيف في وجه عليّ و هو أخو رسول اللّه (ص) و وصيّه و وارثه، و قاضي دينه و منجز وعده و زوج آبنته. . .[14]

الوصيّة في كلام الإمام عليّ (ع) و آحتجاجه

روى الخوارزميّ من كلام الإمام عليّ (ع):

(أنا أخو رسول اللّه (ص) و وصيّه. . .)[15].

و روى آبن أبى الحديد، من كتاب للإمام عليّ (ع) إلى أهل مصر:

(و آعلموا أنه لا سوى: إمام الهدى و إمام الرّدى، ووصيّ النبيّ و عدو النبيّ)[16].

و ذكر اليعقوبي آحتجاج الخوارج على الإمام عليّ (ع) وجاء فيه أنّه ضيّع الوصيّة، فكان من جوابه (ع):

(أمّا قولكم إنّي كنت وصيّاً فضيّعت الوصيّة، فإنّ اللّه عزّ وجلّ يقول: ﴿وللّه على النّاس حجّ البيت من آستطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإنّ اللّه غنيّ عن العالمين﴾ آل عمران/٩٧. أفرأيتم هذا البيت لو لم يحجّ إليه أحد كان البيت يكفر؟ إنّ هذا البيت لو تركه من آستطاع إليه سبيلاً كفر، و أنتم كفرتم بترككم إيّاي لا أنا بتركي لكم ـ الخ)[17].

١٣) الكتاب وجوابه في صفّين لنصر بن مزاحم، ط . القاهرة، سنة ١٣٨٢هـ ص ١١٨ ـ ١١٩. وتاريخ الطبري ط . أوربا ٣٢٤٨/١. وتاريخ آبن الأثير ط . أوربا ١٠٨/٣. ومروج الذهب للمسعودي ط . بيروت، سنة ١٣٨٥ هـ ١١/٣، وقال: إنّ محمد بن أبي بكر كتب الكتاب إلى معاوية من مصر لمّا ولاّه الإمام عليّ. وآبن ابي الحديد ٢٨٤/١.

١٤) مناقب الخوارزمي ص ١٢٥. - ١٥) مناقب الخوارزمي ص ١٤٣ ١٦) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢٨/٢.

١٧) تاريخ اليعقوبي ١٩٢/٢ ـ ١٩٣.

الوصية في خطب الإمام عليّ (ع)

في الخطبة ١٨٢ من نهج البلاغة، قال الإمام:

(أيّها النّاس إنّي قد بثثت لكم المواعظ الّتي وعظ الأنبياء بها أممهم، وأدّيت إليكم ما أدّت الأوصياء إلى من بعدهم. . .).

وفي الخطبة ٨٨ منه، قال:

(وما لي لا أعجب من خطأ هذه الفرق على آختلاف حججها في دينها لا يقتصّون أثر نبيّ ولا يقتدون بعمل وصيّ).

وفي الخطبة الثانية منه، قال:

(لا يقاس بآل مَحمّد (ص) من هذه الأمّة أحد، ولا يُسوّى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً. هم أساس الدين. . . ولهم خصائص حقّ الولاية وفيهم الوصيّة والوراثة. . .).

وقال ابن أبي الحديد:

خطب عليّ عليه السلام فقال في أثناء خطبته: « أنا عبدُ اللّه، وأخو رسوله، لا يقولها أحدٌ قبلي ولا بعدي إلّا كذب؛ ورِثْتُ نبيَّ الرحمة، ونكَحْتُ سيدة نساء هذه الأمة، وأنا خاتم الوصيين» [١٨]

الوصية في خطبة الإمام الحسن (ع)

خطب الإمام الحسن (ع) بعد مقتل أبيه وقال في خطبته:

(أنا الحسن بن عليّ وأنا آبن النبيّ وأنا آبن الوصيّ. . .)[١٩] الحديث.

الوصيّة في تعزية الشّيعة للإمام الحسين بوفاة أخيه الإمام الحسن (ع).

لـمّا توفّي الحسن وبلغ الشيعة ذلك، آجتمعوا بالكوفة في دار سليمان بن

[١٨] شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ط. مصر الاولى ١ / ٢٠٨.

[١٩] نقلنا الخبر من مستدرك الحاكم ٣/١٧٢. وراجع ذخائر العقبى ص ١٣٨. وفي مجمع الزوائد للهيثمي ٩/١٤٦ عن الطبراني وغيره.

صرد وكتبوا إلى الحسين بن علي يعزّونه على مصابه بالحسن:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

للحسين بن عليّ من شيعته وشيعة أبيه أمير المؤمنين. سلام عليك، فإنّا نحمد إليك اللّه الّذي لا إله إلاّ هو. أمّا بعد فقد بلغنا وفاة الحسن بن علي [فسلام عليه][20] يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيّاً... ما أعظم ما أصيب به هذه الأمّة عامّة وأنت وهذه الشّيعة خاصّة بهلاك آبن الوصيّ وآبن بنت النبيّ و...[21].

وفي مروج الذهب للمسعودي: قال ابن عباس لمعاوية لما بلغه وفاة الإمام الحسن وهو بالشّام: ولئن أُصبنا به فقد أُصبنا قبله بسيّد المرسلين وإمام المتّقين ورسول ربّ العالمين ثمّ بعده بسيّد الأوصياء، فجبر اللّه تلك المصيبة...[22].

الوصيّة في خطبة الإمام الحسين (ع)

خطب الإمام الحسين (ع) يوم العاشر من المحرّم على جيش الخليفة يزيد وقال في خطبته في مقام الاحتجاج عليهم:

(أما بعد فآنسبوني فآنظروا من أنا ؟ ثمّ آرجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها هل يجوز لكم قتلي وآنتهاك حرمتي. ألست آبن بنت نبيّكم (ص) وآبن وصيّه وآبن عمّه وأوّل القوم إسلاماً وأوّل المؤمنين باللّه والمصدّق لرسوله بما جاء من عند ربّه ؟ أوليس حمزة سيد الشهداء عمّ أبي ؟! أوليس جعفر الشهيد الطيّار ذو الجناحين عمّي ؟»[23].

٢٠) لم يرد هذا في النص ولكن السياق يقتضيه.

٢١) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٢٨.

٢٢) مروج الذهب للمسعودي، ٢/٤٣٠.

٢٣) في الخطبة الّتي رواها الطبري في ط. أوربا ٢/٣٢٩. وآبن الأثير، ط. أوربا ٤/٥٢. وأورد الخطبة آبن كثير في ٨/١٧٩ وحذف منها ما ذكره الإمام الحسين في وصف أبيه وكتب بدلها (وعليّ أبي) وأورد الباقي.

إذاً كان ما وصف به الامام الحسين أباه الإمام عليّاً من أنّه وصيّ رسول اللّه (ص) مشهوراً عندهم كشهرة نبوّة جدّه، وأنّ عمَّ أبيه حمزة سيّدُ الشهداء، وأنّ جعفر الطيّار ذا الجناحين عمُّه. ولذلك ذكره في ذكر نسبه ولم يردّ عليه أحد منهم.

عبد اللّه بن علي عمّ الخليفة العباسي السفاح يحتجّ بالوصيّة

دعا العباسيون في بادئ أمرهم الناس إلى القيام ضدّ الأمويين بآسم آل محمد (ص) وكان يدعى أبومسلم أمير آل محمّد[٢٤] وكانوا يحتجّون على خصومهم بالنصوص الّتي وردت عن رسول اللّه (ص) في حقّ آله بالحكم، ولـمّا تمّ لهم الاستيلاء على الحكم أداروا ظهورهم لآل محمّد (ص).

وممّن آحتجّ بالوصيّة عمّ السفّاح أول الخلفاء العباسيّين؛ فقد روى الذهبيّ عن أبي عمرو الأوزاعي[٢٥] ما موجزه:

لـمّا قدم عبد اللّه بن عليّ عمّ السفّاح الشام وقتل بني أميّة بعث إليّ وقال في كلامه:

ويحك أوليس الأمر لنا ديانة ؟

قلت: كيف ذاك ؟

قال: أليس كان رسول اللّه (ص) أوصى لعليّ ؟

قلت: لو أوصىٰ إليه لما حكم الحكمين. فسكت وقد آجتمع غضباً، فجعلت أتوقع رأسي يسقط بين يدي، فقال بيده هكذا، أومى أن أخرجوه؛ فخرجت - الحديث.

إنّ الأوزاعي آحتجّ في ردّ الوصيّة بما آحتجّ به الخوارج على الإمام عليّ

٢٤) تاريخ اليعقوبي ٢/٣٥٢. والتنبيه والإشراف للمسعودي ص ٢٩٣. وتاريخ آبن الأثير ٥/١٣٩ - ١٤٢ - ١٩٤ في ذكر حوادث سنة ١٢٩ و ١٣٠.

٢٥) بترجمته في تذكرة الحفاظ ١/١٨١.

وجوابه جواب الإمام للخوارج، والذي مرّ ذكره تحت عنوان: الوصيّة في كلام الإمام عليّ (ع) و آحتجاجه.

محمد بن عبد اللّه بن الحسن يحتجّ على الخليفة المنصور بالوصيّة

روى الطبري و آبن الأثير في ذكرهما حوادث سنة ١٤٥ بتاريخيهما: أنّ محمد بن عبد اللّه بن الحسن بن علي بن أبي طالب عندما خرج على الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور و بايعه الناس بالمدينة، كتب في جواب أبي جعفر كتاباً مفصلاً يدلي بحججه في أنّه أحقّ بالخلافة من المنصور وجاء فيه:

... وإنّ أبانا عليّاً كان الوصيّ وكان الإمام، فكيف ورثتم ولايته وولده أحياء؟....

فكتب إليه المنصور كتاباً يردّ فيه على ما آحتجّ به و سكت عن جواب هذه الحجّة، وسكوت المنصور إقرار منه بصحّتها لديهم[٢٦].

الخليفة هارون الرشيد يخبر بها بلغه من الأوصياء

في الأخبار الطّوال عن الأصمعي[٢٧] ما موجزه:

قال: دخلت على الرشيد فأرسل إلى ولديه محمّد وعبد اللّه، فأتياه وأجلسهما عن يمينه وشماله وأمرني بمطارحتهما، فكنت لا ألقي عليهما شيئاً من فنون الأدب إلّا أجابا به وأصابا، فقال: كيف ترى أدبهما؟

قلت: يا أمير المؤمنين ما رأيت مثلهما في ذكائهما وجودة ذهنهما... قال: فضمّهما إلى صدره، وسبقته عبرته حتى تحدّرت دموعه، ثمّ أذن لهما، حتّى نهضا وخرجا، قال:

٢٦) الطبري، ط. اوربا، ٣/٢٠٩. وتاريخ آبن الأثير ط. مصر الأولى ٥/١٩٩. وآبن كثير ١٠/٨٥.

٢٧) الأصمعي: عبد الملك بن قريب (ت: ٢١٦ هـ) البصري اللّغوي النحوي. قيل: كان يحفظ آثني عشر ألف أرجوزة. ترجمته في الكنى والألقاب للقميّ.

كيف بكم إذا ظهر تعاديهما وبدا تباغضهما ووقع بأسهما بينهما حتّى تسفك الدماء ويودّ كثير من الأحياء أنّهم كانوا موتى ؟

فقلت: يا أمير المؤمنين، هذا شيء قضى به المنجّمون عن مولدهم، أو شيء أثرته العلماء في أمرهما ؟

قال: بل شيء أثرته العلماء عن الأوصياء عن الأنبياء في أمرهما.

قالوا: فكان المأمون يقول في خلافته: قد كان الرشيد سمع جميع ما جرى بيننا من موسى بن جعفر بن محمّد[28]، فلذلك قال ما قال.

* * *

قال المؤلف:

قصد الرشيد من الأوصياء الأئمة من أهل البيت: موسى وأباه جعفر الصادق وجدّه محمّد الباقر وجدّ أبيه علي بن الحسين ثمّ الحسن والحسين وأباهما عليّ بن أبي طالب (ع). وقصد من الأنبياء خاتم الأنبياء (ص).

ومن أجل ذلك فعل الخليفة هارون الرشيد ما لم يفعله خليفة من قبله ولا بعده وذلك كما رواه المؤرّخون وقالوا:

(ولـمّا صار إلى مكّة صعد المنبر، فخطب، ثمّ نزل، فدخل البيت، ودعا بمحمّد والمأمون، فأملى على محمّد كتاب الشرط على نفسه، وكتب محمّد الكتاب، وأحلفه على ما فيه، وأخذ عليه العهود والمواثيق، وفعل بالمأمون مثله، وأخذ عليه مثل ذلك، وكان نسخة الكتاب الّذي كتبه محمّد بخطّه:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

هذا كتاب لعبد اللّه هارون أمير المؤمنين، كتبه محمد بن هارون في

28) الأخبار الطّوال، ط. القاهرة الأولى سنة ١٩٦٠، ص ٣٨٩ لأبي حنيفة الدينوري (ت: ٢٨٢ هـ). ومروج الذّهب للمسعودي ٣/٣٥١.

صحّة من بدنه وعقله وجواز من أمره. إنّ أمير المؤمنين هارون ولّاني العهد من بعده، وجعل لي البيعة في رقاب المسلمين جميعاً، وولّىٰ أخي عبد اللّه بن أمير المؤمنين العهد والخلافة وجميع أمور المسلمين بعدي برضًى منّي وتسليم، طائعاً غير مكره، وولّاه خراسان بثغورها وكورها، وأجنادها وخراجها وطرازها، وبريدها، وبيوت أموالها وصدقاتها وعُشرها وعُشورها، وجميع أعمالها في حياته وبعد موته، وشرطت لعبد اللّه أخي علَـيَّ الوفاء بما جعل له هارون أمير المؤمنين من البيعة والعهد والولاية والخلافة وأمور المسلمين بعدي. . . إلىٰ آخر الكتابين.

وروى الطبري بعد ذلك وقال:

(وكتبا لأمير المؤمنين في بطن بيت اللّه الحرام بخطوط أيديهما بمحضر ممّن شهد الموسم من أهل بيت أمير المؤمنين وقوّاده وصحابته وقضاته وحَجَبَة الكعبة وشهاداتهم عليهما كتابيْن آستودعهما أمير المؤمنين الحَجَبَةَ وأمر بتعليقهما في داخل الكعبة فلمّا فرغ أمير المؤمنين من ذلك كلّه في داخل بيت اللّه الحرام وبطن الكعبة أمر قضاته الذين شهدوا عليهما وحضروا كتابهما أن يُعلموا جميع من حضر الموسم من الحاجّ والعُمّار ووفود الأمصار ما شهدوا عليه من شرطهما وكتابهما، وقراءة ذلك عليهم ليفهموه ويَعُوه ويعرفوه ويحفظوه ويُؤدّوه إلى إخوانهم وأهل بلدانهم وأمصارهم. ففعلوا ذلك وقُرئ عليهم الشرطان جميعاً في المسجد الحرام، فآنصرفوا. وقد آشتهر ذلك عندهم وأثبتوا الشهادة عليه. . .)[٢٩].

٢٩) تاريخ اليعقوبي ٢/٤١٦ ـ ٤٢١. وأورد الطبري تفصيل ذلك في ذكر حوادث سنة ستّ وثمانين ومائة، ط. أوربا، ٣/٦٥٤ ـ ٦٦٥. وأشار إلى ذلك بإيجاز كلّ من المسعودي في مروج الذهب، ٣/٣٥٣. وآبن الأثير في تاريخه (الكامل)، ط. أوربا، ٦/١١٧ ـ ١١٨. وآبن كثير في البداية والنهاية ١٠/١٨٧.

شهرة لقب وصِيِّ النبيّ (ص) للإمام علـيّ (ع) و آنتشار ذكره في أشعار الصّحابة و التابعين و كتب اللغة

في صدر الإسلام

كان لقب الإمام علـيّ (ع) بالوصيّ مشهوراً في الصّدر الإسلاميّ الأوّل و آنتشر ذلك في كتب اللّغة؛ فقد ورد في مادة: (الوصيّ) من لسان العرب:

و قيل لعلـيّ (ع): وصيّ.

وفي تاج العروس: و الوصيّ كـغَنِيّ لَقَبُ علـيّ (رض).

و سيأتـي قول المبرد في الكامل في اللّغة بُعيد هذا.

و ورد ذكره في شعر الشّعراء منذ عصر الصّحابة مثل قول حسّان بن ثابت شاعر النبيّ (ص) في قصيدته بعد وفاة النبي (ص):

جزى اللّه عنّا و الجزاء بكفه أباحسن عنّا و من كأبـي حسن

حفظت رسول اللّه فينا وعهده إليك و من أولى به منك مَن و مَن

ألست أخاه في الهدى و وصيَّه وأعلم منهم بالكتاب والسنن[30]

و روى الـزبير بن بكّار في الموفّقيات عن بعض شعراء قريش في مدح عبد اللّه بن عبّاس قوله:

و اللّه ماكلّم الأقوام من بشر بعد الوصيّ عليّ كآبن عبّاس[31]

و قال الوليد بن عقبة بن أبـي معيط في مقتل عثمان:

٣٠) الموفقيات للزبير بن بكار، ط . بغداد، سنة ١٩٧٢ م، ص ٥٧٤ ـ ٥٧٥، وورد شعر حسـان في تاريخ اليعقـوبـي ٢/١٢٨ مع اختـلاف في اللفظ. وشرح نهـج البلاغة لابن أبـي الحديد، ط الأولى ٢/١٥.

٣١) الموفقيات ص ٥٧٥. وشرح نهج البلاغة لابن أبـي الحديد، ط . مصر الأولى ١/ ٢٠١، وط مصر بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٢/٢٦٢

ألا إنّ خير الناس بعد ثلاثة قتيل التَجيبي الّذي جاء من مصر

فأجابه الفضل بن عبّاس بأبيات جاء فيها:

ألا إنّ خير النّاس بعد محمّد وصيّ النبيّ المصطفى عندذي الذكر

وأول من صلّى وصنو نبيّه وأوّل من أردى الغواة لدى بدر[32]

وقال النعمان بن عجلان شاعر الأنصار في قصيدته - أيضاً - بعد وفاة النبيّ (ص):

وكان هوانا في عليّ وإنّه لأهل لها ياعمرو من حيث لا تدري

٣٢) تاريخ الطبري، ط. أوربا ١/٣٠٦٤ و٣٠٦٥. وتاريخ آبن الأثير، ط. أوربا ٣/١٥٢ في ذكرهما ما رثي به عثمان.

والوليد بن عقبة بن أبي معيط بن ذكوان وكان ذكوان عبداً لأميّة فتبنّاه وألحقه بنسبه. وأمّ الوليد أروى أمّ الخليفة عثمان. أرسله رسول اللّه (ص) مصدقاً إلى بني المصطلق، فخرجوا يتلقونه، فهابهم فعاد إلى رسول اللّه (ص) وأخبر أنّهم آرتدّوا ومنعوا الصدقة، فنزلت فيه: ﴿ إن جاءكم فاسقٌ بنبإٍ فتبيّنوا ﴾ الحجرات/٦. فأرسل " ،م رسول اللّه(ص) غيره فأخبروه أنهم متمسّكون بالإسلام. ولاّه الخليفة عثمان الكوفة فشرب الخمر وصلّى بهم صلاة الصبح أربعاً وهو سكران، فعزله عثمان، وقد ذكرنا تفصيل خبره في أول ذكر أخبار عصر الصهرين من كتاب أحاديث عائشة. أقام في الرقة بعد عثمان وتوفّي بها. ترجمته في أسد الغابة والإصابة.

والفضل بن العباس بن عبدالمطّلب، أكبر ولد العبّاس. شهد مع النبيّ (ص) فتح مكّة وحنيناً وثبت معه حين آنهزم الناس، وشهد غسل رسول اللّه (ص) ودفنه وآستشهد يوم مرج الصفراء أو أجنادين بالشام وكلاهما سنة ثماني عشرة هجرية، وقيل: آستشهد يوم اليرموك. وترجمته في الاستيعاب وأسد الغابة والإصابة.

قصد (بعد ثلاثة) أي بعد الرسول (ص) وأبي بكر وعمر. والتُجيبي والتُجُوبي: نسبة إلى قبيلة من مذحج، كانت تسكن محلّة بمصر وقيل لمن يسكن تلك المحلة - أيضاً - التجيبي والتجوبي. وكان منهم عبد الرحمن بن عديس البلوي الّذي آشترك في قتل الخليفة عثمان، وإيّاه عنى الوليد بالتجيبي في شعره، ومنهم عبد الرحمن بن ملجم المرادي التَدْؤلي قاتل الإمام عليّ، وكانت داره إلى جنب آبن عديس، ومعنى البيت· ألا إنّ خير الناس بعد الرسول (ص) وأبي بكر وعمر - أي عثمان - أصبح مقتولاً بيد التجيبي الّذي جاء من مصر.

راجع مادة: (التجيبي) و (التدؤلي) في أنساب السمعاني، وراجع مادة: (التجيبي) في الإكمال لابن ماكولا ١/٢١٤ و٢٥٦، ومادة: (التدؤلي) في اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير.

وصيّ النبيّ المصطفى وآبن عمّه   وقاتل فرسان الضّلالة والكفر

قال ذلك في جواب عمرو بن العاص حين أغاض الأنصار في حوادث السقيفة وآنتصار الإمام عليّ للأنصار من مهاجرة قريش[٣٣].

وقال آبن أبي الحديد:

ومن الشعر المقول في صدر الإسلام المتضمّن كونه (ع) وصيّ رسول اللّه (ص) قول عبد اللّه بن أبي سفيان بن الحرث بن عبد المطّلب:

ومنّا علي ذاك صاحب خيبر   وصاحب بدر يوم سالت كتائبه

وصيّ النبيّ المصطفى وآبن عمه   فمن ذا يدانيه ومن ذا يقاربه؟

وقال عبد الرحمن بن جعيل:

لعمري لقد بايعتم ذا حفيظة   على الدين معروف العفاف موفقا

عليّاً وصيّ المصطفى وآبن عمّه   وأوّل من صلّى أخا الدين والتقى[٣٤]

الوصية في الأشعار الّتي قيلت في حرب الجمل[٣٥]

وقال آبن أبي الحديد أيضاً:

وقال أبو الهيثم بن التيهان وكان بدرياً:

قل للزبير وقل لطلحة إنّنا   نحن الّذين شعارنا الأنصار

نحن الّذين رأت قريش فعلنا   يوم القليب أولئك الكفّار

٣٣) النعمان بن عجلان الزرقي الأنصاري، لسان الأنصار وشاعرهم. استعمله عليّ على البحرين.

ترجمته في الاستيعاب، ط. حيدرآباد ١/٢٩٨، رقم: ١٣٢٣. وأسد الغابة ٥/٢٦. والإصابة ٣/٥٣٢، ونسبه في الجمهرة ص ٣٢٧ ـ ٣٣٨. والاشتقاق ص ٤٦١. والأبيات عن كتاب الموفقيات للزبير بن بكار ص ٥٩٢ ـ ٥٩٤، ورواه آبن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ٦/٣١.

٣٤) شرح نهج البلاغة ١/٤٧. وراجع فتوح آبن أعثم ط. حيدرآباد عام ١٢٨٨، ٢/٢٧٧.

٣٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١/٤٧ ـ ٤٩. وراجع فتوح أعثم ٢/٣٠٧.

كنّا شعار نبيّنا ودثاره　يفديه منّا الرّوح والأبصار
إنّ الوصيّ إمامنا ووليّنا　برح الخفاء وباحت الأسرار

وقال عمر بن حارثة الأنصاريّ في محمّد بن الحنفيّة من أبيات أنشأها يوم الجمل:

سميّ النبيّ وشبه الوصيّ　ورايته لونها العندم

وقال رجل من الأزد يوم الجمل:

هٰذا عليّ وهو الوصيّ　آخاه يوم النجوة النبيّ
وقال هٰذا بعدي الوليّ　وعاه واع ونسي الشقيّ

وخرج يوم الجمل غلام من ضبّة شابّ معلم من عسكر عائشة وهو يقول:

نحن بنو ضبّة أعداء علي　ذاك الّذي يعرف قدماً بالوصي
وفارس الخيل على عهد النبي　ما أنا عن فضل عليّ بالعمي
لكنّني أنعى آبن عفّان التّقي　إنّ الوليّ طالب ثار الولي[٣٦]

وقال سعيد بن قيس الهمداني يوم الجمل، وكان في عسكر علي (ع):

قل للوصيّ أقبلت قحطانها　فآدع بها تكفيكها همدانها

وقال حجر بن عديّ الكنديّ في ذلك اليوم أيضاً:

يا ربّنا سلّم لنا عليّا　سلّم لنا المبارك المرضيّا
المؤمن الموحّد التقيّا　لا خطل الرأي ولا غويّا
بل هادياً موفّقاً مهديّا　وآحفظه ربّي وآحفظ النبيّا
فيه فقد كان له وليّا　ثمّ آرتضاه بعده وصيّا

وقال خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وكان بدريّاً يوم الجمل أيضاً:

ياوصيّ النبيّ قد أجلت الحر　ب الأعادي وسارت الأظعان

٣٦) راجع فتوح أبن أعثم ٢/٣٢١ .

وآستقامت لك الأمور سوى الشـ ـام وفي الشام يظهرالإذعان
حسبهم ما رأوا وحسبك منا هكذا نحن حيث كنا وكانوا

وقال خزيمة يوم الجمل أيضاً في أبيات يخاطب بها أمّ المؤمنين عائشة:

وصيّ رسول اللّه من دون أهله وأنتِ على ماكان من ذاك شاهد

وخطب آبن الزبير يوم الجمل، وخطب الحسن (ع) بعده، فقال عمرو بن أحيحة في ذلك:

حسن الخير يا شبيه أبيه قمت فينا مقام خير خطيب
قمت بالخطبة الّتي صدع اللّـ ـه بها عن أبيك أهل العيوب
وكشفت القناع فآتّضح الأمـ ـر وأصلحت فاسدات القلوب
لست كآبن الزبير لجلج في القو ل وطاطا عنان فسل مريب
وأبىٰ اللّه أن يقوم بما قا م به آبن الوصيّ وآبن النجيب
إنّ شخصاً بين النبي ـ لك الخيـ ـر ـ و بين الوصيّ غير مشوب

وقال آبن أبي الحديد بعد إيراد الأبيات الّتي أوردنا مختصراً منها:

ذكر هذه الأشعار والأراجيز بأجمعها أبو مخنف لوط بن يحيى في كتاب وقعة الجمل.

وأبو مخنف من المحدّثين وممّن يرى صحّة الإمامة بالاختيار وليس من الشّيعة ولا معدوداً من رجالها.

وممّا رويناه من أشعار صفّين الّتي تتضمّن تسميته (ع) بالوصيّ ما ذكره نصر بن مزاحم بن يسار المنقري في كتاب صفّين وهو من رجال الحديث.

الوصية في الأشعار الّتي قيلت بصفّين

لـمّا كتب الإمام عليّ إلى جرير بن عبد اللّه البجلي والأشعث بن قيس

الكندي وكانا من ولاة عثمان في البلاد الإيرانية فأجاب جرير بشعر جاء فيه :

أتـانا كتابُ علـيّ فلم نـردّ الكتاب، بأرضِ العجمْ
ولم نَعْصِ ما فيه لـمّا أتى ولـمَّا نـذمَّ ولـمّا نَـلُمْ
ونحن ولاةٌ علـى ثغرهـا نَضِيمُ العزيز ونَحمِي الذِّممْ
نساقيهم الـموتَ عند اللّـقاء بكأس المنايا ونشفي القَرَمْ
طحنّـاهم طحنــةً بـالـقَنا وضربِ سُيوفٍ تُطير الـلِّمَمْ
مضينا يقيـناً على ديننـا ودين النبيِّ مُجلِّي الظُّلَمْ
أمــيـنِ الإلـهِ وبـرهانِـه وعدلِ البـريَّـة والمعـتَصَمْ
رسولِ الـمليك، ومِنْ بعدِه خليفتنـا القــائمُ المـدَّعَـمْ
عليّـاً عنيت وصيَّ النبيّ نجالد عنه غـواة الأمـم[٣٧]

ومـمّا قيل على لسان الأشعث في جواب كتاب الإمام[٣٨]:

أتانا الرسول رسـول عليّ فسـرّ بـمقدمـه المسلمـونا

٣٧) صفّين ص ١٥ ـ ١٨ . وآبن أبـي الحديد ٢٤٧/١ . وراجع فتوح آبن اعثم ٣٠٥/٢ .

٣٨) كان الأمراء إذا لم يكونوا مـمّن ينظم الشعر يطلبون مـمّن معهم في موارد خاصة أن ينظموا في الجواب عنهم وكان هذا المقام من الأشعث من تلك الموارد.

وجرير بن عبد اللّه البجلي: أسلم قبل وفاة النبيّ (ص) بأربعين يوماً، شهد حرب القادسية . أرسله رسول اللّه (ص) لتهديم صنم لخثعم في ذي الخلصة فذهب إليه واحرقه . توفي سنة إحدى أو اربع وخمسين هجرية .

ترجمته في الاستيعاب . وأسد الغابة . والإصابة .

والأشعث بن قيس الكندي : أسلم مع وفد قومه إلى رسول اللّه (ص) في السنة العاشرة ولم يدفـع الصدقة لجباة الخليفة أبـي بكر، فقاتلوه وأسروه، فأطلقه الخليفة وزوّجه أخته أم فروة، وشهد بعض فتوح الشام والعراق، وآستعمله عثمان على أذربيجان، وشهد صفّين مع عليّ وكان مـمّن ألزم عليّاً بالتحكيم وشهد الحكمين بدومة الجندل. وتوفّي بالكوفة بعد مقتل الإمام عليّ بأربعين ليلة .

ترجمته في الاستيعاب . وأسد الغابة . والإصابة .

رسولُ الوصيِّ وصيِّ النبيّ له الفضلُ والسَّبقُ في المؤمنينا
بما نَصَحَ اللّهَ والمصطفى رسولَ الإلـه النبيَّ الأمينا
يُجاهد في اللّه، لا ينثني جميعَ الطغاة مع الجاحدينا
وزيرُ النبـيِّ وذو صِهْره وسيفُ المنيّة في الظالمينا

وقيل على لسانه أيضاً:

أتانا الرسولُ رسول الوصيِّ علـيٌّ المهذبُ من هاشـمِ
رسولُ الوصيِّ وصـيِّ النبيِّ وخيـر البـرّية مِنْ قائـمِ
وزير النبـيّ وذو صِهرِه وخـير البـريّة في العالَـمِ
له الفضلُ والسَّبقُ بالصالحات لِـهَدْيِ النبيِّ به يأتمي
محمداً أعني رسول الإلـه وغيثَ البـريَّة والخاتَـمِ
أجبنـا عليّـاً بفضـلٍ له وطاعـةِ نُـصْحٍ له دائـمِ
فقيـهٌ حليـمٌ لـه صولـةٌ كليث عريـنٍ بها سائـمِ[39]

وبعد أن أعطى معاوية مصر لعمرو طعمة ليعينه على قتال الإمام علي، قال الإمام في ذلك شعراً جاء فيه:

يا عجباً لقد سمعت منكرا كذباً على اللّه يشيب الشعرا
يسترق السّمع ويغشي البصرا ما كان يرضي أحمداً لو خبرا
ان يقرنوا وصيّه والأبترا شاني الرسول واللّعين الأخزرا[40]

ولـمّا وقع خلاف بين جيش الإمام عليّ في عزل الأشعث من قيادة قبيلة وتعيين غيره، قال النجّاشي في ذلك:

٣٩) صفّين ص ٢٠ ـ ٢٤.
٤٠) صفّين ص ٤٣.

رضينا بما يرضى عليّ لنا به وإن كان في ما يأتِ جدع المناخر
وصيّ رسول اللّه من دون أهله ووارثه بعد العموم الأكابر[41]

ومـمّا ورد في الأشعار الّتي قيلت في يوم صفين ما ورد في شعر النضر بن عجلان الأنصاري قوله:

قد كنتُ عن صِفّين فيها قد خلا وجنودِ صِفّين لَعَمْرِيَ غافِلا
قد كنتُ حقّاً لا أُحاذِرُ فِتْنَةً ولقد أكونُ بذاك حَقّاً جاهلا
فرأيتُ في جمهور ذلك مُعظَما ولقيتُ من لهوات ذاك عَياطلا
كيف التفرُّقُ والوصيُّ إمامنا لا كيف إلّا حيرةً وتخاذُلا
لا تَعْتِبُنَّ عقولكم لا خيرَ في مَنْ لم يكن عند البلابِلِ عاقلا
وذروا معاوية الغويّ وتابعوا دين الوصيّ تصادفوه عاجلا[42]

وقال حجر بن عديّ الكندي:

ياربّـنا سلّـم لنا عليّا سلّم لنـا المهـذب النقيـا
المؤمـن المسـترشـد المرضيـا وآجعله هـادي أمّة مهديا
لا خطل الـرأي ولا غبيـا وآحفظه ربّـي حفظك النبيا
فإنّـه كـان لـه وليّـا ثم آرتضاه بعده وصيّا[43]

41) صفّين ص ١٣٧.
والعموم جمع العمّ.
والنجـاشي قيس بن عمرو: شاعر مخضرم. اشتهر في الجاهلية والإسلام.أصله من نجران اليمن. سكن الكوفة. توفّي نحو ٤٠ هـ. الأعلام للزركلي
42) صفّين ص ٣٦٥.
43) صفّين ص ٣٨١ . وقد ورد إنشاده هذه الأبيات في شرح النهج لابن أبي الحديد في حرب الجمل.

وحجر بن عدي الكندي المعروف بحجر الخير: وفد على النبيّ (ص) وشهد القادسية وشهد مشاهد الإمام عليّ وكان على كندة بصفّين. وأرسله زياد مع جماعة إلى معاوية فقتلهم بمرج

وقال عبد الرحمن بن ذؤيب الأسلمي:

ألا أبلغ معاوية بن حرب أمالك لا تنيب إلى الصواب
أكلَّ الدهر مَرجوسٌ لغَيرٍ تُحاربُ مَن يقومُ لدى الكِتابِ
فإن تسلم وتبقى الدهر يوماً نزرك بجحفل شبه الهضاب
يقودهم الوصيّ إليك حتّى يردك عن غُوائك وآرتياب[44]

وقال المغيرة بن الحارث بن عبد المطّلب:

ياشُرطةَ الموت صبراً لايهولَكُم دينُ آبن حربٍ فإنّ الحقَّ قد ظَهَرا
وقاتلوا كلَّ من يَبغِي غوائلَكم فإنَّما النصرُ في الضَّـرَّا لمن صَبَرا
سِيقُوا الجوارح حَدَّالسَّيف وآحتسِبوا في ذلك الخيرَ وآرجُوا اللّه والظفرا
وأيقِنوا أنَّ من أضحى يخالفكم أضحى شقيًّا وأضحى نَفْسَه خَسِرا
فيكم وصيّ رسول اللّه قائدكم وأهله وكتاب اللّه قد نشرا [45]

وقال الفضل بن العبّاس أيضاً:

وصيّ رسول اللّه من دون أهله وفارسه إن قيل هل من منازل[46]

وقال المنذر بن أبـي حميصة الوادعي في شعره:

عذراء سنة إحدى وخمسين هجرية. وقال حجر. إنّـي لأوّل المسلمين كبَّـر في نواحيها، أي: عندما فتحها المسلمون.

٤٤) صفّين ص ٣٨٢ و (غُوائك): من العواء، آشتق آسم (معاوية)، فان المعاوية: الكلبة تعاوي الكلاب.

٤٥) صفّين ص ٣٨٥.

والمغيرة بن الحارث بن عبد المطلب وهو أخو أبـي سفيان بن الحارث الشاعر، وقال بعضهم إنّهما شخص واحد. ترجمتهما بأسد الغابة في الأسماء والكنى.

٤٦) صفّين ص ٤١٦. وشرح نهج البلاغة لابن أبـي الحديد، ط. الأولى ٢٨٤/١. وسيأتـي تفصيل خبر البيت بعيد هذا إن شاء اللّه تعالى.

ليس منّا من لم يكن لك في اللّـ ـه وليّا يا ذا الولا و الوصية[٤٧]

الوصيّة في كتاب ابن عباس

قال آبن عباس في وقعة صفّين في جواب كتاب معاوية:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

أمّا بعد، فقد أتاني كتابك و فهمت ما سطرت فيه، فأمّا ما أنكرت من سرعتنا إلى أنصار عثمان بالمساءة و سلطان بني أميّة، فلعمري لقد أدركت حاجتك في عثمان حين آستنصرك، فلم تنصره حتّى صرت إلى ماصرت إليه، و بينك و بينه في ذلك أخو عثمان لأمّه الوليد بن عقبة. و أمّا إغراؤك إيّانا بتيم وعدي، فأبو بكر و عمر خير من عثمان، كما أنّ عثمان كان خير منك.

و أمّا قولك إنّه لم يبق من رجال قريش إلاّ ستة رجال، فما أكثر رجالها و أحسن بقيتها، و قد قاتلك من خيارها من قاتلك و لم يخذلنا إلاّ من خذلك.

و أمّا ذكرك الحرب، فقد بقي لك منا ما ينسيك ما كان قبله و تخاف ما يكون بعده.

و أمّا قولك إنّي لو بايعني الناس لأسرعت إلى طاعتي، فقد بايع الناس عليّاً، و هو أخو رسول اللّه (ص) و آبن عمّه و وصيّه و وزيره، و هو خير منّي، و أمّا أنت فليس لك فيها حقّ، لأنّك طليق و آبن طليق و رأس الأحزاب و آبن آكلة الأكباد، و السلام.

٤٧، صفّين ص ٤٣٦، و كان فارس همدان و شاعرهم. و وادعة: بطن من همدان. الاشتقاق لابن دريد.

وفي ترجمته في الإصابة: له إدراك، و هو أوّل من جعل سهم البراذين دون سهم العراب فبلغ الخبر الخليفة عمر فأعجبه ذلك وقال: امضوها على ما قال الإصابة ٣/٤٧٨.

فلما أنتهى كتاب ابن عباس إلى معاوية و قرأه، قال: هذا فعلي بنفسي. و اللّه لأجهدن أن لا أكاتبه سنة. ثمّ أنشأ يقول:

دعوت ابن عباس إلى أخذ خطّة — وكان آمرأ أهدي إليه رسائلي
فأخلف ظنّي و الحوادث جمّة — ولم يك في ما نابني بمواصلي
ولم يك في ما جاء ما يستحقّه — وما زاد أن أغلى عليه مراجلي
فقل لابن عباس أراك مخوّفاً — بجهلك حلمي إنّني غير غافل
فأبرق و آرعد ماآستطعت فإنّني — إليك بما يشجيك سَبْط الأنامل
وصفّين داري ما حييت وليس ما — تربص من ذاك الوعيد بقاتلي

فأجابه الفضل بن العباس و هو يقول:

ألا ياآبن هند إنّني غير غافل — وإنّك ممّا تبتغي غير نائل
أآلآن لما أخبت الحرب نارها — عليك وألقت بركها بالكلاكل
وأصبح أهل الشام صرعى فكلّهم — كفقعة قاعٍ أو كشحمة آكل
وأيقنت أنا أهل حقّ وإنما — دعوت لأمر كان أبطل باطل
دعوت آبن عباس إلى السلم خدعةً — وليس لها حتّى يموت بقائل
فلا سلم حتّى يتجر الخيل بالقنا — وتضرب هامات الرجال الأوائل
وآليت لا تهدي إليه رسالة — إلى أن يحول الحول من رأس قابل
أردت بها قطع الجواب وإنما — رماك فلم يخطئ بثار المقاتل
وقلت له لو بايعوك تبعتهم — فهذا عليّ خير حافٍ وناعل
وصيّ رسول اللّه من دون أهله — وفارسه إذ قيل هل من منازل
فدونكه إذ كنت تبغي مهاجراً — أشمّ بنصل السيف ليس بناكل[48]

٤٨) كتاب الفتوح لابن أعثم ٢٥٤/٣ ـ ٢٥٨. وصفّين ص ٤١٦. وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ط. الأولى، ٢٨٤/١.

وقال مالك الأشتر :

كل شيءٍ سوى الإمـام صغـير وهـلاكُ الإمـام خطبٌ كبـيرُ
قد أُصبنـا وقـد أُصيب لنـا اليو مَ رجـالٌ بُزل حماةٌ صُقـورُ
واحـدٌ منـهـم بألـف كبـير إنَّ ذا من ثوابـه لكـثـيرُ
إنَّ ذا الجـمـعَ لا يزالُ بخـيرٍ فيه نُعـمـى و نعـمـة و سُرورُ
من رأى غُرَّةَ الـوصيِّ عليٍّ إنَّـه في دُجـى الحـنـادِس نُورُ
إنّـه والّـذي يحُـجُّ له الـنّـا سُ سِراجٌ لدى الـظّـلام مُنـيـرُ
مَـن رضـاهُ إمـامـهُ دخَـلَ الجـنّـ ـةَ عفـواً و ذنـبُـهُ مغـفـورُ
بعـد أن يقـضـيَ الّـذي أمـرَ اللّـ ـهُ بِهِ ليسَ في الهُـدى تخـيـيرُ[٤٩]

و نقل المسعودي في مروج الذهب:

أ ـ في ذكر من رثى الإمام عليّاً بعد آستشهاده :

و في ذلك يقول آخر من شيعة علي رضي اللّه عنه :

تأسّ فكم لك من سلوة تفرج عنك غليل الحزن
بموت النّبيّ وقتل الوصيّ وقتل الحسين وسمّ الحسن

ب ـ في ذكر قتل حجر بن عدي :

٤٩ ؛ نال ابن اعثم في الفتوح (٢٢٦/٣) والخوارزمي في المناقب ص ١٧٠ ماموجزه: إن الأشتر وسائر أصحاب الإمام علي (ع) افتقدوه يوماً بصفين فبحثوا عنه ووجدوه تحت رايات ربيعة فرأى الإمام الأشتر متغيراً عن حاله باكياً فقال له: ما خبرك يا مالك أفقدت ابنك أم أصابك غير ذلك ؟ فجعل الأشتر ينشد ويقول. . . الأبيات.

حماة : جمعُ حامٍ وهو المدافع الّذي لا يُقرّب أو الأسد لحمايته.

الدّجىٰ : جمعُ دُجية وهي الظلمة .

الحنادس: جمع حِندس، ليلٌ حِندس أي مُظلِم، و الحنادس ثلاث ليال من الشّهر لظُلمتهنّ.

وإنّ قاتل حجر بن عدي قال له ساعة قتله:

إنّ أمير المؤمنين قد أمرني بقتلك، يا رأس الضلال ومعدن الكفر والطغيان والمتولي لأبي تراب، وقتل أصحابك، إلاّ أن ترجعوا عن كفركم وتلعنوا صاحبكم وتتبرّأوا منه، فقال حجر وجماعة ممن كان معه: إنّ الصبر على حدّ السيف لأيسر علينا ممّا تدعونا إليه، ثمّ القدوم على الله وعلى نبيّه وعلى وصيّه أحبّ إلينا من دخول النّار[٥٠].

وقال علي بن محمد بن جعفر العلوي فيمن انتمى إلى سامة بن لؤي بن غالب:

وسامة منّا فأمّا بنوه ... فأمرهم عندنا مظلم
أناس أتونا بأنسابهم ... خرافة مضطجع يحلم
وقلنا لهم مثل قول الوصـ ... ـيّ وكلّ أقاويله محكم
إذا ما سئلت فلم تدر ما ... تقول فقل: ربّنا أعلم[٥١]

الوصية في شعر المأمون

قد دفعت سياسة التقرّب إلى العلويّين الخليفة العبّاسيّ المأمون، أن ينتخب الإمام عليّا الرضا وليّاً للعهد ويذكر الوصيّة في شعره؛ فقد قال:

ألامُ على حبّي الوصيّ أبا الحسن ... وذلك عندي من أعاجيب ذا الزمن[٥٢]

٥٠م مروج الذهب أ: في ٢/٤٢٨، وب: ٣/٤.

٥١) المسعودي في دكر خبر ولد سامة أواخر ترجمة الإمام عليّ ٢/٤٠٨. وولد سامة الّذين تكلّموا في انتسابهم إليه هم بنو ناجية.

أمّا علي بن محمد بن جعفر العلوي، فإنّ جعفراً هذا هو الإملم جعفر الصادق بن الباقر وعليّ ابنه. نسبه في الأنساب لابن حزم ص ٦١

٥٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢/٢٢.

وقال أيضاً:

ومن غاو يغصّ عليّ غيظاً إذا أدنيت أولاد الوصيّ[53]

اشتهار لقب الوصيّ للإمام عليّ (ع) مدى القرون

وروى المبرد في الكامل وقال: قال الكميت:

والوصيّ الّذي أمال التجوبي به عرش أمة لانهدام

قال المبرد: قوله: الوصيّ، فهذا شيء كانوا يقولونه ويكثرون[54].

إذاً فالإمام عليّ كان مشهوراً بأنّه وصيّ الرسول (ص) حتّى أصبح الوصيّ لقباً له كما كان مشهوراً بكنيته أبي تراب.

واستشهد المبرد على قوله بأنّ الامام عليّاً كان مشهوراً بلقب الوصيّ بما ورد في شعر أبي الأسود الدؤلي قوله: (الوصي) مع اسم حمزة والعبّاس، بلا تعريف لأحدهم حيث قال:

٥٣) المحاسن والمساوئ للبيهقي ١٠٥/١.

٥٤) التجوبي هو عبد الرحمن بن ملجم المرادي التدْوُلي، قاتل الإمام عليّ (ع). وقيل له التُجيبي والتُجُوبي نسبة إلى المحلة الّتي كان يسكنها بمصر قبل هجرته إلى الكوفة. راجع الهامش رقم ٣١ من هذا الفصل.

لكامل للمبرد، ط. مكتبة المعارف، بيروت ١٥١/٢.

والمبرد هو: أبو العباس، محمد بن يزيد الأزدي الثمالي البصري. قال الخطيب البغدادي بترجمته: شيخ أهل النحو وحافظ علوم العربية، من تآليفه: الكامل في اللغة. توفّي ببغداد سنة ٢٨٥ هـ، ترجمته بتاريخ بغداد ٣٨٠/٣، وكشف الظنون، مادة: (الكامل).

والكميت: أبو المستهل ابن زيد الأسدي، من أهل الكوفة. كان عالماً بآداب العرب ولغاتها وأخبارها وأنسابها، ثقة في علمه. ترجم شعره الهاشميات إلى الألمانية، (ت: ١٢٦ هـ). الأعلام للزركلي ٩٢/٦.

أُحبّ محمّداً حبّاً شديدا   وعبّاساً وحمزة والوصيّا[٥٥]

وقول الحميريّ:

إنّي أدِين بما دان الوصيّ به   يوم النخيلة من قتل المحلينا[٥٦]

وقوله أيضاً:

واللّه مَنَّ عليهم بمحمّد   وهداهم وكسا الجنوب وأطعما

ثمّ آنبروا لوصيّه و وليّه   بالمنكرات فجرعوه العلقما[٥٧]

وقال إمام الشافعية، محمد بن إدريس (ت ٢٠٤ هـ):

إن كان حبّ الوصيّ رفضاً   فإنّني أرفضُ العبادِ[٥٨]

وقال آبن دريد:

أهوى النبيّ محمّداً ووصيّه   وآبنيه وآبنته البتول الطاهرة[٥٩]

٥٥) الكامل للمبرد ٢/١٥٢. وأورده أبو الفرج بترجمة الحميري في الأغاني، ط. ساسي، ٧/١٠.

وأبو الأسود: ظالم بن عمرو الدؤلي، من الفقهاء والأعيان والشعراء، واضع علم النحو، رسم له علي بن أبي طالب شيئاً من أصول النحو فكتب فيه أبو الأسود، وأخذ عنه جماعة، وهو أول من نقط المصحف، شهد مع عليّ (ع) صفّين، توفّي بالبصرة سنة ٦٩ هـ. الأعلام للزركلي ٣/٣٤. وراجع العقد الفريد ط. مصر عام ١٣٧٢، ٣/٢١١.

٥٦) الكامل للمبرد ٢/١٧٥، وأورد البيت وتفصيل سبب إنشاد السيد الحميري الشعر، في الأغاني، ط. ساسي ٧/٢١ يوم الخريبة، والعقد الفريد ٣/٢٨٥ وابن أبي الحديد ١/١٣٢

والسيد الحميري، إسماعيل بن محمد، كان واحداً من ثلاثة، أكثر الناس شعراً في الجاهلية والإسلام، كان مقدماً عند الخليفتين المنصور والمهدي العبّاسيّين، توفي سنة ١٧٣ هـ. الأعلام للزركلي ١/٣٢٠.

٥٧) في ترجمة السيد الحميري، من الأغاني ٩/٦ يوم الخريبة.

٥٨) ديوان الشافعي ص ٣٥، ط. بيروت، ١٤٠٣ هـ.

٥٩) بترجمة آبن دريد في الكنى والألقاب ١/٢٧٤

وفي ديوان المتنبي :

وقيل للمتنبي : مالك لم تمدح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رص)؟ فقال :

وتركت مدحي للوصيّ تعمّداً　　إذ كان نوراً مستطيلاً شاملاً

وإذا آستقل الشيء قام بذاته　　وكذا ضياء الشمس يذهب باطلا[60]

والبيت الثاني جرى مجرى الأمثال بهذا اللفظ :

وإذا آستطال الشيء قام بنفسه　　وصفات ضوء الشمس تذهب باطلا[61]

وقال يمدح أبا القاسم طاهر بن الحسين بن طاهر العلوي كما في ديوانه أيضاً :

هو آبن رسول اللّه وآبن وصيّه　　وشبههما شبهت بعد التجارب[62]

وقال شيخ الإسلام الحمويني الجويني (ت: ٧٢٢ هـ) :

أخو أحمد المختار صفوة هاشم　　أبو السادة الغرِّ الميامين مؤتمن

وصيٌّ إمام المرسلين محمَّد　　علي أمير المؤمنين أبو الحسن

ـ الأبيات[63] . وقال أيضاً :

أخي خاتم الرسل الكرام محمَّد　　رسول إلـه العالمين مطهر

وآبن دريد : أبو بكر محمد بن الحسن الأردي البصري شاعر نحوي ، لغوي ومن مؤلفاته . الجمهرة (ت: ٣٢١ هـ) .

٦٠) ديوان أبي الطيب المتنبي (ت: ٤٦٨هـ) تحقيق فريدرخ ، ص: ٨٥٦ ، ط . برلين ، سنة ١٨٦١ م .

٦١) ورد بهذا اللّفظ في ترجمة أبي نؤاس في الكنى والألقاب ١ /١٦٢ .

٦٢) ديوان المتنبّي ص ٣٣٣ .

٦٣) في مقدّمة كتابه فرائد السّمطين ، الورقة : ٢ ب ، مخطوطة مصورة المكتبة المركزية بجامعة طهران برقم ١٦٩٠ /١١٦٤ . جمع في البيت الثاني بين ذكر الاسم (علي) وذكر الصفة (وصيّ) .

عليٌّ وصيُّ المصطفى و وزيره   أبـي السادة الغُـرِّ البهاليل حيدر[٦٤]

وقال السيّد محمد حبيب العبيدي (ت ١٣٨٣ هـ) مفتي الموصل، أيّام ثورة العراقيين عام ١٩٢٠ ميلاديّة، عند آحتلال بريطانيا للعراق وفي دحض آدعاء بريطانيا أنّ لها حـقّ الوصاية على العراق والعراقيين. في صرخته الأولى، كمـا سمّاها في ديوانه:

أيّها الغـرب جئت شيئاً فريّا   ما علمنا غيـر الوصي وصيّا

○ ■ ○

قسمـاً بـالقـرآن و الإنجيـل   ليس نرضى وصـاية لقبيل

أو تسيل الدمـاء مثل السيول   أفبعد الـوصي زوج البتـول

نحن نرضى بالإنكليز وصيّا ؟

دون ملك العـراق بين الطلول   لأبـي عبد اللّه نجل البتـول

قد أريقت دمـاء خير قتيل   أفبعد الحسـين سبـط الرسول

نحن نرضى بالإنكليز وصيّا ؟

قد ظلمنا العـراق يا ساكنيه   إنّ دمـع النسـاء لا يـجديه

حين تبكي السبطـين أو تبكيه   أفـمن بعد المجتبـى و أخيه

نحن نرضى بالإنكليز وصيّا ؟

يا محبّي آل النبـيّ الكرام   أيكون العـراق ملك اللئام

وهو ميراث آل خير الأنـام   أفـبـعـد الائـمـة الأعــلام

نحن نرضى بالإنكليز وصيّا ؟

○ ■ ○

٦٤) في أوّل السمط الأول من كتابه فرائد السّمطين، الورقة: ٧ ب.

وقال في صرخته الثانية:

اشهدوا يا أهل الثرى والثريا قد أبت شيعة الوصيّ وصيّا

○ ■ ○

قد نكثنا عهد النبيّ لدينا وآحتملنا إثماً وعاراً وشينا

إن قبلنا وصاية وغوينا أفلا يسخط الوصيّ علينا

إن رضينا بالإنكليز وصيّا ؟

ما عسى أن نقول يوم الجزاء لنبيّ الهدى أبي الزهراء

والشهيد المقيم في كربلاء وإمام الهدى بسامراء

إن رضينا بالإنكليز وصيّا ؟

وقال أيضاً في قصيدة ثانية:

لست منّا ولم نكن منك شيًّا فلماذا تكون فينا وصيّا

لم تكن يا آبن لندن علويّا هاشميّا ولم تكن قرشيّا

لا ولا مسلما ولا عربيّا من بني قومنا ولا شرقيّا

فلماذا تكون فينا وصيّا ؟

إلى قوله:

لا تقل جعفريّة حنفيّة لا تقل شافعيّة زيديّة

جمعتنا الشريعة الأحمديّة وهي تأبى الوصاية الغربيّة

فلماذا تكون فينا وصيّا ؟

قد سئمنا سياسة التفريق و آهتدينا إلى سواء الطريق

يا عدواً لنا بثوب صديق أنت بين الوصيّ والصديق

لست إلّا مزوّراً أجنبيّا فلماذا تكون فينا وصيّا[٦٥]

* * *

كلّ ما ذكرناه في شأن الوصيّ و الوصية كان مشهوراً لدى أتباع مدرسة الخلفاء منذ القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع عشر فقد قال الضبِّي من عسكر عائشة يوم الجمل:

نحن بنو ضبّة أعداء عليّ ذاك الّذي يعرف قدماً بالوصيّ

كانوا يلقّبون الإمام عليّاً بالوصيّ و يلقّبونه مع الأحد عشر من بنيه بالأوصياء كما قاله الخليفة العباسي هارون الرشيد في ما أخبر عمّا يقع من القتال بين ولديه الأمين و المأمون.

كانوا يلقبون الإمام عليّاً بالوصي في حال الغفلة عن معنى هذا اللقب و مغزاه. أما في حال التنبه إلى معنى هذا اللقب و مغزاه فقد كانوا ينكرونه حيناً و يكتمونه حيناً آخر، و يحرفون الكلام عن مواضعه آونة أخرى. كما سندرس كل ذلك في البحوث الآتية إن شاء اللّه تعالى.

٦٥) تورة العشرين في ذكراها الخمسين، معلومات و مشاهدات بقلم السّيد محمد علي كمال الدين. مطبعة التضامن، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م، ص ٣١٩ - ٣٢٠.

مدرسة الخلفاء تبذل جهودا كبيرة
في سبيل كتمان أخبار الوصيّة و تأويل ما آنتشر منها

إنّ أوّل من وجدناه يفعل ذلك، أمّ المؤمنين عائشة في ما روي عنها من حديث، غير أنّ حديثها في إنكار الوصية يدل على آشتهار الإمام عليّ بلقب (الوصي) في عصرها، كما نبيّن ذلك في ما يأتي:

حديث عائشة يدلّ على أنّ عليّاً كان وصيّ الرسول (ص)

ومـمّا يدلّ على أنّ الإمام عليّاً كان مشهوراً بين الصحابة بأنّه وصيّ رسول اللّه (ص) مضافاً إلى ما أوردناه؛ رواية أمّ المؤمنين عائشة كما في صحيح مسلم، قال:

ذكروا عند عائشة أنْ عليّاً كان وصيّاً فقالت:

متى أوصى إليه فقد كنت مسندته إلى صدري ـ أو قالت: حجري ـ فدعا بالطست فلقد آنخنث في حجري و ما شعرت أنّه قد مات، فمتى أوصىٰ إليه[1]!؟

* * *

١) صحيح مسلم، شرح النووي، كتاب الوصية، ١١/٨٩. وصحيح البخاري، كتاب ←

كانت أمّ المؤمنين عائشة بحاجة إلى آستنفار النّاس لحرب الإمام عليّ و الّتي سمّيت في التاريخ بآسم حرب الجمل، و من ثمّ نرى أنّ هذه المذاكرة لم تجرِ عفواً، و إنّما كانت شبيهة بالاحتجاج عليها في ما آشتهر للإمام بأنّه وصيّ النبيّ، وكان هذا الموقف منهـا متناسباً مع هذا الواقع التاريخي، وكذلك متناسباً مع مواقفها الأخرى من الإمام عليّ؛ فقد روى آبن سعد عن عائشة، في خبر مرض رسول اللّه (ص) أنّها قالت:

فخـرج بين رَجُلَين تخطّ رجـلاه في الأرض بين آبن عبّـاس ـ تعني الفضل ـ و بين رجل آخر؛ قال عبيد الله: فأخبرت آبن عباس بما قالت، قال: فهل تدري من الرجل الآخر الّذي لم تسمّ عائشة ؟ قال: قلت: لا! قال آبن عباس: هو علـيّ! إنّ عائشة لا تطيب له نفساً بخير[2].

وفي حديث آخر ورد في مسند أحمد ٦/١١٣:

جاء رجل فوقع في علـيّ و في عمّار عند عائشة فقالت:

أمّا علـيّ، فلست قائلة لك فيه شيئاً؛ و أمّا عمّار فإنّي سمعت رسول اللّه (ص) يقول فيه: « لا يخـيّر بين أمرين إلاّ آختار أرشدهما ».

هكذا كانت أمّ المؤمنين تدفع عن عمّار الوقيعة وتسكت عمّن ينال من الامام علـيّ (ع).

وفي حديث ثالث:

و في صحيحي البخاري و مسلم و غيرهما و اللّفظ لمسلم:

المغـازي باب مرض النبي، ٣/٦٥، وكتاب الوصية، باب الوصايا. وفتح الباري ٦/٢٩١. و مسند أحمد ٦/٣٢.

٢) طبقات آبن سعد، ط . بيروت ٢/٢٣٢.

و قد أورد البخاري الحديث نفسه في صحيحه باب مرض النبي و وفاته ٣/٦٣، و هذا لفظه: (فقال آبن عبّاس: هل تدري من الرجل الآخر الذي لم تسمّ عائشة ؟ قال قلت: لا، قال آبن عبّاس: هو علي بن أبي طالب).

حذف البخاري من الحديث قول آبن عباس: (ان عائشة لا تطيب له نفساً بخير).

عن عائشـــة أنّ رسـول اللّه (ص) بعث رجـلاً على سريّة وكان يقـرأ لأصحابه في صلاتهم بـ ﴿ قل هو اللّه أحد ﴾ فلمّا رجعوا ذكر لرسول اللّه (ص) فقال: سلوه لأيّ شيء يصنع ذلك. فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، فأنا أحبّ أن أقرأ بها. فقال رسول اللّه (ص): أحبروه أنّ اللّه يحبّه[3].

ترى من يكـون هذا الـرجـل الّذي يحبّه اللّه ولم تر عائشة أن تذكر آسمه؟ إنّه لوكان والدها الخليفة أبا بكر أو الخليفة عمر أو غيرهما من ذوي عصبتهـا مثـل آبن عمّها طلحه ونظرائهم، لذكرت آسمه؛ ومهما بحثنا في مصـادر مدرسـة الخلفـاء لم نجد آسمه، فآضطررنا إلى مراجعة مصادر مدرسة أهل البيت، فوجدنا الخبر في تفسير سورة الإخلاص من تفسير مجمع البيان وتفسير البرهان، وباب معنى ﴿ قل هو اللّه أحد ﴾ من كتاب التوحيد للشيخ أبي جعفر محمّد بن علي الصّدوق (ت: ٣٨١ هـ) واللّفظ للأخير:

عن الصحابـي عمران بن حصين:

أنّ النبيّ (ص) بعث سريّـة وآستعمـل عليهـا عليّاً (ع). فلمّا رجعوا سألهم، فقالوا: كلّ خير، غير أنّه قرأ بنا في كلّ صلاة بـ ﴿ قل هو اللّه أحد ﴾. فقـــال: لم فعلت هذا؟ فقـــال: لحبّي لـ ﴿ قل هو اللّه أحـــد ﴾. فقـــال النبيّ (ص): ما أحببتها حتّى أحبّك اللّه عزّوجلّ[4].

٣) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة ﴿قل هو اللّه أحد﴾ ح ٢٦٣، ص ٥٥٧.
وصحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ماجاء في دعاء النبيّ (ص) أمته في توحيد اللّه تبارك وتعالى ١٨٢/٤.

٤) تفسـير مجمـع البيان للشيخ أبي علي أمـين الـدين، الفضـل بن الحسن الطبرسي (ت: ٥٤٨ هـ)، تصحيح أحمد عارف الزين، مطبعة العرفان، صيدا، سنة ١٣٣٣ ـ ١٣٥٦ هـ ٥٦٧/١٠. وتفسير البرهان للسيد هاشم البحراني، (ت: ١١٠٧ أو ١١٠٩ هـ) ط. الثالثة، قم سنة ١٣٩٤ هـ ٥٢١/٤. وتوحيد الصدوق، ط. طهران، سنة ١٣٨٧ هـ ص ٩٤ ح ١١.
وعمران بن حصين أبو نجيد الخزاعي، أسلم عام خيبر، بعثه عمر ليفقّه أهل البصرة، وكان من فضلاء الصحابة ومجاب الدعوة، توفي بالبصرة سنة ٥٢ هـ. أسد الغابة ١٣٧/٤ ـ ١٣٨.

ولصحّة هذا الحديث شاهدان قويّان:

أ ـ في صحيح البخاريّ وغيره أنّ أمّ المؤمنين عائشة عبّرت في حديثها عن الإمام عليّ بلفظ: رجل، وكذلك فعلت في هذا الحديث.

ب ـ ورد في صحيح البخاريّ وغيره أنّ رسول اللّه (ص) قال لعليّ يحبّه اللّه كما قال في هذا الحديث: أحبّك اللّه.

هكذا لا تذكر أمّ المؤمنين عائشة آسم عليّ (ع) في حديثها وتكنّي عنه بالرجل؛ ولم تقتصر على هذا المقدار من الجفوة بل زادت، كما سنذكر بعضها في ما يأتي:

أمّ المؤمنين تظهر السرور بقتل الإمام علي (ع)

وأكثر من كلّ ما ذكرناه ما رواه أبو الفرج في مقتل الإمام علي (ع) وقال:

(لـمّا أن جاء عائشة قتل الإمام علي، سجدت)[5] أي: سجدت شكراً للّه ممّا بشّروها به.

وروى الطبري وأبو الفرج وآبن سعد وآبن الأثير وقالوا:

لـمّا أتى عائشة نعي عليّ قالت:

فألقت عصاها وآستقر بها النوى كما قرّ عيناً بالإياب المسافر

ثمّ قالت: من قتله؟ فقيل: رجل من مراد، فقالت:

فإن يك نائياً فلقد نعاه غلام ليس في فيه التراب

فقالت زينب بنت أمّ سلمة: ألعليّ تقولين هذا؟ فقالت: إذا نسيت فذكروني[6].

٥) مقاتل الطالبيين، ط. القاهرة، سنة ١٣٦٨ هـ، ص ٤٣.

٦) تاريخ الطّبري في ذكر سبب مقتل أمير المؤمنين من حوادث سنة ٤٠ هـ، ط. أوربا ٣٤٦٦/١. وكذلك آبن الاثير، ط. أوربا ٣٣١/٣، وط. الأولى، ١٥٧/٣ وطبقات آبن سعد ٢٧/٣. ومقاتل الطالبيين ص ٤٢، وفي لفظه: (بغاه غلام)، وفي لفظ غيره: (نعاه).

ثمّ تمثّلت:

ما زال إهداء القصائد بيننا بآسم الصديق وكثرة الألقاب
حتّى تركت كأنّ قولك فيهم في كلّ مجتمع طنين ذباب[7]

مقارنة أحاديث أمّ المؤمنين عائشة بأحاديث غيرها

كان ما ذكرناه بعض مواقف أمّ المؤمنين عائشة من الإمام عليّ (ع). أمّا قولها: (متى أوصى إليه، وآنخنث فمات في صدري أو حاقنتي وذاقنتي)[8]. فقد تفرّدت هي بروايته وتعارضه الروايات الآتية:

قال آبن سعد في طبقاته:باب من قال توفي رسول اللّه (ص) في حجر عليّ بن أبي طالب، عن الإمام عليّ:

« قال: قال رسول اللّه (ص) في مرضه: اُدعوا لي أخي؛ قال: فدعي له علي، فقال: اُدن منّي. فدنوت منه فآستند إليّ فلم يزل مستنداً إليّ وإنّه ليكلّمني حتّى أن بعض ريق النبيّ (ص) ليصيبني. ثمّ نزل برسول اللّه (ص) وثقل في حجري. . . » الحديث.

وروى عن عليّ بن الحسين، قال:

(قبض رسول اللّه (ص) ورأسه في حجر عليّ).

وعن الشعبي، قال:

(توفّي رسول اللّه (ص) ورأسه في حجر عليّ وغسله عليّ. . .) الحديث.

٧) ورد تمثل أمّ المؤمنين بالبيتين في مقاتل الطالبيين ص ٤٢.

٨) صحيح البخاري، كتاب الوصايا، الباب الاول، ٢/٨٤. وكتاب المغازي، باب مرض النبيّ ٣/٦٣ منه، وصحيح مسلم كتاب الوصية باب: ١٩، وآبن ماجة كتاب الجنائز، باب ٦٤، ومسند أحمد ٦/٣٢، ٦٤ و٧٧، والطبري ١/١٨١٤. وراجع قبله ص:٢٩٨ من هذا الكتاب.

وروى عن أبي غطفان، قال:

(سألت ابن عبّاس: أرأيت رسول اللّه (ص) توفّي ورأسه في حجر أحد؟ قال: توفّي وهو لمستند إلى صدر عليّ، قلت: فإنّ عروة حدثني عن عائشة أنها قالت: توفي رسول اللّه (ص) بين سَحْري ونَحْري! فقال ابن عبّاس: أتعقِلُ؟ واللّه لَتُوُفّي رسول اللّه (ص) وإنه لَمستندٌ إلى صدر عليّ، وهو الّذي غسله...) الحديث.

وروى عن جابر بن عبد اللّه الأنصاري:

(أنّ كعب الأحبار قام زمن عمر فقال ونحن جلوس عند عمر أمير المؤمنين:

ما كان آخر ما تكلّم به رسول اللّه (ص)؟ فقال عمر: سل عليّاً، قال: أين هو؟ قال: هو هنا. فسأله، فقال عليّ: أسندته إلى صدري فوضع رأسه على مَنْكِبي فقال: الصلاة الصلاة! فقال كعب: كذلك آخر عهد الأنبياء وبه أمروا وعليه يبعثون. قال: فمن غسله يا أمير المؤمنين؟ قال: سل علياً؛ قال: فسأله فقال: كنت أنا أغسله وكان العباس جالساً وكان أسامة وشُقرانُ يختلفان إليّ بالماء)[٩].

لو كان النبيّ انخنث وتوفّي بين سحر عائشة ونحرها أو حاقنتها وذاقنتها، كما قالت هي، لقال الخليفة عمر لكعب الأحبار: سل أمّ المؤمنين عائشة عن آخر ما تكلّم به رسول اللّه (ص) ولم يكن يحيله على الإمام علي (ع).

وأقوى من كلّ الروايات السّابقة رواية من شهدت ذلك من أمّهات المؤمنين وهي أمّ سلمة قالت:

٩) هذه الأحاديث الخمسة في طبقات ابن سعد، باب: من قال: توفي رسول اللّه (ص) في حجر عليّ بن أبي طالب. ط. أوربا ٢/ق ٢/٥١.

(و الّذي أحلف به أن كان علـيّ لأقرب النّاس عهداً برسول اللّه (ص) عدنـاه غداة وهو يقـول: جاء علـيّ ؟ جاء علـيّ ؟ ـ مراراً ـ فقالت فاطمة كأنّك بعثته في حاجة. قالت: فجاء بعد، فظننت أنّ له إليه حاجة، فخرجنا من البيت فقعدنا عند الباب، قالت أمّ سلمة: وكنت من أدناهم إلى الباب، فأكبَّ عليه رسول اللّه (ص) وجعل يسارّه ويناجيه، ثمّ قبض (ص) من يومه ذلك، فكان أقرب الناس به عهداً)[10].

وفي رواية عبد اللّه بن عمرو:

(أنّ رسول اللّه (ص) قال في مرضه: ادعوا لي أخي ـ إلى قوله ـ فدعي له علـيّ فستره بثوبه وأكبَّ عليه. . .)[11] الحديث.

وممّا قاله الإمام علـيّ (ع) عن وفاة رسول اللّه (ص) قوله:

(فلقـد وسّـدتـك في ملحـودة قبرك، وفاضت بين نحـري وصدري نفسك، فإنّا للّه وإنّا إليه راجعون)[12].

وقال أيضاً:

(ولقـد قبض رسـول اللّه (ص) وإنّ رأسـه لَـعَـلَىٰ صدري. ولقد سالت نفسه في كفّي، فأمررتها على وجهي. ولقد وليت غسله (ص) والملائكة أعواني، فضجّت الدار والأفنية، ملأ يهبط، وملأ يعرج، وما فارقت سمعي

١٠) أخرجه الحاكم في مستدركه ١٣٨/٣ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وآعـترف بصحّته الذهبي في تلخيص المستدرك، وأخرجه آبن عساكر في باب: أنه كان أقرب الناس عهداً برسول اللّه (ص)، من ترجمة الإمام علـيّ ١٤/٣ ـ ١٧ بطرق متعددة، وفي مصنف آبن أبـي شيبة ٣٤٨/٦. ومجمع الزوائد ١١٢/٩. وكنز العمال، ط. الثانية؛ كتاب الفضائل، فضائل علي بن أبي طالب، ح ٣٧٤، ١٢٨/١٥ وأخرجه سبط آبن الجوزي، في تذكرة خواص الأمة، باب حديث النجوىٰ والوصية عن كتاب الفضائل لأحمد بن حنبل.

١١) كنزالعمال، ط. الأولى، ٣٩٢/٦. وتاريخ آبن كثير ٣٥٩/٧. وترجمة الإمام علي من تاريخ آبن عساكر، ط. بيروت، سنة ١٣٩٥ هـ ٤٨٤/٢.

١٢) نهج البلاغة، الخطبة: ٢٠٢.

هينمة منهم يصلّون عليه حتّى وارنياه في ضريحه) [١٣].

مناقشة أحاديث أم المؤمنين عائشة

تفـرّدت أمّ المؤمنين عائشة برواية، أنّ النبيّ (ص) توفّي في حجرها في مقابل كلّ تلكم الأحاديث.

و أغلب الظنّ كما قلنا سابقاً أنّها قالت ذلك في حرب البصرة، أي بعد زمان الخليفتين عمر و عثمان، و كذلك يناسب هذا القول عصر معاوية حيث كان ينهى عن نقل فضائل الإمام و يأمر بنقل ما يناقضها.

و على فرض صحّة قول عائشة أنّ النبيّ (ص) توفّي على صدرها، هل كان ذلك مناقضاً لما تواتر من أنّ الإمام عليّاً كان وصيّ رسول اللّه (ص)؟ و ألم يَكُن ثمّت زمان آخر ليدلي الرسول (ص) بوصاياه للإمام علـيّ ؟ كما تدلّ عليه روايات كثيرة مثل ما رواه أصحاب السنن و المسانيد عن الإمام علـيّ، قال:

(كان لي من رسـول اللّه (ص) مُدخـلان: مدخـل بالليل، و مدخل بالنهار، فكنت إذا أتيته و هو يصلّي تنحنح)[١٤].

و في رواية:

(كانت لي من رسول اللّه(ص) منزلة لم تكن لأحد من الخلائق؛ إنّي كنت آتيه كلّ سحر فأسلّم عليه حتى يتنحنح . . .)[١٥] الحديث.

و من تاريخ آبن عساكر عن جابر:

(لـمّا كان يوم الـطّائف، ناجى رسول اللّه (ص) عليّاً، فأطال نجواه فقال بعض أصحابه: لقد أطال نجوى آبن عمّه. فبلغه ذلك، فقال: ما أنا

١٣) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٧.

١٤) سنن أبن ماجة، كتاب الأدب، باب الاستئذان، ح ٣٧٠٨، و مسند أحمد ١ / ٨٠.

١٥) مسند أحمد ١ / ٨٥ و ١٠٧ و يأتي تفصيله في باب مصادر الشريعة الإسلاميّة لدى مدرسة أهل البيت.

آنتجيته؛ بل اللّه آنتجاه).

وفي لفظ آخر للرّواية:

(فناجاه طويلاً، وأبوبكر وعمر ينظران والنّاس، قال: ثمّ آنصرف إلينا فقال الناس: قد طالت مناجاتك اليوم يا رسول اللّه! فقال: ما أنا آنتجيته ولكنّ اللّه آنتجاه)[16].

* * *

أوردنا هذه الروايات من مصادر أخرى ـ أيضاً ـ في باب ذكر حاملي علوم الرسول (ص) من هذا الكتاب، وفي باب مصادر الشّريعة الإسلاميّة لدى مدرسة أهل البيت (ع).

مقارنة بين حديث أم المؤمنين عائشة و حديث الإمام علي (ع)

تفرّدت أمّ المؤمنين عائشة برواية ما أخبرت به عن خبر آخر ساعات حياة الرسول الأكرم (ص) أنه طلب طستاً ليبول فآنخنث ومات بين حاقنتها وذاقنتها، وأمثال هذه الألفاظ، أضف إليه حديثها وحديث غيرها في بدء نزول الوحي:

أنّ رسول اللّه (ص) عندما تلقّى أوّل وحي هبط به جبرائيل من اللّه بآيات سورة إقرأ، شكّ في جبرائيل أنّه شيطان يريد أن يتلعّب به، وشكّ في الآيات الكريمة أنّها من قبيل سجع الكهان حتى طمأنه الرجل النصرانيّ ورقة بن نوفل أنه نبيّ أوحي إليه كموسى بن عمران، فآطمأنّ وأدرك أنه نبيّ،

١٦) أخرج الحديثين آبن عساكر بترجمة الإمام علي ٢/٣١٠ و ٣١١، وآبن كثير في تاريخه ٧/٣٥٦، وفي شرح نهج البلاغة ط. مصر الأولى ٢/٧٨ ما ملخّصه:

دخلت عائشة وهما يتناجيان، فقالت: يا عليّ ليس لي إلاّ يوم من تسعة أيام، أفما تدعني يا آبن أبي طالب!؟

إلى أحاديث أخرى لهذه المدرسة عن سيرة رسول اللّه (ص).

إنّ تلكم الأحاديث كما ذكرنا في البحوث التمهيديّة كوّنت رؤية خاصّة عن رسول اللّه (ص) لمن يعتقد بها، تحطّ من مقام أفضل الرسل عن مستوى الإنسان العادي، ولهذا حقّ للرجل (ذي المعرفة) السعودي أن يقول: محمد رجّالاً مثلي مات.

أمّا في حديث الإمام علـيّ عن بدء نزول الوحي وهو الشاهد الوحيد الّذي كان عندئذ مع الـرّسول (ص) في غار حراء: أنّه سمع رنّة حينئذ وأنّ الرّسول (ص) أخبره أنَّ الرنّة من الشّيطان لأنّه أيس من عبادته.

وفي حديثه أيضاً: انّ اللّه قرن برسول اللّه (ص) منذ أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره.

وفي حديثه عن وفاة رسول اللّه (ص) أنّه أدناه اليه وأخذ يناجيه ويسـرُّ إليه ويوصي حتّى قبض (ص)[17] وسالت نفسه في كفّه فأمـرَّها على وجهه وأنّه أخذ في تغسيله وتكفينه والملائكة أعوانه في ذلك، وقد ضجّت الدار والأفنية ملأ يهبط وملأ يعرج، وأنّه ما فارقت سمعه هينمة منهم يصلّون عليه حتّى واراه في ضريحه.

إنّ أمثال هذه الأحاديث عن سيرة الرسول بمدرسة أهل البيت ـ أيضاً ـ كوّنت رؤية خاصة لمن يعتقد بها، ولن يتيسّـر تقارب بين المسلمين ما لم تدرس المجمـوعتـان من الأحاديث معاً دراسة مقارنة لنصل إلى الحقيقة المنشودة ثمّ يتفاهم الإخوة المسلمون في ضوء تلك الدراسات إن شاء اللّه تعالى.

ونؤكّد مـرّة أخرى أنّ في مقدمة ما ينبغي دراسته دراسة مقارنة؛ أخبار سيرة الرسول الأكرم (ص) وتاريخ عصر الرسول (ص) وعصر من تشـرّف بصحبته.

١٧) وقد أيّـد حديثه، حديث أم سلمة وغيرها في دلك.

حديثان متعارضان من أم المؤمنين عائشة

و مـوقفان مختلفان

روى آبن عساكر أنّ آمرأتين سألتا عائشة، فقالتا:

يا أمّ المؤمنين أخبرينا عن علـيّ، قالت: أي شيء تسألن عن رجل وضع يده من رسـول اللّه (ص) موضعـاً فسـالت نفسه في يده فمسح بها وجهه، و آختلفوا في دفنه، فقال: إنّ أحبّ البقاع إلى اللّه مكان قبض فيه نبيّه. قالت: فلم خرجت عليه ؟ قالت: أمر قضي، لوددت أن أفديه بما في الأرض[18].

إنّ حديثها هذا يتّـفق مع حديث الإمام علي الّذي قال فيه:

قُبض رسول اللّه (ص) و إنّ رأسه على صدري، ولقد سالت نفسه في كفّي و أمررتها على وجهي.

ويتعارض مع حديثها:

(انخنث بين حاقنتي و ذاقنتي).

و روى آبن عساكر ـ أيضاً ـ عن عائشة أنّها قالت: قال رسول اللّه (ص) و هو في بيتها لـمّا حضره الموت:

أُدعوا لي حبيبي . . .

فدعوا عليّاً فأتاه، فلمّا رآه أفرد الثوب الّذي كان عليه ثمّ أدخله فيه فلم يزل يحتضنه حتى قُبض عليه[19].

حديثها هذا يتّفق مع حديث عبد اللّه بنعمروالّذي قال فيه:

(إنّ رسـول اللّه قال في مرضـه: آدعـوا لي عليّاً. . . .) و يعـارض

١٨و١٩) كلا الحديثين اخرجهما آبن عساكر في ترجمة الإمام علي ٣/١٥.

أحاديثها، في أنّ الرسول (ص) توفّي بين سحرها ونحرها، وأمثالها، ومنشأ صدور الحديثين المتعارضين من أمّ المؤمنين عائشة؛ وسببه، آختلاف موقفها من الإمام علي. وبيانه:

موقفان مختلفان تجاه الإمام علي (ع)

بعد وفاة الرّسول (ص) بويع الخليفة أبو بكر، وبقي عليّ ومعه جميع بني هاشم ستّة أشهر بحسب رواية أمّ المؤمنين عائشة لم يبايعوه حتى توفّيت فاطمة[٢٠]، ثمّ بقي الإمام عليّ بعيداً عن الساحة، حتّى أُخريات خلافة عثمان، حيث قادت أمّ المؤمنين عائشة[٢١] المعارضين من طلحة والزبير وغيرهما لمجابهة الخليفة أملاً منها في أن يلي بعده آبن عمّها طلحة. ولـمّا قتل عثمان وبايع المسلمون عليّاً أقامت عليه حرب الجمل، وآنكسرت فيها وأرجعها الإمام عليّ إلى المدينة، وبقيت حانقة عليه حتى آستشهد، ومرّ بنا إظهارها للسّرور من مقتله، ثمّ ولي الحكم معاوية وجمع بينهما الموقف الواحد من الإمام، ثم فترت العلاقة بينهما على أثر قتل معاوية لحجر بن عدي.

ولـمّا أراد معاوية أن يأخذ البيعة ليزيد، كان شقيقها عبد الرحمن بن أبي بكر من أشدّ المعارضين لبيعة يزيد، وخطب مروان في مسجد الرسول (ص) وكان والياً على الحجاز من قبل معاوية، فقال:

إنّ أمير المؤمنين قد آختار لكم، فلم يأل، وقد آستخلف لابنه يزيد بعده.

فقام عبد الرحمن بن أبي بكر، فقال: كذبت والله يا مروان! وكذب

٢٠) مرّ مصادر الخبر في بحث السقيفة من هذا الكتاب.

٢١) أوردنا تفاصيل موقف عائشة من عثمان ومعاوية في كتابنا: (أحاديث أم المؤمنين عائشة) فصل: مع معاوية، وأوردنا فهرستاً من تلك الوقائع.

معاوية، ما الخيار أردتها لأمة محمّد، ولكنّكم تريدون أن تجعلوها هرقلية، كلّما مات هرقل قام هرقل.

فقال مروان: هٰذا الّذي أنزل الله فيه ﴿ والّذي قال لوالديه أفٍّ لكما ﴾ الأحقاف/١٧.

فسمِعَتْ عائشة مقالته من وراء الحجاب، فقامت من وراء الحجاب، وقالت: يا مروان! يا مروان! فأنصت الناس، وأقبل مروان بوجهه، فقالت:

أنت القائل لعبد الرحمن أنه نزل فيه القرآن؟ كذبت واللّه ما هو به، ولكنّه فلان بن فلان، ولكنّك فضض من لعنة اللّه.

وفي رواية، فقالت: كذب واللّه ما هو به، ولكنّ رسول اللّه (ص) لعن أبا مروان ومروان في صلبه، فمروان فضض من لعنة اللّه عزّ وجلّ[٢٢].

وأخرج البخاري الحديث في صحيحه وقال:

(كان مروان على الحجاز، استعمله معاوية، فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه، فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئاً، فقال: خذوه، فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه، فقال مروان: إنّ هذا الذي أنزل اللّه فيه: ﴿ والّذي قال لوالديه أفّ لكما أتعدانني ﴾. فقالت عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل اللّه فينا شيئاً من القرآن إلّا أنّ اللّه أنزل عذري)[٢٣].

هكذا حذف البخاري قول عبد الرحمن: (تريدون أن تجعلوها هرقلية...) وأبدله بقوله: (قال شيئاً) وحذف رواية أمّ المؤمنين عائشة في حقّ مروان. بينا أوردها ابن حجر في شرحه لصحيح البخاري المسمّى بفتح

٢٢) تاريخ ابن الأثير ٣/١٩٩ في ذكره حوادث سنة ٥٦ هـ.
والفضض: القطعة من الشيء.
٢٣) صحيح البخاري ٣/١٢٦، باب ﴿ والّذي قال لوالديه ﴾ من تفسير سورة الأحقاف.

الباري مفصّلا، وفي لفظ بعضها: ولكن رسول اللّه (ص) لعن أبا مروان ومروان في صلبه[٢٤].

وإنّما فعل الشيخ البخاري ذلك لأنّ معاوية ويزيد هما من خلفاء المسلمين، ولا يرى البخاريّ أن يسمع العامّة قول عبد الرحمن في حقّهما، أنّهما جعلا الخلافة هرقلية كلّما مات هرقل قام هرقل مقامه.

وحذف رواية أمّ المؤمنين عائشة في مروان ـ أيضاً ـ لأنّ مروان أصبح خليفة للمسلمين ولا ينبغي ذكر ما يشينه. هكذا فعل الشيخ البخاري في صحيحة، فإنّه حذف كلّ شيء يشين الخلفاء و الحكّام في كلّ حديث ورد فيه من ذلك شيء. ومن ثمّ اعتبرت مدرسة الخلفاء كتابه أصحّ الكتب بعد كتاب اللّه، وعُدَّ هو إمام أهل الحديث لديهم.

* * *

لـمّا لم يستطع مروان أن يأخذ البيعة في الحجاز ليزيد، قدم معاوية الحجاز حاجّاً ودخل المدينة، وكان من خبره ما رواه ابن عبد البرّ، حيث قال:

(قعد معاوية على المنبر يدعو إلى بيعة يزيد، فكلّمه الحسين بن علي، وابن الزبير وعبد الرّحمن بن أبي بكر، فكان كلام ابن أبي بكر: أهرقلية !؟ إذا مات كسرى كان كسرى مكانه ؟ لا نفعل واللّه أبداً. وبعث إليه معاوية بمائة ألف درهم بعد أن أبى البيعة ليزيد، فردّها عليه عبد الرّحمن، وأبى أن يأخذها، وقال: أبيع ديني بدنياي !؟ فخرج إلى مكّة، فمات بها قبل أن تتمّ البيعة ليزيد بن معاوية)[٢٥].

٢٤) فتح الباري ١٠/١٩٧ ـ ١٩٨، وأخرج القصة بتفصيلها أبو الفرج في الأغاني ١٦/٩٠ ـ ٩١. وراجع ترجمة الحكم بن أبي العاص من الاستيعاب وأسد الغابة والإصابة ومستدرك الحاكم ٤/٤٨١. وتاريخ ابن كثير ٨/٨٩ والإجابة في ما استدركته عائشة على الصحابة، وترجمة عبد الرحمن بن أبي بكر في تاريخ دمشق لابن عساكر.

٢٥) راجع ترجمة عبدالرحمن بن أبي بكر من الاستيعاب ٢/٣٩٣. وأسد الغابة ٣/٣٠٦.

وذكر آبن عبد البرّ بعده وقال:

(إنّ عبد الرحمن مات فجأة بموضع يقال له: (الحبشي)[٢٦] على نحو عشرة أميال من مكّة فدفن بها. ويقال: إنّه توفّي في نومة نامها، ولـمّا اتّصل خبر موته بأخته عائشة أمّ المؤمنين (رض) ظعنت من المدينة حاجّة حتّى وقفت على قبره، وكانت شقيقته، فبكت عليه وتمثّلت:

وكـنّا كندماني جذيمة حقبة ... من الدهر حتّى قيل لن يتصدّعا

فلـمّا تفرقنا كأني ومالكا ... لطول آجتماع لم نبت ليلة معاً[٢٧]

أما واللّه لو حضرتك لدفنتك حيث متّ مكانك، ولو حضرتك ما بكيتك).

وفي مستدرك الحاكم:

(رقد في مقيل قاله، فذهبوا يوقظونه فوجدوه قد مات، فدخل في نفس عائشة تهمة أن يكون صنع به شر وعجل عليه فدفن وهو حيّ)[٢٨].

* * *

لو بقي عبد الرّحمن حيّاً لما تمّت بيعة يزيد مع موقفه الصّارم ضد بيعته ومعه أمُّ المؤمنين عائشة، فمات في طريق مكّة، كما مات مالك الأشتر في طريق مصر مسموماً بسمٍّ دسّه إليه معاوية[٢٩].

والإصابة ٢/٤٠٠. وشذرات الذهب في ذكر حوادث سنة ٥٣ هـ، وقريب منه ما في مستدرك الحاكم ٣/٤٧٦.

٢٦) في معجم البلدان:

الحبشي: جبل بأسفل مكة، بينه وبين مكة ستة أميال، مات عنده عبد الرحمن بن أبي بكر فجأة، فحمل على رقاب الرجال إلى مكّة، فقدمت عائشة من المدينة وأتت قبره وتمثلت:

وكنا كندماني جذيمة..... البيتين.

٢٧) راجع ترجمة عبد الرحمن بن أبي بكر من الاستيعاب بهامش الإصابة ٢/٣٩٣.

٢٨) مستدرك الحاكم ٣/٤٧٦، وكذلك في تلخيص المستدرك للذهبي وقد ورد فيه: (الحبشي).

٢٩) راجع فصل: مع معاوية، من كتابنا (أحاديث أمّ المؤمنين عائشة)

مات عبد الرحمن ليفسح الطريق لبيعة يزيد، كما توفّي قبله الإمام الحسن بسمٍّ دسَّه إليه معاوية. اغتيل عبد الرحمن في هذا السبيل، كما اغتيل سعد بن أبي وقّاص وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ولم يخف ذلك على أمّ المؤمنين عائشة، فأقامت على بني أميّة عامّة حرباً شعواء من الدعاية القويّة ضدّهم بدأتها بنشر ما سمعته من النبيّ (ص) في شأن مروان وأبيه الحكم، وقابلت سياسة معاوية خاصّة والّتي كانت ترمي إلى طمس فضائل بني هاشم عامّة وبيت الإمام خاصّة، لمقام الحسنين عند المسلمين، وهو يريد أن يورث الخلافة في عقبه وبلغ الأمر به أن أمر بلعن الإمام عليّ (ع) على منابر المسلمين، عندئذ قابلت أمّ المؤمنين عائشة هذه السّياسة مقابلة قويّة وأخذت تنشر في هذا الدور فضائل الإمام عليّ وشبليه الحسن والحسين سبطي رسول اللّه (ص) وزوجته فاطمة ابنة رسول اللّه (ص) ومن ثمَّ روي عنها في فضائلهم بعض ما كانت سمعته من رسول اللّه (ص) وما شاهدته، ومن جملته الحديثان الآنفان المتعارضان مع أحاديثها الأخرى في وفاة الرسول (ص).

* * *

كان موقف أمّ المؤمنين عائشة من حديث الوصيّة جزءاً من عمل الخلافة القرشية مع أحاديث الرسول(ص) في شأن أهل بيته تبعاً لسياسة عامّة قريش: (ألّا تجتمع النبوّة والخلافة في بني هاشم) كما يأتي ذكرها في البحث الآتي بإذنه تعالى.

كتمان فضائل الإمام عليّ ونشر سبّه ولعنه والسبب فيهما

نبدأ في ما يأتي بذكر السبب في ذينك ثم نوالي إيراد أخبار كتمان فضائل الإمام علي و نشر سبّه و لعنه.

كرهت قريش أن تجتمع النبوّة و الخلافة في بني هاشم

روى الطبري محاورتين جرتا بين الخليفة عمر و آبن عباس وقال: قال الخليفة في إحداهما لابن عباس:

ما منع قومكم منكم ؟ ـ أي ما منع قومكم قريشاً من ولايتكم ـ

قال آبن عباس: لا أدري !

قال عمر: لكنّي أدري، يكرهون ولايتكم لهم !

قال آبن عباس: لِـمَ و نحن لهم كالخير !؟

قال: غفراً؛ يكرهون أن تجتمع فيكم النبوّة و الخلافة فيكون بَجَحاً بَجَحاً لعلّكم تقولون إن أبا بكر فعل ذلك، لا و اللّه ولكن أبا بكر أتى أحزم ما حضره. الحديث.

وفي الثانية قال:

ياابن عباس ! أتدري ما منع قومكم منكم بعد محمد ؟

فكرهتُ أن أجيبه، فقلت: إن لم أكن أدري فأمير المؤمنين يُدريني.

فقال عمر: كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة و الخلافة فتَبْجَحوا على قومكم بجحاً بجحاً؛ فآختارت قريش لأنفسها فأصابت و وُفّقَتْ.

فقلت: يا أمير المؤمنين! إن تأذن لي في الكلام و تُمِط عني الغضب تكلمتُ.

فقال: تكلم ياآبن عباس.

فقلت: أما قولك - يا أمير المؤمنين - اختارت قريش لأنفسها فأصابت و وفقت؛ فلو أنَّ قريشاً آختارت لأنفسها حيث آختار اللّه عزّ و جلّ لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود، و أما قولك إنهم كرهوا أن تكون لنا النبوة و الخلافة؛ فإن اللّه عز و جل وصف قوماً بالكراهية فقال: ﴿ ذَلِك بِأَنَّهُمْ كرِهوا ما أنزَلَ اللّهُ فأحْبَطَ أعْمَالَهُمْ ﴾.

فقال عمر: هيهات و اللّه ياآبن عباس؛ قد كانت تبلغني عنك أشياء كنت أكره أن أُقِرَّكَ عليها فتزيل منزلتك مني.

فقلت: و ما هي ياأمير المؤمنين؟ فإن كانت حقّاً فما ينبغي أن تزيل منزلتي منك، و إن كانت باطلاً فمثلي أماط الباطل عن نفسه.

فقال عمر: بلغني أنك تقول: إنما صرفوها عنا حسداً و ظلمًا.

فقلت: أما قولك - ياأمير المؤمنين - ظلماً فقد تبين للجاهل و الحليم، و أما قولك حسداً؛ فان إبليس حسد آدم فنحن ولده المحسودون.

فقال عمر: هيهات! أبت واللّه قلوبكم - يابني هاشم - إلّا حسداً ما يحول، و ضغناً وغشاً ما يزول.

فقلت: مهلًا ياأمير المؤمنين! لا تصِف قلوب قوم أذهب اللّه عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً بالحسد و الغش؛ فإن قلب رسول اللّه صلى اللّه عليه

وسلم من قلوب بني هاشم .

فقال عمر : إليك عني ياآبن عباس .

فقلت: أفعل .

فلما ذهبت أقوم استحيا مني فقال:

ياآبن عباس مكانك ! فوالله إني لراعٍ لحقّك، محبٌّ لما سرك .

فقلت : ياأمير المؤمنين ! إن لي عليك حقّاً وعلى كل مسلم؛ فمن حفظه فحظه أصاب، ومن أضاعه فحظه أخطأ. ثم قام فمضى[1] .

وقفة تأمّل لدراسة الحديثين

في الحديثين صرح الخليفة عمر بأنَّ قريشاً كرهوا أن يجتمع في بني هاشم النبوّة والخلافة فيتبجّح بنو هاشم على قريش بَجَحاً أي يتباهوا بذلك على قريش مباهاة .

وقال في الثاني : (فآختارت قريش لأنفسها فآصابت ووُفّقت) . إذاً فقد بحثت قريش في أمر الولاية عن مصلحة أنفسهم ـ في ظاهر الأمر الدنيوي ـ وليس مصلحة سائر المسلمين . وأي فرق للمسلمين أيٌّ قبيلة من قريش وليت الحكم بعد رسول الله(ص) .

وفي تصويبه عمل قريش لم يستدل بغير قوله (آختارت قريش لأنفسها) ولم يذكر أي دليل آخر من كتاب الله أو سنّة رسوله (ص) .

ويستفاد من جواب آبن عباس (فلو أنّ قريشاً آختارت لأنفسها حيث

١) في ذكر سيرة عمر من حوادث سنة ٢٣ هـ من تاريخ الطبري ط مصر الأولى، ١/ ٣٠ـ ٣٢، وطبعة اوروبا، ٢٧٦٨/١ ـ ٢٧٧٢ ، والثانية منها ـ أيضاً ـ في تاريخ آبن الأثير ، ٣/ ٢٤ ـ ٢٥ ، واللفظ للطبري

آختار اللّه عزّ وجلّ لها لكان الصواب بيدها) أمران :

أوّلاً ـ إن آختيار قريش كان في غير ما آختاره اللّه، ويقصد حيث آختار اللّه الإمام عليّاً (ع). كما سنورد الآيات والأحاديث في هذا الصدد بُعيد هذا إن شاء اللّه تعالى.

ثانياً ـ إنه ليس لقريش أن تختار غير ما آختاره اللّه. ويشير بقوله هذا إلى قوله تعالى في سورة الأحزاب:

﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى اللّه ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص اللّه ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً ﴾ (٣٦).

وشدد النكير على كراهية قريش أن تجتمع النبوة والخلافة في بني هاشم وقال: إن اللّه عزّ وجلّ وصف قوماً بالكراهية فقال: ﴿ ذلك بأنّهم كرهوا ما أنزل اللّه فأحبط أعمالهم ﴾ (محمد/ ٩). وقد فصّلنا القول في مدلول حبط الأعمال في بحث « جزاء الأعمال » من كتاب « عقائد الإسلام » فليراجع.

وفي جواب الخليفة لابن عباس لم يجد ردّاً لدعوى آبن عباس أن قريشاً اختاروا غير ما آختار اللّه وغير ما أنزل اللّه؛ بل جابهه بنقل ما بلغه أن آبن عباس قال: (إنّما صرفوها عنا حسداً وظلماً) ولم ينكر ذلك آبن عباس، بل أبان حجّته في هذا القول وقال:

(أمّا قولك : ظلمًا؛ فقد تبين للجاهل والحليم).

يعني آبن عباس من قوله هذا أنّ قوله: بأنّ بني هاشم ظلموا في تنحية الإمام علي عن الحكم ليس يخص آبن عبّاس وحده ليكون هو الذي كشف بقوله ذلك عن تلك الحقيقة، بل إن ذلك قد تبين لجميع الناس؛ العاقل الحصيف منهم، والجاهل الخسيس

وأجاب عن قوله (حسداً) وقال: (إن إبليس حسد آدم ونحن ولده

المحسودون) .

ولعلّ آبن عباس يشير في كلامه هذا إلى قوله تعالى في سورة آل عمران : ﴿ إن اللّه آصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين * ذريّة بعضها من بعض واللّه سميع عليم ﴾ (٣٣ ـ ٣٤) أي إنَّ بني هاشم من ذريّة من حسده إبليس لأنّ اللّه آصطفاهم ، وللذرية أُسوة في ذلك بآبائهم .

وأخيراً جاش صدر الخليفة بالغيظ ولم يتحمل أقوال آبن عباس وقال له : (هيهات ! أبت واللّه قلوبكم يابني هاشم إلاّ حسداً ما يحول ، وضغناً وغشاً ما يزول) .

فأجابه آبن عباس وقال : (مهلاً ياأمير المؤمنين ! لا تصف قلوب قوم أذهب اللّه عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً بالحسد والغشّ ؛ فإنّ قلب رسول اللّه (ص) من قلوب بني هاشم) .

ونترك شرح كلمة الخليفة لما فيها من قسوة . أمّا كلمة آبن عباس فقد أشار فيها إلى قوله تعالى في سورة الأحزاب : ﴿ إنما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾ (٣٣) ولـمّا لم يستطع الخليفة أن يرد على آبن عباس قوله أمره بالابتعاد عنه وقال له : (إليك عني ياآبن عباس !) أي ابتعد عنّي ، ولـمّا أطاع آبن عباس أمر الخليفة وأراد أن يقوم ؛ لانَ عليه الخليفة وختم الأمر بينهما بالحسنى ، واستمرت الخلافة القرشية كسائر قريش في كرهها لاستيلاء بني هاشم على الحكم . كما يظهر ذلك من المحاورة التي دارت بين الخليفة وآبن عباس بعد موت عامل حمص حيث خاطب الخليفة ابن عباس بقوله :

يا آبن عباس ! إن عامل حمص هلك ، وكان من أهل الخير ـ وأهل الخير قليل ـ وقد رجوت أن تكون منهم ، وفي نفسي منك شيء لم أره منك ،

وأعياني ذلك، فما رأيك في العمل ؟

قال : لن أعمل حتّى تخبرني بالّذي في نفسك .

قال: وما تريد إلى ذلك ؟

قال: أريده، فإن كان شيء أخاف منه على نفسي، خشيتُ منه عليها الّذي خشيتَ، وإن كنت بريئاً من مثله علمت أنّي لست من أهله، فقبلت عملك هنالك، فإنّي قلّما رأيتك طلبت شيئاً إلاّ عاجلته .

فقال: يا آبن عباس !، إنّي خشيت أن يأتـي عليّ الّذي هو آت وأنت في عملك فتقول: هلمّ إلينا ولا هلمّ إليكم دون غيركم . . . الحديث[٢] .

يظهر أنَّ هذه المحاورة جرت بينهما في أُخريات حياة عمر . وجرى في آخر شهر من حياة الخليفة عمر ما رواه في هذا الصدد البخاري بسنده وقال:

عن آبن عبـاس أنّـه قال: كنت أُقـرئُ رجـالاً من المهـاجـرين منهم عبدالرحمن بن عوف، فبينما أنا في منزله بمنى وهو عند عمر بن الخطاب في آخـر حجّـة حجّها إذ رجع إليَّ عبدالرحمن فقال: لو رأيت رجلاً أتـى أمير المؤمنين اليوم، فقال: يا أمير المؤمنين ! هل لك في فلان يقول: لو قد مات عمر لقد بايعت فلاناً؛ فواللّه ما كانت بيعة أبـي بكر إلاّ فلتة فتمت : فغضب عمر ثم قال: إنّي إن شاء اللّه لقـائم العشية في النـاس فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبـوهـم أُمـورهـم. قال عبـدالرحمن فقلت: يا أمير المؤمنين ! لا تفعل فإنَّ الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم، فإنهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم في الناس، وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيرها عنك كل مطير، وأن لا يعوها وأن لا يضعوها على مواضعها، فأمهل حتى تقدم

٢) مروج الذهب للمسعودي ٢/٣٢١ ـ ٣٢٢

المدينة فإنها دار الهجرة و السنة، فتخلص بأهل الفقه و أشراف الناس فتقول ما قلت متمكناً، فيعي أهل العلم مقالتك، و يضعونها على مواضعها.

فقال عمر : أما والله إنْ شاء الله لأقومنّ بذلك أول مقام أقومه بالمدينة.

قال آبن عباس: فقدمنا المدينة في عقب ذي الحجة فلما كان يوم الجمعة عجلنا الرواح حين زاغت الشمس حتى أجد سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل جالساً إلى ركن المنبر فجلست حوله تمس ركبتي ركبته فلم أنشب أن خرج عمر آبن الخطاب فلما رأيته مقبلاً قلت لسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ليقولن العشية مقالة لم يقلها منذ استخلف . فأنكر عليّ وقال: ما عسيت أن يقول ما لم يقل قبله ؟ فجلس عمر على المنبر فلما سكت المؤذنون قام فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال:

أما بعد ! فإني قائل لكم مقالة قد قدّر لي أن أقولها، لا أدري لعلها بين يدي أجلي، فمن عقلها ووعاها فليحدِّث بها حيث انتهت به راحلته، ومن خشي أن لايعقلها فلا أحل لأحد أن يكذب عليّ - إلى قوله - ثم إنه بلغني أن قائلاً منكم يقول:والله لو مات عمر بايعت فلاناً فلا يَغترنَّ امرؤٌ أن يقول إنّما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت، ألا وإنها قد كانت كذلك ولكن الله وقى شرها، وليس منكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر . من بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغرَّة أن يُقتلا . - إلى قوله في آخر الخطبة أيضاً - فمن بايع رجلاً على غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغرَّة أن يقتلا[3].

ياترى ! من هو فلان المعزوم على بيعته ؟ ومن هو فلان الذي أهاج بقوله

٣) صحيح البخاري ٤/١١٩ - ١٢٠، باب رجم الحبلى من الزنا من كتاب الحدود. وقد أوردنا مورد الحاجة من الخطبة ص ١٥١ قبل هذا. و (ويضعونها) كذا وردت في الأصل والصواب: يضعوها.

غضب الخليفة فخطب وقال في خطبته ما قال ؟ إنّ آبن أبـي الحديد الشافعي قد كشف في بعض ما رواه عن اسميهما وقال :

(إنّ الرجل الّذي قال : لو قد مات عمر لبايعت فلاناً ؛ عـمّار بن ياسر قال : لو قد مات عمر لبايعت عليّاً . فهذا القول هو الذي هاج عمر أن خطب بما خطب به)[٤]

دراسة مفهوم الخطبة :

يفهم من كلام الخليفة أنه خشي أن يفلت زمام الأمر بعد وفاته من يد قريش ويبادر غيرهم من المسلمين ـ صحابة وتابعين ـ إلى بيعة من يكرهون ولايتـه ، وهو الإمـام علي ، ولذلك آبتكر طريقة سدّ بها الطريق على أولئك وقال : (من بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغرّة أن يُقتلا) . قال ذلك في حين أنه بنفسه ولي أمر المسلمين دون مشورة المسلمين ، وآستند في شرعية حكمه إلى تعيين الخليفة أبـي بكر له ، ومهما يكن من أمر فقد أمسك ـ بطرحه ذلك ـ بزمام الأمر بقوة بيده ، ثم طرح بعد ذلك بقليل ، وعندما طعن ، وأمر بأن يجتمع ستة من قريش ليختاروا واحداً منهم للخلافة ، وجعل أمر ترشيح الخليفة بيد عبدالرحمن بن عوف ، وشرط هذا ـ للبيعة ـ عمل الخليفة بكتاب اللّه وسنة رسوله وسيرة الشيخين ، فقبل عثمان الشرط ورفضه الإمام علي(ع) ، وكانوا يعلمون أنّ الإمام علياً لايقبل أن يجعل سيرة أبـي بكـر وعمـر في عداد كتـاب اللّه وسنـة رسـوله . وإذا رجعنا إلى ص ١٨٣ من هذا الكتاب نجد الخليفة عمر ينبئ سعيد بن العاص الأمويّ أنّ

٤) في شرح الخطبة (٢٦) من شرح ابن أبـي الحديد لنهج البلاغه .

الّذي يلي الأمر من بعده هو ذو رحم سعيد، وقد ولي بعد الخليفة عمر ذو رحم سعيد (عثمان بن عفان الأمويّ)، ولعلّنا نجد السبب - أيضاً - في ص ١٧٢ منه أنّ أبا بكر دعا عثمان خالياً فقال: (اكتب ... هذا ماعهد أبو بكر إلى المسلمين، أمّا بعد) فأُغمي عليه فذهب عنه، (فكتب عثمان: أمّا بعد! فإنّي استخلفت عليكم عمر بن الخطاب) ولـمّا أفاق أمضى ما كتبه عثمان من توليته عمر لأنّه كان قد وافق قصده.

وعن أمر من يلي بعد عثمان روى اليعقوبي وقال:

إن عثمان اعتلّ علّة اشتدّت به، فدعا حمران بن أبان، وكتب عهداً لمن بعده، وترك موضع الاسم، ثمّ كتب بيده: عبدالرحمن بن عوف، وربطه وبعث به إلى أمّ حبيبة بنت أبي سفيان، فقرأه حمران في الطريق فأتى عبدالرحمن فأخبره، فقال عبدالرحمن، وغضب غضباً شديداً: أستعمله علانيةً، ويستعملني سرّاً! ونمى الخبر وانتشر بذلك في المدينة. وغضب بنو أميّة، فدعا عثمان بحمران مولاه، فضربه مائة سوط، وسيّره إلى البصرة. فكان سبب العداوة بينه وبين عبدالرحمن بن عوف.

ووجه إليه عبدالرحمن بن عوف بابنه، فقال له قل له: واللّه لقد بايعتك، وإن فيّ ثلاث خصال أفضُلُك بهن... الخبر[٥].

ويظهر أنّه كان قد بُتَّ في أن يلي الحكم بعد عثمان عبدالرحمن بن عوف غير أنّ عبدالرحمن توفي قبل عثمان سنة ٣١ أو ٣٢ هـ بعد أن اشتد الخصام بينهما[٦]، وكذلك وقع الخلاف بين بني أُميّة «الأُسرة الحاكمة من قريش»

٥) تاريخ اليعقوبي، ٢/١٦٩.

٦) راجع الاوائل لأبي هلال العسكري ط. بيروت ١٤٠٧، ص ١٢٩، وشرح النهج لابن أبي الحديد تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ١/١٦٩

وسـائـر أفخاذ قريش، وقادت أُم المؤمنين عائشة أُسرتها من تيم و المخالفين حتّى سقط الخليفة عثمان قتيلاً في داره في المدينة و بمحضر من المهاجرين و الأنصار[7].

عنـد ذلك ملك المسلمون أمرهم و انحلّوا من كلّ بيعة سابقة توثقهم فتهافتوا على الإمام علي (ع) يبايعونه وفي مقدمتهم أصحاب رسول اللّه(ص)، و لما ولي الإمام عليٌّ (ع) الحكم ألغى جميع امتيازات قريش التـي مُنِحوها على عهد الخلفاء قبله، و ساوى بين سروات قريش و سائر المسلمين ـ العرب منهم و الموالي ـ في تقسيم بيت المال و المنزلة الاجتماعية، فلملمت قريش أطرافها بعد أربعة أشهر من حكمه، و أقامت عليه حرب الجمل التـي اجتمع فيها مروان (المطالب بدم عثمان) و طلحة و الزبير (اللذان حرّضا على قتل عثمان) بقيادة أُمّ المؤمنين عائشة التـي أفتت بقتل عثمان ثم أقامت قريش عليه حرب صفين. أقـامت الحـربين عليه باسم الطلب بدم عثمان، وبذلك شوشت قريش على المسلمين في خارج المدينة الرؤية الصحيحة . وبعد تحكيم الحكمين بصفين خرجت على الإمام علي الخوارج بنهروان. و لهذا كلّه تكرر شكوى الإمام من ظلم قريش مثل قوله في كتابه لأخيه عقيل:

« فَدَعْ عَنْـكَ قرَيْشاً وَتَـرْكَاضَهُم في الضَّلاَلِ ، وَتَجْوَالَهُمْ في الشِّقَاقِ، وجِمَاحَهُمْ في التِّيهِ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ أَجمعـوا عَلىٰ حَرْبـي كَإِجْـمَاعِهِمْ عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللّهِ، صَلَّى اللّهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّم قَبْلِي؛ فَجَزَتْ قُرَيشاً عَني الْجَوَازي، فَقَدْ قَطعُوا رَحمي. . . الكتاب »[8].

٧) راجع كتابنا: (أحاديث أُمّ المؤمنين عائشة) ط. بيروت عام ١٤٠٨ص ٨٧ ـ ١٦٢ فصل في عهد الصهرين.

٨) نهج البلاغة، شرح محمد عبده ـ الرسائل، الكتاب رقم ٣٦ . و الأغاني ط. ساسي ١٥/ ٤٤.

و أخبر عن مشا جرة وقعت بينه و بين أحدهم و قال:

و قد قال قائل: إنّك على هذا الأمر لحريص.

فَقُلْتُ: بَلْ أنتم وَاللّهِ لأحرَصُ وَأَبْعَدُ، وَ أَنَا أَخَصُّ وَأَقْرَبُ! و إنَّما طَلَبْتُ حَقًّا لي وَأَنْتُمْ تَحُولُونَ بَيْني وَبَيْنَهُ، وَتَضْرِبُونَ وَجْهي دُونَهُ فَلَـمَّا قَرَعْتُهُ بالحُجَّةِ في المَلأَ الحاضِرِينَ هَبَّ كَأَنَّهُ [بُهِتَ] لاَيَدْري ما يُجيبُني بِهِ!

اللّهُمَّ إنّي أَستَعِينُـكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانهُمْ؛ فإنهُمْ قَطَعُوا رَحِمِي، وَصَغَّرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتـي، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعتـي أمراً هُوَ لي؛ ثُـمَّ قَالُوا: أَلاَ إنَّ [في] الْحَقِّ أَنْ تَأخُذَهُ وفي الْحَقِّ أَنْ تَتْرُكَهُ [9].

و قال في خطبة أُخرى:

« اللّهُمَّ إنّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَىٰ قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ فَإنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِي

و التركاض: مبالغة في الركض، و أستعاره لسرعة خواطرهم في الضلال، و كذلك التجوال من الجول و الجولان، و الشقاق: الخلاف، وجماحهم: استعصاؤهم على سابق الحقّ، و التيه: الضلال و الغواية.

الجوازي: جمع جازية بمعنى المكافأة، دعاء عليهم بالجزاء على أعمالهم.

9)نهج البلاغة، شرح محمـد عبـده، الخطبة: ١٦٧. وطبعة بيروت للدكتور صبحي الصالح، الخطبة: ١٧٢.

و ضرب الـوجـه: كناية عن الرد و المنع، و « قرعته بالحجّة »: من « قرعه بالعصا » ضربه بها، و هبَّ: من هبب التيس ـ أي: صياحه ـ أي: كان يتكلم بالمهمل مع سرعة حمل عليها الغضب كأنّه مخبول لا يدري ما يقول.

و أستعيك: أستنصرك و أطلب منك المعونة، و يروى في مكانه « أستعديك » أي: أطلب منك أن تعديني عليهم و أن تنتصف لي منهم.

و « ثم قالوا ـ الخ » أي: إنهم آعترفوا بفضله، وأنه أجدرهم بالقيام به ففي الحقّ أن يأخذه، ثم لما اختار المقدم في الشورى غيره عقدوا له الأمر، و قالوا للإمام: في الحقّ أن تتركه، فتناقض حكمهم بالحقية في القضيتين، ولا يكون الحقّ في الأخذ إلاّ لمن توافرت فيه شروطه.

و « حرمة رسول اللّه » كناية عن زوجته، و أراد بها أمّ المؤمنين عائشة.

وَ أَكْفَأُوا إِنَائِي ، وَ أَجْمَعُوا عَلَىٰ مُنَازَعَتِي حَقًّا كُنْتُ أَوْلَىٰ بِهِ مِنْ غَيْرِي ، وَ قَالُوا أَلا إِنَّ فِي الحَقِّ أَنْ تَأْخُـذَهُ وفي الحَقِّ أَنْ تُمْنَعَـهُ ، فَاَصْبِرِ مَغْمُوماً أَوْ مُتْ مُتَأَسِّفاً. فَنَظَرْتُ فَإِذا لَيْسَ لي رَافِدٌ، ولا ذَابٌّ ، ولا مُسَاعِدٌ إلَّا أَهْلَ بَيْتِـي فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الـمَنِيَّةِ فَأَغْضَيْتُ عَلَى القَذَى، وَجَرِعْتُ رِيقِي عَلَى الشَّجى ، وَصَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ الغَيْظِ عَلَى أَمَرَّ مِنَ العَلْقَمِ ، وَ آلَـمَ لِلقَلْبِ مِنْ حَزِّ الشِّفارِ »[10].

و أخيراً استُشهِدَ الإمام (ع) بيد أحد الخوارج في محراب مسجد الكوفة وبعـد استشهـاد الإمـام علي (ع) آستولى معاوية على الحكم في سنة أربعين للهجرة وسمّوا هذا العام بعام الجماعة وهو في الحقيقة عام الجماعة لقريش، واستمرّ حكم معاوية عشرين عاماً، وتوفي في سنة ستين للهجرة.

* * *

كان ذلكم بعض آثار كراهية قريش لحكم الإمام علي (ع)، ومن آثار تلك الكراهية منعهم نشر حديث الرسول (ص) كما سنذكرها في ما يأتـي بإذنه تعالى.

منع كتابة حديث الرسول (ص)

روى عبدالله بن عمرو بن العاص وقال:

١٠) نهج البلاغة، شرح محمد عبده، الخطبة. ٢١٢

وقد ورد القسم الأوّل منها في كتاب الغدرات للثقفي، ص ٣٩٢.

واستعديك: أستعينك. وأكفأ الإناء أي قلبه، كناية عن تضييعهم حقه.

والرافد: المعين، و الذاب. المدافع، و « ضننت » اي: بخلت، و القذى: ما يقع في العين، و الشجى: ما آعترض في الحلق من عظم و نحوه، يريد غصة الحزن.

و الشفار: جمع شفرة، وهي حدّ السيف وغيره.

« كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول اللّه (ص) فنهتني قريش وقالوا : تكتب كل شيء تسمعه من رسول اللّه (ص) ورسول اللّه (ص) بشر يتكلم في الغضب والرضا ! فأمسكت عن الكتابة فذكرت ذلك لرسول اللّه (ص) فأومأ بأصبعه إلى فيه وقال : أُكتب ! فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلاّ حقّ»[11].

صرّحت قريش بسبب نهيها عن كتابة حديث الرسول (ص) وهو أن يكون حديثه في حال غضبه على أحد أو حال رضاه من أحد.

ففي الأولى يبقى حديث الرسول (ص) منقصة له، ونحنُ نعلم كم تحدّث الرسول (ص) عن عتاة قريش وشرح الآيات التي نزلت تقريعاً لهم !

وفي الثانية يبقى حديث الرسول (ص) نصّاً في حقّ أحد لا يرضون أن ينشر نصّ له.

ولهذا السبب نفسه منعوا كتابة وصية الرسول (ص) في مرض وفاته عندما قال:

« هلمّ أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده » .

فقال عمر : إنّ النبي غلبه الوجع، وعندكم كتاب اللّه، فحسبنا كتاب اللّه .

وقالوا: « ما شأنه ! أهجر ؟ »[12].

كان هذا المنع وذلك النهي بسبب خشية أن ينشر نصٌّ عن الرسول (ص) في حقّ من يكرهون ولايته فتجتمع الخلافة والنبوة في بيتهم !

وبسبب تلكم الكراهية ـ أيضاً ـ منع الخليفة عمر في عهد خلافته من

١١) راجع ص ٤٤ في المجلد الثاني الطبعة الثالثة من هذا الكتاب

١٢) راجع ص ٤٣ ـ ٤٥ في المجلد الثاني الطبعة الثالثة من هذا الكتاب المتن والهامش.

كتـابـة حديث الـرسـول (ص)، و أحـرق ما كتبـه الصحـابـة من حديث الـرسـول (ص)، و بقي المنـع نافـذاً حتى عصر الخليفـة الامـوي عمـر بن عبدالعزيز و جرت أُمور أُخرى ذكرناها في فصل: (منع كتابة الحديث على عهد الخلفاء) من المجلد الثاني من هذا الكتاب، و جرى بعد عهد الخلفاء الأربعة ما سنذكره على التوالي في ما يأتـي إن شاء اللّه تعالى:

سياسة الخلافة القرشية و سائر بني أُمية

أـ على عهد معاوية :

ذكر الجاحظ بإيجاز سياسة الخلافة القرشية على عهد معاوية كما رواه آبن أبـي الحديد و قال:

قال أبو عثمان الجاحظ: إنّ معاوية أمر الناس بالعراق و الشام و غيرهما بسبّ عليّ عليه السلام و البراءة منه.

و خطب بذلك على منابر الإسلام، و صار ذلك سنة في أيام بني أُميّة إلى أنْ قام عمر بن عبدالعزيز (رض) فأزاله.

وذكـر شيخُنـا أبـو عثمان الجاحظ أنّ معاوية كان يقول في آخر خطبة الجمعـة: اللهم إنّ أبا تراب أَلْحد في دينك، وصدّ عن سبيلك؛ فالعنه لعناً وبيلاً ، و عذبه عَذاباً أليمًا. وكتب بذلك إلى الآفاق، فكانت هذه الكلمات يُشار بها على المنابر إلى خلافة عمر بن عبدالعزيز[١٣] .

١٣) شرح الخطبة السابعة والخمسين من خطب نهج البلاغة في شرح آبن أبـي الحديد ط. مصر سنة ١٣٧٨ هـ (١/ ٥٦) و هو مصدر ما نرويه عن شرح آبن أبـي الحديد في ما يأتـي.

و أبو عثمان الجاحظ هو عمرو بن بحر الليثي البصري اللغوي النحوي (ت: ٢٥٥هـ) و من كتبه (العثمانية) التي نقض عليه أبو جعفر الإسكافي و الشيخ المفيد.

روى الطبري[14] وقال: استعمل معاوية المغيرة بن شعبة على الكوفة سنة إحدى و أربعين، فلما أمّره عليها دعاه، وقال له: قد أردت إيصاءك بأشياء كثيرة أنا تاركها آعتماداً على بصرك، ولست تاركاً إيصاءك بخصلة، لا تترك شتم عليّ وذمّه، و الترحّم على عثمان و الاستغفار له، و العيب لأصحاب عليّ، و الإقصاء لهم، و الإطراء لشيعة عثمان، و الإدناء لهم. فقال له المغيرة: قد جُرِّبتُ وجرَّبتُ وعملتُ قبلك لغيرك، فلم يذممني، وستبلو فتَحمَدُ أو تذُمُّ، فقال: بل نَحْمَدُ إن شاء اللّه.

وروى آبن أبـي الحديد عن المدائني في كتاب الأحداث وقال:

كتب معاوية نسخة واحدة إلى عمّاله بعد عام الجماعة: أن برئت الذمّة ممّن روى شيئاً من فضل أبـي تراب، و أهل بيته، . . . . . وكان أشدّ البلاء حينئذ أهل الكوفة[15].

و قال: كتب معاوية[16] إلى عمّاله في جميع الآفاق: ألّا يجيزوا لأحد من شيعة علي و أهل بيته شهادة، وكتب إليهم أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبّيه، و أهل ولايته، و الذين يروون فضائله ومناقبه، فأدنوا مجالسهم، وقربوهم وأكرموهم، واكتبوا إليّ بكل ما يروي كلُّ رجل منهم، وآسمه، وآسم أبيه، وعشيرته، ففعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه، لما كان يبعث إليهم معاوية من الصلات و الكساء و الحباء و القطايع، ويُفضيه في العرب منهم و الموالي، فكثر ذلك في كلّ مصر، و تنافسوا في المنازل و الدنيا،

١٤) فـي حوادث سنة إحدى و خمسين من الطبري ١٠٨,٦ و آبن الأثير ٢٠٢,٣

١٥) شرح الخطبة (٥٧) من نهج البلاغة لابن أبي الحديد ط. مصر الأولى، ١٥/٣ ـ ١٦. ومنه نتقل كلما ننقل من شرح آبن أبـي الحديد.

١٦) قد نقل كتاب معاوية هذا أيضاً أحمد أمين في فجر الإسلام ٢٧٥.

فليس يجيء أحد مردود من الناس عاملاً من عمّال معاوية، فيروي في عثمان فضيلة أو منقبة إلّا كتب آسمه، وقرّبه وشفّعه، فلبثوا بذلك حيناً، ثم كتب إلى عماله أنّ الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كلّ مصر ، وفي كلّ وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأوّلين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحدٌ من المسلمين في أبي تراب إلّا وأتوني بمناقض له في الصحابة فإنّ هذا أحبّ إليّ وأقرّ إلى عيني، وأدحض لحجّة أبي تراب وشيعته، وأشدّ عليهم من مناقب عثمان، وفضله، فَقُرئت كتبه على الناس، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجرى الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر ، وأُلقي إلى معلمي الكتاتيب فعلّموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع، حتى رووه، وتعلّموه كما يتعلّمون القرآن، وحتى علّموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم، فلبثوا بذلك إلى ما شاء اللّه . . . ، فظهرت أحاديث كثيرة موضوعة، وبهتان منتشر ، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة. . .) الحديث [١٧] .

وقد روى آبن عرفة المعروف بنفطويه، وهو من أكابر المحدّثين وأعلامهم، في تاريخه ما يناسب هذا الخبر وقال: « إنّ أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في أيّام بني أمية تقرّباً إليهم بما يظنّون أنّهم يرغمون به أُنوف بني هاشم » [١٨] .

١٧) في شرح « من كلام له، وقد سأله سائل عن أحاديث البدعة » من شرح النهج ٣/١٥ ـ ١٦، أورد آبن أبي الحديد الروايتين المرويتين عن (المدائني). وهو ابو الحسن علي بن محمد بن عبداللّه (ت ٣١٥ هـ) ذكر له النديم في الأحداث ٢٥ كتاباً (الفهرست ص ١١٥)

١٨) المصدر السابق؛ وص ٢١٣ من فجر الإسلام.

وروى آبن أبي الحديد[19] عن أبي جعفر الإسكافي وقال: « إنَّ معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في عليّ (ع) تقتضي الطعن فيه، و البراءة منه، وجعل لهم على ذلك جُعلاً يُرغب في مثله ».

وروى في هذا الصدد عن الصحابة عن عمرو بن العاص، الحديث الذي أخرجه البخاري[20] ومسلم في صحيحيهما مسنداً متصلاً بعمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله يقول جهاراً غير سرّ[21] : «إنَّ آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء، إنما وليـيّ الله و صالح المؤمنين ».

وفي البخاري بعده بطريق آخر عنه. (ولكن لهم رحماً أبلّها ببلالها) ـ

و نفطويه هو إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي قال في ترجمته بتاريخ بغداد: كان صدوقاً له مصنّفات كثيرة؛ و قال المسعودي في ذكر المؤرخين و أصحاب الأخبار في أول كتابه مروج الذهب، ٢٣/١ : وكذلك تاريخ أبي عبدالله الملقب بنفطويه فمحشو من ملاحة كتب الخاصّة مملوء من فوائد السادة وكان احسن أهل عصره تاليفاً و املحهم تصنيفاً وذكر أسماء مؤلفاته في هديّة العارفين ص ٥ وقال (ت ٣٢٣ هـ).

١٩) شرح النهج ط. مصر الأولى، ٣٥٨/١. و الإسكافي نسبة إلى الإسكاف من نواحي النهروان بين بغداد وواسط . و أبو جعفر الإسكافي في مادة الإسكاف من معجم البلدان عداده في أهل بغداد أحد المتكلمين من المعتزلة (ت ٢٠٤ هـ) وقال آبن حجر في ترجمته:

محمد بن عبدالله الإسكافي؛ من متكلمي المعتزلة و أحد أئمتهم؛ و إليه تنسب الطائفة الإسكافية منهم؛ وهو بغدادي أصله من سمرقند؛ قال آبن النديم: كان عجيب الشأن في العلم و الذكاء و الصيانة و نبل الهمة و النزاهة؛ بلغ في مقدار عمره ما لم يبلغه أحد؛ وكان المعتصم يعظمه. وله مناظرات مع الكرابيسي وغيره. توفي سنة ٢٤٠، لسان الميزان، ٢٢١/٥.

٢٠) قد أورد البخاري هذا الحديث في صحيحه ج ٣٤,٤ كتاب الأدب باب يبل الرحم ببلالها بطريقين عن آبن العاص. وفي ط البخاري كنّى عن آل أبي طالب قال أبي فلان.

٢١) هذه الزيادة في رواية البخاري الثانية عن آبن العاص وكنى ـ أيضاً ـ وقال آل أبي فلان. و مسلم ١٣٦/١ كتاب الايمان باب موالاة المؤمنين و مقاطعة غيرهم.

يعني أصلها بصلتها ـ انتهى .

كانت تلكم رواية ابن أبـي الحديد عن صحيح البخاري وفي طبعات البخاري في عصرنا بدل لفظ (آل أبـي طالب) بـ: (آل أبـي فلان) .

وروى الطبري عن المغيرة بن شعبة، أنّه أقام سبع سنين و أشهراً في الكوفة لا يدع شتم عليّ والوقوع فيه، والعيب لقتلة عثمان و اللعن لهم، والدعاء لعثمان بالرحمة و الاستغفار له و التزكية لأصحابه، غير أنَّ المغيرة كان يداري، فيشتدّ مرّة، ويلين أُخرى.

وروى الطبري: أنَّ المغيرة بن شعبة قال لصعصعة بن صوحان العبدي وكان المغيرة يومذاك أميراً على الكوفة من قبل معاوية: « إيّاك أن يبلغنى عنك أنك تعيب عثمان عند أحد من الناس، وإيّاك أن يبلغني عنك أنّك تذكر شيئاً من فضل عليّ علانية، فإنّك لست بذاكر من فضل عليّ شيئاً أجهله، بل أنا أعلم بذلك، ولكنّ هذا السلطان قد ظهر، وقد أخذنا باظهار عيبه للناس، فنحن ندع كثيراً ممّا أمرنا به، ونذكر الشيء الذي لا نجد منه بدّاً ندفع به هؤلاء القوم عن أنفسنا تقيّة، فإن كنت ذاكراً فضله، فأذكره بينك و بين أصحابك، وفي منازلكم سرّاً، وأمّا علانية في المسجد، فإنَّ هذا لا يحتمله الخليفة لنا ولا يعذرنا فيه . . . » الحديث.

وقال اليعقوبي[22] ما موجزه :

وكان حجر بن عدي الكندي، وعمرو بن الحمق الخزاعي وأصحابهما من شيعة علي بن أبـي طالب، إذا سمعوا المغيرة وغيره من أصحاب معاوية، وهم يلعنون علياً على المنبر، يقومون فيردون عليهم، ويتكلمون في ذلك.

٢٢) اليعقوبي ٢ / ٢٣٠ ـ ٢٣١

فلما قدم زياد الكوفة وجّه صاحبَ شرطه إليهم، فأخذ جماعة منهم فقتلوا، و هرب عمرو بن الحمق الخزاعيّ إلى الموصل و عدّة معه، و أخذ زياد حجر بن عديّ الكنديّ و ثلاثة عشر رجلاً من أصحابه فأشخصهم إلى معاوية فكتب فيهم أنّهم خالفوا الجماعة في لعن أبي تراب، و زَرَوْا على الولاة، فخرجوا بذلك من الطاعة، و أنفذ شهادات قوم. فلمّا صاروا بمرج عذراء من دمشق على أميال، أمر معاوية بإيقافهم هناك، ثمّ وجه إليهم من يضرب أعناقهم، فكلّمه قوم في ستّة منهم فأخلى سبيلهم، و أمر أن يعرض على الباقي البراءة من علي و اللعن له فقالوا: إن فعلتم تركناكم و إن أبيتم قتلناكم، فآبرأوا منه نخلِّ سبيلكم! قالوا: اللهم لسنا فاعلي ذلك!

فحفروا لهم قبورهم و أدنيت أكفانهم، فقاموا الليل كلّه يصلون، فلما أصبحوا عرضوا عليهم البراءة من علي فقالوا: نتـولاه و نتبرأ ممن تبرأ منه. فأخذ كل رجل منهم رجلاً ليقتله فقال حجر دعوني أتوضأ و أصلي. فلما أتم صلاته قتلوه و أقبلوا يقتلونهم واحداً واحداً حتى قتلوا ستة مع حجر. فلما بلغوا عبدالرحمن بن حسان العنزي و كريم بن العفيف الخثعمي قالا: ابعثوا بنا إلى أمير المؤمنين فنحن نقول في هذا الرجل مقالته. فبعثوا بهما إلى معاوية فلما دخلا عليه، قال معاوية للخثعمي: ما تقول في علي، قال: أقول فيه قولك! قال أتبرأ من دين علي؟ فسكت، فقام آبن عم له فاستوهبه من معاوية فحبسه شهراً ثم خلَّىٰ سبيله على أن يذهب إلى الكوفة. أمّا العنزي فقد قال له: يا أخا ربيعة! ما قولك في علي؟ قال: أشهد أنه كان من الذاكرين اللّه كثيراً و من الآمرين بالحقّ و القائمين بالقسط و العافين عن الناس. قال: فما قولك في عثمان؟ قال: هو أول من فتح باب الظلم و أرتج أبواب الحقّ. قال: قتلت نفسك. قال: بل إياك قتلت، فبعث به معاوية إلى زياد و كتب إليه: أما بعد، فإن هذا

العنزي شرٌّ من بعثت، فعاقبه عقوبته التي هو أهلها واقتله شرّ قتلة. فلمّا قدم به على زياد بعث زياد به إلى قسّ الناطف فدفن به حيّاً[٢٣]

و من قصص زياد بن أبيه في هذه المعركة أيضاً ما وقع بينه وبين صيفي آبن فسيل، فإنّه أمر فجيء به إليه، فقال له: يا عدوّ اللّه! ما تقول في أبي تراب؟ قال: ما أعرف أبا تراب؛ قال: ما أعرَفك به! قال ما أعرفه، قال: أما تعرف عليّ بن أبي طالب ؟! قال: بلى، قال: فذاك، - وبعد محاورة بينهما - قال: عليّ بالعصا، فقال: ما قولك في عليّ؟ قال: أحسن قول أنا قائله في عبد من عبيداللّه أقوله في أمير المؤمنين، قال: آضربوا عاتقه بالعصا حتى يلصق بالأرض؛ فضرب حتى أُلصق بالأرض؛ ثم قال: أقلعوا عنه، فتركوه، فقال له: إيه ما قولك في عليّ ؟ قال: واللّه لو شرطتني بالمواسي و الـمُدى ما قلت إلّا ما سمعت منّي، قال لتلعنّنه أو لأضربنَّ عنقك، قال: إذاً واللّه تضربها قبل ذلك، فأُسعد وتشقى، قال: آدفعوا في رقبته، ثمّ قال: أوقروه حديداً و اطرحوه في السجن، ثمّ قتل مع حجر[٢٤].

و كتب إلى معاوية في رجلين حضرميّين[٢٥] أنّهما على دين عليّ و رأيه، فأجابه: من كان على دين علي ورأيه، فاقتله، ومثل به، فصلبهما على باب دارهما بالكوفة[٢٦].

كما أمره بدفن الخثعميّ الذي مدح عليّاً وعاب عثمان حيّاً، فدفنه

٢٣) أوردناها موجزة من عبداللّه بن سبأ ٢/ ٢٨٤ - ٣٠٣ وفي ترجمة حجر من تاريخ دمشق لابن عساكر وتهذيبه تفصيل الخبر.

٢٤) الطبري، ٦/ ١٠٨ و ١٤٩، وابن الأثير ٣/ ٢٠٤، والأغاني ١٦/ ٧، و ابن عساكر، ٦/ ٤٥٩

٢٥) نسبة إلى حضرموت من بلاد اليمن.

٢٦) المحبر، ص ٤٧٩.

حياً[٢٧].

و ختم حياته بما ذكره المسعودي، و آبن عساكر، قال آبن عساكر:

جمع أهل الكوفة فملأ منهم المسجد و الرُحبة و القصر، ليعرضهم على البراءة من عليّ[٢٨]. وقال المسعودي: و كان زياد جمع الناس بالكوفة بباب قصره يحرّضهم على لعن عليٍّ، فمن أبى ذلك عرضه على السيف، ثمّ ذكر أنّه أُصيب بالطاعون في تلك الساعة فأُفرج عنهم.

و كان عمرو بن الحمق الخزاعيّ ممن أصابه التشريد و القتل في هذه المعركة، فإنّه فرَّ إلى البراري، فبحثوا عنه حتى عثروا عليه، فحزّوا رأسه وحملوه إلى معاوية، فأمر بنصبه في السوق ثم بعث برأسه إلى زوجته في السجن ـ وكان قد سجنها في هذا السبيل ـ فالقي في حجرها[٢٩].

عمّت هذه السياسة البلاد الإسلامية، و اتّبعها و نفّذها غير من ذكرنا من الأمراء أيضاً، كبسر بن أرطاة في ولايته البصرة، و آبن شهاب في الري[٣٠] فقد كانت لهم قصص في ذلك ذكرها المؤرخون، ثمَّ أصبحت هذه سياسة بني أُمية التقليدية، ولُعن علي بن أبي طالب على منابر الشرق و الغرب ما عدا سجستان، فإنّه لم يُلعَن على منبرها إلاّ مرة، و آمتنعوا على بني أُمية، حتى زادوا في عهدهم أن لا يُلعن على منبرهم أحدٌ في حين كان يلعن على منابر الحرمين

٢٧) راجع قصة حجر بن عدي في عبدالله بن سبأ.

٢٨) المسعودي في أيام معاوية ٣/٣٠؛ و آبن عساكر ٤٢١/٥

٢٩) المعارف لابن قتيبة ١٢/٧، و الاستيعاب ٥١٧/٢، و الاصابة ٥٢٦/٢، وتاريخ آبن كثير ٤٨/٨، والمحبر، ص ٤٩٠.

٣٠) في حوادث سنة ٤١ هـ من الطبري ٩٦/٦، و آبن الأثير ١٦٥/٣، و آبن شهاب في آبن الأثير ١٧٩/٣ في ذكر استعمال المغيرة على الكوفة من (حوادث سنة إحدى و أربعين)

مكة و المدينة[٣١].

وقد كانوا يلعنون عليّاً على المنابر بمحضر من أهل بيته، و قصصهم في ذلك كثيرة نكتفي منها بذكر واحدة أوردها آبن حجر[٣٢] في تطهير اللّسان، وقال:

إنّ عمراً صعد المنبر فوقع في عليٍّ، ثمَّ فعل مثله المغيرة بن شعبة، فقيلَ للحسن: إصعد المنبر لتردّ عليهما، فامتنع إلاّ أن يعطوه عهداً أنّهم يصدقوه إن قال حقّاً، ويكذبوه[٣٣] إن قال باطلاً، فأعطوه ذلك، فصعد المنبر فحمد اللّه وأثنى عليه، ثمَّ قال: أُنشدك اللّه يا عمرو! يا مغيرة! أتعلمان أنَّ رسول اللّه (ص) لعن السائق و القائد أحدهما فلان؟ قالا: بلى، ثمَّ قال: يا معاوية! و يا مغيرة! ألم تعلما أنَّ النبي (ص) لعن عمراً بكل قافية قالها لعنة؟ قالا: اللّهم بلى...) الحديث.

و لـمّا كان الناس لا يجلسون لاستماع خطبهم لما فيها من أحاديث لا يرتضونها، خالفوا السنة وقدّموا الخطبة على الصلاة. قال آبن حزم في المحلّ[٣٤].

أحدث بنو أُمية تقديم الخطبة على الصلاة، و اعتلّوا بأنّ الناس كانوا إذا صلّوا تركوهم، ولم يشهدوا الخطبة، وذلك لأنّهم كانوا يلعنُون علي بن أبي طالب (رض) فكان المسلمون يفرُّون، وحقٌّ لهم ذلك.

وقال اليعقوبي في تاريخه (٢/٢٢٣):

٣١) أوردتها ملخصة من معجم البلدان ٣٨/٥ ط. المصرية الأولى في لغة سجستان، وهي من بلاد إيران

٣٢) في تطهير اللسان ص ٥٥، قال: وجاء بسند رجاله رجال الصحيح إلا واحداً فمختلف فيه لكن قواه الذهبي بقوله. إنّه أحد الاثبات، وما فيه جرح أصلاً، ثم أورد الحديث.

٣٣) كذا وردت في الأصل و الصحيح يصدّقونه ... ويكذبونه

٣٤) المحلى لابن حزم تحقيق احمد محمد شاكر ٨٥/٥ - ٨٦؛ وراجع كتاب الأمّ للشافعي ٢٠٨/١

وفي هذه السنة ـ سنة ٤٤ هـ ـ عمل معاوية المقصورة في المسجد و أخرج المنابر إلى المصلى في العيدين و خطب الخطبة قبل الصلاة، و ذلك أن الناس إذا صلوا، آنصرفوا لئلا يسمعوا لعن علي فقدم معاوية الخطبة قبل الصلاة، و وهب فدكاً لمروان بن الحكم ليغيظ بذلك آل رسول اللّه (ص).

وفي الصحيحين[٣٥] و غيرهما عن أبـي سعيد الخدري قال:

خرجت مع مروان و هو أمير المدينة ـ في أضحى أو فطر ـ فلمّا أتينا المصلّى إذا منبر بناه كثير بن الصلت، فإذا مروان يريد أن يرتقيه قبل أن يصلّي، فجبذت بثوبه، فجبذني، فارتفع، فخطب قبل الصلاة، فقلت له: غيّرتم واللّه. فقال: يا أبا سعيد ! قد ذهب ما تعلم. فقلت: ما أعلم واللّه خيرٌ ممّا لا أعلم، فقال: إنّ الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة، فجعلتها قبل الصلاة

و كانوا لا يكتفون بذلك، بل يأمرون الصحابة به أيضاً، ففي صحيح مسلم[٣٦] و غيره عن سهل بن سعد: قال:

« استعمل على المدينة رجل من آل مروان، فدعا سهل بن سعيد فأمره أن يشتم عليّاً، فأبى سهل، فقال له: أمّا إذا أبيت فقل: لعن اللّه أبا التراب، فقال سهل: ما كان لعليّ إسم أحبَّ إليه من أبـي التراب، و إن كان ليفرح إذا دُعي بها، فقال له: أخبرنا عن قصّته، لِمَ سمّي أبا تراب ؟ قال جاء رسول اللّه (ص) بيت فاطمة، فلم يجد عليّاً في البيت، فقال: أين آبن عمّك ؟ ».

٣٥) البخاري ٢، ١١١ و مسلم ٣/٢٠، و سنن أبـي داود ١/١٧٨؛ و آبن ماجة ١/٣٨٦، و البيهقي ٣/٢٩٧، وفي مسند أحمد ٣/١٠ و ٢٠ و ٥٢ و ٥٤ و ٩٢، و اسم المعترض على مروان في مسند أحمد غير أبي سعيد.

٣٦) أوردته ملخصاً عن صحيح مسلم ٧/١٢٤ باب مناقب علي، و أورده البخاري محرفاً في صحيحه باب مناقب علي، و في باب نوم الرجل في المسجد من كتاب الصلاة ٢/١٩٩، و في إرشاد الساري ٦/١١٢: أن هذا الوالي هو مروان بن الحكم؛ و راجع البيهقي ٢/٤٤٦.

إلى قوله :

« هو في المسجد راقد، فجاءه وهو مضطجع، وقد سقط رداءه عن شقّه، فجعل رسول اللّه (ص) يمسحه عنه، ويقول: قم أبا التراب، قم أبا التراب ».

وعن عامر بن سعد بن أبي وقّاص، قال: « أمر معاوية سعداً فقال: ما منعك أن تسبّ أبا التراب؟ فقال: أمّا ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول اللّه (ص) فلن أسبّه، لأن تكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليّ من حمر النعم.

سمعت رسول اللّه (ص) يقول له وقد خلّفه في بعض مغازيه، فقال له عليّ: يا رسول اللّه! خلّفتني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول اللّه (ص): أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبوّة بعدي، وسمعته يقول يوم خيبر: لأعطين الراية رجلاً يحبّ اللّه ورسوله ويحبّه اللّه ورسوله؛ قال: فتطاولنا لها، فقال: أدعوا لي عليّاً فأُتي به أرمد، فبصق في عينه، ودفع الراية إليه، ففتح اللّه عليه، ولّما نزلت هذه الآية: ﴿ فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ﴾ دعا رسول اللّه (ص) علياً وفاطمة، وحسناً، وحسيناً، فقال: اللّهم! هؤلاء أهلي »[37].

ورواه المسعودي[38] عن الطبري هكذا: قال:

«لما حجّ معاوية طاف بالبيت ومعه سعد، فلمّا فرغ آنصرف معاوية إلى دار الندوة، فاجلسه معه على سريره، ووقع في عليٍّ، وشرع في سبّه، فزحف

٣٧) مسلم ٧/١٢٠، والترمذي ١٣/١٧١؛ والمستدرك ٣/١٠٨ و ١٠٩؛ وزاد فلا والله ما ذكره معاوية بحرف حتى خرج من المدينة، والاصابة ٢/٥٠٩؛ والنسائي في الخصائص ص ١٥.

٣٨) مروج الذهب ٣/٢٤ في أيام معاوية، ثم ذكر ما صدر عن معاوية في المجلس مما أربأ بقلمي عن ذكره

سعد، ثمَّ قال: أجلستني معك على سريرك، ثمَّ شرعت في سبِّ عليّ ؟!
واللّه لأن يكون فيَّ خصلة واحدة من خصال عليٍّ أحبّ إليَّ، ثمَّ ساق الحديث
باختلاف يسير وذكر في آخره أنّه قال: وأيم اللّه لادخلت لك داراً ما بقيت،
ثمَّ نهض».

أمّا ابن عبد ربّه فقد أورده باختصار في أخبار معاوية من العقد الفريد
وقال:[39]

«ولـمّا مات الحسن بن عليّ حجّ معاوية، فدخل المدينة، وأراد أن
يلعن علياً على منبر رسول اللّه (ص) فقيل له: إنَّ ههنا سعد بن أبي وقّاص.
ولا نراه يرضى بهذا، فابعث إليه وخذ رأيه، فأرسل إليه وذكر له ذلك،
فقال: إن فعلت لأخرجنَّ من المسجد، ثمَّ لا أعود إليه، فأمسك معاوية عن
لعنه حتى مات سعد، فلمّا مات لعنه على المنبر، وكتب إلى عمّاله أن يلعنوه على
المنابر، ففعلوا، فكتبت أُمّ سَلمة زوج النبيّ (ص) إلى معاوية: إنّكم تلعنون
اللّه ورسوله على منابركم، وذلك أنّكم تلعنون عليّ بن أبي طالب، ومن
أحبّه، وأنا أُشهد اللّه أنَّ اللّه أحبّه، ورسوله، فلم يلتفت إلى كلامها»
انتهى[40].

وقال ابن أبي الحديد:

روى أبو عثمان ـ الجاحظ ـ أيضاً أنّ قوماً من بني أُميّة قالوا لمعاوية: يا
أمير المؤمنين! إنك قد بلغت ما أملت، فلو كففت عن لعن هذا الرجل!
فقال: لا واللّه حتى يربو عليه الصغير، ويهرم عليه الكبير، ولا يذكر له ذاكر

٣٩) العقد ٣/١٢٧.

٤٠) نقلته باختصار من كتاب (أحاديث أمّ المؤمنين عائشة)، بحث دواعي وضع الحديث من فصل (مع معاوية).

فضلاً ![41].

تربية أهل الشام منذ زمن معاوية على بغض الإمام علي (ع) و لعنه

روى الثقفي في كتابه الغارات وقال: إنّ عمر بن ثابت كان يركب بالشام ويدور في القرى بالشام فإذا دخل قرية جمع أهلها ثم يقول:

أيّها الناس ! إنّ علي بن أبي طالب كان رجلاً منافقاً أراد أن ينخس برسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله ليلة العقبة فالعنوه قال:فيلعنه أهل تلك القرية ثم يسير إلى القرية الأخرى فيأمرهم بمثل ذلك (وكان في أيام معاوية).

خبر ليلة العقبة بإيجاز :

عندما رجع النبيّ سنة ٩ للهجرة من غزوة تبوك ومرّ بعقبة هرشى على ملتقى طريق الشام والمدينة ومكة وفي أسفلها واد تسير القوافل منها فأمر الجيش أن يسيروا من بطن الوادي وسار هو ليلاً من طريق عقبة هرشى فتآمر بعض المنافقين على نفر ناقة الرسول ليلاً ليقتلوه فمنعهم من ذلك الصحابيان عمار بن ياسر وحذيفة اللذان كانا في صحبة الرسول. راجع خبره في إمتاع الأسماع(٤٧٧)، ومادة هرشى من معجم البلدان، ونسب عميل معاوية هذا العمل إلى آبن عم الرسول (ص).

الباعث لمعاوية على ما فعل :

إنّ كان دافع سائر قريش في ما فعلته مع الإمام علي (ع)، كرهها أن

٤١) شرح الخطبة (٥٧) من شرح آبن أبي الحديد لنهج البلاغة.

تجتمع النبوّة و الخلافة في بني هاشم. فقد كان دافع معاوية القرشي الأموي مع ذلك حقده على بني هاشم كما يظهر ذلك في الخبر الآتـي:

روى الزبير بن بكار و قال:

قال المطرف بن المغيرة بن شعبة:

دخلت مع أبـي على معـاوية. فكـان أبـي يأتيه فيتحـدث معـه، ثم ينصرف إلـيَّ فيذكر معاوية وعقله، ويعجب بما يرى منه، إذ جاء ذات ليلة فأمسـك عن العشاء، ورأيته مغتمّاً فانتظرته ساعةً، و ظننتُ أنّه لأمر حدث فينا فقلت: مالي أراك مغتمّـاً منـذ الليلة؟ فقـال: يابنيّ! جئت من عنـد أكفر النـاس و أخبثهم. قلت: و ما ذاك ؟ قال: قلت له و قد خلوت به: إنّك قد بلغت سنّاً يا أمير المؤمنين، فلو أظهرت عدلاً، و بسطت خيراً فإنّك قد كبرت، و لو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم، فوصلت أرحامهم، فواللّه ما عندهم ا ليوم شيء تخافه، و إنّ ذلك مما يبقى لك ذكره وثوابه ، فقال: هيهات هيهات ! أي ذكر أرجو بقاءه ! ملك أخو تيم فعدل و فعل ما فعل، فماعدا أن هلك حتى هلك ذكـره إلاّ أن يقول قائل: أبو بكر، ثم ملك أخو عدي فآجتهـد و شمَّر عشر سنين، فماعدا أن هلك حتى هلك ذكره، إلاّ أن يقول قائل: عمر .

و إنّ آبن أبـي كبشة ليصاح به كلَّ يوم خمس مرات (أشهد أنّ محمداً رسول اللّه) فأي عمل يبقى ؟ و أي ذكر يدوم بعد هذا لا أباً لك ؟ لا و اللّه إلاّ دفناً دفناً[٤٢].

كان ذلكم من معاوية بسبب حقدهِ على بني هاشم.

٤٢) الموفقيات ص ٥٧٦ - ٥٧٧ و مروج الذهب ٢/ ٤٥٤ و آبن أبي الحديد١٠/ ٤٦٢ و ط. مصر تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ٥/ ١٢٠. وكانت قريش تكني رسول اللّه (ص) أبا كبشة استهزاءً به.

أسباب حقد معاوية على بني هاشم :

لمعرفة أسباب حقد معاوية على بني هاشم ينبغي قراءة بحث (مع معاوية) من كتابنا (أحاديث أمّ المؤمنين عائشة) وكان في ما شرحناه هناك من تلك الأسباب :

إنّ معاوية ورث ذلكم الحقد من أُمّه هند التي لاكت كبد حمزة عمّ الرسول (ص) في غزوة أُحد، و صنعت من أطرافه قلادة تشفياً لغيظها على بني هاشم، و أخيراً شفى حقد آل أبي سفيان يزيد بن معاوية بقتله آل الرسول في كربلاء وقطع رؤوسهم و سبي نسائهم كما ذكرناه مفصلاً في المجلد الثالث من هذا الكتاب، و ولي بعد يزيد آل مروان من بني أُمية وفي ما يأتي أمثلة من سياستهم مع آل الرسول بعد ذكر ما فعله ابن الزبير في دولته :

سياسة آبن الزبير

شرح آبن أبي الحديد سياسة آبن الزبير في دولته وقال :

روى عُمر بن شبّة و ابن الكلبيّ و الواقدي و غيرهم من رواة السير، أنّه مكث أيام ادّعائه الخلافة أربعين جمعة لا يصلّي فيها على النبي صلّى اللّه عليه وآله، وقال : لا يمنعني من ذِكْره إلاّ أن تشمخَ رجال بآنافها.

وقال :

وفي رواية محمد بن حبيب و أبي عبيدة معمر بن المثنى : انّ له أُهَيْلَ سوء يُنغِضون رؤوسهم عند ذكره.

وقال : أيضاً

وروى سعيد بن جُبير أن عبداللّه بن الزبير قال لعبد اللّه بن عباس : ما

حديث أسمعه عنك ! قال: وما هو ؟ قال: تأنيبي و ذمّي ! فقال: إني سمعتُ رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله يقول: «بئس المرء المسلم يَشْبَع و يجوعُ جاره»، فقال آبن الزبير: إني لأكتمُ بغضَكم أهلَ هذا البيت منذ أربعين سنة . . . الحديث. عرّض آبن عباس إلى بخل آبن الزبير في حديثه .

وقال أيضاً: روى عمر بن شبّة عن سعيد بن جُبير، قال: خطب عبدُاللّه بن الزبير، فنال من عليّ عليه السلام، فبلغ ذلك محمد بن الحنفيّة (ت ٨١ هـ)، فجاء إليه وهو يخطُب، فوضِع له كرسيّ، فقطع عليه خطبَته، وقال: يا معشرَ العرب، شاهت الوجوه ! أيُنتقصُ عليّ و أنتم حضور ! إنّ عليّاً كان يدَ اللّه على أعداء اللّه، و صاعقةً من أمره، أرسله على الكافرين و الجاحدين لحقّه، فقتلهم بكفرهم فشنئوه و أبغضوه، و أضمروا له السيف و الحسد و آبن عمه صلّى اللّه عليه و آله حيّ بعدُ لم يمت؛ فلما نقلَه اللّه إلى جواره، و أحبّ له ما عنده، أظهرتْ له رجال أحقادها، و شفَتْ أضغانها، فمنهم مَن ابتزّه حقّه، و منهم من ائتمر به ليقتله، و منهم مَنْ شتمه و قذفه بالأباطيل؛ فإن يكن لذريّته و ناصري دعوته دولة تنشر عظامهم، و تحفر على أجسادهم؛ والأبدانُ منهم يومئذ بالية، بعد أن تقتل الأحياء منهم، و تذلّ رقابهم، فيكون اللّه عزّ اسمُه قد عذَّبَهُم بأيدينا و أخزاهم و نصرنا عليهم، و شَفَا صدورَنا منهم، إنّه واللّه ما يشتم عليّاً إلاّ كافر يُسرّ شتمَ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و يخاف أن يبوحَ به، فيكنّي بشتم علي عليه السلام عنه. أما إنّه قد تخطت المنية منكم من امتد عمره، و سمع قولَ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فيه: «لا يحبّك إلاّ مؤمن، و لا يُبغضك إلاّ منافق، و سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون»[٤٣].

٤٣) شرح الخطبة ٥٧ من نهج البلاغة لابن أبي الحديد.

وقال ابن أبي الحديد:

و كان عبدالله بن الزبير يُبْغض عليّاً عليه السلام، و ينتقِصه و ينال من عِرْضه.[44]

و قال اليعقوبي:

تحامل عبدالله بن الزبير على بني هاشم تحاملاً شديداً، و أظهر لهم العداوة و البغضاء، حتى بلغ ذلك منه أن ترك الصلاة على محمّد في خطبته، فقيل له: لِمَ تركت الصلاة على النبيّ؟ فقال: إنّ له أهل سوء يشرئبون لذكره، و يرفعون رؤوسهم إذا سمعوا به.

و أخذ ابن الزبير محمّد بن الحنفيّة، و عبدالله بن عبّاس، و أربعة و عشرين رجلاً من بني هاشم ليبايعوا له، فامتنعوا، فحبسهم في حجرة زمزم، و حلف بالله الذي لا إله إلّا هو ليبايِعُنّ أو ليحرقنّهم بالنار، فكتب محمد بن الحنفية إلى المختار بن أبي عبيد: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن علي و من قِبَله من آل رسول الله إلى المختار بن أبي عبيد و من قبله من المسلمين، أما بعد فإن عبدالله بن الزبير أخذنا، فحبسنا في حجرة زمزم، و حلف بالله الذي لا إله إلّا هو لنبايعنّه، أو ليضرمنّها علينا بالنار، فياغوثاه![45] فوجّه إليهم المختار بن أبي عبيد بأبي عبدالله الجَدَلي في أربعة آلاف راكب، فقدم مكّة، فكسر الحجرة، و قال لمحمّد بن عليّ: دعني و ابن الزبير! قال: لا أسْتَحِل من قطع رحمه ما استحلّ منّي[46].

و رواه اليعقوبي في تاريخه، ۲/۲۶۲، أكثر تفصيلاً من هذا، و ابن الزبير هو عبدالله بن الزبير الأسدي بويع له بالخلافة بعد موت يزيد بن معاوية سنة ۶۴ في الحجاز و العراق و استمر حكمه حتى قتله الحجاج سنة ۶۷ هـ.

٤٤) شرح النهج لابن أبي الحديد، ١/٧٨ .   ٤٥) في نسختنا: فياغوثاً، و الصحيح ما أثبتناه.

٤٦) تاريخ اليعقوبي، ٢/٢٦١ . و محمد بن الحنفية ابن علي بن أبي طالب (ت ٨١ هـ).

بعد آبن الزبير :

بعـد قتل آبن الزبير صفا الجوّ للخلفاء الأمويين من آل مروان فتابعوا معاوية في سياسته في شأن الإمام علي (ع) كالآتـي بيانه بحوله تعالى:

ب ـ على عهد عبدالملك و آبنه الوليد

روى آبن أبـي الحديد عن الجاحظ أنّه قال:

وقال أبو عثمان : وما كان عبدالملك مع فَضْله و أناته و سَدَاده و رُجْحانه ممن يخفى عليه فضلُ علي عليه السلام ، و إن لعنه على رؤوس الأشهاد، وفي أعطاف الخطب، وعلى صَهَوات المنابر مما يعود عليه نقصه، و يرجع إليه وهنه، لأنهما جميعاً من بني عبد مناف، والأصل واحد، ولكنه أراد تشييدَ الملك و تأكيدَ ما فعله الأسلاف، و أن يقرّر في أنفُس الناس أنّ بني هاشم لا حَظّ لهم في هذا الأمر ، و أنَّ سيّدَهم الذي به يصولون، و بفخره يفخرون، هذا حاله و هذا مقداره، فيكون مَنْ ينتمي إليه و يُدْلِي به عن الأمر أبعد، و عن الوصول إليه أشْحَط و أنْزَحَ.

وقال أيضاً:

روى أهـل السِّيرة أن الـوليد بن عبـدالملك في خلافته ذكر علياً عليه السلام ، فقال: لعنه « اللّهِ » بالجر ، كان لصّ آبن لصّ.

فعجب الناس من لحنه فيما لا يلحن فيه أحد، و مِن نسبته عليّاً عليه السلام إلى اللصوصيّة و قالوا : ما ندري أيّهما أعجب ! و كان الوليد لَحّاناً[47].

٤٧) شرح نهج البلاغة لابن أبـي الحديد، ١/٨٥ و ٧٥ و ٥٨ و عبدالملك بن مروان بويع له بالخلافة سنة ٦٥ هـ و توفي سنة ٨٦ هـ وبويع بعده لابنه الوليد بالخلافة.

و يؤيد أن الوليد كان لحاناً ما رواه أهل السير و قالوا:

إنّ روح بن زنبـاع قال دخلت يوماً على عبدالملك و هو مهموم فقال: فكّرت في من أوليه العرب فلم أجده ! فقلت: و أين أنت عن ريحانة قريش وسيدها الوليد ! فقال لي يا أبا زنباع إنّه لا يلي العرب إلاّ من تكلّم بكلامهم، قال فسمعها الوليد فقام من ساعته و جمع أصحاب النحو و جلس معهم في بيت و طينّ عليه ستة أشهر ثم خرج و هو أجهل مّما كان. فقال عبدالملك أما إنه قد أعذر[48].

* * *

كان ذلكم بعض آثار سياسة الخلافة القرشية على عهد عبدالملك و آبنه الوليد وبعضه الآخر ندرسه من خلال دراسة ما فعله واليهما الحجاج في هذا الشأن.

بعض ما فعله الحجاج تنفيذاً للسياسة القرشية

روى آبن أبـي الحـديد بعض ما فعله الحجاج في هذا الشأن و قال:

كـان الحجاج لعنه اللّه يلعنُ علياً (ع)، ويأمر بلعنه. و قال له متعرّض به يوماً و هو راكب: أيها الأمير، إن أهلي عَقُّوني فسمّوني عليّا، فغيِّر اسمي، و صِلْني بما أتبلّغ به، فإني فقـير. فقال: لِلُطف ما توصلت به قد سميتُك

48) ترجمة الوليد في تاريخ الإسلام للذهبي، ۴/ ۶۵، وقال الذهبي ـ أيضاً ـ في ترجمة روح بن زنباغ في سير أعلام النبلاء، ط. الأولى، ۴/ ۲۵۱. وكان شبه الوزير للخليفة عبد الملك (ت ۸۴ هـ).

كذا ، ووليتك العمل الفلاني فاشْخَص إليه[٤٩].

وروى المسعودي في هذا الشأن وقال:

قال الحجاج يوماً لعبد اللّه بن هانئ وهو رجل من أود، حي من اليمن، وكان شريفاً في قومه، وقد شهد مع الحجاج مشاهده كلها، وشهد معه تحريق البيت، وكان من أنصاره وشيعته: واللّه ما كافأناك بعد، ثم أرسل إلى أسماء ابن خارجة ـ وكان من فزارة ـ أن زوج عبداللّه بن هانئ ابنتك، فقال: لا واللّه، ولا كرامة، فدعا له بالسياط، فقال: أنا أزوجه، فزوجه، ثم بعث إلى سعيد بن قيس الهمداني رئيس اليمانية أن زَوِّجْ عبداللّه بن هانئ، قال: ومن أود؟ واللّه لا أزوجه ولا كرامة، قال: هاتوا السيف، قال: دعني حتى أشاور أهلي، فشاورهم، فقالوا: زوجه لا يقتلك هذا الفاسق، فزوجه، فقال له الحجاج: يا عبداللّه، قد زوجتك بنت سيد بني فزارة وآبنة سيد همدان وعظيم كهلان، وما أود هنالك، فقال: لا تقل ـ أصلح اللّه الأمير ـ ذلك، فإن لنا مناقب ما هي لأحد من العرب، قال: وما هذه المناقب؟ قال ما سُبَّ أمير المؤمنين عثمان في نادٍ لنا قط، قال: هذه واللّه منقبة، قال: وشهد منا صفين مع أمير المؤمنين معاوية سبعون رجلاً، وما شهدها مع أبي تراب منا إلا رجل واحد، وكان واللّه ما علمته امرأ سَوء، قال: وهذه واللّه منقبة، قال: وما منّا أحد تزوج آمرأة تحب أبا تراب ولا تتولاه، قال: وهذه واللّه منقبة، قال وما منّا إمرأة إلاّ نذرت إن قتل الحسين أن تنحر عشر جزائر لها، ففعلت، قال: وهذه واللّه منقبة، قال: وما منّا رجل عرض عليه شتم أبي تراب ولعنه إلا فعل ، وقال: وأزيدكم آبنيه الحسن والحسين وأُمهما فاطمة، قال: وهذه

٤٩) شرح آبن ابي الحديد ١/ ٧٥ .

واللّه منقبة. قال: وما أحد من العرب له من الملاحة والصباحة ما لنا، فضحك الحجاج وقال: أما هذه يا أبا هانئ فدعها. وكان عبدُاللّه دميماً شديد الأُدمة مجدوراً في رأسه عَجَر، مائل الشدق، أحوَل قبيح الوجه، شديد الحوَل[٥٠].

وروى آبن سعد في ترجمة عطية بن سعد بن جنادة العوفي من طبقاته وقال:

كتب الحجاج إلى محمد بن القاسم الثقفي أن آدْعُ عطية فإن لعن علي ابن أبـي طالب وإلاّ فآضربه أربعمائة سوط وآحلق رأسه ولحيته. فدعاه فأقرأه كتاب الحجاج فأبى عطية أن يفعل، فضربه أربعمائة سوط وحلق رأسه ولحيته[٥١].

* * *

وسار على نهج الحجاج أخوه وواليه على اليمن كالآتـي بيانه:

بعض ما فعله أخو الحجاج محمد بن يوسف زمان ولايته على اليمن

روى الذهبي عن حجر المدري ما موجزه قال: قال علي بن أبـي طالب: كيف بك إذا أمرت أن تلعنني.

٥٠) مروج الذهب، ٣/١٤٤.

٥١) الطبقات الكبرى ٦/٢١٢ـ٢١٣ وط. اوروبا ٢/٢٤٩٤، وتهذيب التهذيب ٧/٢٢٤ـ٢٢٦ وفي تقريب التهذيب: وعطية أخرج حديثه البخاري وأبو داود والترمذي وآبن ماجة وتوفي سنة ١١١ هـ.

ومحمد بن القاسم الثقفي كان على رأس جيش في بلاد فارس فأمره الحجاج سنة ٩٢ هـ أن يذهب لفتح بلاد السند ففتح بلادها وقتل ملكها وكان في ما فتح من بلادها مدينة الكراتشي ومولتان من بلاد باكستان اليوم ولما ولي الخليفة سليمان أمر بتصفية ولاة الحجاج فسجن محمد وقتل في السجن سنة ٩٢ هـ.

قلت: أوَ كائن ذلك ؟

قال: نعم !

قلت: فكيف أصنع ؟

قال: العنّي ولا تبرأ منّي.

قال فأمره محمد بن يوسف أخو الحجاج أن يلعن عليّاً.

فقال: إن الأمير أمرني أن ألعن عليّاً فالعنوه لعنه اللّه. فما فطن لها إلاّ رجل[٥٢].

* * *

هكذا توالت سياسة الخلافة الأموية القرشية إلى زمن الخليفة عمر بن عبدالعزيز الذي قام بنقض تلكم السياسة كما سندرسه في ما يأتـي:

ج ـ على عهد عمر بن عبدالعزيز:

إنّ عمـر بن عبدالعزيز خالف سياسة الخلافة الاموية و أمر بترك لعن الإمام علي (ع). و ذكروا في سبب ذلك و قالوا ما رواه آبن أبـي الحديد و غيره و اللفظ لابن أبي الحديد:

فأمّا عمر بن عبدالعزيز (رض) فإنه قال: كنت غلاماً أقرأ القرآن على بعض ولد عُتبة بن مسعود، فمرَّ بـي يوماً و أنا ألعب مع الصبيان، ونحن نلعنُ علياً، فكره ذلك ودخل المسجد، فتركت الصبيان و جئت إليه لأدرس عليه

٥٢) تاريخ الإسلام للذهبي، ٤/٥١ ـ ٥٢، في ترجمة محمد بن يوسف الثقفي و حُجرْ هو آبن قيس الهمداني و المَدَري نسبة إلى مَدَر جبل باليمن قال آبن حجر تابعي ثقة أخرج حديثه أبو داود و النسائي و آبن ماجة ترجمته في تهذيب التهذيب ٢/٢١٥ وتقريبه ١/١٥٥ .

وِرْدي، فلما رآني قام فصلّى و أطال في الصلاة ـ شِبْه المعرض عَنّي حتى أحسست منه بذلك ـ فلما آنفتل من صلاته كَلَح في وجهي، فقلت له: ما بال الشيخ؟ فقال لي: يا بنيّ، أنت اللاعن عَليّاً منذ اليوم! قلت: نعم، قال: فمتى علمتَ أن اللّه سَخط على أهل بدر بعد أن رَضِيَ عنهم! فقلت: وهل كان عليّ من أهل بدر؟ فقال: ويحك! وهل كانت بدر كلها إلّا له! فقلت لا أعود، فقال: اللّهَ أنك لا تعود! قلت: نعم. فلم ألعنه بعدها[53]، ثم كنتُ أحضر تحت مِنبر المدينة، و أبـي يخطب يوم الجمعة، و هو حينئذ أمير المدينة، فكنت أسمع أبـي يمر في خُطَبه تهدِر شقاشقه، حتى يأتـي إلى لعن علي عليه السلام فيجمْجِمُ، و يعرض له من الفهاهة و الحَصَر ما اللّه عالم به، فكنت أعجب من ذلك، فقلت له يوماً: يا أبتِ، أنت أفصحُ الناس و أخطبهم، فما بالي أراك أفصحَ خطيب يوم حَفْلك، حتى إذا مررت بلعْن هذا الرجل، صِرْتَ ألكن عَيِيّا! فقال: يا بنيّ، إنّ مَنْ ترى تحت منبرنا من أهل الشام و غيرهم، لو علموا من فضل هذا الرجل ما يعلمه أبوك لم يتبعنا منهم أحد. فوقرت كلمتُه في صدري؛ مع ما كان قاله لي معلمي أيام صغري، فأعطيت اللّه عهداً؛ لئن كان لي في هذا الأمر نصيب لأغيِّرنّه، فلما منّ اللّه عليّ بالخلافة أسقطت ذلك وجعلت مكانه: ﴿ إنَّ اللّه يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَ ٱلإِحْسانِ وَ إِيتاءِ ذي ٱلْقُربى وَيَنْهىٰ عَنِ ٱلْفَحشاءِ وَ ٱلْمُنْكَرِ وَ ٱلْبَغْيِ[54] يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[55]، وكتبت به إلى

٥٣) شرح النهج لابن أبـي الحديد، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، ٤/٥٨ ـ ٥٩. و أورد هذا الخبر آبن عساكر في تاريخ دمشق، ورقة ١٣١، في ترجمة عمر بن عبدالعزيز، و عمر بن عبدالعزيز ولـيّ الخلافة سنة ٩٩ هـ. و مات مسموماً سنة ١٠١ هـ.

٥٤) أورد الخبرين بإيجاز كلٌّ من آبن الأثير في تاريخه، ٥/١٦. و المسعودي في مروج الذهب، ٣/١٨٤.

٥٥) سورة النحل / ٩٠.

الآفاق فصار سنة[٥٦].

وقال كثيّر بن عبدالرحمن يمدح عُمَرَ و يذكر قطعه السبَّ:

وليت فلم تشتِم عليا ولم تُخِفْ بريأ ولم تَقْبَل إساءَةَ مُجْرِمِ
وكفَّرت بالعفو الذنوب مع الَّذي أتيت فأضحى راضياً كلُّ مسلِمِ[٥٧]

وقال الرضي أبو الحسن (ره).

يَا ٱبْنَ عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ لَوْ بَكَتِ ٱلْعَيْنُ فَتىً مِنْ أُمَيَّة لَبَكَيْتُك
غير أني أقول إنكَ قَدْ طِبتَ وإن لم يَطِبْ ولم يَزْكُ بيتُك
أنتَ نزَّهتنا عن السبِّ و القَذْ فِ؛ فلو أمكنَ الجزاءُ جَزَيْتُك[٥٨]

* * *

إنّ عمر بن عبدالعزيز لم ينجح في مسعاه لسببين:

أولاً ـ لأنّ المسلمين كانوا قد آعتادوا على لعن الإمام علي و رأوا فيه سنّة لا ينبغي تركه، وأبىٰ بعضهم ترك لعن الامام علي (ع) على عهد عمر بن عبدالعزيز مثل أهل حرّان كما رواه الحموي و المسعودي حيث قال:

قد كان أهل حرّان قاتلهم اللّه تعالى حين أُزيل لعن أبي تراب ـ يعني علي بن أبي طالب (رض) ـ عن المنابر يوم الجمعة آمتنعوا عن إزالته و قالوا: لا صلاة إلّا بلعن أبي تراب. و أقاموا على ذلك سنة حتى كان من أمر

٥٦) شرح الخطبة ٥٩ من نهج البلاغة لابن أبي الحديد، و اوجزُ منه في تاريخ اليعقوبي ١/٣٠٥ .
٥٧) الأغاني ٩: ٢٥٨ (طبعة الدار) مع إختلاف في الرواية.
٥٨) ديوانه، لوحة ١٢٤ .

المشرق وظهور المسوّدة ما كان[٥٩].

ثانياً ـ لأنّ الخلفاء الأمويين من بعد عمر بن عبالعزيز أعادوا تلك السنّة السيئة كما ندرسها في ما يأتـي بإذنه تعالى.

د ـ على عهد هشام بن عبدالملك

روى آبن عساكر في ترجمة جنادة بن عمرو بن الجنيد بن عبدالرحمن الحرّي مولى بني أُمية وقال: إنّه روى عن جدّه الجنيد أنه قال: أتيت من حوران إلى دمشق لآخذ عطائي فصليت الجمعة ثم خرجت من باب الدرج فإذا عليه شيخ يقال له أبو شيبة القاصّ يقصُّ على الناس فرغَّبَ فرغبنا و خوَّف فبكينا، فلما آنقضى حديثه قال اختموا مجلسنا بلعن أبـي تراب فلعنوا أبا تراب عليه السلام. فالتفت إلى من على يميني فقلت له: فمن أبو تراب؟ فقال:علي بن أبـي طالب آبن عم رسول اللّه وزوج آبنته و أول الناس إسلاماً و أبو الحسن و الحسين. فقلت: ما أصاب هذا القاص، فقمت إليه وكان ذا وفرة فأخذت وفرته بيدي و جعلت ألطم وجهه وأبطح برأسه الحائط فصاح فآجتمع أعوان المسجد فوضعوا ردائي في رقبتي وساقوني حتى أدخلوني على هشام بن عبدالملك وأبو شيبة يقدمني، فصاح: يا أمير المؤمنين اقاصّك و قاصّ آبائك و أجدادك أتى إليه اليوم أمر عظيم. قال: من فعل بك؟ فقال: هذا فالتفت إلـيَّ هشـام وعنده أشراف الناس فقال: يا أبا يحيى متى قدمت؟ فقلت أمس و أنا على المصير إلى أمير المؤمنين فأدركتني صلاة الجمعة فصليت و خرجت إلى باب الدرج فإذا هذا الشيخ قائم يقصّ فجلست إليه فقرأ فسمعنا

٥٩) مروج الذهب، ٣/٢٢٥. و مادة حرّان من معجم البلدان، و اللفظ للأول، وحرّان مدينة بين الموصل والشام وتركيا وتخرج منها آبن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) مؤسس المذهب السلفي.

فرغب من رغب وخوف من خوف ودعا فأمنا وقال في آخر كلامه إختموا مجلسنا بلعن أبي تراب فسألت من أبو تراب؟ فقيل: علي بن أبي طالب أول الناس إسلاماً وآبن عم رسول اللّه وأبو الحسن والحسين وزوج بنت رسول اللّه فواللّه يا أمير المؤمنين لو ذكر هذا قرابة لك بمثل هذا الذكر ولعنه بمثل هذا اللعن لأحللت به الذي أحللتُ فكيف لا أغضب لصهر رسول اللّه وزوج آبنته ؟! فقال هشام: بئس ما صنع ،ثم عقد لي على السند ثم قال لبعض جلسائه: « مثل هذا لا يحاورني ههنا فيفسد علينا البلد فباعدته إلى السند » فلم يزل بها إلى أن مات وفيه يقول الشاعر:

ذهب الجود و الجنيد جميعاً فعلى الجود و الجنيد السلام [٦٠]

* * *

كان ذلكم عمل الخليفة الأموي هشام بن عبدالملك، وفي ما يأتي مثالٌ من عمل ولاته:

عمل خالد بن عبداللّه القسري

ذكر المبرد في « الكامل » أن خالد بن عبداللّه القسريّ لّما كان أمير العراق في خلافة هشام، كان يلعن عليّاً عليه السلام على المِنْبر، فيقول: اللهم العن علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم، صهر رسول الله على ابنته، وأبا الحسن والحسين ! ثم يقبل على الناس فيقول: هل كنَّيْتُ [٦١] ! ؟

٦٠) ترجمة جنادة بن عمرو بن الجنيد في تهذيب تاريخ دمشق لابن بدران ٣/ ٤١٠ واللفظ له وفي مختصره لابن منظور، ٦/ ١١٧ ـ ١١٨ .

٦١) الكامل ٤١٤ (طبعة اوروبا).

والمبرد أبو العبّاس محمد بن يزيد الاردي الثمالي شيخ أهل النحو وحافظ علم العربية كان من أهل ←

من هو خالد بن عبدالله القسري:

ابن النصرانية [٦٢] أبـو الهيثم بن عبدالله القسري كان كريماً ببيت مال المسلمين ينفقه و يكسب به حمد الناس في الدنيا. ولي مكة لأبناء عبدالملك الوليد و سليمان و هشام، وولي العراق لهشام.

قال آبن عساكر في ترجمته:

ساق ماء إلى مكة فنصب طستـا إلى جانب زمزم ثم خطب فقال: قد جئتكم بماء الغاية لا يشبه أمّ الخنافس (يعني ماء زمزم)، وكان يقع في علي ابن أبـي طالب.

وقال ابن عساكر: وذكر كلاماً لا يحلّ ذكره.

وقال ـ أيضاً ـ:

و خطب و قال في خطبته: والله لو كتب إليّ أمير المؤمنين لنقضتها حَجَراً حَجَراً، يعني الكعبة.

و كان عاقبة أمر خالد أنّ الخليفة هشاماً سلّمه إلى يوسف بن عمر واليه على العراق فقتله تعذيباً في السجن سنة ١٢٦ هـ [٦٣].

وقال آبن خلكان: بنى خالد كنيسة في داره لأُمّه [٦٤].

* * *

البصره فسكن بعداد (ت ٢٨٥ هـ) بها و أشهر مؤلفاته الكامل. راجع ترجمته في تاريخ بغداد للخطيب.

٦٢) هكذا ورد دكره في فهرست الطبري، ١٦٣، للمستشرق دي خويه.

٦٣) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور، ٧/٣٦٩ ـ ٣٨٤.

٦٤) هكذا رواه آبن كثير في تاريخه، ١٠/٢١. و بعض أخباره في مروج الذهب، ٣/١٢٠ و ١٧٤ و ١٧٩ و ٢٨٠.

كانت الخلافة الأموية تسعى جاهدة في إبعاد المسلمين عن ذكر الإمام علي بخير، و بلغت في ذلك أنّها منعت من تسمية أحد بآسم علي: كما نرى ذلك في الخبر الآتـي:

بنو أُميّة يقتلون من سُمّـيَ عليّاً

روى آبن حجر في ترجمة علي بن رباح وقال ما موجزه:

كان بنو أُميّة إذا سمعوا بمولود آسمه علي قتلوه، فبلغ ذلك رباحاً فقال: هو عُلَيٌّ، وكان يغضب من عليّ و يُحرّج علىٰ من سمّاه به.

المعنى أنّ رباحاً كان يقول: آسم ابني عُلَـيٌّ.. وقال آبن حجر:

قال عليّ بن رباح لا أجعل في حلّ من سماني (عليّ) فإنّ آسمي عُلـيّ[٦٥].

* * *

و يظهر من خبر عمر بن عبدالعزيز وخبر هشام الآتـي أنّ لعن الإمام عليّ من قبل بني أميّة كان مع علمهم بمنزلته. فقد روى آبن أبـي الحديد:

أنّ هشام بن عبدالملك لما حجّ خطب بالموسم، فقام إليه إنسان، فقال:

يا أمير المؤمنين، إنّ هذا يومٌ كانت الخلفاء تستحبّ فيه لعنَ أبـي تراب، فقال: أُكفف، فما لهذا جئنا[٦٦].

إنّ سبب آمتناع هشام من لعن الإمام عليّ في خطبته في الموسم يوم عرفة هو الأمر نفسه الّذي كان يتلجلج بسببه عبد العزيز في لعنه الإمام عليّا في خطبته في المدينة كما أبانه لابنه عمر بن عبد العزيز و الّذي أسلفنا ذكره، حيث قال له:

٦٥) علي بن رباح اللخمي (ت ١١٤ أو ١١٧ هـ) راجع ترجمته في تهذيب التهذيب، ٣١٩/٧.

٦٦) شرح آبن أبـي الحديد، ٨٥/١.

يابنيّ إنّ من ترى تحت منبرنا من أهل الشام و غيرهم ـ جنده و خاصّة من حوله ـ لو علموا من فضل هذا الرجل ما يعلمه أبوك لم يتبعنا منهم أحد.

إذاً فقد كانت سياسة الخلافة الأموية القرشية في هذا الأمر تبعاً لسياسة الخلافة القرشية في بادئ أمر الخلافة بعد الرسول (ص) و قد بقيت آثار تلك السياسة في المجتمع الإسلامي بعد بني أميّة كما ندرس أمثلة ممّا جرى في هذا الشأن على عهد بني العباس في ما يأتـي بإذنه تعالى.

على عهد العبّاسيين:

بقيت في المجتمع الإسلامي على عهد العباسيين آثار ما فعله الخلفاء، و الولاة قبلهم. و ندرس في ما يلي ثلاثة أمثلة من ثلاث طبقات في هذا الشأن على عهدهم:

أوّلاً ـ من عمل طبقة العلماء:

روى آبن حجر في ترجمة أبـي عثمان حريز بن عثمان[٦٧] الحمصي و قال ما موجزه:

كان ينتقص عليّاً و ينال منه، و قال إسمعيل بن عياش[٦٨] عادلت حريز بن عثمان من مصر إلى مكّة فجعل يسبّ عليّاً و يلعنه. و قال أيضاً: سمعت حريز ابن عثمان يقول: هذا الّذي يرويه الناس عن النبيّ (ص) أنّه قال لعلّي: «أنت

٦٧) حريز بن عثمان دخل بغداد في عصر المهدي العباسي (ت ١٦٣ هـ) قال آبن حجر في ترجمته بتهذيب التهذيب، ٢/ ٢٣٧ ـ ٢٤٠. و تقريب التهذيب، ١/ ١٥٩: ثقة ثبت رمي بالنـصب أخرج حديثه البخاري و غيره عدا مسلم، و راجع ترجمته في تهذيب تاريخ آبن عساكر لابن بدران، ٤/ ١١٦ ـ ١١٨.

٦٨) إسماعيل بن عيّاش بن سليم العنسي الحمصي (ت ٨١ أو ٨٢ هـ) أخرج حديثه أصحاب السنن تقريب التهذيب، ١/ ٧٣.

منّي بمنزلة هارون من موسىٰ » حقّ، ولكن أخطأ السامع، قلت: فما هو؟ قال: إنّما هو: أنت منّي بمنزلة قارون من موسى.

وذكر الأزدي أنّ حريز بن عثمان روى أنّ النبيّ (ص) لما أراد أن يركب جاء عليّ بن أبـي طالب فحلّ حزام البغلة ليقع النبيّ (ص).

وقيل ليحيى بن صالح[٦٩] لم لاتكتب عن حريز؟ فقال: كيف أكتب عن رجل صلّيتُ معه الفجر سبع سنين، فكان لا يخرج من المسجد حتّى يلعن عليّاً سبعين مـرّة.

وقال آبن حبان[٧٠]: كان يلعن عليّاً بالغداة سبعين مـرّة وبالعشي سبعين مـرّة.

ثانياً ـ من عمل طبقة الحكّام:

روى آبن حجر في ترجمة نصر بن عليٍّ، وقال:

لما حدّث نصر بن عليّ حديث عليّ بن أبـي طالب أنّ رسول اللّه (ص) أخذ بيد حسن وحسين فقال من أحبّني وأحبَّ هذين وأباهما وأمّهما كان في درجتي يوم القيامة، أمـر المتـوكّل بضربه ألف سوط, فكلّمه فيه جعفر بن عبدالواحد وجعل يقول له: هذا من أهل السنّة فلم يزل به حتّى تركه[٧١].

٦٩) يحيى بن صالح الوُحاظي الحمصي (ت ٢٢٢ هـ) أخرج حديثه أصحاب الصحاح والسنن تقريب التهذيب، ٢/٣٤٩.

٧٠) ابن حبان محمد بن حبان أبو حاتم البستي (ت ٣٥٤ هـ).

٧١) نصر بن علي بن صهبان الأزدي الجهضمي (ت ٢٥٠ أو ٢٥١ هـ) تهذيب التهذيب، ١٠/٤٣٠.

ثالثاً ـ من عمل عامّة الناس:

روى الذهبي في ترجمة آبن السّقا من تذكرة الحفاظ، وقال:

الحافظ الإمام، محدّث واسط، أبو محمّد، عبدالله بن محمّد بن عثمان الواسطي.

واتّفق أنّه أملى حديث الطير، فلم تحتمله نفوسهم، فوثبوا به فأقاموه، وغسلوا موضعه فمضىٰ ولزم بيته. فكان لا يحدّث أحداً من الواسطيين، فلهذا قلّ حديثه عندهم[72].

* * *

لم يقتصر ماجرى من الحكّام على آل البيت طوال القرون على ما أوردنا أمثلة منه من قيامهم بلعنهم وأمر الناس بلعنهم والتبري منهم وترك رواية أحاديث الرسول (ص) في مدحهم، بل شمل أنواع الأذىٰ لهم وقتلهم قتل إبادة، كما أوردنا بعضها في المجلد الثالث من هذا الكتاب، في ذكرنا ما جرى على آل الرسول (ص) في كربلاء، ثمّ تسلسل قتل الحكام إيّاهم على عهد الأمويين والعباسيين، كما حفل بذكر أخبارهم أبو الفرج في كتابه مقاتل الطالبيين. وأحياناً كان يجري عليهم من قبل الخلفاء العباسيين أشدّ مما كان يجري عليهم على عهد الخلفاء من قبلهم، كالآتي ذكر أمثلة منه بحوله تعالى:

72) تذكرة الحفاظ ص ٩٦٥ ـ ٩٦٦.

وحديث الطير أن رسول الله (ص) أهديَ إليه طير مشوي فوضع بين يديه فقال: اللهم ائتني بأحبّ الخلق إليك يأكل معي. فجاء علي بن أبي طالب وأكل معه. وراجع أسانيد حديث الطير في: ٢/١٠٥ ـ ١٥٥، من سيرة الإمام علي في تاريخ دمشق لابن عساكر تحقيق البحاثة المحقق المحمودي ط. بيروت سنة ١٣٩٥ هـ.

أ ـ مثال ممّا جرى على آل الرسول (ص) على عهد المنصور

روى أبو الفرج انّ المنصور قال لمحمد بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن آبن علي بن أبـي طالب:

أنت الديباج الأصفر؟

قال نعم.

قال: أمّا و اللّه لأقتلنك قتلة ما قتلتها أحداً من أهل بيتك.

ثمّ أمر بأسطوانة ففرغت ثمّ أدخل فيها فبنيت عليه و هو حيّ [٧٣].

ب ـ بعض ما جرى على آل الرسول على عهد المتوكل

روى الطبري في ذكر حوادث سنة (٢٣٦ هـ)، وقال:

وفيها أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن عليّ وهدم ما حوله من المنازل والدور وأن يحرث ويبذر ويسقى موضع قبره وأن يمنع الناس من إتيانه. فذكر أنّ عامل صاحب الشرطة نادى في الناحية: من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة بعثنا به إلى المطبق، فهرب الناس وآمتنعوا من المصير إليه وحرث ذلك الموضع وزرع ما حواليه [٧٤].

وقال آبن الأثير في ذكر حوادث سنة (٢٣٦هـ) من تاريخه:

٧٣) الطبري ١٩٨/٩، ومقاتل الطالبيّين ص ٢٠٠.
والديباج من الثياب ما كان من الحرير، وديباجة الوجه حسن بشرته.
والمنصور أبو جعفر عبداللّه بن محمد بن علي ثاني الخلفاء العباسيين (ت ١٥٨ هـ)

٧٤) الطبري ١٤٠٧/٣ في ذكر حوادث سنة ست وثلاثين ومائتين، والمتوكّل على اللّه جعفر بن المعتصم بن هارون الرشيد. ولي الخلافة سنة ٢٣٢ وقتل سنة ٢٤٧ هـ. والمطبق: سجنه الرهيب.

في هذه السنة أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن عليّ عليه السلام و هدم ما حوله من المنازل والدور و أن يبدر و يسقى موضع قبره و أن يمنع الناس من إتيانه. فنادى بالناس في تلك الناحية: من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة حبسناه في المطبق فهرب الناس و تركوا زيارته و خرب و زرع. و كان المتوكل شديد البغض لعليّ بن أبي طالب عليه السلام و لأهل بيته. و كان يقصد من يبلغه عنه أنّه يتولى عليّاً و أهله بأخذ المال و الدم. و كان من جملة ندمائه عبادة المخنث وكان يشدّ على بطنه تحت ثيابه مخدة و يكشف رأسه و هو أصلع و يرقص بين يدي المتوكل و المغنون يغنون:

قد أقبل الأصلع البطين، خليفة المسلمين، يحكي بذلك عليّاً عليه السلام، و المتوكل يشرب و يضحك. ففعل ذلك يوماً و المنتصر حاضر، فأومأ إلى عبادة يتهدده فسكت خوفاً منه، فقال المتوكل: ماحالك؟ فقام و أخبره، فقال المنتصر: يا أمير المؤمنين إنّ الّذي يحكيه هذا الكلب و يضحك منه الناس هو آبن عمك و شيخ أهل بيتك و به فخرك فكلْ أنت لحمه إذا شئت، و لا تطعم هذا الكلب و أمثاله منه، فقال المتوكل: للمغنين غنّوا جميعاً:

غار الفتى لابن عمّه رأس الفتى في حر أمّه

فكان هذا من الأسباب الّتي آستحل بها المنتصر قتل المتوكل[75].

و قال أبو الفرج في مقاتل الطالبيين[76]:

بعث برجل من أصحابه يقال له الديزج - و كان يهودياً فأسلم - إلى قبر الحسين، و أمره بكرب قبره و محوه و إخراب كلّ ما حوله، فمضى لذلك

٧٥) الكامل في التاريخ لابن الأثير ط. مصر الأولى، ٧/ ١٨.

٧٦) مقاتل الطالبيّين ٥٩٨ - ٥٩٩.

وخرب ما حوله وهدم البناء وكرب ما حوله نحو مائتي جريب، فلما بلغ إلى قبره لم يتقدم إليه أحد، فأحضر قوماً من اليهود فكربوه، وأجرى الماء حوله، ووكّل به مسالح، بين كلّ مسلحتين ميل، لا يزوره زائر إلّا أخذوه ووجهوا به إليه.

وروى عن محمد بن الحسين الأشناني أنّه قال:

بعُد عهدي بالزيارة في تلك الأيّام خوفاً، ثمّ عملت على المخاطرة بنفسي فيها، وساعدني رجل من العطارين على ذلكُ، فخرجنا زائرين، نكمن النهار ونسير الليل، حتّى أتينا نواحي الغاضرية، وخرجنا منها نصف الليل فسرنا بين مسلحتين وقد ناموا حتّى أتينا القبر فخفي علينا، وجعلنا نشمّه ونتحرى جهته حتّى أتيناه، وقد قلع الصندوق الّذي كان حواليه وأحرق، وأجري الماء عليه فآنخسف موضع اللبن وصار كالخندق، فزرناه فأكببنا عليه فشممنا منه رائحة ما شممت مثلها قط كشيء مس الطيب، فقلت للعطار الّذي كان معي، أيّ رائحة هذه؟ فقال لا واللّه ما شممت مثلها كشيء من العطر. فودعناه وجعلنا حول القبر علامات في عدّة مواضع.

فلما قتل المتوكل آجتمعنا مع جماعة من الطالبيين والشيعة حتّى صرنا إلى القبر فأخرجنا تلك العلامات وأعدناه إلى ما كان عليه.

وقال ـ أيضاً ـ

وآستعمل على المدينة ومكّة عمر بن الفرج الرخجي فمنع آل أبي طالب من التعرض لمسألة الناس، ومنع الناس من البرّ بهم، وكان لا يبلغه أنّ أحداً أبرّ أحداً منهم بشيء وإنّ قلّ إلّا أنهكه عقوبة، وأثقله غرماً، حتّى كان القميص يكون بين جماعة من العلويات يصلّين فيه واحدة بعد واحدة، ثمّ

يرقعنه و يجلسن على مغازلهن عواري حواسر، إلى أن قتل المتوكل، **فعطف** المنتصر عليهم و أحسن إليهم، ووجه بمال فرقه فيهم، و كان يؤثر مخالفة أبيه في جميع أحواله و مضادّة مذهبه طعناً عليه و نصرة لفعله[٧٧].

كانت تلكم بعض آثـار سياسة الخلافة القرشية على آل الرسول مدى القرون. و سوف ندرس آثاراً أخرى لها بعد إيراد نتيجة البحث الآتية بحوله تعالى.

* * *

نتيجة البحث:

كرهت قريش أن تجتمـع النبـوّة و الخـلافـة في بني هاشم فنهت من آستطاعت أن تنهاه عن كتابة حديث الرسول (ص) في حياة الرسول (ص) كي لا يكتب نصّ عن الرسول (ص) يثبت حقّاً في الخلافة لمن تكره أن يلي الحكم من بني هاشم بعـد الـرسـول (ص). و أيضـاً لكي لا ينشر حديث من الـرسـول (ص) فيه منقصـة لذوي أرومتهم من قريش تبعـدهم عن الحكم و فضيلة لمنافسيهم من بني هاشم خاصّة و الأنصار عامّة.

و للسبب نفسه منعت الرسول (ص) من كتابة وصيّته في آخر ساعة من حياته، تلك الوصية التي قال عنها: لن تضلوا بعدها أبداً. و خشية أن يكتب نصّاً لمن يتولى الحكم بعده من بني هاشم الّذين كرهوا أن تجتمع فيهم النبوّة و الخلافة، و للسبب نفسه سعى الصحابـي عمر القرشي و من معه من مهاجرة قريش في أخذ البيعة لأبـي بكر القرشي التيمـي بعد وفاة الرسول (ص).

و لذلك ـ أيضاً ـ أدلى أبو بكر بالخلافة إلى صاحبه عمر القرشي العدوي

٧٧) مقاتل الطالبيّين ص ٥٩٩.

بواسطة عثمان القرشي[78].

و للسبب نفسه منع الخليفة عمر من كتابة حديث الرسول (ص) و نشره، و أحرق ما كتبه الصحابة منه و سجن منهم في المدينة من خالفه و نشر حديث الرسول (ص) في البلاد خارج المدينة[79].

و للسبب نفسه كان عمر إذا آستعمل العمال خرج معهم يشيعهم فيقول. . . جرّدوا القرآن و أقلّوا الرواية عن محمد، و أنا شريككم[80].

و للسبب نفسه لم يُوَلِّ الخليفتان أبو بكر و عمر أحداً من بني هاشم على جيش في الفتوح و لا على بلد مفتوح[81].

و لذلك - أيضاً - دبّر الخليفة عمر تولية عثمان القرشي الأمويّ على الحكم بواسطة عبدالرحمن بن عوف في الشورى القرشية[82].

و للسبب نفسه جرّد عثمان القرآن من حديث الرسول (ص) و نسخه في مصاحف و وزّعه على البلاد الإسلامية و أحرق ما عداها من مصاحف الصحابة التي دوّن فيها مع القرآن أحاديث الرسول (ص) في تفسير القرآن. و جلب الصحابي عبدالله بن مسعود من الكوفة إلى المدينة لمخالفته إيّاه في إحراق المصاحف و أمر بضربه و قطع عطاءه من بيت المال[83].

٧٨) راجع أخبارها و مصادرها في فصل الواقع التاريخي لقيام الخلافة من هذا الكتاب ص ١٤٢ فما بعدها.

٧٩) راجع ٢/ ٤٤ - ٤٥، من هذا الكتاب فصل منع كتابة الحديث على عهد الخلفاء.

٨٠) تاريخ الطبري ٥/ ١٩، في ذكر سيرة عمر من حوادث سنة ٣٠ هـ.

٨١) راجع مروج الذهب للمسعودي ٢/ ٣٢١ - ٣٢٢، و يؤيد ذلك أنهم لم يولُّوا أحداً من بني هاشم على عهد الخلفاء الثلاثة.

٨٢) أشرنا إلى هذا الخبر قبيل هذا.

٨٣) راجع بحث على (عهد عثمان) من (تاريخ القرآن) في كتابنا (القرآن الكريم و روايات

و نفى الصحابي أباذر من المدينة إلى الربذة لنشره حديث الرسول بين العباد وفي البلاد[٨٤].

و أدلى بالخلافة إلى عبد الرحمن القرشي الزهري في وصيّته التي كتبها في مرضه بالرعاف[٨٥].

و عندما توفي عبدالرحمن في حياة عثمان و قتل عثمان و لم يتسنّ له أن يولّي أحداً من قريش على الحكم عندئذ ملك المسلمون زمام أمرهم فتهافتوا على الإمام علي (ع) يبايعونه يتقدمهم سروات قريش من الصحابة بعد فقدهم زمام المبادرة، و بعد أربعة أشهر من ذلك لملمت قريش أطرافها و أقامت على الإمام عليٍّ حرب الجمل بقيادة أمّ المؤمنين عائشة و طلحة و الزبير لعلّها تسلب الحكم من الإمام علي (ع)[٨٦]،و ثنّت بإقامة حرب صفين عليه للسبب نفسه ولكي تتمكن من إقامة الحربين عليه أشاعت بين المسلمين خارج المدينة بأنّ الإمام قتل الخليفة عثمان و آستولى على الحكم[٨٧]؛ ولّما كان المسلمون خارج المدينة يأخذون معالم دينهم و أخبار سيرة الرسول (ص) و سيرة أهل بيته و أصحابه ممّن يليهم من الصحابة، وولاتهم من رجالات قريش وحلفائها و مواليها، ولا يعلمون ما عدا القرآن من الإسلام و سيرة أهله غير ما يذيعه فيهم أولئك الرجال، ولا يملكون سبيلاً للمعرفة غير ذلك؛ فقد استطاعت قريش أن تشوّش على المسلمين رؤيتهم للإمام علي(ع)، وزاد في الطين بلّة رفع جيش معاوية المصاحف

←

المدرستين) و راجع خبر آبن مسعود في كتاب أحاديث أمّ المؤمنين عائشة فصل (على عهد الصهرين).

٨٤) راجع ٢/ ٤٦ من هذا الكتاب.

٨٥) مضى ذكر مصدره.

٨٦) راجع خبر الجمل في كتاب أحاديث أمّ المؤمنين عائشة فصل على عهد الصهرين.

٨٧) راجع أخبار صفّين في تاريخ الطبري و آبن الأثير و آبن كثير.

عنـدمـا ضعفـوا عن القتال في صفين ودعوتهم الإمام عليّاً (ع) وجيشه إلى تحكيم القرآن ثم إلى تحكيم الحكمين، و عندما أصرّ القرّاء في جيش الإمام علي (ع) ومن تبعهم على قبول التحكيم وخدع الصحابـي عمرو بن العاص القرشي الأموي الصحابـي أبا موسى الأشعري في مقام الحكم، وآنتشر خبر الخدعة؛ كبر ذلك على جمع ممّن قبلوا التحكيم من قرّاء أهل الكوفة فكفّروا عامّـة المسلمين، و خرجوا على الإمام علي (ع) وحاربوه في النهروان فقتلهم الإمام علي (ع)، ثم اغتال أحدهم الإمام في محرابه بمسجد الكوفة[٨٨]. إنّ كلّ ذلـك شوش على المسلمين خارج المدينة الرؤية الصحيحة للإمام علـيّ (ع) وسبّب قبولهم ما ينشر عن الإمام علي (ع) خلافاً للواقع و الحق.

ومن جانب آخر تبـدّل كره قريش أن يستولي على الحكم أحد من بني هاشم ـ والمقصود في هذه الكراهية استيلاء الإمام علي على الحكم إذ لم يكن غيره في بني هاشم مرشحاً للحكم غيره ـ ، تبدّل ذلك الكره في الحربين التي أقامتها قريش على الإمام علي (ع) إلى الحقد و العداء على الإمام علي (ع) وقام حكم قريش على المسلمين بعد ذلك على أساس الحقد و العداء للإمام عليّ (ع)، وظهر ذلك جليّاً في حكم بني أُميّة على المسلمين كما نشير إليه في ما يأتـي :

٨٨) راجع أخبار صفّين و النهروان في تاريخ الطبري وآبن الأثير و آبن كثير وغيرها.

عداوة الخلافة الاموية للامام علي و آثارها

أوّلاً ـ في خلافة آل أبـي سفيان و على عهد معاوية

عندما آستولى معاوية على الحكم بنى سياسة الحكم على أساسين:

١ ـ الادلاء بالخلافة لابنه يزيد بعد أن كانت سياسة الخلفاء قائمة على أساس تداول الخلافة في قريش وكان شعارهم في ذلك (وسّعوها في قريش تتسع)[٨٩].

٢ ـ سياسة العداء لآل الرسول (ص) و لسيّدهم الإمام علي (ع) خاصّة.

لم نعلم في التاريخ مثيلاً لعداء معاوية للإمام علي (ع) خاصّة بالإضافة إلى عداوته لعامّة بني هاشم، ولذلك شيّد حكمه على ذمهم و اختلاق المثالب في حقهم و المناقب لغيرهم، ونشر ذلك بين الناس في البلاد، و أمر بلعن الإمام علي (ع) في كل ناد وخاصة في خطب صلاة الجمعة في المساجد من أقصى بلاد الشرق إلى أقصى بلاد الغرب الإسلامية، و آلى ألّا يتركه حتى يهرم عليه الصغير ويفنى الكبير، وقتل من آمتنع عن ذلك من أفاضل المسلمين بأنواع القتل، و أربى على ذلك آبنه يزيد حين قتل آل الرسول (ص) في كربلاء و قطع رؤوسهم وسبى ذريّة الرسول وطاف بالرؤوس وبالسبايا في البلاد، وبذلك آنتهت أفعال الخلافة الأموية من آل أبـي سفيان، و انتهى الحكم إلى بني

٨٩) لست أدري الآن أين رأيت خبر رفع قريش هذا الشعار بعد وفاة الرسول (ص) و انّ عملهم في تولية القرشيين على الحكم من بطون مختلفة من قريش يدل على ذلك.

مروان من آل أُميّة.

بسياسة حكم الخلافة المروانية من آل أُميّة

تبع الخلفاء من آل مروان سياسة معاوية في تداول الحكم في أُسرتهم وفي لعن الإمام علي (ع) و التنقيص من قدره إلى زمان عمر بن عبدالعزيز الذي أمر بترك لعن الإمام. غير أنَّ الناس كانوا قد اعتادوا على لعن الإمام و رآه بعضهم فريضة لا يصحّ تركها ولا تقبل صلاة الجمعة دونها كما كان شأن أهل حرّان الّـذين قالـوا: (لا صلاة دون لعـن أبـي تراب)، ولـم يدم حكم آبن عبدالعزيز أكثر من سنتين و أشهر[٩٠] إذسمّه آل أبيه[٩١] وعادت آل أُميّة بعده إلى عادتها القـديمـة في لعن الإمام إلى أن جاء إلى الحكم بعدهم بنو العبّاس، وكانت سياستهم كالآتـي.

سياسة حكم الخلافة العباسية:

كان في خلفـاء بني العبـاس من زاد على بني أُميّة في قتل آل الرسول والحط من مكانتهم بين المسلمين مثل أبـي جعفر المنصور و هارون الرشيد والمتوكل، وفيهم من خالف أولئك ومال إلى أهل البيت[٩٢].

٩٠) مروج الذهب للمسعودي، ٣٥/٣، وغيره.

٩١) تاريخ آبن كثير، ٢٠٩/٩.

٩٢) مثل الناصر لدين الله الذي كان من أتباع مدرسة أهل البيت و قد شاهدت من آثاره في سامراء في مصلى الأئمة تحت مسجد المهدي و المسمى بسرداب الغيبة كتابة خشبية في صُفتها نصبت في آرتفاع أكثر من متر من قاع الصفة كتب عليها أسماء الائمة الاثني عشر و أنّها شيدت بأمر الخليفة الناصر لدين الله.

غير أنّ الناس كانوا قد تربوا تسعين عاماً مدة الخلافة **الأموية[93] كما خطط** معاوية تربيتهم على التبّري من الإمام علي (ع) ولعنه وتنقيصه، وبقي أثر تلكم التربية إلى عهد العباسيين، فقد كان على عهدهم من العلماء و المحدثين حريز بن عثمان (ت: ١٦٢ هـ) الذي كان يلعن الإمام بالغداة سبعين مرّة وبالعشي سبعين مرّة و وضع الأحاديث في ذم الإمام و رواها في بغداد و غيرها من عواصم البلاد الإسلامية.

و كان في عامة بلادهم أُناس مثل أهالي واسط الذين اتفق لعالمهم ومحدث بلدهم عبدالله بن محمد بن عثمان (ت: ٣٧١ هـ) أن أملىٰ حديث الطير، فأقاموه و غسلوا موضعه، فمضى ولزم بيته.

اِتفق لمحدث البلد مرّة واحدة أن يحدّث بحديث واحد فيه فضيلة للإمام علي (ع) فأقامه أهل البلد وغسلوا الموضع الذي جلس فيه وحدّث ذلك الحديث.

* * *

لم يقتصر الأمر على ما ذكرنا و من ذكرنا ، و لا على تلك العصور ، بل امتد الأمر إلى غيرهم وإلى عصرنا الحاضر وإنما آقتصرنا في ما سبق على ذكر أمثلة من عمل الحكام طوال القرون في إخفاء ذكر أهل بيت الرسول (ص) و نشر الكراهية لهم و الانتقاص من قدرهم كي لا يتجه المسلمون إليهم، و يدبروا عنهم. فينتقض حكمهم ـ حكم الخلافة القرشية ـ ويشاد على انقاضهِ حكم لآل الرسول (ص)، وأنتجت سياسة الخلافة القرشية قادة وأتباعاً مع أهل البيت، أُموية وعباسية،وغير أُموية وغير عباسية إجراء عشرة أنواع من

٩٣) راجع مروج الذهب للمسعودي، ٢٣٥/٣

الكتمان و التحريف في مدرسة الخلفاء على سنة الرسول (ص) و أخبار سيرة أهل بيته و أصحابه في ما يخصّ منها أهل البيت، كما سندرسها في بحث: (دراسة عمل مدرسة الخلفاء بنصوص سنة الرسول (ص) و سيرة أهل بيته و أصحابه) الآتـي بإذنه تعالى.

عشرة أنواع من الكتمان و التحريف
لسنّة الرسول (ص)
و أخبار سيرة أهل بيته و أصحابه

دراسة عمل مدرسة الخلفاء
بنصوص سنة الرسول (ص) المخالفة لاتّجاهها

في هذه العجالة نضرب ـ مثلاً ـ لما فعلته مدرسة الخلفاء بالنصوص الّتي تخالف آتّجاهها بعملها مع النصوص الّتي فيها ذكر صفة الوصيّ للإمام عليّ (ع) في سنّة الرسول (ص) وأقوال الصّحابة ونقول:

روت الصّحابة روايات متعددة موثوقة ومعتبرة أنّ رسول اللّه (ص) قال: عليّ وصيّي ووزيري ووارثي. وفي بعضها: وخليفتي؛ وآشتهر الإمام عليّ بلقب الوصيّ من بين هذه الألقاب، وأصبح علماً له، ولم يعرف غيره بهذا اللّقب، كما كنّاه رسول اللّه (ص) بأبي تراب، فآختصّ به وآشتهر وأصبح علماً له، ولم تعرف لغيره هذه الكنية. ثمّ أكثرت الصّحابة والتابعون ومن جاء بعدهم من الشعراء ذكره بالوصيّ في أشعارهم كما ورد ذكره عند علماء أهل الكتاب وأخبروا النّاس بذلك.

إنكار الوصية

لما كانت شهرة لقب (الوصيّ) للإمام عليّ تخالف سياسة مدرسة الخلفاء، فقد سعوا في مقابلة هذه الشّهرة بإنكارها وكتمان النصوص الدالّة عليها.

بدأت أمّ المؤمنين عائشة بحملة دعاية قويّة ضدّ شهرة الإمام عليّ بلقب الوصيّ وأنكرته، ثمّ أستمرّت حملاتهم ضدّ هذه الشّهرة بأشكال أخرى مدى القرون.

ومن أهمّ ما فعلته مدرسة الخلفاء في هذا المقام كتمان النصوص الواردة في شأن الوصيّة، ويجد الباحث المتتبّع من كتمان النصوص الّتي تخالف سياسة الخلفاء بمدرستهم سواء ما كان منها في شأن الوصيّة أو في غيرها، أمراً هائلاً خطيراً.

ومن أمثلة الكتمان لدى مدرسة الخلفاء، الأصناف العشرة الآتية، نذكرها بحسب أهميتها في كتمان سنة الرسول (ص) بدءاً بالمهمّ فالأهمّ:

أ ـ حذف بعض الحديث من سنّة الرسول (ص) وتبديله بكلمة مبهمة.

ب ـ حذف تمام الخبر من سيرة الصّحابة مع الإشارة إلى الحذف.

ج ـ تأويل معنى الحديث من سنّة الرسول (ص).

د ـ حذف بعض أقوال الصّحابة مع عدم الإشارة إليه.

هـ ـ حذف تمام الرواية من سنّة الرسول (ص) مع عدم الإشارة إليه.

و ـ النهي عن كتابة سنة الرسول (ص).

ز ـ تضعيف الروايات ورواة سنة الرسول (ص) والكتب الّتي تنتقص السلطان.

ح ـ إحراق الكتب والمكتبات.

ط ـ حذف بعض الخبر من سيرة الصّحابة وتحريفه.

ي ـ وضع الروايات المختلقة بدلاً من روايات سنة الرسول (ص) الصحيحة وسيرة الصحابة الصحيحة.

أ ـ حذف بعض الحديث من سنّة الرسول (ص) وتبديلها بكلمة مبهمة

من أنواع الكتمان بمدرسة الخلفاء، حذف بعض الحديث من سنّة الرسول (ص) وتبديلها بكلمة مبهمة بدل ما حذف، مثل ما فعله الطبري وآبن كثير بخبر دعوة بني هاشم في تفسير الآية: ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ حيث حذفا قول رسول اللّه (ص): « ووصيّي وخليفتي فيكم » وأبدلاه بقولهما: [وكذا وكذا].

ومن هذا النوع من الكتمان ما فعله البخاري في صحيحه مع سيرة الصحابة في خبر عبد الرحمن الّذي مرّ بنا سابقاً، حيث حذف قول عبد الرحمن لمروان وقال: [فقال عبدالرحمن شيئاً] بدّل كلام عبد الرحمن بقول مبهم وأضاف إلى ذلك حذف ما روته أمّ المؤمنين عائشة عن رسول اللّه (ص) من الحديث في حقّ الحَكَم والد الخليفة مروان.

ومن هذا النّوع من الكتمان ـ أيضاً ـ ما فعلوه بخبر آستشارة رسول اللّه (ص) أصحابه في شأن غزوة بدر وجواب أصحابه له؛

فقد روى آبن هشام والطبري وقالا:

(وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم، فآستشار الناس وأخبرهم عن قريش، فقام أبوبكر الصديق فقال وأحسن. ثمّ قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن. ثمّ قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول اللّه آمض لما أمرك اللّه فنحن معك، واللّه لا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ فاذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا هٰهنا قاعدون ﴾ ولكن، آذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون ـ إلى قوله :ـ فقال رسول اللّه (ص) خيراً ودعا له به).

وجاء في جواب سعد بن معاذ الأنصاري قوله:

(فآمض يا رسول اللّه (ص) لما أردت، فنحن معك، فو الّذي بعثك بالحقّ لو آستعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك ما تخلّف منّا رجل. . . فَسُرَّ رسول اللّه (ص) بقول سعد و نشطه ذلك).

ترى ماذا كان جواب الصحابيّين أبي بكر و عمر لرسول اللّه (ص) الّذي حُذفَ من هذه الرواية و أبدل بقول مبهم و هو: [و أحسن] ؟ و لو كان القول حسناً فلم حذف ذلك القول الحسن !؟ بينا أثبت قول المقداد المهاجري و سعد بن معاذ الأنصاري، نرجع إلى صحيح مسلم فنجد في روايته:

انّ رسول اللّه (ص) شاور أصحابه حين بلغه إقبال أبي سفيان قال:

(فتكلّم أبو بكر، فأعرض عنه. ثمّ تكلّم عمر فأعرض عنه. . . . الحديث).

ترى لماذا أعرض الرسول (ص) عن الصحابيّين، لو كان قولهما حسناً ؟ و نبحث عن قولهما لدى الواقدي و المقريزي فنجدهما يقولان هكذا، و اللّفظ للأول:

(قال عمر: يا رسول اللّه إنّها و اللّه قريش و عزّها، و اللّه ما ذلّت منذ عزّت، و اللّه ما آمنت منذ كفرت، و اللّه لا تسلم عزّها أبداً، و لتقاتلنّك، فاتّهب لذلك أهبته و أعدّ لذلك عدّته. . .)[1].

عرفنا من رواية آبن هشام و الطبري ومسلم أنّ الصحابيّ عمر تكلّم بعد الصحابيّ أبي بكر، ووصف الطبري و آبن هشام قول كلّ منهما بـ[فأحسن] وفي رواية مسلم أنّ الرسول (ص) أعرض عن أبي بكر، ثمّ عن عمر، ومن ثمّ نعرف أنّ قولهما كان أمراً واحداً، وعندما صرّح الواقدي و المقريزي بقول عمر وكتما قول أبي بكر، كشف لنا قول عمر ـ أيضاً ـ عن

١) مرّ بنا ذكر مصادر الخبر في بحث مناقشة الاستدلال بالشورى بهذا الكتاب.

قول أبـي بكر.

ولـمّا كان قول الصحابيّين يسوء ذكره بعض الناس حُذف قولهما من رواية آبن هشام و الطبري و مسلم، و من أجل هذا النوع من الكتمان، أصبحت هذه الكتب من أوثق الكتب بمدرسة الخلفاء.

و أصبح صحيح البخاري الّذي لم يذكر شيئاً من هذا الخبر؛ مبهماً و غير مبهم أكثر آشتهاراً بالصحّة و الوثاقة من جميع الكتب.

* * *

إنّ الطبري و آبن كثير أبدلا من حديث الرسول (ص) « وصيّي وخليفتي » بـ [كذا وكذا] لأنّ هذا الخبر ينبّه العامة إلى حقّ الإمام عليّ في الحكم، و لا يحسن آنتشاره.

و أبدل البخاري قول عبد الرحمن بـ (شيئاً)، لأنّ قول عبد الرحمن كان يسوء الخلفاء: معاوية ويزيد ومروان، وينبّه العامة على ما لا ينبغي أن يتنبهوا إليه.

و أبدل قول أبـي بكر وعمر في جواب رسول اللّه (ص) في كلّ من سيرة آبن هشام و تاريخ الطبري، و حذف من رواية صحيح مسلم، لما فيه ما لا يزين الخليفتين أبا بكر و عمر، وكلّهم حذف بعض الخبر و أبهم في القول.

و هذا النوع من الكتمان كثير عند علماء مدرسة الخلافة.

ب ـ حذف تمام الخبر من سيرة الصّحابة مع الإشارة إلى الحذف

و من أنواع الكتمان عندهم ما فعلوه بمكاتبات جرت بين محمّد بن أبـي بكر ومعاوية، فقد وجدنا في كتاب صفّين لنصر بن مزاحم (ت: ٢١٢ هـ) و مروج الذهب للمسعودي (ت: ٣٤٦ هـ) تفصيل كتاب محمّد بن أبـي بكر لمعاوية و فيه ذكر فضائل الإمام علـيّ بما فيها أنه وصيّ النبيّ، و آعتراف معاوية

في جوابه بها، وفي الكتابين ذكر ما لا يزين الخلفاء نشره، فحذفهما الطبري (ت: ٣١٠ هـ) مع ذكره لسنده إلى الكتابين، وآعتذر عن ذلك بعدم آحتمال العامّة لسماع ما فيهما، أي أنه أخفى الحقائق عن النّاس.

وجاء بعده آبن الاثير (ت: ٦٣٠ هـ) وفعل كذلك وآعتذر بالعذر نفسه.

وجاء بعدهما آبن كثير وأشار إلى كتاب محمد بن أبي بكر في موسوعته التاريخيّة الكبرى[٢] وآقتصر بقوله: (وفيه غلظة).

* * *

قصد الطبري وآبن الأثير من قولهما: (عدم آحتمال العامّة لسماع ما فيهما): أنّ العامّة لا تبقى على عقيدتها بالخلفاء بعد سماع الكتابين.

وهذا الصنف من الكتمان، أي: حذف تمام الخبر مع الإشارة إلى الخبر المحذوف، نادر عند علماء مدرسة الخلفاء.

ج ـ تأويل معنى الحديث من سنة الرسول (ص)

من أنواع الكتمان بمدرسة الخلفاء تأويل معنى الرواية كما فعل الذهبي[٣] بترجمة النسائي صاحب السنن؛ فإنّه قال: سئل النسائي أن يخرج فضائل معاوية، قال: أي شيء أخرج ؟! حديث: اللهمّ لا تشبع بطنه ؟

فقال الذهبي:

(قلت: لعلّ هذه منقبة لمعاوية لقول النبيّ (ص): اللّهمّ من لعنته أو شتمته، فآجعل ذلك له زكاة ورحمة).

٢) البداية والنهاية ٣١٤/٧. وقد أوردنا الكتابين مع تعليقنا عليهما، وعلى ما فعله الطبري في ما سبق.

٣) تذكرة الحفاظ ص ٦٩٨ ـ ٧٠١

قال الذهبي (ت: ٧٤٨ هـ) [لعلّ...]. وجاء بعده آبن كثير (ت: ٧٧٤ هـ) وقال:

(وقد آنتفع معاوية بهذه الدعوة في دنياه وأخراه).

وهذا نصّ كلامه[٤] في الرواية الّتي وردت في شأن معاوية، في صحيح مسلم، باب (من لعنه النبيّ أو سبّه، جعله اللّه له زكاة وطهوراً) من كتاب البرّ والصلة، عن آبن عباس قال:

كنت ألعب مع الصّبيان فجاء رسول اللّه (ص) فتواريت خلف باب، قال: فجاء فخطاني خطاة وقال: « اذهب وآدع لي معاوية ». قال: فجئت فقلت: هو يأكل. قال:ثمّ قال لي: « اذهب فآدع لي معاوية ». قال: فجئت فقلت: هو يأكل، فقال: « لا أشبع اللّه بطنه »[٥]. كان هذا لفظ مسلم.

وأورد الحديث آبن كثير في تاريخه وزاد على كلام رسول اللّه (ص) بعد قوله: « اذهب وادع لي معاوية » جملة: (وكان يكتب الوحي) وهذا لفظ آبن كثير:

(عن آبن عباس، قال: كنت ألعب مع الغلمان فإذا رسول اللّه (ص) قد جاء، فقلت: ما جاء إلاّ إليّ، فآختبأت على باب فجاءني فخطاني حطاة أو حطاتين، ثمّ قال: إذهب فادع لي معاوية ـ وكان يكتب الوحي ـ قال: فذهبت فدعوته له، فقيل: إنّه يأكل. فأتيت رسول اللّه (ص) فقلت: إنّه يأكل، فقال: إذهب فآدعه، فأتيته الثانية فقيل: إنّه يأكل،فأخبرته، فقال في الثالثة: لا أشبع اللّه بطنه. قال: فما شبع بعدها. وقد آنتفع معاوية بهذه الدعوة في دنياه وأخراه، أمّا في دنياه، فإنّه لـمّا صار إلى الشام أميراً[٦] كان يأكل

٤) البداية والنهاية، ٨/١١٩.

٥) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، ح ٩٦، ص ٢٠١٠ .

وحطاني: ضربني باليد المبسوطة بين الكتفين.

٦) وهذه الإضافة الى آخرها من كلام آبن كثير.

في اليوم سبع مرّات يجاء بقصعة فيها لحم كثير وبصل فيأكل منها، ويأكل في اليوم سبع أكلات بلحم، ومن الحلوى والفاكهة شيئاً كثيراً، ويقول: واللّه ما أشبع وإنّما أعيا، وهذه نعمة ومعدة يرغب فيها كلّ الملوك. وأمّا في الآخرة فقد أتبع مسلم هذا الحديث بالحديث الّذي رواه البخاري وغيرهما من غير وجه عن جماعة من الصّحابة، أنّ رسول اللّه (ص) قال:

اللهمّ إنما أنا بشر فأيّما عبد سببته أو جلدته أو دعوت عليه، وليس لذلك أهلاً، فاجعل ذلك كفّارة وقربة تقرّبه بها عندك يوم القيامة. فركب مسلم من الحديث الأول وهذا الحديث فضيلة لمعاوية، ولم يورد له غير ذلك)[7]. انتهى كلام ابن كثير. وأراد بما قال أنّ دعاء الرسول على معاوية دعاء له في الدنيا والآخرة؛ أمّا في الدنيا فبما ذكره من مزيّة كثرة الأكل للملوك، وأمّا الآخرة فاعتمد الأحاديث الّتي نسبت إلى رسول اللّه (ص) أنّه كان يلعن المؤمنين ـ معاذ اللّه ـ ودعا أن يكون لهم زكاة وطهوراً، وأنّ مسلماً حين أورد هذا الحديث في آخر هذا الباب أثبت لمعاوية رضواناً وتقرّباً إلى اللّه يوم القيامة.

وهكذا يؤوّلون الأحاديث والأخبار الّتي فيها ذمّ لذوي السلطة من الخلفاء والولاة إلى ما فيه مدحهم والثناء عليهم.

ولنا هنا نظرة تأمّل في ما رووا أنّ النبيّ لعن المؤمنين ـ معاذ اللّه ـ.

نظرة تأمّل في ما رووا في باب من لعنه النبيّ (ص)

رووا واللّفظ هنا لمسلم في صحيحه، باب من لعنه النبيّ: أنّ رسول اللّه (ص) قال:

«اللّهمّ إنّي أتّخذ عندك عهداً لن تخلفنيه فإنّما أنا بشر فأيّ المؤمنين آذيته، شتمته، لعنته، جلدته، فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها إليك

٧) البداية والنهاية، ٨/١١٩.

يوم القيامة ».

أشعر ـ وأنا أكتب هذا ـ بمثل طعن المدى في قلبي لعظم ما نسب إلى رسول اللّه (ص)!! يروون هذا الحديث في مقابل قول اللّه سبحانه وتعالى: ﴿ وإنّك لعلى خلق عظيم ﴾ وينبغي دراسة هذا الحديث في الصنف الثامن من أنواع الكتمان: (وضع الروايات المختلقة بدلاً من الروايات الصحيحة)، فإنّها نسبت إلى رسول اللّه (ص) في مقابل ما تواتر عند جميع المسلمين من سيرة رسول اللّه الصحيحة في باب سموّ أخلاقه الكريمة، وإنّما رويت أمثال هذه الرواية عن رسول اللّه (ص) لكتمان ما مرّ بنا من رواية أمّ المؤمنين عائشة أنّ رسول اللّه(ص) لعن الحكم بن أبي العاص والد الخليفة الأموي مروان، وكتمان ما تواترت روايته عن رسول اللّه (ص) في حقّ الخليفة معاوية الّتي أوّلها آبن كثير إلى ما فيه مدح معاوية؛ وبما أنّا قد ناقشنا هذه الأحاديث في الجزء الثاني من كتاب (أحاديث أمّ المؤمنين عائشة) والثالث من (قيام الأئمة في إحياء السنة)، **فلا نعيد تلك البحوث في هذا الكتاب.**

* * *

عـود على بـدء

نعود إلى بحث تأويل معنى الرواية من أصناف الكتمان ونقول:

وكان من هذا الباب من التأويل وما يأتي بحثه[8] في خبر درء سعد بن أبي وقاص حدّ شرب الخمر عن أبي محجن، وتمحل آبن فتحون وآبن حجر في تأويل قول سعد لأبي محجن: (واللّه لا نجلدك على الخمر). وسيأتي في بحث نصّ رسول اللّه (ص) على أنّ عدد الأئمة الخلفاء بعده آثنا عشر، كيف آرتبكوا في تأويله عندما رأوا أنه لا يصدق على غير الأئمة الاثني

٨) في بحث آنتشار أحاديث سيف. . في الصنف العاشر من أصناف الكتمان.

عشر من آل رسول اللّه (ص). وأوّل كلّ واحد من العلماء الحديث على غير الأئمة الاثني عشر من آل الرسول (ص) بما لم يرض به العالم الآخر ونقضه.

ومن هذا الباب من الكتمان ما فعله الطبراني بالحديث الآتي كما في مجمع الزوائد[٩].

(عن سلمان، قال: قلت: يا رسول اللّه، إنّ لكلّ نبيّ وصيّاً، فمن وصيّك؟ فسكت عنّي، فلمّا كان بعد رآني فقال: يا سلمان فأسرعت إليه قلت: لبّيك، قال: «تعلم من وصيّ موسى؟» **قلت**: نعم: يوشع بن نون، قال: «لم؟» قلت: لأنّه كان أعلمهم يومئذ، قال: «فإنّ وصيّي وموضع سرّي وخير من أترك بعدي وينجز عدتي ويقضي ديني عليّ بن أبي طالب». رواه الطبراني وقال: وصيّي: أنه أوصاه بأهله لا بالخلافة).

انتهى ما نقله الهيثمي عن الطبراني في مجمع الزوائد.

دراسة للحديث النبويّ الشريف و نظرة تأمّل في تأويل الطبراني إيّاه

لمعرفة مدى صحّة تأويل الطبرانيّ للحديث الشريف ندرس ثلاثة جوانب من الحديث: السائل، والسؤال، وحكمة النبيّ في الجواب.

السائل هو: سلمان الفارسيّ نسباً، ولم يكن من بني عبد المطّلب أو أقرباء أزواج الرّسول أو أصهاره ليعنيه من يخلفه الرسول على أهله وإنّما كان ممّن عاشر رهبان النصارى وعلماءهم قبل أن يسلم على يدي الرسول (ص)، وأخذ منهم علم الأمم السابقة وأخبار أنبيائها وأوصيائها، ومن ثمّ قال للرسول (ص): (إنّ لكل نبيّ وصيّاً فمن وصيّك؟). فهو إذن يسأل عن وصيّ النبيّ على شريعته ووليّ عهده في أمّته، ولم يقل له انّ ربّ كلّ عائلة يعيّن وصيّاً فمن وصيّك من بعدك؟ ليفهم منه أنّه يسأل عن خليفته على أهله.

٩) مجمع الزوائد، ٩/١١٣ ـ ١١٤.

أمّا جواب النبيّ (ص) وتأخّره عن الإجابة فقد كان هذا شأن النبيّ (ص) في الأمور المهمّة. ينتظر أمر السّماء مثل آنتظاره في المدينة أمر السّماء في تحويل القبلة إلى الكعبة وهو يعلم أنّها قبلته، حتّى نزلت عليه: ﴿ قد نرى تقلّب وجهك في السّماء فلنولّينك قبلة ترضاها ﴾ البقرة/١٤٤. ولـمّا كان رسول اللّه (ص) يعلم تنافس الإنسان العربي على الإمرة كما مرّ بنا بعض أخباره[١٠] فيما سبق، وكان المجتمع الإسلاميّ الصغير في المدينة الّذي بدأ النبيّ (ص) بتأسيسه لا يتحمّل نشر خبر ولاية عهد الإمام علي بعد النبيّ (ص)، تأخّر النبيّ (ص) في جواب سلمان، ولعلّه أجاب سلمان حين أُذن له بذلك، وعندئذ فاتح سلمان وأعدّه لاستماع الجواب بالسؤال منه عن وصيّ موسى وهو يعلم أن سلمان يعلم ذلك بما عنده من علماء أهل الكتاب، فلـمّا أجابه بأنّ يوشع بن نون كان وصيّ موسى، سأله النبيّ (ص) وقال له: «لِمَ؟» فلـمّا قال سلمان في جوابه: (لأنّه كان أعلمهم يومئذ) قال النبيّ (ص): «فإنّ وصيّي و... عليّ بن أبي طالب».

والحكمة في جواب النبيّ لسلمان بهذا الأسلوب ما يأتي:

أولاً: ضرب النبيّ (ص) المثل بيوشع بن نون لأنّه كان أشهر أوصياء الأنبياء، ولأنّ موسى بن عمران (ع) كان قد آستخلفه على أمّته من بعده، فقاد بني إسرائيل ومارس الحروب، كما فعل الإمام **علي** بعد النبيّ (ص) في مدّة حكمه.

ثانياً: سأل عن سبب كون يوشع وصيّاً لموسى وأجاب سلمان أنه كان أعلمهم.

بهذه المحاورة بيّن رسول اللّه (ص) أنّ عليّاً وصيّه. ليس لكونه آبن عمّ الرسول (ص) أو لأنّه دافع عن الإسلام في حروب النبيّ (ص) ببسالة فائقة،

١٠) في فصل مصطلحات بحث الإمامة والخلافة.

بل لأنّه أعلمهم، أي أنّه كشف عن قابلية الإمام عليّ للوصاية على الإسلام والمسلمين وأكّد ذلك بقوله (ص): «موضع سرّي وخير من أترك بعدي». وهذا الكلام ـ أيضاً ـ أوّله الطبراني وقال: «خير من أترك بعدي من أهل بيتي». كان هذا تأويل الطبراني في حديث لم يجد فيه مغمزاً من ضعف وما شاكله من القول.

حيرة عالم آخر في تأويل معنى الوصية

قال ابن أبي الحديد الشافعي في شرح الوصيّة في كلام الإمام عليّ (ع).

(لا يقاس بآل محمّد (ص) من هذه الأمّة أحد... هم أساس الدين... ولهم خصائص حقّ الولاية وفيهم الوصيّة والوراثة) ما يأتي:

(أمّا الوصيّة فلا ريب عندنا أن عليّاً (ع) كان وصيّ رسول اللّه (ص) وإن خالف في ذلك من هو منسوب عندنا إلى العناد، ولسنا نعني بالوصيّة النّصّ على الخلافة ولكن أموراً أخرى لعلّها إذا لمحت أشرف وأجلّ). انتهى كلام ابن أبي الحديد.

ونقول في جوابه:

إنّ الإمام عليّاً (ع) لم يقل: لي حقّ الولاية والوصيّة والوراثة، كي يمكن تأويل قوله إنّ له حقّ الولاية والوصيّة على أهل رسول اللّه (ص)، بل قال: (آل محمّد هم أساس الدين... وفيهم الوصيّة). أثبت الإمام الصّفات المذكورة لآل رسول اللّه (ص) بما فيها الوصيّة، ولا معنى للقول بأنّ آل رسول اللّه (ص) لهم حقّ الوصيّة على آل رسول اللّه (ص)، أثبتها الإمام لآل رسول اللّه (ص) وهو أحدهم وسائرهم الأئمة الأحد عشر من بنيه. ومن ثمّ حار العلامة الشافعي في تأويل الوصية هنا ولم يستطع أن يردد تأويل

الطبراني، و إنما قال: (لسنا نعني بالوصية النصّ على الخلافة ولكن أموراً أخرى)، فما هي الأمور الأخرى الّتي لم تذكرها أيّها العالم المحتار في تأويل الحديث؟

وخلاصة القول إنّ العلماء في هذا الصّنف من الكتمان يؤوّلون من سنّة رسول اللّه (ص) حديثه وسيرته وسيرة أهل بيته وأصحابه ما يخالف مصلحة السلطة الحاكمة على المسلمين من خلفاء وولاة ومافيه نقدهم إلى مافيه مصلحتهم ومدحهم والثناء عليهم.

د ـ حذف بعض من أقوال الصّحابة مع عدم الإشارة إليه

من أنواع الكتمان بمدرسة الخلفاء؛ حذف بعض الخبر الّذي ينقلونه دونما إشارة إلى المحذوف؛ مثل ما فعلوه مع قصيدة الصّحابيّ الأنصاريّ النعمان بن عجلان الّتي آستشهدنا ببيتين منها في باب الأشعار الّتي قيلت في الوصيّة، وقد رواها الزبير بن بكّار بتمامها ضمن إيراده أخبار السقيفة وما وقع بين المهاجرين والأنصار من خصومة ومحاججات، منها أقوال عمرو بن العاص ضدّهم، فأجابه النعمان بقصيدة ذكر فيها مواقف الأنصار في حروب رسول اللّه (ص) مع قريش، ثمّ إيواءهم مهاجرة قريش ومقاسمتهم الأموال، ثمّ ذكر حوادث السقيفة وقال:

وقلتم: حرام نصب سعد ونصبكم ... عتيق بن عثمان حلال أبابكر
وأهلُ أبوبكر لها خير قائم ... وإنّ عليّاً كان أخلق بالأمر
وكان هوانا في عليّ وإنّه ... لأهل لها ياعمرو من حيث لا تدري
فذاك بعون اللّه يدعو إلى الهدى ... وينهى عن الفحشاء والبغي والنكر
وصيّ النبيّ المصطفى وآبن عمّه ... وقاتل فرسان الضّلالة والكفر
وهذا بحمد اللّه يهدي من العمى ... ويفتح آذاناً ثقلن من الوقر

نجي رسول اللّه في الغار وحده   وصاحبه الصديق في سالف الدهر

ـ الأبيات[11] .

و أورد آبن عبد البرّ تمام القصيدة بترجمة النعمان بن عجلان من الاستيعاب غير أنه حذف منها البيتين الآتيين :

فذاك بعون اللّه يدعو إلى الهدى   وينهى عن الفحشاء والبغي والنكر

وصيّ النبيّ المصطفى وآبن عمّه   وقاتل فرسان الضّلالة والكفر

حذف هذين البيتين لما فيهما من ثناءٍ على آبن عمّ الرسول (ص) أنّه وصيّ الرسول (ص) و أبقى البيتين اللّذين فيهما مدح أبي بكر .

وجاء بعده آبن الأثير و قال بترجمة النعمان من أسد الغابة :

و من شعره يذكر أيام الأنصار و يذكر الخلافة بعد النبيّ (ص)، ثمّ ذكر من أوّل القصيدة أبياته في أيّام الأنصار فحسب و حذف من القصيدة الأبيات الّتي يشير فيها إلى الخلاف الّذي وقع يوم ذاك في أمر الخلافة و البيتين اللّذين مدح فيهما الإمام عليّاً و خاصّة أنّه كان وصيّ النبيّ .

وجاء آبن حجر بعده فقال في ترجمته :

(وهو القائل يفخر بقومه من أبيات) ثمّ أورد أبياته في المفاخرة بأيّام الأنصار و لم يذكر من أبيات هذه القصيدة ما فيه ذكر الخلافة .

و هكذا كلّما تأخّر الزمن حذف العلماء من الروايات ما لم يرق لهم ذكره، فآبتعدنا عن فهم الواقع التاريخي .

إذاً نرى أنّ الزبير بن بكار (ت : ٢٥٦ هـ) غفل و ذكر في كتابه الموفقيات ما وقع من الاختلاف في أمر الخلافة بعد رسول اللّه (ص) و ما تقاولوا فيه من خطب و شعر، و من ضمنها قصيدة النعمان بن عجلان الّتي فيها بيتان ذكر

١١) راجع مصادر ترجمته و شعره في الهامش رقم ٣٢ ص ٢٩٢ ، في باب : شهرة لقب وصيّ النبيّ (ص) للامام عليّ و آنتشار ذكره في أشعار الصحابة و التابعين من هذا الكتاب .

فيهما فضائل الإمام علي وخاصة أنّه وصيّ النبيّ، وتنبّه لها ابن عبد البرّ (ت: ٤٦٣ هـ) فحذف البيتين.

وجاء بعده ابن الأثير (ت: ٦٣٨ هـ) وتنبّه إلى أنّ ذكر ما وقع من الخلاف في الخلافة ـ أيضاً ـ لا يصلح، فحذف من القصيدة ما فيه ذكر الاختلاف في أمر الخلافة وقال: (ويذكر الخلافة). هذا إضافة إلى حذفه ما فيه وصف الإمام عليّ.

وجاء بعدهما ابن حجر (ت: ٨٥٢ هـ) فحذفها كذلك ولم يقل إنّ في القصيدة ذكراً للخلافة.

وهكذا كلّما تأخر الزمن زاد العلماء من حذف الحقائق ما لا يصلح ذكره لمدرسة الخلفاء.

* * *

إذا راجعنا ما سبق إيراده في بحث الوصيّة وما يأتي في بحث أصناف الكتمان، وما كتموه من خبر الوصية، يتّضح جليّاً، أنّ انتشار تعيين الرسول عليّاً وصيّاً له كان يسوء مدرسة الخلفاء، فحذفوا من القصيدة والخبر هذا القسم دون أن يشيروا إلى أنّهم حذفوا منهما شيئاً، وهذا النوع من الكتمان من أكثر أصناف الكتمان بمدرسة الخلفاء سواء في حديث الرسول (ص) أو سيرته أو سيرة صحابته، ويطول بنا المقام لو أردنا أن نأتي بأمثلة منها في غير شأن الوصيّة من سنّة الرسول (ص) في هذا المقام.

هـ ـ حذف تمام الرواية من سنّة الرسول (ص) مع عدم الإشارة إليه

إنّ ابن هشام[١٢] أخذ من سيرة ابن إسحاق برواية البكائي ما أورد في

١٢) ابن هشام: أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري.
قال ابن خلكان: (جمع سيرة رسول الله (ص) من المغازي والسير لابن إسحاق

سيرته من روايات سيرة الرسول (ص) وقال في ذكر منهجه بأول الكتاب:

(وتارك بعض ما ذكره آبن إسحاق في هذا الكتاب... وأشياء يشنع الحديث به وبعض يسوء الناس ذكره...).

وكان ممّا حذفه آبن هشام من سيرة آبن إسحاق (ممّا يسوء الناس ذكره) خبر دعوة الرسول بني عبد المطّلب عندما أوحى اللّه اليه: ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ فقد روى الطبري في تاريخه عن آبن إسحاق بسنده أنّ رسول اللّه (ص) قال في دعوته لبني عبد المطّلب:

« فأيّكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم ؟ » فأحجم القوم عنها جميعاً. وقال عليّ بن أبي طالب:

أنا يا نبيّ اللّه، أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي - رقبة عليّ بن أبي طالب - ثمّ قال:

« إنّ هذا أخي ووصيّي وخليفتي فيكم، فآسمعوا له وأطيعوا ».

قال: فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع

وهذبها...).

وقال السيوطي في بغية الوعاة، ص ٣١٥ : (مهذب السيرة النبوية، سمعها من زياد البكائي صاحب آبن اسحاق ونقّحها...).

قصدوا من هذّبها ونقّحها؛ أنه حذف من سيرة آبن إسحاق ما كان مخالفاً لمصلحة السلطة الحاكمة.

توفي بمصر سنة ٢١٨ أو ٢١٣ هـ.

والبكائي: هو زياد بن عبد اللّه بن طفيل البكائي العامري (ت: ١٨٣ هـ).

وآبن إسحاق: هو أبو عبد اللّه أو أبوبكر محمّد بن إسحاق بن يسار المطلبي ولاءً، كتب السيرة بأمر الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور لابنه الخليفة المهديّ. توفي سنة ١٥١ أو ١٥٢ أو ١٥٤ هـ.

أوردنا هذه التراجم من مقدمة محمد حسين هيكل على سيرة آبن هشام، ط. القاهرة سنة ١٣٥٦ هـ، ورجعنا إلى هذه الطبعة في ما أوردناه في المتن.

لابنك وتطيع)[١٣].

حذف آبن هشام هذا الخبر وأخباراً كثيرة أخرى كان يرى أنّ ذكرها يسوء الناس وهم عصبة الخلافة[١٤]. ولهذا السبب أهملت سيرة آبن إسحاق لأنّ فيها أخباراً لا يرغبون في نشرها حتى فقدت نسخها[١٥]. وآشتهرت سيرة آبن هشام وأصبحت أوثق سيرة عند الناس.

وقد أدرك الطبري أهميّة هذا النّصّ في حقّ الإمام عليّ بعد أنْ أثبته في تاريخه فتدارك في تفسيره ما غفل عنه في تاريخه، فإنّه لما أورد الخبر بالسند نفسه في تفسيره آية ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ قال:

فأيّكم يُـؤازرني علىٰ هـٰذا الأمر على أنْ يكون أخي وكذا وكذا. . . .
ثمّ قال:

إنّ هـٰذا أخي وكذا وكذا فآسمعـوا له وأطيعـوا. قال: فقـام القوم يضحكون ويقولون لأبـي طالب. . . الحديث[١٦].

وكذلك فعل ـ أيضاً ـ آبن كثير في تاريخه[١٧] وتفسير الآية من تفسيره.

وهـٰذا ما نُسمّيه بحذف بعض الخبر مع الإبهام في القول.

وأكثـر من هـٰذا ما فعله محمـد حسـين هيكـل حيث أورد الخـبر في ص ١٠٤ من الطبعة الأولى من كتابه (حياة محمّد) ولفظه:

«فأيّـكم يُـؤازرني على هذا الأمر وأن يكون أخي ووصيّـي وخليفتـي فيكم».

١٣) أوردتها ملخصة من تاريخ الطبري، ط. مصر الأولى، ٢/٢١٦ ـ ٢١٧.
١٤) ذكرنا بعضها في كتابنا المخطوط: (من تاريخ الحديث).
١٥) طبع أخيراً قسم من سيرة آبن إسحاق في الرباط بالمغرب سنة ١٣٩٦ هـ.
١٦) تفسير الطبري، ط. الأولى، بولاق، سنة ١٣٢٣ ـ ١٣٣٠هـ، ١٩/٧٢ ـ ٧٥.
١٧) البداية والنهاية ٣/٤٠.

وحذفه في الطبعة الثانية سنة ١٣٥٤ ص ١٣٩ من كتابه[١٨].

وهذا الصِّنف من الكتمان أيْ كتمان تمام الخبر دونما إشارة إليه كثير عند علماء مدرسة الخلفاء.

و ـ النهي عن كتابة سنّة الرسول (ص)

من أهمّ أصناف كتمان سنّة الرسول (ص) بمدرسة الخلفاء نَـهْي الخلفاء عن كتابة سنّة الرسول (ص). وكان بدء النهي في عصر رسول اللّه (ص) حيث نهت قريش عبد اللّه بن عمرو بن العاص عن كتابة حديث الرسول (ص) **وقالت له**: تكتب كلّ ما سمعته من رسول اللّه (ص) ورسول اللّه (ص) بشر يتكلم في الرضا والغضب. وقريش هنا هم المهاجرون من أصحاب رسول اللّه (ص) وهم الّذين منعوا الرسول عن كتابة وصيّته في آخر ساعة من حياته، ثمّ لـمّا وَلُوا الـحُكْم بعد رسول اللّه (ص) نهوا عن كتابة حديث الرسول (ص) وبقي منع كتابة الحديث سارياً حتّى عصر الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز حيث رفع الحظر وأمر بتدوين حديث الرسول (ص). وسيأتي تفصيل أخبار النهي عن كتابة حديث رسول اللّه (ص) في الجزء الثاني من الكتاب في بحث مصادر الشريعة الإسلاميّة لدى المدرستين، ومضى ذكر خبر منع الرسول (ص) من كتابة وصيّته في خبر السقيفة.

واللّه أعلم كم من حديث لرسول اللّه (ص) في أمر الوصيّة، نسي مع ما نُسي من سنّة الرسول (ص) بسبب عدم كتابتها طيلة هذه القرون.

* * *

١٨) نقلناه من كتاب الغدير للحبر الحجة الأميني، ط طهران، سنة ١٣٧٢هـ، ٢/٨٨ ـ ٢٨٩.

ويلحق بهذا الصنف من الكتمان الخبران الآتيان:

أولاً - خبر الأنصار مع معاوية وعمرو بن العاص، كما رواه صاحب الأغاني وقال ما موجزه:

حضرت وفود الأنصار باب معاوية بن أبي سفيان، فخرج إليهم حاجبه سعد أبو درّة، فقالوا له: استأذن للأنصار. فدخل إليه وعنده عمرو بن العاص، وقال: الأنصار بالباب. فقال عمرو: ماهذا اللّقب الّذي قد جعلوه نسباً يا أمير المؤمنين؟ أُردد القوم إلى أنسابهم، فقال [له معاوية: إنّي أخاف من ذلك الشّنعة، فقال]: هي كلمة تقولها إن مضت عرّتهم ونقصتهم وإلاّ فهذا الاسم راجعٌ إليهم. فقال له: اخرج فقل: من كان هاهنا من ولد عمرو بن عامر فليدخل، فقالها الحاجب، فدخل ولد عمرو بن عامر كلّهم إلاّ الأنصار، فنظر معاوية إلى عمرو نَظَرَ منكر، فقال له: باعدتَ جدّاً، فقال: اخرج فقل: من كان هاهنا من الأوس والخزرج فليدخل. فخرج فقالها [فلم يدخل أحدٌ، فقال معاوية: أُخرج فقل: من كان هاهنا من الأنصار فليدخل، فخرج فقالها] فدخلوا يقدمهم النعمان بن بشير، وهو يقول:

ياسعد لا تُعِد الدُّعاءَ فما لنا ... نسبٌ نجيب به سوى الأنصارِ
نسبٌ تخيره الإلهُ لقومنا ... أثْقِلْ به نسباً على الكُفَّارِ
إنّ الذين ثَوَوْا بِبَدْرٍ منكمُ ... يوْمَ القَلِيبِ هُمُ وقُودُ النارِ

وقام مغضباً فانصرف. فبعث معاوية فردّه وترضّاه، وقضى حوائجه وحوائج من كان معه من الأنصار.

فقال معاوية لعمرو: كنّا أغنياء عن هذا[19].

١٩) الأغاني، ط. ساسي ١٤/ ١٢٠ و١٢٢، وط. بيروت ١٦/ ١٣ و١٧.

نرى السلطة الحاكمة في هذا الخبر تنهى عن نشر لقب الأنصار الّذي هو من سنّة الرسول (ص) لما فيه ثناء على الأنصار اليمانيين، وليسوا من عصبة الخلافة، و الجامع بين هذه الموارد الّتي أوردناها هو نهي السلطة عن نشر سنّة الرسول، حنقاً على خصومها.

ثانياً ـ ما رواه ـ أيضاً ـ بسنده عن آبن شهاب، قال: قال لي خالد بن عبد اللّه القسري: اُكتب لي النسب، فبدأت بنسب مُضَر، [فمكثت فيه أياماً، ثمّ أتيته، فقال لي: ما صنعت ؟ فقلت: بدأت بنسب مضر] وما أتممته، فقال: اقطعه قطعه اللّه مع أصولهم، و آكتب لي السيرة. فقلت له: فإنّه يمرّ بي الشيء من سيرة علي بن أبي طالب أفأذكره ؟ فقال: لا، إلّا أن تراه في قعر الجحيم[20].

نرى أنّ السلطة الحاكمة تمنع من كتابة آسم الإمام عليّ (ع) إلّا إذا ما كان فيه ذمّ له. فكيف إذاً تسمح بكتابة سنّة الرسول (ص) الّتي تنصّ على أنّ الرسول (ص) عيّنه وصيّاً من بعده ؟!

نهى الخلفاء عن نشر سنّة الرسول (ص) وكان مصير من يخالفهم ويروي أو يكتب ما يخالف آتّجاههم مدى القرون القتل المعنوي أو الجسدي كما سنشير إلى أمثلة منه في ما يأتي إن شاء اللّه.

٢٠) الأغاني، ط. ساسي ١٩/٥٩ و ط. بيروت ٢٢/٢٣.
و آبن شهاب: هو محمد بن مسعود القرشي الزهري. أخرج حديثه جميع أصحاب الصحاح (ت: ١٢٥ هـ أو بعده بسنة أو سنتين). تقريب التهذيب ٢/٢٠٧.
وخالد بن عبد اللّه: ولي مكّة سنة ٨٩ هـ للوليد، و العراقين البصرة و الكوفة سنة ١٠٥ لهشام بن عبد الملك، ثم عزله سنة ١٢٠. وقتله والي العراق من بعده. وقد رمي في نسبه ودينه. راجع ترجمته في الأغاني و تهذيب تاريخ آبن عساكر ٥/٦٧ ـ ٨٠ وغيره.

ز ـ تضعيف الروايات و رواة سنّة الرّسول (ص) و الكتب الّتي تنتقص السلطان و قتل المخالفين أحياناً

لا يستطيع الباحث أن يحصي عمل العلماء في تضعيف الراوي و الكتاب اللّذين ينتقصان السلطان، وكذلك تضعيفهم الروايات الّتى فيها آنتقاص لمقام السلطة من خليفة ووالٍ وأمير وأحياناً تقتل العامّة العالم المخالف لهذا الاتّجاه، و كي لا يطول البحث في هذا الصنف من الكتمان نقتصر على ذكر أربعة أمثلة منه في ما يأتـي :

١ ـ انتقاص من يذكر الوصيّة

قال آبن كثير ما موجزه :

(و أمّا ما يغترّ به كثير من جهلة الشيعة و القصاص الأغبياء، من أنّه أوصى إلى عليّ بالخـلافـة، فكـذبٌ و بهتٌ و آفـتراءٌ، يلزم منه خطأ كبير من تخوين الصحابة و ممالأتهم بعده على ترك إنفاذ وصيّته ـ إلى قوله ـ : وما قد يقصُّه بعض القصـاص من العـوام وغيرهم في الأسواق وغيرها من الوصيّة لعليّ في الآداب والأخلاق. . . كلّ ذلك من الهذيانات، فلا أصل لشيء منه بل هو آختلاق بعض السفلة الجهلة ولا يعول على ذلك ولا يغترُّ به إلاّ غبيّ عيي)[٢١].

هكذا تكلّم آبن كثير بتوتر عصبي شديد من عناء هذه المشكلة، و لِنَرَ من هم الّـذين آغتـرّ بهم جهلة الشيعة و القصّاص الأغبياء. إنّهم كلّ من الأشخاص الآتية أسماؤهم :

أولاً ـ من الصحابة :

أ ـ الإمام علي بن أبـي طالب المهاجري .

٢١) البداية و النهاية ٧/٢٢٤ .

ب ـ سلمان المحمّدي (الفارسي) .

ج ـ أبو أيّوب الأنصاري .

د ـ أبو سعيد الخدري الأنصاري .

هـ ـ أنس بن مالك الأنصاري .

و ـ بريدة بن الحصيب الأسلمي المهاجري .

ز ـ عمرو بن العاص القرشي .

ح ـ أبو ذرّ الغفاري .

ط ـ الإمام الحسن سبط الرسول الأكبر.

ي ـ الإمام الحسين السبط الشهيد .

ك ـ حسّان بن ثابت الأنصاري .

ل ـ الفضل بن العبّاس بن عبدالمطلب .

م ـ النعمان بن عجلان الأنصاري .

ن ـ عبد اللّه بن أبي سفيان الحرث بن عبد المطلب .

س ـ أبو الهيثم بن التيهان الأنصاري

ع ـ سعيد بن قيس الأنصاري .

ف ـ حجر بن عديّ الكندي .

ص ـ خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين .

ق ـ عمرو بن الحمق الخزاعى .

ر ـ عبد اللّه بن عباس

ش ـ المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب .

ت ـ الأشعث بن قيس الكندي وهو من خصوم الإمام علي .

ثانياً ـ من التابعين :

أ ـ جرير بن عبد اللّه البجلي .

ب ـ النجاشي الشاعر قيس بن عمرو .

ج ـ محمد بن أبي بكر (الخليفة الأول) .

د ـ المنذر بن حميضة الوادعي .

هـ ـ عبد الرحمن بن جعيل .

و ـ النضر بن عجلان .

ز ـ مالك الأشتر .

ح ـ عمر بن حارثة الأنصاري .

ط ـ عبد الرحمن بن ذؤيب الأسلمي .

ثالثاً ـ من حكام مدرسة الخلفاء و أئمة مذاهبهم :

أ ـ الأمير علي بن عبد اللّه عمّ الخليفة العباسي السفاح .

ب ـ الخليفة العبّاسي هارون الرشيد .

ج ـ الخليفة العبّاسي المأمون .

د ـ إمام الشافعيّة محمد بن إدريس الشافعي .

رابعاً ـ من المؤلفين الذين أخرجوا أحاديث الوصية عن رسول اللّه (ص) :

أ ـ إمام الحنابلة أحمد بن حنبل (ت : ٢٤١ هـ) في كتابه : مناقب علي .

ب ـ الدينوري (ت : ٢٨٢ هـ) في الأخبار الطوال .

ج ـ إمام المؤرخين الطبري (ت : ٣١٠ هـ) في تاريخه .

د ـ البيهقي (كان حيّاً قبل ٣٢٠ هـ) في المحاسن و المساوئ .

هـ ـ مسند الدنيا ، الطبراني إمام المحدثين في عصره (ت : ٣٦٠ هـ) في معاجمه .

و ـ أبو نعيم الإصبهاني (ت : ٤٣٠ هـ) في حلية الأولياء .

ز ـ الحافظ آبن عساكر الشافعي (ت: ٥٧١ هـ) في تاريخ مدينة دمشق.

ح ـ ابن الأثير (ت: ٦٣٠ هـ) في تاريخه.

ط ـ ابن أبـي الحديد الشافعي (ت: ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة.

ي ـ المتقي الهندي (ت: ٩٧٥ هـ) في كنز العمال.

هؤلاء هم جهلة الشيعة و القصّاص الأغبياء على حسب تعبير آبن كثير الّذين آغترّوا بروايات الوصية و رووها و أخرجوها في كتبهم، إلى كثير من نظرائهم من الصّحابة و التابعين الّذين آغترّوا بها و احتجوا بها في أشعارهم و خطبهم و رواها عنهم أمثال:

الزبير بن بكّار في الموفقيات، و الطبريّ و آبن الأثير في تاريخيهما، و الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد. و المسعودي الشافعي في مروج الذهب، و الإمام المقدّم في الحديث الحاكم في المستدرك، و الذهبي في تذكرة الحفاظ، و أمثالهم.

كتم آبن كثير كلّ ما ذكرناه آنفاً، و كتم أكثر ممّا أشرنا إليه ممّا كان في متناول أيدي علماء ذلك العصر، و ذهبت عنّا لتكتّمهم الشّديد عليها و إخفائها عن النّاس، كتمها جميعاً و لم يخرج منها شيئاً في موسوعته التاريخية.

و كتمها ـ أيضاً ـ بتضعيف الرواة و الروايات و الكتب الّتي خرجتها، و تسخيف المحتجّين بها كي لا يصدق من يصل إليه شيء مما كتمها من كتاب آخر و قال: (ما يغترّ به جهلة الشيعة و القصاص الأغبياء).

و هذا النوع من الكتمان كثير عند علماء مدرسة الخلفاء.

٢ ـ الطعن في رواة الحديث

نقل آبن عبد البرّ عن الشعبي أنّه قال في الحارث الهمداني:

(حدثني الحارث و كان أحد الكذابين). قال آبن عبد البر:

(و لم يبن من الحارث كذب، و إنّما نقم عليه إفراطه في حبّ عليّ

وتفضيله له على غيره، ومن هاهنا والله أعلم كذّبه الشعبيّ لأنّ الشعبيّ يذهب إلى تفضيل أبي بكر وإلى أنّه أوّل من أسلم)[٢٢]. انتهى قول ابن عبد البرّ.

٣ـ الطعن في أئمة الحديث

في مدرسة الخلفاء يطعنون أحياناً في أئمة الحديث الّذين يروون حديثاً يخالف اتّجاهها، مثل ما جرى للحاكم الشافعي كما رواه الذهبي بترجمته[٢٣] وفي ما يلي ما أورده بإيجاز:

الحافظ الكبير إمام المحدّثين، أبو عبد الله، محمّد بن عبدالله بن محمّد بن حمدويه النيسابوري المعروف بابن البيع. ولد سنة ٣١٢ هـ، وتوفّي سنة ٤٠٥ هـ. طلب الحديث من الصّغر ورحل إلى العراق وحجّ وجال في خراسان وما وراء النهر وسمع من ألفي شيخ أو نحو ذلك، بلغت تصانيفه قريباً من خمسمائة جزء ومن تآليفه فضائل الشافعي، ونقل أنّ مشايخ الحديث كانوا يذكرون أيّامه وأنّ الأئمة من مقدّمي عصره كانوا يقدّمونه على أنفسهم ويراعون حقّ فضله ويعرفون له الحرمة الأكيدة.

قال الذهبي: وسئل الحاكم عن حديث الطير فقال: (لا يصحّ، ولو صحّ لما كان أحد أفضل من علي (رض) بعد النبيّ (ص)).

وقال: ثمّ تغيّر رأي الحاكم وأخرج حديث الطير في مستدركه.

ونقل الذهبي عن العلماء أنّهم قالوا عن مستدركه: **إنّه** جمع فيه أحاديث وزعم أنّها على شرط البخاري ومسلم، منها حديث الطير، ومن كنت مولاه فعليّ مولاه، فأنكرها عليه أصحاب الحديث فلم يلتفتوا إلى قوله.

٢٢) جامع بيان العلم، باب حكم العلماء بعضهم في بعض ٢/١٨٩.

٢٣) تذكرة الحفاظ ص ١٠٣٩ ـ ١٠٤٥.

وقال الذهبي:

أمّا حديث الطير، فله طرق كثيرة جدّاً قد أفردتها بمصنّف ومجموعها هو يوجب أن يكون الحديث له أصل.

وأمّا حديث «من كنت مولاه فعليّ مولاه»، فله طرق جيّدة، وقد أفردت ذلك أيضاً. يعني الذهبي أنّه ألّف في حديث «من كنت مولاه فعلي مولاه»، كتاباً خاصّاً.

قال المؤلف:

أمّا حديث «من كنت مولاه» فسيأتي بحثه في ذكر النصوص الواردة عن الرسول (ص) في حقّ الإمام عليّ (ع) إن شاء اللّه تعالى.

وحديث الطير برواية الصحابيّ أنس وغيره من الصّحابة، أنّه أُهدي إلى رسول اللّه طير مشويّ فدعا أنْ يأتيه اللّه بأحبّ الخلق إليه ـ أي بعد الرسول (ص) ـ فيأكل معه، فجاء عليّ وأكل معه وبما أنّ الحديث يدلُّ على أنّ الامام عليّاً أفضل النّاس بعد رسول اللّه (ص) فقد أنكروا على الحاكم وغيره رواية هذا الحديث، ولم نُخرجها نحن في باب النّصوص، لأنّنا لسنا بصدد إيراد فضائل الإمام عليّ (ع) وإنّما نورد النّصوص الصّريحة في حقّ آل الرسول (ص) في الحكم.

نقل الذهبي فضل الحاكم الشافعيّ في علم الحديث بمدرسة الخلفاء، وبما أنّه خرّج في مستدركه أحاديث في فضل الإمام عليّ(ع) وما فيه انتقاص لمعاوية، طعنوا فيه وقالوا ما نقله الذهبي:

(ثقة في الحديث، رافضيّ حبيث).

(كان يظهر التسنّن في التقديم والخلافة وكان منحرفاً عن معاوية وآله ـ يعني يزيد ـ متظاهراً بذلك ولا يعتذر منه).

قال الذهبي :

(قلت: أمّا آنحرافه عن خصوم عليّ فظاهر، و أما أمر الشيخين فمعظم لهما بكلّ حال فهو شيعيّ لا رافضيّ، و ليته لم يصنّف المستدرك فانّه غضّ من فضائله بسوء تصرفه). انتهت أقوال الذهبي.

و لإمام المحدثين بمدرسة الخلفاء أسوة بإمام المذهب الشافعي محمد بن إدريس (ت: ٢٠٤ هـ) حيث رمي بالرفض كما رواه البيهقي، فقال الشافعي في ذلك :

قالوا ترفضت، قلت كلّا ما الرفض ديني ولا اعتقادي
لكن تولّيت غير شكّ خير إمام وخير هادي
إن كان حبّ الوصيّ[٢٤] رفضاً فإنّني أرفض العبادِ

و ممّا قال أيضاً:

إن كان رفضاً حبّ آل محمد فليشهد الثقلان أنّي رافضي

و يظهر أنه كان يضطر إلى الكتمان أحياناً فقد قال:

ما زال كتماً منك حتّى كأنني بردّ جواب السائلين لأعجم
وأكتم ودّي مع صفاء مودتي لتسلم من قول الوشاة و أسلم[٢٥]

غير أنّه لم ينفعه الكتمان ورمي بالرفض كغيره من العلماء الّذين لا يكتمون رأيهم في ما ورد عن سنّة الرسول (ص) وسيرة الصّحابة، و إنّ

٢٤) ورد في ديوان الشافعي ط. بيروت ١٤٠٣ هـ ، وكذلك في (النصائح الكافية لمن يتولى معاوية) لمحمد بن يحيى العلوي (ت: ١٣٥٠ هـ) و ذكر آبن حجر في الصواعق المحرقة ص ١٣١ : (الولي) بدلاً من (الوصي). ولنا أن نعد هذا التبديل في الصواعق من موارد الكتمان لدى أتباع مدرسة الخلفاء.

٢٥) هذا موجز ما أورده الهيتمي (ت: ٩٧٤ هـ) في الصواعق، ط. مصر الثانية، سنة ١٣٧٥ هـ، ص ١٣١، مع قول البيهقي أورد جميعها مفصلا و البيت: إن كان رفضاً.. مع بيتين آخرين رواها أيضاً آبن الصباع المالكي المكي (ت: ٨٥٥ هـ) في كتابه الفصول حسب نقل صاحب الكنى و الألقاب بترجمة الشافعي.

أغلب علماء المذهب الشافعي بمدرسة الخلفاء لا يكتمون الحديث كما يفعله علماء المذاهب الأخرى في تلك المدرسة ولذلك يرمون بالرفض.

* * *

في هذا الباب لاحظنا أنواعاً من الإنكار بدءاً بتضعيف الراوي والرواة إلى طعنهم بالتشيُّع والرفض والّذي كان يؤدّي إلى إسقاط الحديث عن الاعتبار. وكلّ أنواع الإنكار من أسهل الأمور في باب الاحتجاج للمُنكِر ومن أصعب الأمور عندئذٍ إثبات الحقّ، فإنّ المُنكر يسهُل عليه أن يقول: الحديث ضعيفٌ، باطلٌ، كذبٌ. وعلى صاحب الحقّ أن يأتي بالدليل تلو الدليل وليس للمُنكِر في مقابله أكثر من الإنكار وعدم القبول، وهو في حقيقته قتلٌ معنويّ للرواة، وأحياناً يقتلُ الراوي الّذي يروي ما يخالف مصلحة مدرسة الخلفاء جسدياً، كما نذكر في ما يأتي مثالاً واحداً منه لما جرى لأحد أصحاب الصحاح الستّة بمدرسة الخلفاء.

۴ ـ النسائي أحد مؤلّفي الصّحاح الستّة وقصّة قتله.

نتقل خبره وقصة قتله من كتابي الذهبي وآبن خلّكان فقد قالا بترجمته[٢٦] ما موجزه:

الحافظ، الإمام، شيخ الإسلام، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، كان إمام أهل عصره في الحديث وله كتاب السنن تفرَّد بالمعرفة وعلوّ الإسناد، وآستوطن مصر. وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً، ويجتهد في العبادة ليلاً. وخرج مع أمير مصر إلى الغزو، وكان يحترز عن مجالسه والانبساط في المأكل، وخرج آخر عمره حاجّاً وبلغ دمشق، وصنّف في دمشق كتاب الخصائص في فضل عليّ بن أبي طالب (رض) وأهل البيت، وأكثر رواياته

٢٦) تذكرة الحفاظ ص ٦٩٨. ووفيات الأعيان ١/ ٥٩.

فيه عن أحمد بن حنبل، فأنكروا عليه ذلك، فقال: دخلت دمشق و المنحرف عن عليّ بهـا كثير، فصنّفتُ كتاب الخصائص رجوت أن يهديهم اللّه بهذا الكتـاب، فقيل له: ألا تُـخْـرِجُ فضـائل معاوية ؟ فقال: أيُّ شيء أُخرج ؟ حديث اللهمّ **لاتشبع بطنه ؟** فسكت السائل، و سُئل ـ أيضاً ـ عن معاوية و ما جاء من فضائله، فقال: ألا يرضى رأساً برأس حتّى يُفضل، فما زالوا يدفعون في خصييه و داسوه حتى أُخرج من المسجد و حمل إلى الرملة.

قال الحافظ أبو نعيم: مات بسبب ذلك الدوس و هو منقول.

وقال الدارقطني: اُمتحن بدمشق و أدرك الشهادة. و كان ذلك سنة ٣٠٣ هـ.

* * *

و لا ينحصر من أُوذي و قُتل في سبيل نشر سنّة الرسول (ص) بالنسائي وحده، فقد لاقى الصحابيّ أبو ذرّ أيضاً كما سيأتـي ذكره بعيد هذا في بقية بحـوث كتـمان سنّـة الـرسول (ص) و قتل عدد غير قليل من العلماء، ترجم بعضهم العلامة الحبر الأميني في كتابه، شهداء الفضيلة.

و من يجـرؤ مع هذه الحـالـة أن يروي النصـوص الواردة عن رسول اللّه (ص) في فضائل آله فضلاً عن ذكر النصوص الواردة في حقِّ آله في الحكم.

ألا يحقُّ لابن كثير، إذا كان يريد أن يداري من يطالب العلماء بإيراد فضائل معاوية أن يؤوّل ما فيه آنتقاص لمعاوية إلى ما فيه له فضيلة في الدنيا و الآخرة !!!

و كيف يتيسّـر نشر سنّة الرسول (ص) مع هذه الحالة !؟

* * *

ذكرنا شيئاً من مصير مَن يخالف مدرسة الخلفاء و يروي أو يكتب من سنّة الرسول (ص) ما يخالف مصلحة الخلفاء، و في ما يأتـي نُشير إلى مصير

الكتب الّتي حوت من سنّة الرسول (ص) ما يخالف سياسة هذه المدرسة.

ح ـ إحراق الكتب و المكتبات

من أصناف الكتمان بمدرسة الخلفاء، إحراق الكتب الّتي فيها سنّة الرسول (ص) سيرة وحديثاً ممّا لا ترغب في نشره. وقد بدأ ذلك الخليفة عمر بن الخطاب كما سيأتي ذكره في باب بحوث مدرسة الخلفاء من مصادر الشريعة الإسلامية.

عن طبقات ابن سعد، قال: إنّ الأحاديث كثرت على عهد عمر، فأنشد الناس أن يأتوه بها، فلمّا أتوه بها، أمر بتحريقها.

وروى الزبير بن بكار[27]: أنّ سليمان بن عبد الملك في زمان ولايته للعهد مرّ بالمدينة حاجّاً، وأمر أبان بن عثمان أن يكتب له سِيَر النبيّ (ص) ومغازيه، فقال أبان: هي عندي أخذتها مصحّحة ممّن أثق به، فأمر عشرة من الكتاب بنسخها، فكتبوها في رقّ، فلمّا صارت إليه، نظر فإذا فيها ذكر الأنصار في العقبتين ـ يقصد بيعة الأنصار في العقبتين الأولى والثانية ـ وذكر الأنصار في بدر، فقال سليمان: ما كنت أرى لهؤلاء القوم هذا الفضل فإمّا أن يكون أهل بيتي ـ أي الخلفاء الأمويين ـ غمصوا عليهم، وإمّا أن يكونوا ليس هكذا، فقال أبان بن عثمان: أيّها الأمير! لا يمنعنا ما صنعوا بالشهيد المظلوم ـ يقصد الخليفة عثمان ـ من خذلانه، أن نقول الحقّ. هم على ما وصفنا لك في كتابنا هذا. قال سليمان: ما حاجتي إلى أن أنسخ ذاك حتّى أذكره لأمير المؤمنين ـ يقصد والده عبد الملك ـ لعلّه يخالفه، فأمر بذلك الكتاب فحرِّق، ولـمّا رجع أخبر أباه بما كان، فقال عبد الملك: وما حاجتك أن تقدم

٢٧) الموفقيات ص ٣٣٢ ـ ٣٣٣.

بكتاب ليس لنا فيه فضل تعرُّف أهل الشام أموراً لا نريد أن يعرفوها، قال سليمان: فلذلك أمرت بتحريق ما نسخته حتّى أستطلع رأي أمير المؤمنين، فصوّب رأيه.

* * *

هكذا يأمر خلفاء المسلمين وأولياء **عهدهم بإحراق** كتب سنّة الرسول (ص) لئلّا يعرف المسلمون ما يخالف مصالح السّلطة، وقد فعلت أكثر من ذلك حين أحرقت مكتبات فيها من كتب سنّة الرسول (ص) ما يخالف اتّجاهها نظير ما يأتي بيانه:

إحراق مكتبة إسلاميّة ببغداد

قال ابن كثير[28] في ذكر حوادث سنة ٤١٦ هـ بترجمة سابور بن أردشير:

كان كثير الخير سليم الخاطر إذا سمع المؤذّن لا يشغله شيء عن الصّلاة، وقد وقَّفَ داراً للعلم في سنة ٣٨١ هـ وجعل فيها كتباً كثيرة جدّاً، ووقَّفَ عليها غلّة كبيرة، فبقيت سبعين سنة ثمّ أحرقت عند مجيء طغرل في سنة ٤٥٠ هـ وكانت في محلّة بين السورين.

وقال الحموي بترجمة بين السورين في معجم البلدان:

بين السورين، اسم لمحلّة كبيرة كانت بالكرخ وبها كانت خزانة الكتب الّتي وقفها وزير بهاء الدولة، ولم يكن في الدنيا أحسن كتباً منها كانت كلّها بخطوط الأئمة المعتبرة وأصولهم المحرَّرة واحترقت في ما أُحرِقَ من محال الكرخ عند ورود طغرل بك أول ملوك السلجوقية إلى بغداد.

وقال ابن كثير[29] ـ أيضاً ـ بترجمة الشيخ أبي جعفر الطوسي، من

٢٨) البداية والنهاية ١٢/١٩.
٢٩) نفس المصدر ١٢/٩٧.

حوادث سنة ٤٦٠ هـ:

أُحرقت داره بالكرخ وكتبه سنة ٤٤٨ هـ.

وفُعل أكثر من ذلك مع مخازن كتب الخلفاء الفاطميّين بمصر كما ذكره المقريزي[٣٠] (ت: ٨٤٨ هـ) في ذكر الـخُزانات الّتي كانت في قصر الفاطميّين وقال عن خزانة الكتب:

وكانت من عجائب الدنيا ويقال: إنّه لم يكن في جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم من الّتي كانت بالقاهرة في القصر. ويقال: إنّها كانت تشتمل على ألفٍ وستّمائة ألف كتاب، وقال قبلها: (أخذ جلودها عبيدهم وإماؤهم برسم عمل ما يلبسونه في أرجلهم وأحرق ورقها تأوُّلاً منهم أنّها خرجت من قصر السلطان وأنّ فيها كلام المشارقة الّذي يخالف مذهبهم سوى ما غرق وتلف وحمل إلى سائر الاقطار وبقي منها ما لم يحرق وسفت عليه الرياح التراب فصار تلالاً باقية إلى اليوم في نواحي آثار تعرف بتلالِ الكتب).

* * *

أسّس مكتبة الكرخ وزير البويهيّين من أتباع مدرسة أهل البيت (ع). فلـمّا آستـولى السلجـوقيّون من أتباع مدرسة الخلفاء أحرقوها وأحرقوا مكتبة الشيخ الطوسي بالكرخ، وفعل أكثر من ذلك بخزائن كتب الخلفاء الفاطميّين بمصر عند آستيلاء صلاح الدين على الحكم.

يا ترى كم كتم عنّـا من سنّـة الرسـول (ص) بسبب تحريق الكتب والمكتبات الّتي كان أصحابها من مخالفي مدرسة الخلفاء ؟ وكم كان فيها أحاديث صحيحة مسلسلة عن رسول اللّه (ص) في حقّ آل الرسول من ضمنها أحاديثه في **الوصيّـة** ذهبت عنّا بسبب هذا النوع من **الكتمان؟** اللّه أعلم بذلك.

٣٠) خطط المقريزي ٢ /٢٥٥ و ٢٥٤.

وأهمّ من كلّ ما ذكرنا من أصناف كتمان سنّة الرسول (ص) تحريف سنّة الرسول وسيرة الصحابة الآتـي ذكره في البحثين التاليين:

ط ـ حذف بعض الخبر من سيرة الصحابة و تحريفه

من أنواع الكتمان بمدرسة الخلفاء حذف بعض الخبر وتحريفه، كما فعل ذلك آبن كثير في خطبة الإمام الحسين في تاريخه، فقد أورد الخطبة الطبريّ وآبن الأثير في تاريخيهما وفي لفظهما:

(أمّا بعد فآنسبوني، فآنظروا من أنا، ثمّ آرجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، هل يجـوز لكم قتلي وآنتهاك حرمتي ؟ ألست آبن بنت نبيّكم (ص) وآبن وصيّه وآبن عمّه وأوّل المؤمنين باللّه والمصدّق لرسوله بما جاء من عند ربّه ؟ أو ليس حمزة سيّد الشهداء عمّ أبـي ؟ أو ليس جعفر الطيار ذو الجناحين عمّي . . .)[31].

حرّف آبن كثير هذا الخبر في تاريخه ونقل أنّ الإمام الحسين قال:

(راجعوا أنفسكم وحاسبوها، هل يصلح لكم قتال مثلي، وأنا آبن بنت نبيكم، وليس على وجه الأرض آبن بنت نبـيّ غيري، وعليّ أبـي، وجعفر ذو الجناحين عمّي، وحمزة سيد الشهداء عمّ أبـي)[32].

* * *

إنّ آبن كثير حذف ذكر الوصيّة من خطبة الإمام الحسين، لأنّ ذكرها كما قلنا ينبّه العامّة على حقّ الإمام علـيّ وسبطي الرسول (ص) في الحكم وهو ما يسـوء السلطة نشر خبره، ثمّ حرّف الخطبة. وهذا نوع من أنواع الكتمان

٣١) تاريخ الطبري ط . أوربا ٢/٣٢٩ وتاريخ آبن الاثير، ط . أوربا ٤/٥٢ وط . مصر الأولى ٤/٢٥.

٣٢) ابن كثير ٧/١٧٩.

بمدرسة الخلفاء، ويوجد نظير هذا الحذف في سيرة الرسول (ص) وسنشير إلى شيء منه في الصنف العاشر من أصناف الكتمان الآتـي بحثه بعد هذا.

ي ـ وضع الروايات والأخبار المختلقة بدلاً من الروايات الصحيحة

من أنـواع الكتـمان بمـدرسـة الخلفـاء، وضع الأخبار المختلقة ونشر الروايات المختلقة بدلاً من الروايات الصحيحة. وإليك مثالاً واحداً منها:

روى الطبري في تاريخه خبر أبـي ذرّ وقال:

(وفي هذه السنة أعني سنة ثلاثين كان ما ذكر من أمر أبـي ذرّ ومعاوية وإشخـاص معاوية إيّاه من الشام إلى المدينة، وقد ذكر في سبب ذلك أمور كثيرة، كرهت ذكر أكثرها. فأمّا العاذرون معاوية في ذلك فإنّهم ذكروا في ذلك قصّة كتب إلـيّ بها السريّ يذكر أنّ شعيباً حدّثه سيف....) الحديث.

وتبعه ابن الأثير وقال ـ أيضاً ـ في ذكره حوادث سنة ٣٠ من الهجرة:

(وفي هذه السنة كان ما ذكر من أمر أبـي ذرّ وإشخاص معاوية إيّاه من الشـام إلى المـدينة، وقد ذكر في سبب ذلك أمور كثيرة من سبّ معاوية إيّاه وتهديده بالقتل وحمله إلى المدينة من الشام بغير وطاء ونفيه من المدينة على الوجه الشنيع لا يصلح النقل به...).

فمن هو سيف هذا الـذي أورد الـطبري القصّـة الّتي رواهـا في خبر أبـي ذرّ، وتمسّك بها العاذرون معاوية ؟ وما هو نوع أخباره و رواياته ؟

هو سيف بن عمر التميمي (توفّي حدود سنة ١٧٠ هـ) روى أخباراً عن عصر الرسول (ص) والسقيفة وبيعة أبـي بكر وحروب الردّة والفتوح وحرب الجمل.

وصفه علماء الرجال وقالوا في نعته:

ضعيف، متروك الحديث، ليس بشيء، كذّاب، كان يضع الأحاديث، اتّهم بالزندقة[٣٣].

نوع أخباره و رواياته

إختلق في رواياته آكثر من خمسين ومائة صحابيّ لرسول اللّه (ص) نشرنا دراسات مفصّلة عن ثلاثة وتسعين منهم في المجلدين الأول والثاني من كتاب (خمسون ومائة صحابيّ مختلق) جعل سيف تسعة وعشرين منهم من قبيلته تميم، إختلق لهم أخباراً في الفتوح وكثيراً من المعجزات والشعر ورواية الحديث، غير أن اللّه سبحانه وتعالى لم يخلق أشخاصهم ولا شيئاً من أخبارهم، بل اختلقهم سيف جميعاً، كما آختلق عشرات الرواة وروى عنهم أخباره، وقد نشرنا، في جزأي (عبداللّه بن سبأ) و(خمسون ومائة صحابيّ مختلق) دراسات عن نيف وسبعين راوياً منهم، تتبّعنا في حدود قدرتنا روايات سيف عنهم فوجدنا لراوٍ واحد منهم والّذي سماه محمّد بن سواد بن نويرة ٢١٦ رواية، ومنهم من روى عنه أقلّ من ذلك، إلى رواية واحدة.

وكذلك اختلق شعراء للعرب وقادة للفرس والرومان وأراضيَ في البلاد الإسلامية وغيرها، وحرّف سِنِي الحوادث التأريخية، كما حرّف أسماء أشخاص ذكروا في التاريخ الإسلامي، ونشر الخرافات بين المسلمين في ما آختلق منها في أحاديثه، وآختلق حروباً في الردّة والفتوح لم تقع، وذكر مئات الألوف ممّن قتلهم المسلمون قتلاً فظيعاً في تلك الحروب ممّا لم يكن

٣٣) كان ما ذكرناه نعض ما ذكره في وصفه علماء أمثال: يحيىٰ بن معين (ت: ٢٣٣ هـ)، أبي داود (ت: ٢٧٥ هـ)، النسائي صاحب الصحيح (ت: ٣٠٣ هـ)، ابن أبي حاتم الرازي (ت: ٣٢٧ هـ)، ابن حبان (ت: ٣٥٤ هـ)، الحاكم (ت: ٤٠٥ هـ) وتفصيل ما ذكروا في حقّ سيف ومصادر ترجمة سيف بكتاب (عبد اللّه بن سبأ) الجزء الأوّل.

شيء منها، و أشاع في ما وضع و آختلق أنّ الإسلام آنتشر بحدّ السّيف، و قد بيّنّا زيفها في أوّل الجزء الثاني من كتابنا (عبد اللّه بن سبأ) .

اِنتشرت رواياته الموضوعة في أكثر من سبعين مصدراً[٣٤] من كتب الحديث و التاريخ و الأدب و غيرها من مصادر الدراسات الإسلاميّة بمدرسة الخلفاء انتشر فيها ما روى سيف و اختلق منذ عصر الرسول (ص) حتّى عصر معاوية، و كان أكثر من أخذ عنه الطبريّ في تاريخه و روى عنه أمثال الأخبار[٣٥] الآتية :

أ ـ مسير الجيش على ماء البحر من الساحل إلى دارين مسيرة يوم و ليلة لسفن البحر، يمشون على مثل رملة ميثاء فوقها ماء يغمر أخفاف الإبل .

ب ـ تكليم الأبقار لعاصم بن عمرو التميمي الصحابي المختلق في حرب القادسية بلسان عربيّ فصيح . و إن بكيراً قال لفرسه أطلال عند نهر أراد أن يعبره يومئذ : (ثبي أطلال) . فنطقت و قالت : (وثباً و سورة البقرة) أي أنّها أقسمت بسورة البقرة، ثمّ وثبت !!!

ج ـ إنشاد الجنّ الشعر في فتح القادسية و ثناؤهم على موقف تميم في الحرب .

د ـ فتح السوس بضرب الدجال باب السوس برجله و قوله : (انفتح بظار) .

هـ ـ تكلّم الملائكة على لسان الأسود بن قطبة التميمي في فتح بهرسير.

٣٤) ذكرنا أسماء أكثرها في أوّل الجزء الأول من كتاب (خمسون و مائة صحابيّ مختلق) .

٣٥) راجع أخبارها في ذكر فتح دارين و القادسية و السوس و بهرسير و دراسة مقارنة لأخبار سيف هذه بروايات صحيحة لغيره في كتاب (خمسون و مائة صحابيّ مختلق) الجزء الأول بتراجم عفيف بن المنذر وعاصم بن عمرو و الأسود بن قطبة من الصحابة الّذين آختلقهم سيف بن عمر التميمي من قبيلته تميم .

ومن تاريخ الطبري آنتشرت أكاذيب سيف في كتب التاريخ الإسلامي الّتي أُلّفت بعده إلى عصرنا الحاضر كما سنشير إلى بعض ذلك فيما يأتي .

انتشار أحاديث سيف من تاريخ الطبري إلى كتب التاريخ و سببه

قال آبن الأثير في مقدمة تاريخه الكامل :

إنّي قد جمعت في كتابي هذا ما لم يجتمع في كتاب واحد، فآبتدأت بالتاريخ الكبير الّذي صنّفه الإمام أبو جعفر الطبري ، إذ هو الكتاب المعوّل عند الكافّة عليه و المرجوع عند الاختلاف إليه. . . . فلمّا فرغت منه أخذت غيره من التواريخ المشهورة فطالعته و أضفت إلى ما نقلته من تاريخ الطبري ما ليس فيه. . . . إلاّ ما يتعلّق بما جرى بين أصحاب رسول اللّه (ص) فإنّي لم أضف إلى ما نقله أبو جعفر شيئاً إلاّ ما فيه زيادة بيان أو آسم إنسان، أو ما لا يطعن على أحد منهم في نقله، على أنّي لم أنقل إلا من التواريخ المذكورة و الكتب المشهورة مـمّن يعلم صدقهم في ما نقلوه و صحّة ما دوّنوه. . .[٣٦] .

وقال آبن كثير بعد آنتهائـه من ذكر أخبار الصّحابة في الردّة و الفتوح و الفتن :

هذا ملخّص ما ذكـره آبن جرير الطبري ـ رحمه اللّه ـ عن أئمة هذا الشـأن، و ليس في ما ذكـره أهل الأهواء من الشيعة و غيرهم من الأحاديث المختلقة على الصّحابة و الأخبار الموضوعة الّتي ينقلونها بها فيها[٣٧] .

وقال آبن خلدون :

هذا آخر الكلام في الخلافة الإسلامية و ما كان فيها من الردّة و الفتوحات

٣٦) تاريخ آبن الأثير ط . مصر سنة ١٣٤٨ هـ ١/٥ .
٣٧) تاريخ آبن كثير ٧/٢٤٦ .

و الحروب ثمّ الاتّفاق و الجماعة ، أوردتها ملخّصة عيونها و مجامعها من كتب محمد بن جرير الطبري و هو تاريخه الكبير فإنّه أوثق ما رأيناه في ذلك و أبعد عن المطاعن و الشبه في كبار الأمّة من خيار الأمّة وعدولهم من الصحابة و التابعين[٣٨] .

نظرة تأمل في سبب آختيار كبار العلماء الأفذاذ

روايات سيف في أخبار صدر الاسلام

قال الطبري في خبر أبـي ذرّ الصحابـيّ الفقير ـ مثلاً ـ مع معاوية الأمير:

(كرهت ذكر أكثرها ، فأمّا العاذرون معاوية في ذلك فإنّهم ذكروا في ذلك قصّة . . . . عن سيف) .

و قال آبن الاثير:

(. . . مِنْ سبِّ معاوية إيّاه و تهديده بالقتل و حمله إلى المدينة من الشام بغير وطاء و نفيه من المدينة على الوجه الشنيع لا يصلح النقل به) . ثمّ أورد قصّة سيف و وصفهم كذلك بالعاذرين .

إنّ العالِـمَين الكبيـرَين لم يتركا روايات غير سيف لعدم آعتمادهما عليها ، بل لأنّهما لم يجدا فيها العذر للسّلطة الحاكمة ، ووجدا العذر عند العاذرين معاوية الأمير و عثمان الخليفة ، و هم سيف الزنديق و سلسلة رواته المختلقين ، فحشّىٰ الطبري تاريخه الكبير بروايات سيف ، و للسبب نفسه أخذ آبن الأثير روايات سيف من تاريخ الطبري ، و كذلك فعل آبن كثير حيث قال في آخر ذكره خبر واقعة الجمل من أخبار سنة ستّ و ثلاثين هجريّة عمّا نقله من أخبار سيف في حوادث ما بعد وفاة رسول اللّه (ص) إلى واقعة الجمل :

٣٨) تاريخ آبن خلدون ٢ / ٤٥٧ .

(هذا ملخّص ما ذكره آبن جرير الطبري ـ رحمه اللّه ـ عن أئمة هذا الشأن) و قصد من أئمة هذا الشأن الّذين ذكر آبن جرير الطبري الأخبار عنهم سيف الزنديق و رواته المختلقين.

و قد أفصح العلامة آبن خلدون أكثر منهم في سبب آختيارهم روايات سيف المنتشرة في تاريخ الطبري عن أخبار الخلافة أي بيعة الخلفاء و الردّة و الفتوح و الجماعة أي الاجتماع على بيعة معاوية و قال:

(إنّه أوثق ما رأيناه في ذلك و أبعد عن المطاعن و الشُّبهة في كبار الأمّة).

إذاً فإنّ روايات سيف في تاريخ الطبري عن تلك الأخبار أوثق عندهم، لأنّها أبعد عن المطاعن و الشُّبهة في كبار الأمّة من الصحابة و التابعين، وهم الخلفاء و الولاة و ذووهم، و إليكم دليلاً آخر على أنّه من المعيب أن يذكر ما يورد النقد على الكبراء و ينبغي البحث عن العذر لهم في ما يوجه النقد إليهم كيف ما كان؛ في خبر درء سعد بن أبي وقاص الحدّ عن أبي محجن و البحث عن العذر لسعد الأمير.

كان أبو محجن الثقفي كما في ترجمته من الاستيعاب و أسد الغابة و الإصابة، مدمناً للخمر وحدّه الخليفة عمر سبع مرّات لذلك، و أخيراً نفاه من المدينة، و التحق بسعد بن أبي وقّاص في حرب القادسية فقيّده لشربه الخمر و أطلقت زوجة سعد سراحه و كانت له مواقف مشهورة في الحرب، فدرأ سعد الحدّ عنه لموقفه و قال: و اللّه لا نجلدك على الخمر أبداً. قال أبو محجن: و إذن لا أشربها أبداً.

كان هذا خبر درء سعد الحدّ عن أبي محجن، و في هذا الشأن نقل آبن حجر في ترجمة أبي محجن في كتابه الإصابة عن كتاب آبن فتحون (ت: ٥١٩ هـ): (التذييل على آستيعاب أبي عمر بن عبدالبرّ) و قال:

(و قد عاب آبن فتحون أبا عمر على ما ذكره في قصة أبي محجن، أنّه

كان منهمكاً في الشراب ـ إلى قوله ـ: و أنكر آبن فتحون على من روى أنّ سعداً أبطل عنه الحدّ و قال: [لا يظنّ هذا بسعد] ثمّ قال: [لكن له وجه حسن] و لم يذكره و كأنّه أراد بقوله لا يجلده في الخمر بشرط أضمره و هو: إن ثبت عليه أنه يشربها، فوفّقه اللّه أن تاب توبة نصوحاً فلم يعد إليها. . .)[39].

* * *

هكـذا يبحث أتبـاع مدرسـة الخلفاء عمّا يرفع النقد عن الكبراء و هم الخلفاء و الولاة و ذووهم من الخلفاء الأوائل حتّى معاوية و مروان بن الحكم و يزيد بن معـاوية وولاتهم الّـذين يسمّـونهم الكـبراء أو كبراء الصّحـابـة و التابعين. و بما أنّ سيف بن عمر الزنديق عرف من أين تؤكل الكتف، فقد وضع روايات موافقة لرغبات جميع الطبقات بمدرسة الخلفاء مدى العصور، و طلا رواياته بطلاء الدفاع عن الخلفاء وذويهم في ما آنـتُقدوا عليه و نشر فضائلهم.

و تحت هذا الغـطاء السميك آستـطاع أن يخفي أهـدافـه في الطعن بالإسـلام و الإضرار به و نشر الخـرافـات الضـارّة بالعقـائـد الإسـلامية بين المسلمين، و كذلك آستطاع أن ينشر و يذيع بين الناس أنّ الإسلام آنتشر بحدّ السيف.

إستـطاع سيف أن يصل إلى كلّ أهدافه في ما آختلق بدافع زندقته. و سنورد أمثلة ممّا ذكرنا في ما يأتـي.

و من أمثلة نشره الخـرافات الضارّة بالعقيدة الإسلامية ما رواه في خبر الأسود العنسي المتنبي و خبر منـاجاة كسرى مع الرسول (ص) عند اللّه كالآتـي.

٣٩) الإصابة ٤/١٧٣ ـ ١٧٥.

أوّلاً ـ قصّة الأسود العنسي في روايات سيف

روى الطبري في قصة الأسود العنسي[40] عدة روايات عن سيف تتلخّص في ما يلي:

إنّ الأسود لـمّا آدّعى النبوة وتغلّب على اليمن وقتل ملكها شهر بن باذان وتزوّج آمرأته وأسند أمر الجيش إلى قيس بن عبد يغوث، وأسند أمر الأبناء ـ وهم أبناء الفرس باليمن ـ إلى فيروز وداذويه، كتب النبيّ (ص) إلى هؤلاء بقتال الأسود إمّا مصادمة أو غيلة. فآتّفقوا على آغتياله، فأخبره شيطانه فأرسل إلى قيس وقال: يا قيس! ما يقول الملك؟ قال قيس: وما يقول؟ قال: يقول: (عمدت إلى قيس فأكرمته حتّى إذا دخل منك كلّ مدخل، وصار في العزّ مثلك، مال ميل عدوّك؛ وحاول ملكك وأضمر على الغدر! إنّه يقول: يا أسود، يا أسود، يا سوءة! يا سوءة! إقطف قُنّته[41] وخذ من قيس أعلاه وإلاّ سلبك أو أخذ قُنّتك!)، فقال قيس: فحلف به وكذب: (وذي الخمار[42] لأنت أعظم في نفسي وأجلّ عندي من أنْ أحدّث بك نفسي)، قال الأسود: (ما أجفاك! أتكذب الملك؟! وعرفت الآن أنّك تائب ممّا آطلع عليه منك) يعني ما آطلع عليه شيطانه الّذي يسمّيه الملك.

وقال سيف: ثمّ خرج قيس وأخبر جماعته بما جرى له مع الأسود وتواطؤوا على إنفاذ ما آتّفقوا عليه من قتله، فدعا الأسود قيساً ثانية، وقال له: (ألم أخبرك الحقّ وتخبرني الكذابة إنّه يقول ـ يعني شيطانه الّذي يسمّيه

٤٠) نسبة إلى عنس بن مذحج وهم حيّ من زيد بن كهلان بن سبأ، ترجمتهم في أنساب آبن حزم ص ٣٨١.
٤١) إقطف قنته أي آقطع رأسه، وقنة كل شيء أعلاه مثل القلة.
٤٢) كان الأسود يلقب ذا الخمار أو ذا الحمار.

الملك ـ: يا سوءة ! يا سوءة ! إلاّ تقطع من قيس يده يقطع قُنّتك العليا) . فقال له قيس: (ليس من الحقّ أن أقتلك و أنت رسول اللّه فمُر بي بها أحببت، فإمّا الخوف و الفزع فأنا فيهما مخافة ! اقتلني ! فموتة أهون عليّ من موتات أموتها كلّ يوم)، قال سيف: فرقّ له فأخرجه ! و قال: دعا الأسود بمائة جزور بين بقرة و بعير، و خطّ خطاً فأقيمت من وراء الخطّ، و قام من دونها، فنحرها غير محبسة و لا معقّلة، ما يقتحم الخطَّ منها شيء، ثمّ خلاها فجالت إلى أن زهقت. و نقل سيف عن الراوي أنّه قال: (ما رأيت أمراً كان أفظع منه، و لا يوماً أوحش منه).

قال سيف: و تواطؤوا مع زوجته على آغتياله ـ ليلاً ـ فلـمّا دخلوا عليه ليقتلوه بادره فيروز، فأنـذره شيطانـه بمكان فيروز و أيقظه. فلـمّا أبطأ تكلّم الشيطان على لسانه و هو يغطُّ في نومه و ينظر إلى فيروز قال له: (مالي و لك يافيروز ؟). فدقَّ فيروز رقبته و قتله.

قال: (ثمّ دخل الباقون ليحتـزّوا رأسه، فحرّكه شيطانه فآضطرب فلم يضبطوا أمره حتّى جلس آثنان على ظهره و أخذت المرأة شعره، فجعل يبربر بلسـانه فآحتـزَّ الآخر رقبته فخار كأشدّ خوار ثور سمع قطّ، فآبتدر الحرس الباب، و قالوا: ماهذا ؟ فقالت المرأة: النبيّ يوحى إليه، فخمد. . .) الحديث.

* * *

روى هذا الخـبر عن سيف كلّ من الـطبري و الذهبي في تاريخيهما، و أخذه من الطبري كلّ من آبن الأثير و آبن كثير و آبن خلدون، غير أنّ الأخير أورده بإيجار.

دراسة خبر الأسود العنسي

أ ـ رواة الخبر:

روى سيف هذا الخبر في إحدى عشرة رواية رواها عن أربعة رواة آختلقهم وهم كلّ من:

١ ـ سهل بن يوسف الخزرجي السلمي.

٢ ـ عبيد بن صخر الخزرجي السلمي.

٣ ـ المستنير بن يزيد النخعي.

٤ ـ عروة بن غزية الدثيني.

هكذا تخيّلهم سيف الزنديق غير أنّ اللّه لم يخلق رواة بهذه الأسماء وإنّما آختلقهم سيف بن عمر لرواياته.

ب ـ دراسة متن الخبر:

قد قارنّا روايات سيف المختلقة في خبر الأسود العنسي بالروايات الصحيحة وبيّنا آختلاقه الروايات والرواة في هذا الخبر في الجزء الثاني من (عبد اللّه بن سبأ.)

ثانياً ـ خبر مناجاة كسرى مع الرسول عند اللّه في رواية سيف

روى سيف في قصّة مسير يزدجرد إلى خراسان بعد واقعة جلولاء وقال:

(كان يزدجرد بن شهريار بن كسرى وهو يومئذ ملك فارس، لمّا آنهزم أهل جلولاء خرج يريد الريّ وكان ينام في محمله والبعير يسير به ولا يعرسون، فآنتهوا به إلى مخاضة وهو نائم في محمله فأنبهوه ليعلم ولئلاّ يفزع إذا خاض البعير، فعنف وقال: بئسما صنعتم، واللّه لو تركتموني لعلمت ما مدّة هذه الأمّة، إنّي رأيت: أنّي ومحمّداً تناجينا عند اللّه، فقال له:

- إملكهم مائة سنة .

فقال : - زدني .

فقال : - عشراً و مائة سنة .

فقال : - زدني .

فقال : - عشرين و مائة سنة .

فقال : - لك .

و أنبهتموني ، فلو تركتموني لعلمت ما مدّة هذه الأمّة . . .)[٤٣] .

دراسة خبر مناجاة كسرى و الرسول (ص)

أ - دراسة رواة الخبر:

روى سيف أسطورة مناجاة كسرى و الرسول (ص) عند اللّه عن مختلقاته من الرواة الآتية أسماؤهم :

١ - محمّد ، و قد تخيّله : محمّد بن عبد اللّه بن سواد بن نويرة .

٢- المهلب ، و هو عنده : المهلب بن عقبة الأسدي .

٣ - عمرو ، و قد اختلق سيف راويين باسم عمرو ، تخيّل أحدهما : عمرو بن ريان و الآخر: عمر بن رفيل ، و بيّنّا اختلاقه هذه الأسماء في الجزء الأول من (عبداللّه بن سبأ) و (خمسون و مائة صحابيّ مختلق)

ب - دراسة متن الخبر :

درسنا متن هذا الخبر في أول الجزء الأول من (خمسون و مائة صحابيّ مختلق) و بيّنّا زيفه و لا حاجة لإعادة البحث في هذه العجالة .

ماذا استهدف الزنديق من وضع هذين الخبرين ؟

٤٣) راجع مصادره في البحث الأوّل من البحوث التمهيدية في الجزء الاول من (خمسون و مائة صحابيّ مختلق) .

زعم سيف أنّ الأسود الّذي آدّعى النبوة كان يخبر قيساً بكلّ ما ينويه مرّة بعد أخرى ويقول:

(قال الملك !) وكان الملك الّذي يخبره هو الشيطان! وظهرت من الأسود مدّعي النبوة معجزة باهرة حين خطّ خطّاً أوقف وراءه مائة جزور بين بقرة وبعير وقام من دونها ونحرها جميعاً غير محبسة ولا معقلة ما يقتحم الخطّ منها شيء، ثمّ خلاها فجالت إلى أن زهقت، وإنّ الراوي آستعظم هذا الأمر! وقال في الخبر الثاني: (إنّ كسرى رأى في المنام أنه آجتمع مع اللّه ورسوله في مؤتمر ثلاثي . . .) الحديث.

أليس مغزى الأسطورة الأولى أنّ نبيّ المسلمين آدّعىٰ النبوّة وكان من يسمّيه (الملك) يخبره بالغيب، وتصدر منه المعجزات.

والأسود العنسي أيضاً آدّعى النبوة وكان من يسمّيه (الملك) يخبره بالغيب وتظهر منه المعجزات؟ هل نشر الزنديق هذه الأسطورة دون أن يقصد إلقاء الشبهات في أذهان المسلمين ؟

وفي الأسطورة الثانية، ألم يقصد الزنديق الاستهزاء بربّ المسلمين ونبيّهم حين جمعهما في مؤتمر واحد مع عدوّهما يزدجرد ملك الفرس في ما رآه !! ؟

هكذا نقل كبار العلماء عن سيف أساطير الخرافة وحشوا بها كتب التاريخ الإسلامي وأصبحت تلك الأساطير جزءاً من مصادر الدراسات الإسلامية، وكذلك نشروا في كتب التاريخ الإسلاميّ ما أشاعه سيف الزنديق بأنّ الإسلام آنتشر بحدّ السيف، نظير الأخبار الآتية.

إشاعة الزنديق أنّ الإسلام آنتشر بالسيف و إراقة الدماء

أشاع سيف في ما آختلق من أخبار حروب الردّة والفتوح بأنّ الإسلام

آنتشر على وجه الأرض بحدّ السيف و إراقة الدماء؛ و ممّا آختلق بآسم حروب الردّة. الأكاذيب و التهويلات الآتية:

تهويلات و أكاذيب في ما رواه سيف من أخبار حروب الردّة

مهّد سيف لما أراد أن يذكر في حروب الردّة من تهويلات بما روى في روايات قصيرة له أوردها الطبري في أول أخبار الردّة، قال سيف فيها:

(كفرت الأرض و تضرّمت ناراً، و آرتدّت العرب من كلّ قبيلة خاصّتها أو عامّتها إلّا قريشاً و ثقيفاً). ثمّ ذكر آرتداداً في غطفان، و آمتناع هوازن من دفع الصدقة، و آجتماع عوام طيّء و أسد على طليحة، و آرتداد خواصّ بني سليم، و قال: (و كذلك سائر الناس بكلّ مكان) و قال: (و قدمت كتب أمراء النبيّ من كلّ مكان بآنتقاض القبائل خاصّتها، أو عامّتها).

و نقل الخبر كذلك آبن الأثير و آبن خلدون بتاريخيهما، و نقله آبن كثير بالمعنى حيث قال في تاريخه[٤٤]:

(ارتدّت العرب عند وفاة رسول اللّه (ص) ما خلا أهل المسجدين مكّة و المدينة).

ثمّ ذكر سيف في ما آختلقه من حروب الردّة كيف أرجع المرتدّون إلى الإسلام بحدّ السيف كما زعمه الزنديق في رواياته. و من أمثلة ما روى في حروب الردّة ما سمّاها بحرب الأخابث كالآتي:

ردّة عكّ و الأشعرين و خبر طاهر ربيب رسول اللّه(ص) في روايات سيف

و قال سيف في خبر الأخابث من عكّ:

كان أوّل من آنتفض بتهامة العكّ و الأشعرين لـمّا بلغهم نبأ وفاة

٤٤ البداية و النهاية ٦/٣١٢.

النبيّ (ص) تجمعوا وأقاموا على الأعلاب (طريق الساحل) فكتب بذلك طاهر إلى أبي بكر، ثمّ سار إليهم مع مسروق العكّي حتّى التقى بهم، فاقتتلوا، فهزمهم الله وقتلوهم كلّ قتلة، وأنتنت السّبل لقتلهم، وكان مقتلهم فتحاً عظيمًا.

وأجاب أبوبكر طاهراً ـ من قبل أن يأتيه كتابه بالفتح ـ: (بلغني كتابك تخبرني فيه مسيرك وآستنفارك مسروقاً وقومه إلى الأخابث بالأعلاب، فقد أصبت، فعاجلوا هذا الضرب ولا ترفهوا عنهم، وأقيموا بالأعلاب حتّى يأتيكم أمري). فسمّيت تلك الجموع ومن تأشب إليهم إلى اليوم الأخابث، وسمّي ذلك الطريق طريق الأخابث، وقال في ذلك طاهر بن أبي هالة:

ووالله لولا الله لاشيء غيره ... لما فضّ بالأجراع جمع العثاعث

فلم تر عيني مثل يوم رأيته ... بجنب صحارٍ في جموع الأخابث

قتلناهُمُ ما بين قُنَّة خامر ... إلى القيعة الحمراء ذات النبائث

وفئنا بأموال الأخابث عنوة ... جهاراً ولم نحفل بتلك الهثاهث

قال: وعسكر طاهر على طريق الأخابث، ومعه مسروق في عكّ ينتظر أمر أبي بكر.

* * *

أدار سيف خبر ردّة عكّ والأشعرين على من تخيّله طاهر بن أبي هالة، فمن هو طاهر في أحاديث سيف ؟

طاهر في أحاديث سيف

تخيّل سيف طاهر بن أبي هالة التميمي من أمّ المؤمنين خديجة وربيب رسول الله (ص) وعامله في حياته، وذكر من أخباره في عصر أبي بكر إبادته للمرتدّين من عكّ والأشعرين، ومن أحاديث سيف آستخرجوا ترجمته وذكروه في عداد الصّحابة في كلّ من الاستيعاب ومعجم الصّحابة وأسد

الغابة وتجريد أسماء الصّحابة والإصابة وغيرها، وكذلك ترجم في معجم الشعراء وسير النبلاء.

وذكر خبره في تواريخ الطبري وآبن الأثير وآبن كثير وآبن خلدون وميرخواند.

وآعتمد (شرف الدين) على هذه المصادر وذكر آسم طاهر في عداد أسماء الشّيعة من أصحاب عليّ في كتابه (الفصول المهمّة).

وآعتماداً على أخبار سيف ترجم البلدانيون الأعلاب والأخابث في عداد الأماكن مثل الحموي في معجم البلدان وعبد المؤمن في مراصد الاطلاع.

مناقشة الخبر

روى سيف أخبار طاهر في خمس من رواياته في أسانيدها خمس رواة آختلقهم بآسم سهل عن أبيه يوسف السلمي وعبيد بن صخر بن لوذان وجرير بن يزيد الجعفي وأبي عمرو مولى طلحة.

ولم يكن وجود لردة علّك والأشعرين.

ولم يخلق الله أرضاً بآسم الأعلاب والأخابث.

ولا صحابيّاً شيعيّاً ربيباً لرسول الله (ص) من أُمّ المؤمنين خديجة آسمه طاهر بن أبي هالة.

ولم تقع حرب الإبادة لعلّك والأشعرين المرتدّين كما تخيّلها سيف، ولا الرواة الّذين روى عنهم أخبار طاهر وردة علّك والأشعرين والأخابث.

اختلق سيف الردّة، وحربها، والأراضي، والشعر، وكتاب أبي بكر، والصحابيّ، والرواة، ووصل من خلالها إلى هدفه أنّ الناس آرتدّوا بعد رسول الله (ص) عامّة عدا قريش وثقيف، وهكذا حاربهم المسلمون حرب إبادة، وقد ناقشنا كلّ هذه الأخبار وأسانيدها في ترجمة من

سمّاه بطاهر بن أبـي هالة في الجزء الأول من كتاب (خمسون ومائة صحابـيّ مختلق).

كانت هذه إحدى حروب الردّة الّتي آختلقها سيف، ومـمّا آختلق من حروب الردّة وآختلق أخبارها، ما سمّاه بردّة طيّء وردّة أُمّ زمل وردّة أهل عمان والمهرة وردّة اليمن الأولى وردّة اليمن الثانية.

اختلق آرتداد تلك القبائل والبلاد وحروبها وحروب ردّة أخرى زعم أنها وقعت في **عصر** أبـي بكر، كذب **فيها جميعاً**. وكذب وآفترى في ذكر عدد من قتل في تلك المعارك وذكر تهاويل **مزعومة سوّد** بها وجه التاريخ الإسلامي الناصع، وكذلك فعل في أخبار الفتوح حيث ذكر معارك لم تقع، وقتلاً وإبادة من قبل جيوش المسلمين لم يكن لها وجود في التاريخ بتاتاً كالآتـي ذكرهما.

فتح أليس وتخريب مدينة أمغيشيا في أحاديث سيف

روى الطبري عن سيف في خبر أليس وأمغيشيا من فتوح سواد العراق وقال في خبر أليس:

فآقتتلوا قتالاً شديداً والمشركون يزيدهم كَلَباً وشدّة ما يتوقّعون من قدوم بهمن جاذويه، فصـابـروا المسلمين للّذي كان في علم اللّه أن يصيرهم إليه وحَـرِبَ المسلمون عليهم، وقال خالد: اللهمّ إنّ لك عليّ إن منحتنا أكتافهم ألاّ أستبقي منهم أحداً قدرنا عليه حتى أجري نهرهم بدمائهم، ثمّ إنّ اللّه عزّ وجـلّ كشفهم للمسلمـين ومنحهم أكتافهم، فأمر خالد مناديه فنادى في الناس: الأسـرَ الأسـرَ، لا تقتلوا إلاّ من آمتنع فأقبلت الخيول بهم أفواجاً مستأسرين يساقون سوقاً وقد وكلّ بهم رجالاً يضربون أعناقهم في النهر، ففعل ذلـك بهم يومـاً وليلة، وطلبـوهم الغد وبعد الغد حتّى آنتهوا إلى النهرين ومقدار ذلك من كلّ جوانب أليس، فضرب أعناقهم وقال له القعقاع وأشباه

له: لو أنّك قتلت أهل الأرض لم تجرِ دماؤهم إنّ الدماء لا تزيد على أن ترقرق منذ نهيت عن السيلان ونُهيت الأرض غن نشف الدماء، فأرسل عليها الماء، تبرّ بيمينك، وقد كان صدّ الماء عن النهر فأعاده فجرىٰ دماً عبيطاً فسمّى نهر الدم لذلك الشأن إلى اليوم. وقال آخرون منهم بشير بن الخصاصية وبلغنا أنّ الأرض لما نشفت دم ابن آدم نُهيت عن نشف الدماء ونُهي الدم عن السيلان إلّا مقدار برْده.

وقال: كانت على النهر أرحاء فطحنت بالماء وهو أحمر قوت العسكر ثمانية عشر ألفاً أو يزيدون ثلاثة أيام. . . .

وقال بعده في خبر هدم مدينة أمغيشيا:

لـمّا فرغ خالد من وقعة أليس، نهض فأتى أمغيشيا وقد أعجلهم عمّا فيها وقد جلا أهلها وتفرقوا في السواد، فأمر خالد بهدم أمغيشيا وكلّ شيء كان في حيزها، وكانت مصراً كالحيرة، وكانت أليس من مسالحها، فأصابوا فيها ما لم يصيبوا مثله قطّ.

إختلق سيف جميع هذه الأخبار بتفاصيلها مع رواتها ولنتأمّل في ما وضع و آختلق في الخبرين.

نظرة تأمل في رواية سيف عن أليس و مدينة أمغيشيا

قال سيف:

في وقعة أليس آلىٰ خالد أن يجري نهرهم بدمائهم، فلـمّا غلب غيّر مجرى الماء من نهرهم و آستأسر فلول الجيش الفارسي والمدنيين من أهل الأرياف من كلّ جوانب أليس مسافة يومين وأقبلت الخيول بهم أفواجاً مستأسرين ووكلّ بهم رجالاً يضربون أعناقهم على النهر يوماً وليلة، والدم ينشف فقال له القعقاع ـ الصحابي الذي آختلقه سيف ـ وأشباهٌ له: لو قتلت

أهل الأرض لم تجر دماؤهم، أرسل عليها الماء تبرّ يمينك، فأرسل عليها الماء فأعاده فجرى النهر دماً عبيطاً فسميّ نهر الدم لذلك إلى اليوم. ثمّ قال: ذهب خالد إلى أمغيشيا وكانت مصراً كالحيرة فأمر بهدم أمغيشيا وكلّ شيء كان في حيزها وبلغ عدد قتلاهم سبعين ألفاً.

* * *

أمّا هدم مدينة أمغيشيا الّتي آختلق سيف المدينة وحيّزها وخبر هدمها، فقد كان له نظير في التاريخ من قبل طغاة مثل هولاكو وجنكيز وكذلك قتل الأسرى، غير أنّ سيفاً نسب إلى خالد ما لم يجرِ له نظير في تاريخ الحروب وهو أنه أجرى نهرهم بدمائهم، وأنّه لذلك سمّي نهرهم بنهر الدم إلى اليوم.

إختلق سيف كلّ هذه الأخبار وآختلق أخبار معارك الثني والمذار والمقر وفم فرات بادقلى وحرب المصيخ وقتلهم الكفّار يومذاك حتّى آمتلأ الفضاء من قتلاهم، فما شبهوهم إلاّ بغنم مصرّعة وكذلك معركة الزميل والفراض وقتل مائة ألف من الروم فيها.

إختلق سيف جميع أخبار هذه الحروب ونظائرها وآنتشرت في تواريخ الطبري وآبن الأثير وآبن كثير وآبن خلدون وغيرهم، ولا حقيقة لواحدة منها، وقد ناقشنا أخبارها وأسانيدها في بحث (انتشار الإسلام بالسيف والدم في حديث سيف) من كتاب (عبد اللّه بن سبأ) الجزء الثاني.

ألاَ يحقُّ لخصوم الإسلام مع هذا التاريخ المزيّف أن يقولوا: (إنّ الإسلام انتشر بحدّ السيف) ! ؟

وهل يشكّ أحد بعد هذا في هدف سيف من وضع هذا التاريخ وما نواه من سوء للإسلام ؟ ! وما الدافع لسيف إلى كلّ هذا الدّس والوضع إن لم تكن الزندقة الّتي وصفه العلماء بها ! ؟

وأخيراً هل خفي كلُّ هذا الكذب والافتراء على إمام المؤرخين الطبري ؟

وعلّامتهم آبن الأثير؟ ومكثرهم ابن كثير؟ وفيلسوفهم آبن خلدون ؟ وعلى عشرات من أمثالهم، كآبن عبد البرّ وآبن عساكر والذهبي وآبن حجر؟

كلّا فإنّهم هم الّذين وصفوه بالكذب ورموه بالزندقة ! وقد ذكر الطبري وآبن الأثير وآبن خلدون في تواريخهم في وقعة ذات السلاسل: أنّ ما ذكره سيف فيها خلاف ما يعرفه أهل السير!

إذاً فما الّذي دعاهم إلى آعتماد رواياته دون غيرها مع علمهم بكذبه وزندقته، إنْ هو إلّا أنّ سيفاً حلّى مفترياته بإطارٍ من نشر مناقب ذوي السلطة من الصحابة، فبذل العلماء وسعهم في نشرها وترويجها، مع علمهم بكذبها ؟ ففي فتوح العراق ـ مثلاً ـ أورد مفترياته تحت شعار مناقب خالد بن الوليد، فقد وضع على لسان أبـي بكر أنّه قال بعد معركة أليس وهدم مدينة أمغيشيا: (يامعشر قريش عدا أسدكم على الأسد فغلبه على خراذيله، أعجزت النساء أن ينشئن مثل خالد).

كما زيّن ما آختلق في معارك الـرِدّة بإطار من مناقب الخليفة أبـي بكر، وكذلـك فعـل في ما روى وآختلق عن فتوح الشام وإيران على عهد عمر، والفتن في عصر عثمان، وواقعة الجمل في عصر علـيّ، فإنّه زيّن جميعها بإطارٍ من مناقب ذوي السلطة والدفاع عنهم في ما آنتقدوا عليه وبذلك راجت روايات سيف وشاعت أكاذيبه ونسيت الروايات الصحيحة وأُهملت، على أنّه ليس في ما وضعه سيف وآختلق ـ على الأغلب ـ فضيلة للصحابة بل فيه مذمّة لهم.

ولست أدري كيف خفي على هؤلاء أنّ جلب خالد عشرات الألوف من البشر وذبحهم على النهر ليجري نهرهم بدمائهم ليست فضيلة له، ولا هدمه مدينة أمغيشيا ولا نظائرها إلّا على رأي الزنادقة في الحياة من أنّها سجن للنور،

وأنّه ينبغي السعي في إنهاء الحياة لإنقاذ النور من سجنه[٤٥].

ومهما يكن من أمر، فإنّ بضاعة سيف المزجاة إنّما راجت لأنّه طلاها بطلاء من مناقب الكبراء، وإنّ حرص هؤلاء على نشر فضائل ذوي السلطة والدفاع عنهم أدّى بهم إلى نشر ما في ظاهره فضيلة لهم وإن لم تكن لهم في واقعه فضيلة !

والأنكى من ذلك أنّ سيفاً لم يكتف بآختلاق روايات في ظاهرها مناقب للصحابة من ذوي السلطة ويدسّ فيها ما شاء لهدم الإسلام، بل آختلق صحابة للرسول (ص) لم يخلقهم اللّه! ووضع لهم ما شاء من كرامات وفتوح وشعر ومناقب كما شاء! وذلك معرفة منه بأنّ هؤلاء يتمسّكون بكلّ ما فيه مناقب لأصحاب الحكم كيف ما كان، فوضع وآختلق ما شاء لهدم الإسلام ! آعتماداً منه على هذا الخلق عند هؤلاء ! وضحكاً منه على ذقون المسلمين ! ولم يخيّب هؤلاء ظنّ سيف، وإنّما روّجوا مفترياته زهاء ثلاثة عشر قرناً !

* * *

أوردنا إلى هنا أمثلة ممّا آختلقه سيف للطّعن بالإسلام وأطرهُ بإطار مناقب كبراء الصحابة والتابعين أي ذوي السلطة منهم، وفي ما يأتي ندرس أمثلة أخرى منها ممّا أطرهُ بإطار حلّ معضلة مدرسة الخلافة مدى القرون، كما سيأتي بيانها.

كانت شهرة الإمام عليّ (ع) بالوصيّ

معضلة مدرسة الخلافة مدى القرون

رأينا في ما مرَّ بنا كيف دارت المعركة الكلامية بين المدرستين حول نصّ

(٤٥) راجع بحث الزندقة والزنادقة من البحوث التمهيدية في الجزء الأوّل من (خمسون ومائة صحابيّ مختلق).

الوصية مدى سبعمائة سنة منذ عهد أمّ المؤمنين عائشة حتّى عصر آبن كثير، لأن نصّ الوصيّة كان يُشخِّص قصد الرسول (ص) في سائر النصوص الّتي نصّ بها على حقّ آله في الحكم بدءاً بالإمام علـيّ و آنتهاءً بالإمام المهدي، مثل حديث الغدير وحديث أنّ عليّاً ولي الأمر بعد الرسول (ص) ووارثه، إلى غيرهما. بينما كانت مدرسة الخلفاء تؤوّل تلك النّصوص إلى مدلول الفضيلة لآل الرسول (ص). وممّا يوضّح ذلك أنّ علماء أهل الكتاب ـ مثلاً ـ عندما كانوا يتكلّمون عن وصيّ خاتم الأنبياء، ما كانوا يعنون غير وليّ عهده من بعده.

وأنّ أنصار الإمام علـيّ (ع) عندما كانوا يذكرون الوصيّة في خطبهم وأشعارهم. يحتجّون بها على حقّ الإمام علـيّ (ع) في الحكم مثل أبـي ذرّ على عهد عثمان ومالك الأشتر يوم بيعة الإمام علـيّ (ع) ومحمّد بن أبـي بكر في كتابه لمعاوية،و المهاجرين والأنصار في أشعارهم في الجمل وصفّين، والإمام الحسن (ع) عندما خطب ليبايع له، والإمام الحسين عندما خطب على جيش الخلافة بكربلاء، كلّهم كانوا يحتجّون بالوصيّة، لأنّها كانت تشير إلى جميع النّصوص الّتي وردت بحقّهم وتشملها، فكأنّهم في آحتجاجهم بالوصيّة يدلون بجميع تلك النّصوص.

وإنّ قيام العلويّين المطالبين بالحكم لم ينته بآستشهاد الإمام الحسين (ع) وإنّما آستمرّت ثوراتهم على الخلفاء حتّى عصر العباسيين، وكان في مقدمة ما يضايق مدرسة الخلفاء في كلّ تلكم القرون في المعركة السياسية شُهرة الإمام علـيّ (ع) بأنّه وصيّ النبيّ (ص) لما كان يحتجّ بها المطالبون بالحكم من العلويين باعتبار أنّها تدلّ كما ذكرنا آنفاً على نصّ النّبيّ (ص) بحقّ الإمام علـيّ (ع) وولده في الحكم.

ومن ثمّ لـمّا أراد المأمون تهدئة ثورات العلويّين تظاهر بالاستدلال بالوصيّة وولّى الإمام الرضا العهد من بعده، وبذلك هدّأ العلويّين في كلّ مكان

وجلب رؤوسهم إلى عاصمته و قضى على جُلّهم بالسُّمّ و آنتصر عليهم.

إذاً كانت شهرة الإمام عليّ (ع) بالوصيّة هي معضلة مدرسة الخلفاء مدى القرون، فكيف حلّ سيف هذه المعضلة ؟

سيف يضع حلًّا لمعضلة مدرسة الخلفاء

مرّ بنا كيف كانت مدرسة الخلفاء تعمد إلى كتمان كلّ ما فيه ذكر للوصيّة حذفاً و تحريفاً وطعناً على رواة الحديث و المحتجّين به، و تأويلاً للنصوص الصريحة للوصيّة، و لم يبلغ أحدهم شأو سيف في ما وضع من حلّ لهذه المشكلة العويصة بتحريفه الحقائق إلى ما يناقضها في ما آختلقه من روايات نذكرها في ما يأتي:

أ ـ روى الطبري[٤٦] في أول أخبار سنة خمس و ثلاثين للهجرة الرواية الآتية:

(عن سيف، عن عطية، عن يزيد الفقعسي، قال: كان عبدالله بن سبأ يهوديّاً من أهل صنعاء، أمّه سوداء، فأسلم زمان عثمان، ثمّ تنقّل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم، فبدأ بالحجاز ثمّ البصرة ثمّ الكوفة ثمّ الشام. فلم يقدر على مايريد عند أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتّى أتىٰ مصر فآعتمر فيهم، فقال لهم في مايقول: لَعَجَبٌ ممّن يزعم أنّ عيسى يرجع ويكذب بأنّ محمّداً يرجع و قد قال الله عزّ وجلّ: ﴿ إنّ الّذي فرض عليك القرآن لرادُّك إلى معاد ﴾ فمحمّد أحقُّ بالرجوع من عيسى، قال: فقبل ذلك عنه فوضع لهم الرجعة فتكلّموا فيها، ثمّ قال لهم بعد ذلك: إنّه كان ألف نبيّ ولكلّ نبيّ وصيّ، و كان عليّ وصيّ محمّد. ثمّ قال: محمّد خاتم الأنبياء، و عليّ خاتم

٤٦) تاريخ الطبري، ط. أوربا ١/٢٩٤١ ـ ٢٩٤٤.

الأوصياء. ثمّ قال بعد ذلك: من أَظْلَمُ ممن لم يُجز وصيّة رسول اللّه (ص) ووثب على وصيّ رسول اللّه (ص) وتناول أمر الأمّة؟ ثمّ قال لهم بعد ذلك: إنّ عثمان أخذها بغير حقّ، وهذا وصيّ رسول اللّه (ص) فآنهضوا في هذا الأمر فحركوه وآبدأوا بالطّعن على أُمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا النّاس وآدعوهم إلى هذا الأمر.

فبثّ دعاته وكاتب من كان آستفسد في الأمصار، وكاتبوه ودعوا في السرّ إلى ما عليه رأيهم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولاتهم ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك، ويكتب أهل كلّ مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون، فيقرأه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم حتّى تناولوا بذلك المدينة. وأوسعوا الأرض إذاعة وهم يريدون غير ما يُظهرون ويسرّون غير ما يُبدون، فيقول أهل كلّ مصر: إنّا لفي عافية ممّا آبتلى به هؤلاء، إلاّ أهل المدينة، فإنّهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار فقالوا: إنّا لفي عافية ممّا فيه النّاس وجامعه محمّد وطلحة من هذا المكان، قالوا: فأتوا عثمان فقالوا: يا أمير المؤمنين، أيأتيك عن النّاس الّذي يأتينا، قال: لا واللّه ما جاءني إلاّ السلامة، قالوا: فإنّا قد أتانا وأخبروه بالّذي اسقطوا إليهم، قال: فأنتم شُركائي وشُهود المؤمنين، فأشيروا عليّ، قالوا: نشير عليك أنْ تبعث رجالاً ممن تثق بهم إلى الأمصار حتّى يرجعوا إليك بأخبارهم. فدعا محمّد بن مسلمة فأرسله إلى الكوفة وأرسل أسامة بن زيد إلى البصرة وأرسل عمّار بن ياسر إلى مصر وأرسل عبداللّه بن عمر إلى الشام وفرّق رجالاً سواهم، فرجعوا جميعاً قبل عمّار فقالوا: أيّها النّاس ما أنكرنا شيئاً ولا أنكره أعلام المسلمين ولا عوامّهم وقالوا جميعاً: الأمر أمر المسلمين إلاّ أنّ أمراءهم يقسطون بينهم ويقومون عليهم، وآستبطأ النّاس عمّاراً حتّى ظنّوا أنّه قد آغتيل، فلم يفجأهم إلاّ كتاب من عبداللّه بن

سعد بن أبـي سرح يخبرهم أنّ عمّاراً قد آستماله قوم بمصر وقد آنقطعوا إليه، منهم عبدالله بن السوداء وخالد بن ملجم وسودان بن حمران وكنانة بن بشر).

ب - روى الذهبي[٤٧] في أوائل ذكره أخبار سنة خمس وثلاثين هجرية الحديثين الآتيين:

أوّلاً - (قال سيف بن عمر عن عطية، عن يزيد الفقعسي، قال: لـمّا خرج آبن السوداء إلى مصر نزل على كنانة بن بشر مرّة وعلى سودان بن حمران مرّة، وآنقطع إلى الغافقي، فشجّه الغافقي فكلّمه، وأطاف به خالد بن ملجم وعبد الله بن رزين وأشباهٌ لهم فصرف لهم القول فلم يجدهم يُجيبون إلى الوصية ...) إلى آخر الحديث الطويل.

ثانياً - روى بعد هذا الحديث خبر عمّار في مصر كالآتي:

(قال سيف: عن مبشر وسهل بن يوسف، عن محمّد بن سعد بن أبي وقاص، قال: قدم عمّار بن ياسر من مصر وأبي يسأل، فبلغه فبعثني إليه أدعوه، فقام معي وعليه عمامة وسخة وجبّة فراء، فلـمّا دخل على سعد قال له: ويحك يا أبا اليقظان، إن كنت فينا لمن أهل الخير فما الّذي بلغني عنك من سعيك في فساد بين المسلمين والتألُّب على أمير المؤمنين أمعك عقلك أم لا؟ فأهوى عمّار إلى عمامته وغضب فنزعها وقال: خلعت عثمان كما خلعتُ عمامتي هذه. فقال سعد: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ويحك حين كبرت سنّك ورقّ عظمك ونفد عمرك، خلعت ربقة الإسلام من عنقك وخرجت من الدين عرياناً. فقام عمّار مغضباً مولّياً وهو يقول: أعوذُ بربِّـي من فتنة سعد. فقال

٤٧) تاريخ الإسلام ٢/١٢٢ - ١٢٨.

سعد: ألا في الفتنة سقطوا، اللهمّ زد عثمان بعفوه و حلمه عندك درجات، حتّى خرج عمّار من الباب. فأقبل عليّ سعد يبكي حتّى أخضل لحيته وقال: من يأمن الفتنة، يا بُنيّ لا يخرجنَّ منك ما سمعت منه فإنّه من الأمانة وإنّي أكره أن يتعلّق به الناس عليه يتناولونه، وقد قال رسول اللّه (ص): الحقّ مع عمّار مالم تغلب عليه ولهة الكبر، فقد وله وخرف. وممّن قام على عثمان، محمّد بن أبي بكر الصدّيق، فسأل سالم بن عبداللّه في ما قيل عن سبب خروج محمّد، قال: الغضب و الطمع وكان من الإسلام بمكان، و غرّه أقوام فطمع وكانت له دالّة و لزمه حقّ فأخذه عثمان من ظهره.

ج - روى الطبري[48] في أخبار سنة ثلاثين أمر أبي ذرّ كالآتي:

(عن سيف، عن عطية، عن يزيد الفقعسي، قال: لما ورد آبن السوداء الشام لقي أبا ذرّ فقال: يا أبا ذرّ ألا تعجب إلى معاوية يقول: المال مال اللّه، ألا إنّ كلّ شيء للّه كأنّه يريد أنْ يحتجنه دون المسلمين و يمحو آسم المسلمين، فأتاه أبو ذرّ فقال: ما يدعوك إلى أنْ تُسمّي مال المسلمين مال اللّه؟ قال: يرحمك اللّه يا أبا ذر، ألسنا عباد اللّه و المال ماله و الخلق خلقه و الأمر أمره، قال: فلا تقله. قال: فإنّي لا أقول إنّه ليس للّه، ولكن سأقول مال المسلمين. قال: وأتى آبن السوداء أبا الدرداء فقال له: من أنتَ؟ أظنُّك و اللّه يهوديّاً. فأتى عبادة بن الصامت فتعلّق به فأتى به معاوية فقال: هذا و اللّه الّذي بعث عليك أبا ذرّ. وقام أبو ذرّ بالشام و جعل يقول: يا معشر الأغنياء واسُوا الفقراء، بشِّر الّذين يَكْنِزون الذّهب و الفضّة و لا يُنْفِقونها في سبيل اللّه بمكاوٍ منْ نارٍ تُكوى بها جِباهُهُم و جُنُوبُهم و ظُهُورهُم، فما زال حتّى ولع الفقراء بمثل ذلك و أوجبوه على الأغنياء وحتّى شكا الأغنياء ما يلقون من النّاس. فكتب معاوية

٤٨) تاريخ الطبري، ط. أوربا ١/٢٨٥٨ - ٢٨٥٩.

إلى عثمان: إنّ أبا ذرّ قد أعضل بـي و قد كان من أمره كيت و كيت. فكتب إليه عثمان: إنّ الفتنة قد أخرجت خطمها و عينها فلم يبق إلاّ أنْ تثب فلا تنكأ القرح وجهّز أبا ذرّ إليّ و آبعث معه دليلاً وزوده و آرفق به و كفكف الناس و نفسك ما آستطعت فإنّـما تمسك ما آستمسكت، فبعث بأبـي ذرّ ومعه دليل، فلـمّا قدم المدينة ورأى المجالس في أصل سلع قال: بشّـر أهل المدينة بغارة شعواء وحرب مذكـار. ودخـل على عثـمان فقال: يا أبا ذرّ ما لأهل الشام يشكون ذَرَبك؟ فأخبره أنّه لا ينبغي أنْ يقال مال اللّه و لا ينبغي للأغنياء أنْ يقتنوا مالاً، فقال: يا أبا ذرّ عليّ أنْ أقضي ما عليَّ و آخذ ما على الرعية و لا أجبرهم على الزُّهد و أنْ أدعوهم إلى الاجتهاد و الاقتصاد، قال: فتأذنُ لي في الخروج؟ فإنّ المدينة ليست لي بدار. فقال: أوَ تستبدل بها إلاّ شـرّاً منها، قال: أمرني رسول اللّه (ص) أنْ أخرج منها إذا بلغ البناء سلعاً. قال: فآنفذ بما أمرك به. قال: فخـرج حتى نزل الـربـذة فخطّ بها مسجداً و أقطعه عثمان صرمة من الإبل و أعطاه مملوكين و أرسل إليه أنْ تعاهد المدينة حتّى لا ترتد أعرابيّاً، ففعل).

دراسة روايات سيف في أخبار الفتن

إختلق سيف هذه الأخبار ونظائرها في الدفاع عن الخلفاء الأمويين: عثمان، ومعاوية، ومروان، والولاة: الوليد، وسعد بن أبـي سرح، وغيرهم من كبراء بني أميّة، فراجت قصصه المختلقة في أخبار تلك الفتن، و آنتشرت في مصادر الدراسات الإسلاميّة آنتشار النّار في الهشيم، كما برهنّا على ذلك في أوّل الجـزء الأوّل من (عبد اللّه بن سبأ)، وأثبتنا الصحيح من أخبار تلك الفتن في فصـل (في عصر الصهـرين) وفصـل (مع معـاوية) من كتـابنـا (أحاديث أمّ المؤمنين عائشة) الجزء الأول، ونشير في ما يأتـي إلى أمثلة من أنواع الاختلاق و التحريف في روايات سيف السابقة.

الاختلاق و التحريف في روايات سيف الآنفة الذكر

أوّلاً ـ أمثلة من الاختلاق في الروايات السابقة :

أ ـ إختلق سيف رواة الحديث: عطية ومبشر وسهل بن يوسف ويزيد الفقعسي وهذا بيانه:

أمّا عطية، فقد تخيّله سيف: آبن بلال بن أبي بلال، هلال الضّبّي وآختلق له آبناً سمّاه الصّعب، وأسند إليهم رواية بعض مختلقاته من الروايات؛ تارة يروي الابن منهم عن أبيه، وتارة يروي عن غيره، وهؤلاء درسناهم وأحصينا الروايات الّتي أسندها سيف إليهم في كتابنا (رواة مختلقون)، وقارنّا بين بعض ما أسند إليهم سيف من روايات في ترجمة القعقاع الصحابي المختلق بكتابنا (خمسون ومائة صحابي مختلق) الجزء الأوّل، وفي خبر العلاء الحضرمي بكتابنا (عبد اللّه بن سبأ) الجزء الأوّل.

وسهل بن يوسف تخيّل سيف نسبه هكذا: سهل بن يوسف بن سهل بن مالك الأنصاري، وقد ترجمناهم وأحصينا روايات سيف عنهم في كتاب (رواة مختلقون) ودرسنا روايات سيف عنهم في ترجمة القعقاع بكتاب (خمسون ومائة صحابي مختلق).

ومبشر تخيّله: مبشر بن فضيل وقد درسناه ودرسنا رواية سيف عنه في خبر السقيفة بكتابنا (عبد اللّه بن سبأ) الجزء الأوّل.

ويزيد الفقعسي، لم نجد له ذكراً في ما بحثنا من كتب الحديث والسير والتاريخ والأدب والأنساب والطبقات وتراجم الرجال عدا خمس روايات لسيف في تاريخ الطبري ورواية واحدة له في تاريخ الإسلام للذهبي، وكأنّ اللّه لم يخلقه إلّا ليروي سيف عنه، ولذلك آعتبرناه من مختلقات سيف من الرواة.

ب ـ اختلق سيف، الغافقي وغيره، في متون الأحاديث السابقة ونترك إحصاء ما آختلق فيها والبرهنة عليها، لئلاّ يطول بنا الكلام.

وآختلق في متون الأحاديث السابقة أيضاً الأخبار الآتية:

أ ـ قصة عبد اللّه بن سبأ في تلك الفتن ويكفي لمعرفة ما آختلقة مقارنتها بالأخبار الصحيحة الّتي أوردناها في فصلي (في عصر الصهرين) و (مع معاوية) من كتاب (أحاديث عائشة) الجزء الأوّل.

ب ـ من ضمن هذه الأخبار المختلقة متابعة الصحابيين عمّار وأبي ذرّ لعبد اللّه بن سبأ الذي تخيَّله يهودياً من أهل اليمن... وألحق بهما في متابعتها عبد اللّه بن سبأ، صحابة وتابعين آخرين وسمّى جميعهم بالسَّبائيَّة.

ج ـ إختلق خبر إرسال الخليفة عثمان رجالاً إلى الأمصار لتحقيق ما تصل إليه من الشكاوي، وتخيّلهم هكذا: محمد بن مسلمة إلى الكوفة، وأسامة بن زيد إلى البصرة، وعمّار بن يارسر إلى مصر، وعبد اللّه بن عمر إلى الشّام، وأنّ جميعهم رجعوا يخبرون عن رضا النّاس عن ولاتهم ما عدا عمّار بن ياسر الّذي تبع عبد اللّه بن سبأ اليهودي وبقي في أرض مصر يفسد فيها.

إختلق سيف جميع تلك الأخبار بتفاصيلها، ولم يرد ذكر شيء منها عند أيّ واحد من المؤرخين غيره. والخبر الصحيح في ذلك ما ذكرناه في كتاب (أحاديث عائشة) عن أنساب الأشراف للبلاذري وغيره.

د ـ إختلق خبر أبي ذرّ مع معاوية وحرّفه والروايات الصحيحة في خبره ـ أيضاً ـ ما أوردناه في كتاب (أحاديث عائشة).

هـ ـ إختلق غيرها مثل المكاتبات الّتي تخيل أنّها جرت بين الخليفة عثمان وعماله وغير ذلك.

ثانياً ـ أمثلة من التحريف في الروايات السابقة:

أ ـ تحريف في الأسماء:

حرّف اسم عبد الرحمن بن ملجم قاتل الإمام علي وعبد اللّه بن وهب السبائي من رؤساء الخوارج في حرب النهروان وسمّاهما خالد بن ملجم وعبد اللّه بن سبأ كما برهنّا على ذلك في فصل (تصحيف) وتحريف من كتاب (عبداللّه بن سبأ) الجزء الثاني.

ب ـ تحريف في الأخبار مثل:

تحريفه خبر عبادة بن الصامت ومعاوية. والصحيح منه ما أوردناه في فصل (مع معاوية) من كتاب (أحاديث عائشة).

وتحريفه خبر القول بالرجعة وقوله: إنّ آبن سبأ آخترعه، ويطول بنا البحث عن أدلّته في الكتاب والسنّة، ونقتصر على إيراد خبر واحد كالآتي:

لـمّا توفي رسول اللّه (ص) كان الصحابي أبو بكر بمنزله في السنح، وأخذ الصحابيّ عمر يقول: إنّ رجالاً من المنافقين يزعمون أنّ رسول اللّه توفّي. وأنّ رسول اللّه ما مات، ولكنّه ذهب إلى ربّه كما ذهب موسى بن عمران فغاب عن قومه أربعين ليلة ثمّ رجع بعد أن قيل مات، واللّه ليرجعنّ رسول اللّه[٤٩].

وتحريفه خبر القول بالوصيّة ونسبته إلى آبن سبأ اليهودي وقد مرّ بنا البحوث عنها في ما سبق.

وتحريفه رواية رسول اللّه (ص) في حقّ عمّار بقوله: (الحقّ مع عمّار ما لم تغلب عليه ولهة الكبر) وأنّ بسعداً قال: إنّ عمّاراً وله وخرف، بينا قال

٤٩) راجع تفصيل الخبر في فصل وفاة الرسول (ص) من كتاب (عبد اللّه بن سبأ)، الجزء الأوّل.

رسول الله (ص) في حقّه الحديث الآتـي :

عن عبد اللّه بن مسعود، قال قال رسول اللّه :

« إذا آختـلف النّاس، كان آبن سميّة مع الحقّ »[٥٠].

وفي طبقات آبن سعد[٥١] : قال الإمام علي في رثاء عمّار:

(إنّ عماراً مع الحقّ والحقّ معه، يدور عمّار مع الحقّ أينما دار).

إنّ سيف بن عمر حرّف هذه الأحاديث في حقّ عمّار وزاد فيها: (ما لم تغلب عليه ولهة الكبر).

ومن حديث رسول اللّه في عمّار ما رواه آبن هشام في خبر بناء مسجد الرسول (ص) أنّ رجلاً تعرّض لعمّار، فقال رسول اللّه (ص):

« ما لهم ولعمّار يدعوهم إلى الجنّة ويدعونه إلى النّار، إنّ عمّاراً جلدة ما بين عيني وأنفي، فإذا بلغ ذلـك من الـرجل فلم يستبق فآجتنبوه ». روى الحديث آبن هشام ولم يذكر آسم الرجل الذّي تعرض لعـمّار. وذكر أبو ذرّ في شرح سيرة آبن هشام أنّ هذا الرجل هو عثمان بن عفان، وتفصيل الخبر بكتاب (أحاديث عائشة)، فصل (في عصر الصهرين).

أمّا ابو ذرّ فقد قال رسول اللّه (ص) فيه:

« ما أظلت الخضراء وما أقلت الغبراء من رجل أصدق لهجة من أبـي ذرّ »[٥٢]

مقارنة خبر سيف في الفتن بأخبار غيره

قال الذهبي في تاريخه[٥٣] في خبر الفتن على عهد عثمان:

٥٠) راجع تاريخ الذهبي ٢/ ١٧٩. وتاريخ آبن كثير ٧/ ٢٧٠.

٥١) ط. بيروت ٣/٢٦٢.

٥٢) سنن آبن ماجة، المقدمة، باب ١١ ح ١٥٦. وسنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب ابـي ذر (رض). ومسند أحمد ٢/ ١٦٣ و ١٧٥ و ٢٢٣ و ٥/ ٣٥١ و ٣٥٦ و ٦/ ٤٤٢. وطبقات آبن سعد، ط. أوربا ٤/ق ١/ ١٦٨.

٥٣) ٢/ ١٢٢.

(عن الزهري قال: ولي عثمان فعمل ستّ سنين لا ينقم عليه النّاس شيئاً. وإنّه لأحبّ إليهم من عمر، لأنّ عمر كان شديداً عليهم. فلمّا وليهم عثمان لانَ لهم ووصلهم، ثمّ إنّه توانى في أمرهم واستعمل أقرباءه وأهل بيته في الستّ الأواخر، وكتب لمروان بخُمس مصر أو بخُمس أفريقية، وآثر أقرباءه بالمال وتأوّل في ذلك الصلة الّتي أمر اللّه بها، واتّخذ الأموال واستسلف من بيت المال، وقال: إنّ أبا بكر وعمر تركا من ذلك ما هو لهما، وإنّي أخذته فقسمته في أقربائي. فأنكر النّاس عليه ذلك.

قلت: وممّا نقموا عليه أنّه عزل عمير بن سعد عن حمص وكان صالحاً زاهداً، وجمع الشّام لمعاوية، ونزع عمرو بن العاص عن مصر، وأمر ابن أبي سرح عليها، ونزع أبا موسى الأشعري عن البصرة وأمر عليها عبد اللّه بن عامر، ونزع المغيرة بن شعبة[٥٤] عن الكوفة وأمر عليها سعيد بن العاص.

وقال: دعا عثمان ناساً من الصحابة فيهم عمّار فقال: إنّي سائلكم وأُحِبُّ أنْ تصدقوني. نشدتكم اللّه أتعلمون أنّ رسول اللّه (ص) كان يُؤثر قريشاً على سائر النّاس ويُؤثر بني هاشم على سائر قريش؟ فسكتوا، فقال: لو أنّ بيدي مفاتيح الجنّة لأعطيتها بني أميّة حتّى يدخلوها)[٥٥].

* * *

لا يتّسع المجال لذكر ما فعله الولاة والأمراء من بني أُميّة في السنوات السّتّ الّتي ذكرها المؤرخون في مصر والشام والكوفة والبصرة والمدينة، وما جرى بينهم وبين أبرار الصحابة والتابعين، وإنّما نقتصر على ذكر بعض ما كان من أمر أبي ذرّ خاصّة معهم.

٥٤) في النسخة: المغيرة بن شعبة خطأ، وإنّما نزع سعد بن أبي وقاص.

٥٥) قال المؤلف: ولكن مفاتيح بيوت أموال المسلمين كانت بيده.

أبو ذرّ في موسم الحجّ بمنى

عن أبـي كثير عن أبيه، (قال: أتيت أبا ذرّ و هو جالس عند الجمرة الوسطى و قد آجتمع النّاس عليه يستفتونه، فأتاه رجل فوقف عليه ثمّ قال: أوَ لم تُنْـه عن الفتيا ؟ فرفـع رأسه إليه فقال: أرقيبٌ أنتَ علـيّ ؟ لو وضعتم الصمصامة على هذه ـ وأشار إلى قفاه ـ ثمّ ظننتُ أنّي أنفذ كلمة سمعتها من رسول اللّه (ص) قبل أن تجيزوا عليّ لأنفذتها)[٥٦].

اختزل هذا الخبر البخاري في صحيحه و قال:

(قال أبـو ذرّ: لو وضعتم الصمصامة على هذه ـ وأشار إلى قفاه ـ ثمّ ظننتُ أنّي أنفذ كلمة سمعتها من النّبيّ (ص) قبل أنْ تجيزوا عليَّ لأنفذتها)[٥٧].

وفي شرحه من فتح الباري قال آبن حجر:

(إنّ الّذي خاطبه رجل من قريش و الّذي نهاه عثمان (رض))[٥٨].

و قال: (و نكّـر (كلمـة) ليشمل القليل و الكثير، و المراد به يبلغ ما تحمله في كلّ حال، و لا ينتهي عن ذلك و لو أشرف على القتل). انتهى كلام شارح البخاري و فسّـر في ما قال كلام أبـي ذرّ بأنّه أراد أنّه سيُبَلِّغ ما سمعه عن رسول اللّه (ص) و إنْ كان كلمة واحدة و لا ينتهي عن ذلك و لو أشرف على القتل.

وفي تذكرة الحفاظ للذهبي:

(و على رأســه فتى من قريش، فقـال: أمـا نهـاك أمـير المؤمنـين عن

٥٦) سنن الدارمي ١/ ١٢٧. وطبقات آبن سعد ٢/ ٣٥٤.

٥٧) كتاب العلم، باب العلم قبل القول و العمل ١/ ١٦.

٥٨) ١/ ١٧٠ ـ ١٧١

الفتيا. . .) الحديث[٥٩].

أبو ذرّ في بيت اللّه الحرام

في مستدرك الحاكم[٦٠] بسنده عن حنش الكناني[٦١]، قال: سمعت أبا ذرّ يقول وهو آخذ بباب الكعبة:

أيّها النّاس من عرفني فأنا من عرفتم، ومن أنكرني فأنا أبو ذرّ، سمعت رسول اللّه يقول:

« مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا و من تخلّف عنها غرق ».

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

أبو ذرّ في مسجد الرسول (ص) و غيره

أورد اليعقوبي تفصيل خبر أبي ذرّ مع السلطة في تاريخه[٦٢] وقال:

(وبلغ عثمان أنّ أبا ذرّ يقعد في مسجد رسول اللّه، ويجتمع إليه النّاس[٦٣]، فيحدّث بما فيه الطعن عليه. وأنّه وقف بباب المسجد فقال:

أيّها النّاس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أبو ذرّ الغفاري، أنا جندب بن جنادة الرّبذي ﴿ إنّ اللّه اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرّيّة بعضها من بعض، واللّه سميع عليم ﴾ محمّد الصفوة من نوح، فالآل[٦٤] من إبراهيم، والسلالة من إسماعيل، والعترة الهادية

٥٩) ١/١٨.

٦٠) ٢/٣٤٣.

٦١) حنش في الإصابة، رجل من غفار.

٦٢) ٢/١٧١.

٦٣) يظهر من سياق الخبر أنّ أبا ذرّ كان يفعل ذلك في مسجد الرسول في موسم الحجّ كفعله في منى وبباب الكعبة، فإنّه لو كان في غير موسم الحجّ لم يكن بحاجة إلى أنْ يُعرِّف نفسه لإخوته الّذين كانوا يعاشرونه في المدينة.

٦٤) في النسخة المطبوعة: (فالأوّل)، خطأ مطبعيّ.

من محمّـد إنّـه شرف شريفهم، وآستحقّوا الفضل في قوم هم فينا كالسماء المرفوعة وكالكعبة المستورة، أو كالقبلة المنصوبة، أو كالشمس الضاحية، أو كالقمر الساري، أو كالنجوم الهادية، أو كالشجر الزيتونيّة أضاء زيتها، وبورك زبدها، ومحمّد وارث علم آدم وما فُضّل به النبيّون، وعليّ بن أبـي طالب وصـيّ محمّد، ووارث علمه. أيّتها الأمّة المتحيرة بعد نبيّها! أما لو قدّمتم من قدّم اللّه، وأخّرتم من أخّر اللّه، وأقررتم الولاية والوراثة في أهل بيت نبيّكم لأكلتم من فوق رؤوسكم ومن تحت أقدامكم، ولما عال وليّ اللّه، ولا طاش سهم من فرائض اللّه، ولا آختلف آثنان في حكم اللّه، إلاّ وجدتم علم ذلك عندهم من كتاب اللّه وسنّة نبيّه، فأمّا إذ فعلتم ما فعلتم، فذوقوا وبال أمركم، وسيعلم الّذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون).

وقال اليعقوبـي بعده:

(وبلغ عثمان أيضاً أنّ أبا ذرّ يقع فيه، ويذكر ما غيّر وبدّل من سنن رسول اللّه وسنن أبـي بكر وعمر، فسيّـره إلى الشّام إلى معاوية، وكان يجلس في المسجد، فيقول كما كان يقول ويجتمع إليه النّاس حتّى كثر من يجتمع إليه ويسمع منه. . .) الحديث.

وقال اليعقوبـي بعد ذلك ما موجزه:

(إنّ معـاوية كتب إلى عثـمان أنّـك قد أفسـدت الشّـام على نفسـك بأبـي ذرّ، فكتب إليه أنْ آحمله على قتب بغير وطاء. فقدم به المدينة وقد ذهب لحم فخذيه وجرى له مع عثمان ما أدّى بعثمان أنْ ينفيه إلى الرّبذة، وجرى للوليد والي الكوفة مع آبن مسعود نظير ذلك، فجلبه الخليفة إلى المدينة وأمر به، فضرب به الأرض وتوفّي على أثر ذلك، وفعل نظير ذلك بعمّار)[٦٥].

٦٥) راجع تفصيل أخبارهما بكتاب أحاديث عائشة.

خلاصة خبر الفتن في أُخريات عهد عثمان

أطلق الخليفة عثمان يد الولاة من بني أُميّة على المسلمين وفي بيوت أموالهم، وكلّما آشتكى المسلمون إلى الخليفة من ظلم ولاته لم يبال بهم، فثاروا عليه و أصبحت بنو تيم عندئذ تعارض عثمان و تطمح بالخلافة لطلحة و آل الزبير للزبير، وكان ماعداهم وما عدا بني أُميّة جلّ الأنصار و سائر أصحاب رسول اللّه (ص) يدعون للإمام عليّ. وأخيراً قَتَلَ الثّائرون عثمان و لم ينصره الأنصار و غيرهم، ثمّ تَجَمْهَرَ المهاجرون و الأنصار على الإمام عليّ فبايعوه و خضع طلحة و الزبير للرأي العام وبايعا عليّاً في مقدمة مَن بايعه مِن صحابة رسول اللّه (ص). ولـمّا قسّم الإمام عليّ بيوت الأموال بالسّوية ثارتْ ثائرة الطبقة المتميزة وعلى رأسهم طلحة والزبير، فآجتمعوا مع أمّ المؤمنين عائشة بمكّة، و جمعوا حولهم بني أُميّة، و أظهروا الطلب بدم عثمان، و ساروا إلى البصرة و تغلبوا عليها، و جهّزوا جيشاً لقتال الإمام عليّ، فخرج الإمام من المدينة و آلتقى بهم خارج البصرة، وركبتْ أمّ المؤمنين عائشة جملاً، وقادت العسكر، و قاتلوا جيش الإمام عليّ، فقتل في المعركة منهم مَنْ قتل و آستسلم الباقون، فعفا عنهم الإمام عليّ.

هذه خلاصة خبر الفتن في عصر عثمان وبيعة الإمام عليّ وحرب الجمل بالبصرة، ذكرنا أخبارها و مصادر الأخبار في كتاب (أحاديث عائشة).

نتيجة البحث المقارن بين روايات سيف المختلقة

في الفتن و الروايات الصحيحة

روى سيف أنّ يهوديًا من صنعاء اليمن آسمه عبد اللّه بن سبأ آبن الأمة

السوداء تظاهر على عهد عثمان بالإسلام وسار في عواصم البلاد الإسلامية ومدنها: المدينة والشّام والكوفة ومصر يدعو إلى القول برجعة الرسول بعد وفاته وأنّ عليّاً وصيّه وأنّ عثمان غاصب حقّ هذا الوصيّ، فيجب الوثوب عليه لإرجاع الحقّ إلى أهله، فآمن به أبرار صحابة رسول اللّه (ص) نظراء أبي ذرّ وعمّار وحجر بن عدي إلى عشرات أمثالهم ممّن سمّاهم بالسبائيّة وأنّ آبن سبأ اليهودي علّم هؤلاء أن يدعوا النّاس إلى الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر وأن يكتبوا في عيب ولاتهم ويثيروا الناس عليهم، ففعلوا، وأنّ عمّاراً كان قد خرف كما أخبر عنه الرسول، وكذلك أبو ذرّ، فآمتثل السبائيّون الصّحابة والتابعون تعليمات آبن سبأ، وجلبوا النّاس إلى المدينة، وقتلوا عثمان في داره وبايعوا عليّاً، وسار طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة للطلب بدم عثمان، وسار خلفهم الإمام عليّ وآلتقوا خارج البصرة وتذاكروا في الصلح وقرّ رأيهم على الصلح، فتخوّف السبائيّون[٦٦] من سوء عاقبتهم وآندسوا في ألجيشين ليلاً وتراموا بالسهام من الجانبين وأثاروا الحرب بين الجيشين، فقامت الحرب بين الطرفين دون أن يتنبّه إلى مكيدتهم من الجيشين أحد، لم يتنبّهوا هم وقادتهم إلى من يرمي السهام مع أنّ رماة السهام كانوا مندسين بين صفوفهم.

قال سيف: هكذا وقعت الحرب و آنتهت بنصرة جيش الإمام عليّ.

روى سيف هذه الأخبار في مئات من رواياته المختلقة ورواها عمّن اختلقهم من الرواة من ضمنهم من ذكر أسماءهم في الروايات السابقة، وقد أشرنا إلى الصحيح من أخبارها في ما مضى، ولم يخف على فطاحل العلم أمثال

٦٦) السبائيون في روايات سيف هم عمّار وحجر بن عدي وصعصعة بن صوحان ومحمّد بن أبي بكر ومالك الأشتر ونظراؤهم. راجع عبد اللّه بن سبأ الجزء الثاني، فصل (حقيقة آبن سبأ والسبئية).

الطبري و آبن الأثير و آبن عساكر و آبن كثير و آبن خلدون و غيرهم أنّ سيف بن عمر متّهم بالزندقة و أنّ علماء الرجال أجمعوا على نعته بالكذب و لم يوثّقه أحد منهم، بل رأينا هؤلاء بأنفسهم يضعّفون حديثه كما نقلنا عنهم في كتابنا (عبد اللّه بن سبأ)، وكذلك لم تخفَ عليهم الروايات الصحيحة في تلك الأخبار و إنّما كرهوا ذكرها كما نصّوا على ذلك، فكتموا الأخبار الصحيحة لما قالوا إنّ العامة لا تحتمل سماعها، و ليتهم آكتفوا بكتمان الأخبار الصحيحة في هذا الشّأن كما فعلوا بكثير من الأخبار الأخرى و لم ينقلوا الأخبار المكذوبة بدلاً من الأخبار الصحيحة و لم ينشروا الأخبار المختلقة بين النّاس مع علمهم بكذبها، فإنّهم كانوا يعلمون بكذب ما نسبه سيف إلى عمّار و أبي ذرّ و آبن مسعود و حجر بن عدي إلى عشرات غيرهم من الصحابة و التابعين في ما آفتراه عليهم من أنّهم اتّبعوا يهودياً أمَرهم بالإفساد بين المسلمين و إيقاع الفتنة و الفساد بينهم حتّى قتل بعضهم البعض الآخر و هم لايدركون ما يعملون!

علىٰ عقول من صدّق هذه الخرافات، العفا ! كيف يصدّقون أنّ الخليفة عثمان لم يتنبّه إلى هذا اليهودي على حدّ زعم سيف في إثارته الفتن! و كيف لم يسأل عمّار و أبو ذرّ الإمام عليّاً عمّا يدعو له هذا اليهودي من أنّه وصيّ رسول اللّه (ص) ؟! و كيف لم يسأله ربيبه محمّد بن أبي بكر عن صدق مزعمة هذا اليهودي ؟!

لست أدري كيف يصدّقون هذه الأكاذيب ؟! و لست أزعم أنّ العلماء صدّقوا بحديث سيف، كلّا، فإنّهم يعلمون كذب ما آختلقه و آفتراه و إنّما عجبي من عامّة النّاس كيف يصدّقون هذه الأساطير الخرافية ؟ فإنّ العلماء الّذين نشروا أكاذيب سيف كانوا يعلمون كذبه و إنّما تقبّلوها لأنّ الزنديق طلاها بطلاء الدفاع عن ذوي السلطة في ما آنتُقدوا عليه، مثل ما فعل في

ما آنتُقِد عليه خالد على قتله مالك بن نويرة و نكاحه زوجته في ليلته، وفي ما رُمي به المغيرة بن شعبة زمان إمارته على البصرة، وفي خبر درء سعد بن أبي وقّاص حدّ شرب الخمر عن أبي محجن، وفي خبر الوليد وحدّه على شرب الخمر. إنّ سيف بن عمر عالج جميع ما آنتُقِد عليه هؤلاء و غيرهم من الخلفاء و الولاة و ذويهم، فلم يهتمّ كبار العلماء عندئذ أنْ ينشروا ما آفتراه هذا الزنديق على أبرار الصحابة الفقراء، أمثال آبن مسعود و أبي ذرّ و عمّار تحت غطاء الدفاع عن أولئك، لأنّ المهمّ عندهم كتمان ما يعاب عليه الخلفاء و الولاة وذووهم عن عامّة النّاس. و بنشر أكاذيب سيف بلغوا غايتهم و بلغ سيف ـ أيضاً ـ غايته من تسخيف صحابة النبيّ الأبرار و نشر الأراجيف السخيفة في التاريخ الإسلامي بدافع الزندقة.

ويظهر من قول الطبري في ذكر سبب قتل عثمان: (فأعرضنا عن ذكر كثير منها لعلل دعت إلى الإعراض عنها)[٦٧] أنّ العلل الّتي دعته إلى كتمان الأخبار الصحيحة، هي كتمان الأخبار الّتي تعاب بها سلطة الخلافة عن عامّة النّاس، كما سبق لنا أن نقلنا منه أنّه قال: (ممّا لا يتحمّله عامّة النّاس).

وخلاصة القول: إنّهم في هذا الصنف من الكتمان، يحرّفون حديث الرسول (ص) وسيرته و سيرة أهل بيته و أصحابه و أخبارهم الصحيحة ويبدّلونها بأخبار مختلقة، كما فعل سيف ذلك بدافع زندقته. و أنّ العلماء يروّجون هذه الروايات المختلقة بدلاً من الروايات الصحيحة مع علمهم بأنّها غير صحيحة لما يجدون فيها دفاعاً عن السلطة الحاكمة و ذويهم من خلفاء وولاة و أمراء !!!

و هذا النوع من الكتمان غير قليل عند علماء مدرسة الخلفاء.

(٦٧) تاريخ الطبري، ط. اوربا ١ / ٢٩٨٠.

خلاصة بحث أنواع الكتمان بمدرسة الخلفاء

قد رأينا العلماء بمدرسة الخلفاء مجمعين على كتمان كلّ رواية أو خبر يسبب توجيه النقد إلى ذوي السلطة في صدر الإسلام، وولاتهم وذويهم، محتجّين في ذلك بأنّ أُولئك كانوا من صحابة الرسول (ص). ولا يصحّ ذكر ما يسبب انتقادهم، بينا هم نشروا من الروايات المكذوبة ما فيه طعن على أبرار صحابة رسول اللّه (ص) الفقراء أمثال عمّار وأبي ذرّ وآبن مسعود.

وفي سبيل الدفاع عن ذوي السلطة، تارة يكتمون كلّ الرواية والخبر، وأحياناً يحذفون من الخبر والرواية بعضها الّذي يُوجّه النقد إلى ذوي السلطة بسببها، ويأتون بباقي الرواية ممّا لا يوجب النقد عليهم، وتارة أخرى يبدّلون من الرواية والخبر ما يسبب النقد على الولاة بكلمة مبهمة لا يفهم منها شيء من المراد، وأخرى يُحرِّف بعضهم الخبر والرواية بأنواع التحريف حتّى يبلغ الأمر أنْ يجعل الحليم البارّ ظالماً سفيهاً، والظالم المُتعنِّت بارّاً حليمًا؛ أيْ يبدّل الشيء إلى نقيضه تماماً ثمّ يتسابق الآخرون إلى نشر ذلك الخبر المحرَّف والرواية المختلقة وتوثيقهما وإشاعتهما في المجتمعات الإسلامية بَدَل الخبر الصحيح والرواية الصحيحة الّتي تُسبِّب النقد على الحكّام والأمراء، ويتسابقون كذلك ويتعاونون في تضعيف الرواية الّتي تسبِّب النقد لذوي السلطة والطعن على راويها وعلى مؤلّف الكتاب الّذي أورد الرواية فيه بأنواع الطعون والتضعيف والتسخيف، وإنْ لم يستطيعوا كلّ ذلك أوّلوا تلك الرواية والخبر إلى ما فيه مصلحة ذوي السلطة ويبدّل النقد الموجّه إليهم إلى مدحهم والثناء عليهم.

ويحترمون من آلتزم هذا الاتّجاه ويجلُّونه على قدر آلتزامه الأسلوب المذكور، يوثّقون الراوي الملتزم بذلك ويصفون خبره بالصحيح، ويصفون تأليف المؤلف الملتزم بهذا النهج بالوثاقة والصحّة على قدر آلتزامهما المسلك

المتّفق عليه، ويشهرونهما ويذكرونهما بكلّ تجلّة وآحترام. ومن ثم اشتهرت سيرة آبن هشام في مدرسة الخلفاء ومن تابعهم بالوثاقة لالتزامه ما آتّفقوا عليه، وأهملت سيرة آبن إسحاق لعدم التزامه الأسلوب المقبول عندهم، وتركوا تدارسها وآستنساخها حتّى أدّى ذلك إلى فقدان سيرة آبن إسحاق في حين أنّ آبن هشام أخذ جميع ما حوته سيرته من سيرة آبن إسحاق مع إسقاط (ما يسوء النّاس ذكره) من سيرة آبن إسحاق بحسب تعبيره.

ومن ثمّ - أيضاً - أصبح تاريخ الطبري أوثق مصادر التاريخ الإسلامي وأكثرها شهرة وآعتباراً وأصبح مؤلفه الطبري إمام المؤرّخين بمدرسةَ الخلفاء، لأنّه بآتّباعه المنهج المذكور بثّ روايات سيف الّتي كان يعلم كذبها ومخالفتها للحقّ والواقع التاريخي في أخبار عصر الصحابة أو بالأحرى الخلفاء الأوائل، ثمّ تهافت العلماء على أخذ ما ورد منها في تاريخ الطبري ونشرها في مصادر الدراسات الإسلامية وأهملوا الأخبار الصحيحة في مقابلها حتّى نُسيت وفُقدت من المجتمعات الإسلامية.

ومن ثمّ - أيضاً - أصبح البخاري إمام المحدّثين بمدرسة الخلفاء، وأصبح صحيحه أصحّ كتاب بعد كتاب اللّه عندهم، وأصبحت الأحاديث الصحيحة في غير صحيحه أو صحيح مسلم غير معتبرة.

منشأ الاختلاف فى روايات مصادر الدراسات الاسلامية

إذا أمعنّا النظر في بحوثنا السابقة وما يأتي في بحوث آجتهادات الخلفاء من الجزء الثاني لهذا الكتاب، عرفنا منشأ الاختلاف في روايات مصادر الدراسات الإسلامية، فقد وجدنا في الموردين أحاديث وُضعت موافقة لسياسة السلطات الحاكمة ومصلحتها، مقابل الروايات الصحيحة الّتي كانت تخالف سياستهم ومصلحتهم، ومن ثمّ آنكشف لنا ميزان ثابت لتمييز الحديث القوي

من الضعيف، فإنّ الضعيف من الأحاديث المتعارضة في صحيح البخاري في شأن البكاء على الميت ـ مثلاً ـ ما وافق سياسة السلطة الحاكمة الّتي تنهى عن البكاء على الميّت و تنسب النهي إلى الرسول (ص)، و الحديث القويّ ما خالفها مثل حديث أمّ المؤمنين عائشة و حديث غيرها الّتي أخبرت عن جواز البكاء على الميت و أنّه من سنة الرسول (ص). و كذلك الضعيف في حديثي أمّ المؤمنين عائشة المتعارضين في بيان من كان إلى جنب رسول اللّه(ص) في آخر ساعات حياته ما فيه: (متى أوصى إليه و قد آنخنث ومات في صدري)، و القويّ منهما حديثها الآخر الّذي ورد فيه أنّ الإمام عليّاً كان إلى جنب الرسول في آخر ساعات حياته لموافقة الأول منهما لرغبات الحكّام و مخالفة الثاني لسياستهم.

هذا هو الميزان الثابت لمعرفة القويّ من الضعيف في أحاديث سنّة الرسول (ص) و سيرة الصحابة و التابعين و سيرة الأنبياء السابقين و الأحكام الّتي اجتهد فيها الخلفاء وفقاً لرأيهم و أمثالها.

نتيجة البحوث و حقيقة الأمر

يرى الباحث المتتبّع أنّ الميزان الثابت لمعرفة الحقّ من الباطل بمدرسة الخلفاء إنّما هو مصلحة ذوي السلطة، وأ نّ كلّ رواية أو خبر يوجّه النّقد لهم أو يَشينهم فهو ضعيف وغير صحيح و باطل، وكلّ كتاب وكلّ راوٍ أو مؤلّف يروي شيئاً من ذلك فهو ضعيف وغير ثقة، ويُرمى بأنواع الطعون، و إذا ورد الحديث أو الخبر من راوٍ لا يستطيعون الطعن عليه وعلى مؤلّف الكتاب، فإنّهم حينئذٍ يُؤولون الحديث إلى ما يرغبون فيه. ومن جهة أخرى كلّ مؤلف أو راوٍ يذكر مناقب ذوي السلطة ويترك ما يوجّه النّقد إليهم، فهو ثقة و صدوق، فإذا استطاع أنْ يُدافع عنهم في ما يروي ويؤلّف، فهو الثقة المأمون المصدق، وتنتشر رواياته في الكتب و تذاع. ومن هذا الباب الواسع أدخل سيف الزنديق

في سنة رسول اللّه (ص) وسيرته وحديثه بمقتضى زندقته ما شاء، ولذلك ـ أيضاً ـ آنتشرت رواياته في أكثر من سبعين مصدراً من مصادر الدراسات الإسلامية زهاء ثلاثة عشر قرناً.

إنّ سيف بن عمر أدخل في سنّة رسول اللّه (ص) حديثاً وسيرة ما آختلقه ودرسناه في أبواب « رسل النبيّ (ص) » و« عمال رسول اللّه (ص) » و« الوافدون على رسول اللّه (ص) » و« ربيب رسول اللّه (ص) » من كتاب (خمسون ومائة صحابيّ مختلق) وكتابنا (رواة مختلقون) وقد مرّ بنا في ما سبق كيف حرّف سيف حديث رسول اللّه (ص) في حقّ عمّار.

كان هذا رأينا في سيف ونظائره مثل أبي الحسن البكري مؤلف كتاب «الأنوار» الّذي أدخل أحاديث خرافية في كتاب: سيرة النبيّ (ص) المختار وغيره من كتبه، ومثل كعب الأحبار الّذي أدخل الإسرائيليّات في مصادر الدراسات الإسلاميّة، وقد درسنا أخبارهم وآثارهم في سلسلة (أثر الائمة في إحياء السنّة). كان هذا شأن هؤلاء عندنا.

أمّا البخاري وصحيحه، وآبن هشام وسيرته، والطبري وتاريخه، وأمثالهم من العلماء الّذين ناقشنا أسلوبهم، فلهم عندنا شأن آخر فإنّهم وإنْ كانوا ينتقدون في شيء من أسلوبهم، فإنّهم مع ذلك قد أوردوا في كتبهم الكثير من سنة رسول اللّه (ص) الصحيحة سيرة وحديثاً ممّا نعتمدها ونرويها عنهم، وكذلك دأب علماء مدرسة أهل البيت مع من يرون خطأ في عمله العلمي، فإنّهم عندئذ ينتقدون أُسلوبه أشدّ الانتقاد رغم أنّهم يُجلّونه ويحترمونه ويأخذون منه غير الّذي آنتقدوه فيه، وهذا معنى عدم تقليدهم لمن تقدّمهم من العلماء لا في الأحكام الفقهية ولا في دراية الحديث، إنّ علماء مدرسة أهل البيت يُضعّفون الحديث الضعيف في أصول الكافي وصحيح

البخاري معاً، ويأخذون ـ أيضاً ـ الحديث الصحيح من كليهما، وإنّ المجلسي الكبير (ت: ١١١١ هـ) عندما شرح كتاب الكافي في كتابه مرآة العقول نبّه فيه على آلاف الأحاديث الضعيفة الواردة في أبواب كتاب الكافي، وهو أشهر كتاب حديث في مدرسة أهل البيت، وهذا الأمر بمدرسة أهل البيت مخالف لما عليه أتباع مدرسة الخلفاء الّذين يرون لصحيح البخاري ما يرونه لكتاب اللّه، ويعتقدون أنّه ليس فيه حديث غير صحيح، بل يرون أكثر من ذلك حيث يرون صحّة ما ورد في صحيحي البخاري ومسلم من سنّة الرسول (ص) مما لم يرد في كتاب اللّه، ويصعب عليهم أنْ يتقبلوا صحّة سنّة الرسول (ص) الّتي وردت في غير صحيحي مسلم والبخاري، والكتب الأربعة الأخرى الّتي سمّيت جميعها بالصحاح السّتّة. على أنّ الكثير من حفظة الحديث بمدرسة الخلفاء غير أُولئك الّذين ذكرناهم ألّفوا في الحديث: الصحاح والمسانيد والسنن والمصنفات والزوائد وغيرها أمثال:

صحيح آبن خزيمة (ت: ٣١١ هـ).

صحيح آبن حبّان (ت: ٣٥٤ هـ).

الصحاح المأثورة عن رسول اللّه (ص) للحافظ أبي علي آبن السكن(ت: ٣٥٣ هـ).

مسند الطيالسي (ت: ٢٠٤ هـ).

مسند أحمد (ت: ٢٤١ هـ).

سنن البيهقي (ت: ٤٥٨ هـ).

السنن لأبي بكر الشافعي (ت: ٣٤٧ هـ).

المعاجم الثلاثة للطبراني (ت: ٣٦٠ هـ).

المصنف لعبد الرزاق الصنعاني (ت: ٢١١ هـ).

مصنف آبن أبي شيبة (ت: ٢٣٥ هـ).

مجمع الزوائد للهيثمي (ت: ٨٠٧ هـ).

المستدرك للحاكم (ت: ٤٠٥ هـ).

وعشرات الموسوعات الحديثية الأخرى لمحدثين آخرين.

وفي سيرة النبيّ والصحابة والفتوح ألّف أمثال:

خليفة بن خيّاط (ت: ٢٤٠ هـ) الطبقات والتاريخ.

البلاذري (ت: ٢٧٩ هـ) فتوح البلدان وأنساب الأشراف.

المسعودي (ت: ٣٤٥ هـ) التنبيه والإشراف ومروج الذهب.

الواقدي (ت: ٢٠٧ هـ) المغازي.

ابن سعد (ت: ٢٣٠ هـ) الطبقات.

وعشرات المؤلفات المعتبرة الأخرى لمؤلفين آخرين.

لماذا اختصَّ بالاهتمام الصحاح السّتّة في الحديث إلى حدّ إهمال غيرها، وفي السير والمغازي: سيرة ابن هشام، وفي التاريخ: تاريخ الطبري، مع عدم العناية بغيرهما.

وخلاصة القول: إنّ علماء مدرسة الخلفاء يوجّه إليهم النّقد في عملهم العلمي لأمرين:

أوّلاً - إنّهم يكتمون من سنّة رسول اللّه (ص) سيرةً وحديثاً ومن سائر الأخبار ما يخالف سياسة السلطات الحاكمة مدى القرون سواء أكان ذلك ممّا يخصُّ سيرة الأنبياء السلف أو سيرة خاتم الأنبياء وأهل بيته وصحابته، أو في العقائد الإسلامية أو تفسير القرآن، كما شاهدنا ذلك من الطبري وابن كثير في تفسير آية: ﴿ وأنذرْ عشيرتك الأقربين ﴾ في كتمانهم لفظ (ووصيّي وخليفتي) في حقّ الإمام عليّ وتبديلها بـ (كذا وكذا)، وكذلك فعلوا بالنصوص الّتي تُبيّن سنّة الرسول (ص) في الأحكام الإسلامية الّتي تخالف

آجتهادات الخلفاء، كما سيأتـي بيانه في بحث مصادر الشريعة الإسلامية لدى مدرسة الخلفاء في الجزء الثاني من هذا الكتاب، إن شاء اللّه تعالى.

ثانياً - لا ينبغي للمسلمين في هذا اليوم وهم على أبواب نهضة إسلامية شاملة أن يبقوا على تقليد أئمة المذاهب الأربعة في الفقه و لا على تقليد أصحاب الصحـاح السّتّة في تصحيح الحديث وتضعيفه وخاصّة البخاري ومسلم، وكذلك في الأحكام الإسلامية الّتي آجتهد الخلفاء فيها في مقابل نصوص سنّة رسول اللّه (ص) بحسب ما رأوه من المصلحة في عصرهم، بل ينبغي أن يبحثوا عن سنّة رسول اللّه (ص) الصحيحة ويُظهروا ما أخفي منها بحسب سياسة الخلفـاء مدى القـرون، ثمّ يجاهدوا في سبيل الدعوة لتوحيد كلمة المسلمين والعمـل بكتاب اللّه وسنّة رسوله (ص) الصحيحة، وبذلك يتيسّـر توحيد كلمة المسلمين حول كتاب اللّه وسنة رسوله (ص) المجمع عليها وما ذلك من لطف اللّه على المسلمين ببعيد.

عود على بدء في بحث الوصية

لـمّا كانت النصـوص الـدّالّـة على حقّ الإمـام علي في الـحُكْم بعـد النبيّ (ص) وحقّ الأئمة من ولده فيها من أهمّ ما يوجّه النقد لمن ولي الـحُكْم دونهم، لم يأل العلماء بمدرسة الخلفاء جهداً في كتمان تلكم النصوص، وكان من أهـمّهـا بحث علماء أهـل الكتاب بعد وفاة رسول اللّه (ص) عن وصيّه وأقوالهم فيه، مثل خبر الراهبين اللّذين مرّ عليهما الإمام عليّ في طريق صفّين. بينما حفظ نظير تلك الأخبار علماء مدرسة أهل البيت في كتبهم[٦٨]، مثل خبر مجيء يهـوديّين في عصر أبـي بكر وسؤالهما عن وصيّ النبيّ وبعد أنْ أشار

٦٨) راجع أخبارهم في البحار. ط. طهران، الثانية ١٠/١٠ - ٥٠

النّاس إلى أبـي بكر، و لم يجدا أجوبة أسئلتهما عنده، أرسلوا إلى الإمام علي، فحضر و أجاب عن أسئلتهما، فقالا: أنتَ وصيّ خاتم الأنبياء، و أسلما. و خبر آخرين من أهل الكتاب جاؤوا على عهد عمر و جرى لهم مع عمر و عليّ مثل ما سبق ذكره على عهد أبـي بكر، و قد مرّ بنا في ما سبق سؤال كعب الأحبار من الخليفة عمر عن أشياء من أحوال رسول اللّه (ص) و إحالة عمر إيّاه إلى عليّ بن أبـي طالب، و استمرّت أمثال هذه المراجعات من أهل الكتاب و إسلامهم إلى عصور متأخّرة، فقد قال آبن كثير في تاريخه[٦٩] بعد ما نقل من التوراة: أنّ اللّه بشّر إبراهيم بإسماعيل و أنّه يُنمّيه و يجعل من ذرّيّته آثني عشر عظيمًا، و نقل عن آبن تيمية أنّه قال: (و هؤلاء المبشّر بهم في حديث جابر بن سمرة، و لا تقوم الساعة حتّى يُوجدوا.

قال: و غلط كثير ممّن تشرّف بالإسلام من اليهود، فظنّوا أنّهم الّذين تدعو إليهم فرقة الرافضة فآتّبعوهم).

يا ترى ما هي أخبار الكثير من اليهود الّذين تشرّفوا بالإسلام و آتّبعوا الرافضة

إنّ العلماء آرتأوا ما قاله الطبري: (لا يحتمل سماعها العامة) فأسقطوا أخبار أهل الكتاب الّذين أسلموا و آتّبعوا الرافضة جملةً و تفصيلا.

عدد الأخبار و الروايات و النصوص الّتي أسقطوها

إذا قارنّا ما رواه آبن كثير في تاريخه من الحديث عن رسول اللّه (ص) في أمر الخوارج الّذين قاتلهم الإمام علي (ع) في النهروان و الّذي بلغ سبع عشرة صفحة من كتابه مع النزر اليسير من روايات رسول اللّه (ص) الّتي بقيت في

٦٩) ٦/ ٢٥٠.

الكتب في أمر الجمل و صفّين أو غيرهما ممّا فيه فضيلة للإمام علي، يمكننا أن نقدّر عظم الخسارة في ما أُخفي عن النّاس من حديث رسول اللّه (ص) و إنّما أبقوا الروايات الّتي وردت في شأن الخوارج الّذين خرجوا على الإمام عليّ، لأنّ الخوارج آستمرّ خروجهم على السلطة بعد الإمام عليّ أيضاً، وكان في نشر تلكم الأحاديث مصلحة للسلطة، فرووها في جميع كتب الأحاديث و بقيت سالمة إلى يومنا هذا.

و من أحاديث الرّسول (ص) الّتي كانت تخالف سياسة مدرسة الخلفاء و سعوا في كتمانها، أحاديث الرسول (ص) في حقّ الإمام عليّ بأنّه وصيّه، و كذلك فعلوا بما ورد في شأنه في شعر الصّحابة أو نثرهم، كما رأينا أمّ المؤمنين عائشة أنكرت الوصيّة، و ناقشنا الخبر الّذي روي عنها في ذلك؛ و كذلك رأينا:

أ ـ حذف بعضهم من الكلام ما فيه ذكر الوصيّة دون أن يشير إلى ذلك، كما فعلوه مع قصيدة النعمان بن عجلان الأنصاري.

ب ـ حذف بعضهم بعض الخبر مع الإبهام في القول، كما فعله الطبريّ، و آبن كثير في تفسيريهما بلفظ (وصيّي وخليفتي) في حديث رسول اللّه (ص).

ج ـ حذف بعضهم من الخبر لفظ الوصيّة و حرّف الخبر كما فعله آبن كثير مع خطبة الإمام الحسين (ع).

د ـ حذف بعضهم تمام الخبر الّذي فيه ذكر الوصيّة مع الإشارة إليه، كما فعل ذلك الطبري و آبن الأثير و آبن كثير مع كتاب محمّد بن أبي بكر.

هـ ـ حذف بعضهم تمام الخبر الّذي فيه ذكر الوصيّة مع عدم الإشارة إليه كما فعل ذلك آبن هشام في خبر دعوة الرسول (ص) لبني هاشم لما فيه قوله في علي: « و وصيّي و خليفتي فيكم ».

و ـ أوّل بعضهم معنى الـوصيّة، كما فعـل ذلـك الطبراني في حديث الرسول (ص) وآبن أبـي الحديد في كلام الإمام علـيّ.

ز ـ غفل بعضهم عنها وأثبتها في كتاب له، وحذفها وأبدلها بقول مبهم في كتاب آخر له، كما فعله الطبري في تاريخه وتفسيره.

ح ـ أثبتها بعضهم في الطبعة الأولى من كتابه، وحذفها في الطبعة الثانية منها، كما فعله محمد حسين هيكل في كتابه حياة محمّد (ص).

ما بقي من النصوص الواردة عن الرّسول (ص)
في حقّ آله في الحكم

كنّا في صدد إيراد النصوص الواردة عن رسول اللّه (ص) في حقّ الأئمة من آل الرسول (ص) وكان لا بدّ لنا في هذا السبيل من تقديم البحوث السابقة ليعرف أنّ النصوص الواردة عن الرسول (ص) في حقّهم مُنيتْ بأنواع من الكتمان الّذي ذكرناه لأنّها كانت مخالفة لسياسة الخلفاء مدى القرون، ولم يبق منها في كتب مدرسة الخلفاء سوى النزر اليسير الّذي غفل العلماء عنها وأوردوها في كتبهم ووفّقنا اللّه تعالى للعثور عليها، وها نحن نوردها في ما يأتي بحوله تعالى، مضافاً إلى ما سبق إيراده من النصوص.

تعيين الوصيّ بألفاظ مختلفة

ذكرنا في تعريف الوصيّ والوصيّة في بحث المصطلحات أنّ تعيين الوصيّ يكون تارة بلفظ الوصيّة ومشتقّاتها، مثل أن يقول الموصي لوصيّه: أوصيك بعدي بكذا وكذا، وأخرى بلفظ يؤدّي معنى الوصيّة، مثل أن يقول الموصي لوصيّه: أطلب منك أن تفعل كذا وكذا، وكذلك الشأن في إخباره الآخرين بذلك فإنّه يقول تارة ـ مثلا ـ: عهدت إلى فلان، أو أوكلت إليه بأمر كذا وكذا. وقلنا: انّ جميع هذه الألفاظ ونظائرها تدلّ على أنّ الشخص

القائل أوصى إلى الشخص الثاني بما أهمّه، بعده. وكذلك شأن رسول الله (ص) في تعيين وصيّه من بعده.

ومن تلكم الألفاظ، ما ورد في آتّخاذ الرسول (ص) آبن عمّه وزيراً له، كما يرد في بحث وزير النبيّ الآتي:

وزير النبيّ (ص)

أ ـ في القرآن الكريم مع بيانه من سنّة الرسول:

سيأتي إن شاء الله قول الرسول (ص) للامام عليّ:

«أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي؟».

وقد ذكر الله منزلة هارون من موسى في ما حكاه من أمرهما؛ قال سبحانه في ما حكاه من طلب موسى من ربّه:

﴿ وآجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي، أشدد به أزري ﴾ طه/٢٩ ـ ٣١.

وقال سبحانه في آستجابة طلبه:

﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا ﴾ الفرقان/٣٥.

ب ـ متى اتّخذ الرسول (ص) عليّاً وزيراً.

يوم دعا رسول الله (ص) بني عبد المطلب وقال لهم: «أيّكم يؤازرني على هذا الأمر...» وأجابه من بينهم الإمام علي وحده، آتّخذه رسول الله (ص) يومئذ وزيراً في أمره.

وروت أسماء بنت عميس قالت: سمعت رسول الله (ص) يقول:

﴿ اللّهمّ آجعل لي وزيراً من أهلي ﴾، دعا رسول الله (ص) ربّه وقال:

« اللّهمّ إنّي أقول كما قال أخي موسى: اللّهمّ آجعل لي وزيراً من أهلي أخي عليّاً، أشدد به أزري »[1].

وبتفسير آية ﴿ وآجعل لي وزيراً من أهلي ﴾ من تفسير السيوطي:

لـمّا نزلت هذه الآية دعا رسول اللّه ربّه وقال: « اللّهمّ آشدد أزري بأخي علـيّ » فأجابه إلى ذلك.

وروى آبن عمر عن رسول اللّه (ص) أنّه قال للإمام علـيّ:

« أنت أخي ووزيري تقضي ديني وتنجـز موعـدي... » إلى آخـر الحديث في فضل الإمام علـيّ[2].

وأثبت رسول اللّه (ص) للإمام علـيّ (ع) بقوله له: « أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي » جميع ما كان لهارون من موسى عدا النبوّة وفي مقدمة ما كان لهارون أنّه كان وزير موسى، وسيأتـي ذكر مصادره

وفي نهج البلاغة[3]: أنّ رسول اللّه (ص) قال للإمام علـيّ:

« ولكنّك وزير ».

وجاء في مانظم على لسان الأشعث في جوابه لكتاب الإمام علـيّ إليه:

« وزير النّبيّ وذو صهره... ».

يتّضح جليّاً من قول الرسول (ص) لابن عمّه: أنت أخي ووزيري، تقضي ديني وتنجز موعدي، أنّه عيّنه وصيّاً من بعده.

وكذلك الأمر في قوله: خليفتي، الآتـي:

١) الرياض النضرة ٢/١٦٣، عن مناقب أحمد بن حنبل.

٢) معجم الزوائد ٩/١٢١. وكنز العمال، ط. الأولى ٦/١٥٥، عن الطبراني.

٣) الخطبة ١٩٠.

خليفة النبـيّ (ص)

ذكـرنـا في باب من آستخلف النبـيّ (ص) على المدينة في غزواته عن صحيح البخاري، باب غزوة تبوك: أنّ رسول اللّه (ص) لـمّا خرج إلى تبوك وآستخلف عليّـاً، فقال: أتخلّفني في الصبيان والنساء؟ قال:

« ألا ترضى أنْ تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه ليس نبـيّ بعدي ».

وقد حكى اللّه عن خبر هارون في ذلك وقال: ﴿ وقال مُوسى لأخِيهِ هارونَ آخلفني في قومي وأصلح . . . ﴾ الأعراف/١٤٢.

وفي لفظ إحــدى روايتي أحمـد بن حنبـل بمسنـده[4] عن خبر دعـوة الرسول (ص) بني عبد المطّلب ورد قول الرسول (ص) في حقّ علـيّ: « وخليفتي ».

* * *

هذا ما أمكننا ايراده في الوصي والوزير والخليفة في هذه العجالة. وفي ما يأتـي ما تبقى من النصوص بعد الكتمان بمدرسة الخلفاء.

ومنها قوله (ص) في حقّ آبن عمّه، أنّه وليّ المسلمين بعده، كما يأتـي:

وليّ المسلمين بعد الرسول (ص)

نصّ رسول اللّه (ص) على أنّ الإمام عليّاً وليّ أمر المسلمين في أماكن متعددة، منها ما في الأحاديث الآتية.

٤) ١/١١١.

أولاً ـ حديث الشكـوى

في مسنـد[5] أحمـد وخصـائص النسائي، ومستدرك الحاكم، وغيرها، واللّفظ للأوّل:

(عن بريدة، قال: بعث رسـول اللّه (ص) بعثـين إلى اليمن، على أحدهما عليّ بن أبي طالب (ع)، وعلى الآخر خالد بن الوليد، فقال: إذا التقيتم فعليّ على الناس، وإن آفترقتما فكلّ واحد منكما على جنده، قال: فلقينا بني زيد من أهل اليمن، فآقتتلنا، فظهر المسلمون على المشركين، فقتلنا المقاتلة وسبينا الذريّة، فآصطفى عليّ (ع) آمرأة من السبي لنفسه. قال بريدة: فكتب معي خالـد بن الوليد إلى رسول اللّه (ص) يخبره بذلك، فلـمّا أتيت النبيّ (ص) رفعت الكتـاب فقـرئ عليه، فرأيت الغضب في وجـه رسـول اللّه (ص) فقلت: يا رسول اللّه، هذا مكان العائذ، بعثتني مع رجل وأمرتني أن أطيعه، ففعلت ما أرسلت به، فقال رسول اللّه (ص):

«لا تقع في عليّ، فإنّه منّي وأنا منه، وهو وليّكم بعدي، وإنّه منّي وأنا منه وهو وليّكم بعدي») [5]

وفي رواية:

(فقلت: يا رسـول اللّه، بالصحبـة إلاّ بسـطت يدك فبـايعتني على الإسلام جديداً. قال: فما فارقته حتّى بايعته على الإسلام)[6].

٥) مسند أحمد ٣٥٦/٥، وخصائص النسائي ص ٢٤، بآختلاف يسير. ومستدرك الصحيحين ١١٠/٣ مع آختلاف في اللفظ. ومجمع الزوائد ١٢٧/٩. وفي كنزالعمال ٢٠٧/١٢ مختصراً عن آبن أبي شيبة، وفي ٢١٠/١٢ منه عن الديلمي؛ وراجع كنوز الحقائق للمناوي ص ١٨٦.

٦) مسند أحمد ٣٥٠/٥ و٣٥٨ و٣٦١. ومجمع الزوائد ١٢٨/٩، عن الطبراني في الأوسط

وفي صحيح الترمذي، ومسندي أحمد والطيالسي، وغيرها، واللّفظ للأوّل، عن عمران بن حصين:

(إنّ أربعة من أصحاب رسول اللّه (ص) تعاقدوا ـ في هذه الغزوة ـ أن يشكوا عليّاً إذا لقوا رسول اللّه (ص). فلـمّا قدموا عليه، قام أحدهم فقال: يا رسول اللّه، ألم تر إلى عليّ بن أبـي طالب صنع كذا وكذا ؟ فأعرض عنه رسول اللّه (ص).

وفعـل الثاني منهم والثالث والرابع مثل أوّلهم، وفي كلّ مرّة يعرض الرسول عن الشاكي. قال:

فأقبل رسول اللّه (ص) والغضب يعرف في وجهه، فقال:

« ما تريدون من علـيّ ؟! ما تريدون من علـيّ ؟! ما تريدون من علـيّ ؟! إنّ عليّاً منّي وأنا منه، إنّ عليّاً منّي وأنا منه، وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي »)[٧].

شكـوى ثانية

في أسد الغابة، ومجمع الزوائد، وغيرهما واللفظ للأوّل:

(عن وهب بن حمزة: صحبت عليّاً (رض) من المدينة إلى مكّة فرأيت منه بعض ما أكره فقلت: لئن رجعت إلى رسول اللّه (ص) لأشكونّك إليه. فلـمّا قدمت لقيت رسول اللّه (ص) فقلت: رأيت من عليّ كذا وكذا. فقال:

« لا تقل هذا فهو أولىٰ الناس بكم بعدي »)[٨].

عن بريدة ولفظه: « من كنت وليّه فعليّ وليّه ».

٧) سنن الترمذي ١٣/ ١٦٥ باب مناقب علي بن أبـي طالب. ومسند أحمد ٤/ ٤٣٧. ومسند الطيالسي ٣/ ١١١ ح ٨٢٩. ومستدرك الحاكم ٣/ ١١٠. وخصائص النسائي ص: ١٩ و١٦، وحلية أبـي نعيم ٦/ ٢٩٤. والرياض النضرة ٢/ ١٧١. وكنز العمال ١٢/ ٢٠٧ و١٥/ ١٢٥.

٨) أسد الغابة ٥/ ٩٤. ومجمع الزوائد ٩/ ١٠٩.

زمان الشكـوى

ذكـر المؤرخون وكتّاب السير خَرْجتين للإمام عليّ إلى اليمن، ونراها ثلاث خرجات كما يأتي بيانها إن شاء اللّه تعالى في باب الاجتهاد، وعلى كلا التقديرين، فإنّ آخرها كانت في السنة العاشرة للهجرة، حيث التحق الإمام برسـول اللّه (ص) في حجّة الوداع قبل يوم التروية. والشكوى المذكورة في خرجاته لليمن إن كانت قدّمت لرسول اللّه (ص) مرّتين فإنّ أولاهما وقعت في المـدينـة قبل العام العاشر، والثانية في مكّة وبعد وصول صحب الإمام إلى النبيّ (ص) قبل يوم التروية، حيث وصلوا مكّة قبل أيّام الحجّ.

وعلى هذا، فقد توهّم من العلماء من قال: إنّ قصة الغدير وقعت من أجل هذه الشكوى، وذلك لأنّ قصة الغدير وقعت بعد الحجّ، وفي الجحفة وبمحضر من جماهير المسلمين، وحديث الرسول (ص) هنا كان مع الشاكين خاصّة وفي نفس المجلس وبعد إظهارهـم الشكوى مباشرة.

أما الشكوى الثانية، فصريـح الحديث أنـها كانت بعد رجوعهما إلى المدينة.

ثانياً ـ نصوص أخرى لم يعيّن زمانها

عن آبن عباس:

« إنّ النبيّ قال لعلـيّ: أنت وَلـيّ كلّ مؤمن بعدي »[9].

وعن علـيّ:

أنّ النبيّ قال له: « إنّك وليّ المؤمنين بعدي »[10].

٩) مسند الطيالسي ١١/٣٦٠ ح ٢٧٥٢. و الرياض النضرة ٢/٢٠٣.
١٠) تاريخ بغداد للخطيب ٤/٢٣٩. وكنز العمال ١٥/١١٤ و ١٢/٢٢١.

الاحتفال بتنصيب الإمام عليّ وليّاً للعهد بعد الرسول (ص) و وصيّاً على الإسلام و المسلمين

إحتفال عظيم يقيمه الرسول (ص) لتعيين وليّ عهده من بعده و وصيّه على الإسلام و المسلمين، فقد روى الحاكم الحسكاني :

(عن ابن عباس و جابر قالا : أمر اللّه محمداً (ص) أن ينصب عليّاً للناس ليخبرهم بولايته، فتخوّف رسول اللّه (ص) أن يقولوا حابى ابن عمّه، و أن يطعنوا في ذلك عليه، فأوحى اللّه إليه : ﴿ يا أيّها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربّك و إن لم تفعل فما بلّغت رسالته و اللّه يعصمك من الناس ﴾ المائدة/٦٧ . فقال رسول اللّه (ص) بولايته يوم غدير خمّ)[11] .

و روى عن زياد بن المنذر أنّه كان يقول :

(كنت عند أبي جعفر محمد بن عليّ (ع) و هو يحدّث الناس إذ قام إليه رجل من أهل البصرة يقال له عثمان الأعشى ـ كان يروي عن الحسن

١١) الحافظ عبيد اللّه بن عبد اللّه بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني، الحذاء الحنفي النيسابوري، من أعلام القرن الخامس الهجري، ترجمته في تذكرة الحفاظ ط . الهند ٤/ ٣٩٠، و ط . مصر ٣/ ١٢٠٠، بآخر الطبقة ١٤ . و قد رجعنا إلى كتابه شواهد التنزيل لقواعد التفصيل في الآيات النازلة في أهل البيت، تحقيق محمد باقر المحمودي ط . بيروت عام ١٣٩٣ هـ . و الحديث في ١/ ١٩٢ و رقم الحديث ٢٤٩ .

البصري ـ فقال له: يا آبن رسول اللّه، جعلني اللّه فداك، إنّ الحسن يخبرنا أنّ هذه الآية نزلت بسبب رجل، ولا يخبرنا من الرجل ﴿ يا أيّها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربّك... ﴾. فقال: لو أراد أن يخبر به لأخبر به، ولكنّه يخاف. إنّ جبرئيل هبط إلى النبيّ (ص) ـ إلى قوله: ـ فقال: إنّ اللّه يأمرك أن تدلّ أمّتك على وليّهم على مثل ما دللتهم عليه من صلاتهم وزكاتهم وصيامهم وحجّهم، ليلزمهم الحجّة من جميع ذلك، فقال رسول اللّه (ص): يا ربّ إنّ قومي قريبو عهد بالجاهليّة، وفيهم تنافس وفخر، وما منهم رجل إلاّ وقد وتره وليهم، وإنّي أخاف ـ أي من تكذيبهم ـ. فأنزل اللّه تعالى: ﴿ يا أيّها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربّك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته ـ يريد فما بلّغتها تامة ـ واللّه يعصمك من الناس ﴾ فلمّا ضمن اللّه له بالعصمة وخوفه أخذ بيد عليّ...)[١٢].

وروى الحاكم الحسكاني:

عن آبن عبّاس في حديث المعراج، أنّ اللّه عزّ آسمه قال لنبيّه في ما قال: « وإنّي لم أبعث نبيّاً إلاّ وجعلت له وزيراً، وإنّك رسول اللّه (ص) وإنّ عليّاً وزيرك ».

قال آبن عباس: [فهبط][١٣] رسول اللّه (ص) فكره أن يحدث الناس بشيء منها إذ كانوا حديثي عهد بالجاهليّة ـ إلى قوله: ـ فآحتمل رسول اللّه حتّى إذا كان اليوم الثامن عشر أنزل اللّه عليه: ﴿ يا أيّها الرسول بلّغ ما أنزل إليك... ﴾ ـ إلى قوله: ـ فقال:

١٢) شواهد التنزيل ١/١٩١، وراجع تفسير الآية في أسباب النزول للواحدي، ونزول القرآن لأبي نعيم.

١٣) كذا وردت.

« يا أيّها الناس، إنّ اللّه أرسلني إليكم برسالة، وإنّي ضقت بها ذرعا، مخافة أن تتّهموني وتكذّبوني، حتّى عاتبني ربّي فيها بوعيد أنزله عَلَيّ... »[14].

وروى الحسكاني وآبن عساكر:

عن أبي هريرة: أنزل اللّه عزّوجلّ: ﴿ يا أيّها الرسول بلّغ ما أنزل إليك ـ في عليّ بن أبي طالب ـ وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته... ﴾[15].

قصد أبو هريرة أنّ المقصود أن يبلّغ ما نزل في عليّ.

روى الحسكاني:

(عن عبد اللّه بن أبي أوفى، قال: سمعت رسول اللّه (ص) يقول يوم غدير خمّ وتلا هذه الآية: ﴿ يا أيّها الرسول بلّغ ما أنزل إليك... ﴾ ثمّ رفع يديه حتّى يرى بياض إبطيه، ثمّ قال: « ألا من كنت مولاه... »)[16].

وروى الواحدي في أسباب النزول والسيوطي في الدّر المنثور عن أبي سعيد الخدري قال:

نزلت هذه الآية في عليّ بن أبي طالب:

﴿ يا أيّها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربّك... ﴾[17].

١٤) شواهد التنزيل للحسكاني ١/١٩٢ ـ ١٩٣، وفي ص ١٨٩ منه نزول الآية فقط.

١٥) شواهد التنزيل للحسكاني ١/١٨٧، ورواها آبن عساكر بترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق بطرق كثيرة في الحديث ٤٥٢.

١٦) الحسكاني ١/١٩٠.

وعبد اللّه بن أبي أوفى: علقمة بن خالد الحارث الأسلمي. صحابيّ شهد الحديبية، وعمّر بعد النبيّ (ص)، مات سنة ستّ أو سبع وثمانين، وهو آخر من مات بالكوفة من الصحابة. وأخرج حديثه جميع أصحاب الصحاح. ترجمته بتقريب التهذيب ١/٤٠٢. وأسد الغابة ٣/١٢١.

١٧) أسباب النزول ص: ١٣٥. والدرّ المنثور ٢/٢٩٨، وأراه هو الحديث المرقم ٢٤٤ من ←

وفي تفسير السيوطي :

(عن آبن مسعود قال : كنّا نقرأ على عهد رسول اللّه(ص) يا أيّها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربّك ـ أنّ علياً مولى المؤمنين ـ وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته . . .)[18] .

قصد آبن مسعود أنّهم كانوا على عهد رسول اللّه يقرؤون في تفسير الآية هكذا .

وكان نزول هذه الآية في غدير خمّ ، وفي ما يلي تفصيل الخبر.

خبر يوم الغدير

لـمّا صدر رسول اللّه من حجّة الوداع[19] نزلت عليه في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة[20] آية ﴿ يا أيّها الرسول بلّغ ما أنزل إليك . . . ﴾[21] . فنزل غدير خمّ من الجحفة[22] وكان يتشعب منها طريق المدينة ومصر والشام[23] ووقف هناك حتّى لحقه من بعده وردّ من كان تقدّم[24] ونهى أصحابه عن سمرات متفرقات بالبطحاء أن ينزلوا تحتهنّ ، ثمّ بعث إليهنّ فقُمَّ ما تحتهن من

شواهد التنزيل ، وراجع فتح القدير ٢/ ٥٧ ، وتفسير النيسابوري ٦/ ١٩٤ .

الواحدي ، هو أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت : ٤٦٨ هـ) ، ورجعنا إلى كتابه أسباب النزول ط . بيروت سنة ١٣٩٥ هـ .

١٨) الدرّ المنثور ٢/ ٢٩٨ .

١٩) مجمع الزوائد ٩/ ١٠٥ و١٦٣ ـ ١٦٥ . وأنقل عن هذه الصفحات في ما يأتي من هذا البحث .

٢٠) رواه الحاكم الحسكاني في ١/ ١٩٢ ـ ١٩٣ .

٢١) سبق ذكر مصادره .

٢٢) مجمع الزوائد ٩/ ١٦٣ ـ ١٦٥ . وآبن كثير ٥/ ٢٠٩ ـ ٢١٣ .

٢٣) مادة (الجحفة) من معجم البلدان .

٢٤) في تاريخ آبن كثير ٥/ ٢١٣ .

الشوك[٢٥] ونادى بالصلاة جامعة[٢٦] وعمد إليهنّ[٢٧] وظلّل لرسول اللّه (ص) بثوب على شجرة سمرة من الشمس[٢٨]، فصلى الظهر بهجير[٢٩] ثمّ قام خطيباً فحمد اللّه وأثنى عليه، وذكر ووعظ وقال ما شاء اللّه أن يقول، ثمّ قال:

« إنّي أوشك ان أُدعى فأجيب، وإنّي مسؤول وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون ؟» قالوا:

نشهد أنّك بلّغت ونصحت فجزاك اللّه خيراً؛ قال:

« أليس تشهدون أن لا إله إلاّ اللّه وأنّ محمداً عبده ورسوله وأنّ الجنّة حقّ وأنّ النار حقّ ؟» قالوا:

بلى نشهد ذلك.

قال: « اللهمّ آشهد ».

ثمّ قال: « ألا تسمعون ؟»

قالوا: نعم.

قال: « يا أيّها الناس إنّي فرط وأنتم واردون عليّ الحوض وإن عرضه ما بين بصرىٰ إلى صنعاء[٣٠] فيه عدد النجوم قدحان من فضّة، وإنّي سائلكم عن الثقلين، فآنظروا كيف تخلفوني فيهما ». فنادى مناد: وما الثقلان يا رسول اللّه ؟

قال: « كتاب اللّه، طرف بيد اللّه وطرف بأيديكم، فآستمسكوا به،

٢٥) مجمع الزوائد ٩/١٠٥ والسمر: نوع من الشجر، وقُمّ: كُنِس. وقريب منه لفظ آبن كثير ٥/٢٠٩.

٢٦) مسند أحمد ٤/٢٨١. وسنن آبن ماجة باب فضل علي، وتاريخ آبن كثير ٥/٢٠٩، و٥/٢١٠.

٢٧) مجمع الزوائد ٩/١٦٣ ـ ١٦٥.

٢٨) مسند أحمد ٤/٣٧٢. وآبن كثير ٥/٢١٢.

٢٩) مسند أحمد ٤/٢٨١، سنن آبن ماجة باب فضل علي. وآبن كثير ٥/٢١٢.

٣٠) كانت بصرىٰ آسماً لقرية بالقرب من دمشق، وأخرى بالقرب من بغداد.

لا تضلّوا و لا تبدّلوا؛ وعترتـي أهل بيتي ، وقد نبّأني اللّطيف الخبير أنّهما لن يتفرّقا حتّى يردا عليّ الحوض، سألت ذلك لهما ربّي ، فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلّموهما فهم أعلم منكم »[31]

ثم قال: « ألستم تعلمون أنّي أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم ؟ »

قالوا: بلىٰ يا رسول اللّه ![32]

قال: « ألستم تعلمون ـ أو تشهدون ـ أنّي أولى بكلّ مؤمن من نفسه ؟ »

قالوا: بلى يا رسول اللّه[33].

ثمّ أخذ بيد عليّ بن أبـي طالب بضبعيه فرفعها حتّى نظر الناس إلىٰ بياض إبطيهما[34]، ثمّ قال:

« أيّها الناس! اللّه مولاي و أنا مولاكم[35]؛ فمن كنت مولاه، فهذا عليّ مولاه[36]. اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه[37]، وآنصر من نصره، وآخذل

٣١) مجمع الزوائد ٩/١٦٢ ـ ١٦٣ و ١٦٥، وبعض ألفاظه في روايات الحاكم ٣/١٠٩ ـ ١١٠، وآبن كثير ٥/٢٠٩.

٣٢) مسند أحمد ١/١١٨ و ١١٩، ٤/٢٨١. وسنن آبن ماجة ١/٤٣ ح ١١٦، وورد (نعم) في مسند أحمد ٤/٢٨١ و٣٦٨ و ٣٧٠ و٣٧٢. وآبن كثير ٥/٢٠٩، ولدى آبن كثير ٥/٢١٠: (ألست أولى بكلّ آمرئ من نفسه).

٣٣) مسند أحمد ٤/٢٨١ و٣٦٨ و ٣٧٠ و ٣٧٢، وآبن كثير ٥/٢٠٩ و٢١٢.

٣٤) في رواية الحاكم الحسكاني ١/١٩٠، فرفع يديه حتّى يرى بياض إبطيه. وفي ص ١٩٣ منه: حتّى بان بياض إبطيهما. وضَبْعاه: الضَّبْع بسكون الباء: وسط العضد بلحمه. لسان العرب مادة: (ضبع).

٣٥) الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ١/١٩١، وعند آبن كثير ٥/٢٠٩: وأنا مولى كلّ مؤمن.

٣٦) في جميع المصادر الّتي ذكرناها إلى هنا في جميع روايات الباب.

٣٧) مسند أحمد ١/١١٨ و ١١٩ و ٤/٢٨١ و ٣٧٠ و ٣٧٢ و ٣٧٣ و ٥/٣٤٧ و ٣٧٠. ومستدرك الحاكم ٣/١٠٩. وسنن آبن ماجة، باب فضل عليّ. والحاكم الحسكاني ١/١٩٠ و١٩١. وتاريخ آبن كثير ٥/٢٠٩ و٢١٠ ـ ٢١٣، وقال آبن كثير في ٥/٢٠٩: فقلت لزيد: هل سمعته من رسول اللّه ؟ فقال: ما كان في الدوحات أحد إلّا رآه بعينه وسمعه بأذنيه. ثمّ قال

من خذله[٣٨]، و أحبَّ من أحبّه، و أبغض من أبغضه »[٣٩].

ثمّ قال: « اللهمّ آشهد »[٤٠].

ثمّ لم يتفرقا ـ رسول اللّه و عليّ ـ حتّى نزلت هذه الآية:

﴿ اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ المائدة/٣.

فقال رسول اللّه (ص):

اللّه أكبر على إكمال الدين و إتمام النعمة، و رضا الربّ برسالتي و الولاية لعلي[٤١].

وفي باب ما نزل من القرآن بالمدينة من تاريخ اليعقوبي:

(إنّ آخر ما نزل عليه: ﴿ اليوم أكملت. . . ﴾ وهي الرواية الصحيحة الثابتة، و كان نزولها يوم النصّ على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ـ صلوات اللّه عليه ـ بغدير خمّ)[٤٢].

فلقيه عمر بن الخطاب بعد ذلك فقال له:

هنيئاً لك يا آبن أبي طالب، أصبحت و أمسيت مولى كلّ مؤمن و مؤمنة[٤٣].

آبن كثير: قال شيخنا أبو عبد اللّه الذهبي: وهذا حديث صحيح.

٣٨) مسند أحمد ١/١١٨ و ١١٩. ومجمع الزوائد ٩/١٠٤ و ١٠٥ و ١٠٧. وشواهد التنزيل ١/١٩٣. وتاريخ آبن كثير ٥/٢١٠ و ٢١١.

٣٩) شواهد التنزيل للحسكاني ١/١٩١. وتاريخ آبن كثير ٥/٢١٠.

٤٠) شواهد التنزيل ١/١٩٠.

٤١) رواه الحاكم الحسكاني عن أبي سعيد الخدري ١/١٥٧ ـ ١٥٨ ح ٢١١ و٢١٢، وعن أبي هريرة ص ١٥٨ ح ٢١٣، وفي تاريخ آبن كثير ٥/٢١٤ بإيجاز.

٤٢) اليعقوبي ٢/٤٣

٤٣) مسند أحمد ٤/٢٨١ . ولفظ (بعد ذلك) من تاريخ ابن كثير ٥/٢١٠ .

وفي رواية قال له:

بخٍ بخٍ لك يا آبن أبي طالب[٤٤].

وفي رواية أخرى:

هنيئاً لك يا آبن أبي طالب، أصبحت وأمسيت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة[٤٥].

تتويج الإمام

وكانت لرسول اللّه عمامة، تسمّى السحاب كساها عليّاً[٤٦] وكانت سوداء اللون[٤٧] وكان الرسول يلبسها في أيام خاصّة[٤٨] مثل يوم فتح مكّة[٤٩] ورووا في كيفيّة تتويج الإمام بها يوم الغدير كما يلي:

عن عبد الأعلى بن عدي البهراني قال:

دعا رسول اللّه (ص) عليّاً يوم غدير خمّ فعمّمه وأرخى عذبة العمامة من خلفه[٥٠].

وعن عليّ (ع) قال:

٤٤) شواهد التنزيل ١/١٥٧ و ١٥٨.

٤٥) مسند أحمد ٤/٢٨١، وسنن آبن ماجة باب فضائل عليّ، والرياض النضرة ٢/١٦٩، ولفظ (بعد ذلك) في تاريخ آبن كثير ٥/٢١٠.

٤٦) في زاد المعاد لابن القيم، (فصل في ملابسه): أي الرسول (ص)، بهامش شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ١/١٢١.

٤٧) ورد ذكر لون العمامة الّتي توّج بها الإمام في رواية عبد اللّه بن بشر الآتية والإمام نفسه.

٤٨) أشير إلى ذلك في كتب الحديث.

٤٩) صحيح مسلم كتاب الحجّ ح ٤٥١ ـ ٤٥٢. وسنن أبي داود ٤/٥٤ باب في العمائم، وشرح المواهب ٥/١٠، عن معرفة الصحابة لأبي نعيم.

٥٠) الرياض النضرة ٢/٢٨٩ في ذكر تعميمه إيّاه (ص) بيده، وأسد الغابة ٣/١١٤.

عمّمني رسول اللّه (ص) يوم غدير خمّ بعمامة سوداء طرفها على منكبي[٥١].

وفي مسند الطيالسي وسنن البيهقي قال:

عمّمني رسول اللّه (ص) يوم غدير خمّ بعمامة سدلها خلفي، ثمّ قال: إنّ اللّه عزّ وجلّ أمدّني يوم بدر وحنين بملائكة يعتمّون هذه العمة... وقال: إنّ العمامة حاجزة بين المسلمين والمشركين...[٥٢].

وعن عليّ (ع): أنّ النبيّ (ص) عمّمه بيده، فذنّب العمامة من ورائه ومن بين يديه، ثمّ قال له النبيّ (ص): «أدبر»، فأدبر. ثمّ قال له: «أقبل»، فأقبل. وأقبل على أصحابه فقال النبيّ (ص): «هكذا تكون تيجان الملائكة»[٥٣].

وعن ابن عبّاس قال:

لـمّا عمّم رسول اللّه (ص) عليّاً بالسحاب قال له: «يا عليّ، العمائم تيجان العرب...»[٥٤].

وعن عبد اللّه بن بشر قال.

بعث رسول اللّه (ص) يوم غدير خمّ إلى عليّ فعمّمه وأسدل العمامة بين كتفيه، وقال: «وهكذا أمدّني ربّي يوم حنين بالملائكة معمّمين وقد أسدلوا العمائم، وذلك حجز بين المسلمين والمشركين»[٥٥].

٥١) في ترجمة عبداللّه بن بشر من الإصابة ٢/٢٧٤، قال: أخرجه البغوي.
٥٢) كنزالعمال ٢٠/٤٥. ومسند الطيالسي ١/٢٣. والبيهقي ١٠/١٤.
٥٣) كنزالعمال ٢٠/٤٥ عن مشيخة ابن باذان.
٥٤) كنزالعمال عن الديلمي.
٥٥) هكذا رواه ابن طاووس في أمان الأخطار، غير أنّها في ترجمة عبد اللّه بن بشر بالإصابة ٢/٢٧٤، رقم الترجمة ٤٥٦٦، ليس فيها لفظ (يوم غدير خمّ).

المناشــدة

جمع عليّ الناس في رحبة مسجد الكوفة[٥٦]، ثمّ قال لهم:

أنشد اللّه كلّ امرئ مسلم سمع رسول اللّه يقول يوم غدير خمّ ما سمع إلا قام[٥٧] ولا يقوم إلّا من قد رآه[٥٨]، فقام ثلاثون من الناس. - وفي رواية - فقام ناس كثير[٥٩]. وقال عبد الرحمن: فقام آثنا عشر بدرياً، كأنّي أنظر إلى أحدهم[٦٠] فشهدوا حين أخذ بيده،فقال للناس: « أتعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم »،قالوا: نعم يا رسول اللّه[٦١]. قال: « من كنت مولاه، فهذا مولاه اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه[٦٢]، وآنصر من نصره وآخذل من

٥٦) تاريخ آبن كثير ٥/٢١١.

٥٧) رواه أبو الطفيل، عامر أو عمرو بن واثلة الليثي، ولد عام أحد، ورأى النبيّ وعمّر إلى أن مات سنة عشر و مائة، وهو آخر من مات من الصحابة، روى عنه جميع أصحاب الصحاح. التهذيب ١/٣٨٩.

وروايته بمسند أحمد ٤/٣٧٠، وفي ١/١١٨ منه بثلاثة أسانيد:

أ - عن أبي الطفيل، عن زيد بن أرقم.

ب - عن سعيد بن وهب الهمداني الجنواني، وهو كوفي، ثقة، مخضرم، مات سنة خمس أو ست وسبعين، ترجمته في تهذيب التهذيب وقد رواها أحمد عنه مختصراً في ٥/٣٦٦.

ج - عن زيد بن يثيع الهمداني الكوفي، ثقة، مخضرم، من الطبقة الثانية من الرواة، ترجمته بتهذيب التهذيب ١/٢٧٧.

٥٨) في رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري المدني، الكوفي، ثقة من الثانية روى عنه جميع أصحاب الصحاح، ومات سنة نيف وثمانين، ترجمته بتقريب التهذيب ١/٤٩٦، والرواية في مسند أحمد ١/١١٩ ح ٩٦٤.

٥٩) مسند أحمد ٤/٣٧٠ في حديث أبي الطفيل. وآبن كثير ٥/٢١٢.

٦٠) حديث عبد الرحمن بمسند أحمد ١/٩٦١، وفي ٥/٣٧٠. وآبن كثير ٥/٢١١.

٦١) في مسند أحمد ١/١١٨ و ٤/٣٧٠. وآبن كثير ٥/٢١١. ومجمع الزوائد ٩/١٠٥.

٦٢) في مسند أحمد ١/١١٨ و ١١٩، و ٤/٣٧٠، و ٥/٣٧٠، وآبن كثير ٥/٢١١.

خذله »[٦٣].

قال عبد الرحمن: فقام إلّا ثلاثة لـم يقـوموا، فدعا عليهم فأصابتهم دعوته[٦٤].

قال أبـو الطفيل: فخرجت وكأنّ في نفسي شيئاً، فلقيت زيد بن أرقم فقلت له: إنّي سمعت عليّاً (رض) يقـول كذا وكذا. قال: فما تنكـره قد سمعت رسول اللّه يقول ذلك له[٦٥].

وفي رواية: فقام ثلاثون من الناس[٦٦].

وفي رواية: جاء رهط من الأنصـار إلى علي في الرحبة فقالوا: السلام عليك يا مولانـا. قال: كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب. قالوا: سمعنا رسـول اللّه (ص) يوم خمّ يقـول: « من كنت مولاه فإنّ هذا مولاه ». قال الراوي: فلـمّا مضوا تبعتهم فسألت: من هؤلاء ؟ قالوا: نفر من الأنصار منهم أبو أيّوب.

وفي رواية: فقال: من القوم ؟ قالوا: مواليك يا أمير المؤمنين[٦٧].

ما أشبه تعيـين الوصـيّ في هذه الأمّـة

بتعيين الوصـيّ في أمّـة موسى (ع)

رأينا في التوراة يقول في صدد تعيـين الوصـيّ لموسى بن عمران (ع) ما موجزه:

٦٣) مسند أحمد ١/١١٨. وتاريخ آبن كثير ٥/٢١٠.
٦٤) مسند أحمد ١/١١٩ ح ٩٦٤.
٦٥) مسند أحمد ٤/٣٧٠.
٦٦) مسند أحمد ٤/٢٧٠. والرياض النضرة ٢/١٦٢. وآبن كثير ٥/٢١٢.
٦٧) مسند أحمد ٥/٤١٩. وآبن كثير ٥/٢١٢.

فقال الربّ لموسى: خذ يشوع بن نون رجلاً فيه روح وضع يدك عليه وأوقفه قدّام كلّ الجماعة وأوصه أمام أعينهم واجعل من هيبتك عليه لكي يسمع له كلّ جماعة بني إسرائيل حسب قوله يدخلون وحسب قوله يخرجون. ففعل موسى ما أمره الربّ، أخذ يشوع وأوقفه قدّام كلّ الجماعة ووضع يديه عليه وأوصاه كما تكلّم الربّ. . . .

ورأينا في القرآن الكريم بعد ما أوحى اللّه إلى خاتم أنبيائه (ص) في شأن الإمام عليّ ما أوحى، رأيناه يقول: ﴿ يا أيّها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربّك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته واللّه يعصمك من الناس ﴾ ورأينا النبيّ (ص) بعد ذلك يأمر بالحجيج أن يجتمعوا في غدير خم، يرجع إليه من تقدم عليه ويلتحق به من تأخّر عنه، ثمّ يوقف الإمام عليّاً ويرفعه أمام كلّ الجماعة وهم ينوفون على سبعين ألف ويخاطب الجمع ويقول لهم:

« ألستم تشهدون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟» ولما قال الجمع: اللهم بلى، جعل الرسول من هيبته هذا على الإمام عليّ وقال:

« من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه. . . »

* * *

كان ما أوردناه بعض النصوص الواردة في السنّة النبويّة في تعيين إمام الأمّة وولي الأمر من بعده. ونذكر في ما يأتي بعض ما ورد في كتاب اللّه في هذا الصدد.

الولاية و أولو الأمر في القرآن الكريم

أ ـ ولاية عليّ في القرآن الكريم

نصّت الأحاديث السابقة على ولاية الإمام عليّ على المؤمنين بعد رسول اللّه (ص) وهذا بعينه ما عنته الآية الكريمة: ﴿ إنّما وليّكم اللّه ورسوله والّذين آمنوا الّذين يقيمون الصّلاة ويؤتون الزّكاة وهم راكعون ﴾ المائدة/٥٥.

ويؤيد ذلك الروايات الآتية:

في تفسير الطبري، وأسباب النزول للواحدي وشواهد التنزيل للحاكم الحسكاني وأنساب الأشراف للبلاذري وغيرها[١]:

عن آبن عباس وأبي ذرّ وأنس بن مالك والإمام عليّ وغيرهم ما خلاصته:

١) تفسير الطبري ١٨٦/٦. وأسباب النزول للواحدي ص ١٣٣ ـ ١٣٤، وفي شواهد التنزيل ١٦١/١ـ١٦٤ خمس روايات عن آبن عباس وفي ص ١٦٥ ـ ١٦٦ روايتان عن أنس بن مالك، وستّ روايات أخرى في ص ١٦٧ ـ ١٦٩ وأنساب الأشراف للبلاذري ح ١٥١ من ترجمة الإمام ١/الورقة ٢٢٥. وغرائب القرآن للنيسابوري بهامش الطبري ١٦٧/٦ ـ ١٦٨. وأخرج السيوطي كثيراً من رواياتها في تفسيره ٢٩٣/٢ ـ ٢٩٤، وقال في لباب النقول في أسباب النزول ص ٩٠ ـ ٩١ بعد إيراد الروايات: (فهذه شواهد يقوّي بعضها بعضاً).

(إنّ فقيراً من فقراء المسلمين دخل مسجد الرسول (ص) و سأل، وكان عليّ راكعاً في صلاة غير فريضة[٢]، فأوجع قلب عليّ كلام السائل، فأومأ بيده اليمنى إلى خلف ظهره، وكان في إصبعه خاتم عقيق يماني أحمر يلبسه في الصلاة، و أشار إلى السائل بنزعه، فنزعه ودعا له ومضى فما خرج أحد من المسجد حتّى نزل جبرئيل (ع) بقول الله عزّ وجل: ﴿ إنّما وليّكم الله... ﴾ الآية[٣]، فأنشأ حسّان بن ثابت يقول أبياتاً منها قوله:

أباحسن تفديك نفسي ومهجتي ... وكلّ بطيء في الهدى ومسارع
فأنت الّذي أعطيت إذ أنت راكع ... فدتك نفوس القوم ياخيرراكع
فأنزل فيك الله خير ولاية ... فأثبتها في محكمات الشرائع[٤]

إيراد على دلالة الآية

أورد بعضهم على مفاد الروايات السابقة أنّ لفظ الآية: ﴿ الّذين آمنوا الّذين يقيمون الصّلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ﴾ جمعٌ، فكيف يعبر بلفظ الجمع ويراد به الواحد وهو الإمام علـيّ (ع) ؟

قال المؤلف: توهّم من قال ذلك، فإنّ الّذي لا يجوز إنّما هو آستعمال اللّفظ المفرد و إرادة الجمع منه، أمّا العكس فجائز و شائع في المحاورات، وقد ورد نظائره في موارد متعدّدة في القرآن الكريم، مثل التعابير الّتي وردت في سورة المنافقين:

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم، إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنّك

٢) يستفاد ذلك من رواية أنس حيث قال: خرج النبيّ إلى صلاة الظهر فإذا هو بعلي يركع. ونظيرها رواية آبن عباس، وكلتاهما في شواهد التنزيل ١/١٦٣ ـ ١٦٤.

٣) إلى هنا أوردنا ملخّصه من شواهد التنزيل.

٤) نقلاً عن كفاية الطالب الباب ٦١ ص ٢٢٨، وبقية مصادر الحديث في تاريخ آبن كثير ٣٥٧/٧

لرسول اللّه و اللّه يعلم إنّك لرسوله و اللّه يشهد إنّ المنافقين لكاذبون ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿و إذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول اللّه لوّوا رؤوسهم و رأيتهم يصدّون و هم مستكبرون﴾ إلى قوله: ﴿ هم الّذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول اللّه حتّى ينفضّوا و للّه خزائن السموات و الأرض و لكنّ المنافقين لا يفقهون يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ و للّه العزّة و لـ . ' و للمؤمنين و لكنّ المنافقين لا يعلمون ﴾ المنافقون/١ ـ ٨.

ال الطبري في تفسير السورة:

إنّـما عني بهذه الآيات كلّها عبد اللّه بن أبـي سلول. . . و أنزل اللّه فيه هذه السورة من أوّلها إلى آخرها، و بالنحو الّذي قلنا، قال أهل التأويل و جاءت الأخبار[٥].

و روى السيوطي بتفسير الآيات عن آبن عباس انّه قال:

و كلّ شيء أنزله في المنافقين ـ في هذه السورة ـ فإنما أراد عبداللّه بن أبـي[٦].

و موجز القصة كما نقلها أهل السير و ورد في التفاسير:

(انّ أجير عمر بن الخطاب، جهجاه الغفـاري، آزدحم بعد غـزوة بني المصطلق مع سنان الجهني حليف بني الخزرج على الماء فآقتتلا فصرخ الجهني: يا معشر الأنصار! و صرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين! فغضب عبد اللّه بن أبـيّ و معه رهط من قومه و فيهم زيد بن أرقم، غلام حديث السنّ فقال: أ قد فعلوها؟ قد نافرونا و كاثرونا في بلادنا، و اللّه ما اعدّنا و جلابيب قريش هذه إلاّ كما قال القـائـل: سمّن كلبـك يأكلك! أما و اللّه لئن رجعنا إلى المدينة ليخـرجنّ الأعـزّ منها الأذلّ، ثمّ أقبل على من حضره من قومه، فقال: هذا

٥) تفسير الطبري ٢٨/ ٢٧٠.
٦) تفسير السيوطي ٦/ ٢٢٣.

ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحوّلوا إلى غير بلادكم، فسمع ذلك زيد بن أرقم ومشى به إلى رسول الله وأخبره وعنده عمر بن الخطاب[٧].

فقال عمر بن الخطاب: دعني أضرب عنقه يا رسول الله. فقال: إذاً ترعد له آنف كثيرة بيثرب. قال عمر: فإن كرهت يا رسول الله أن يقتله رجل من المهاجرين، فمر به سعد بن معاذ ومحمد بن مسلمة فيقتلانه. فقال: إنّي أكره أن يتحدث الناس أنّ محمداً يقتل أصحابه[٨].

فذهب عبد الله إلى رسول الله، وحلف أنّه لم يكن شيء من ذلك، فلام الأنصار زيداً على قوله. وقالوا لعبد الله: لو رأيت رسول الله يستغفر لك. فلوّى رأسه وقال: أمرتموني أن أومن فآمنت، وأمرتموني أن أعطي زكاة مالي فأعطيت، فما بقي لي إلاّ أن أسجد لمحمّد، فنزلت السورة فيه وهو المقصود بقوله تعالى: ﴿ هم الّذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتّى ينفضّوا ﴾[٨].

وهو المقصود من قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لوّوا رؤوسهم... ﴾)[٩].

* * *

في هذه السورة عبّر الله عن عبد الله بن أبيّ القائل الواحد، بقوله تعالى: ﴿ هم الّذين يقولون ﴾ وبقوله عزّ اسمه: ﴿وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لوّوا رؤوسهم ﴾. القائل والفاعل واحد كما أجمع على ذلك المفسّرون، وأطبقت الروايات على ذلك، وإنّما أوردنا هذا على سبيل المثال

٧) تفسير الطبري ٢٨/٧٥.
٨) تفسير الطبري ٢٨/٧٤.
٩) لـخّصنا روايات متعددة وردت في تفسير الطبري ٢٨/٧١ فما بعدها، وتفسير السيوطي ٦/٢٢٢ فما بعدها إلى غير ذلك ممّا ورد في التفاسير والسير.

وإلاّ فنظائرها متعدّدة في القرآن الكريم مثل قوله تعالى:

﴿ ومنهم الّذين يؤذون النبيّ ويقولون هو أذن ﴾ التوبة/٦١.

﴿ الّذين قال لهم النّاس إنّ الناس قد جمعوا لكم... ﴾ آل عمران/١٧٣.

﴿ يقولون هل لنا من الأمر من شيء... ﴾ آل عمران/١٥٤.

هذه إلى غيرها ممّا عُبّر فيها بلفظ الجمع وأريد بها الواحد، تعدّد نظائرها في القرآن الكريم.

ب ـ أولو الأمر: عليّ و الأئمة من ولده

أثبتت الروايات المتظافرة المتواترة السابقة أنّ عليّاً هو مولى المؤمنين ووليّ أمرهم بعد رسول اللّه (ص)، كما أنّها تفسّر المراد من أولي الأمر في الآية الكريمة:

﴿ يا أيّها الّذين آمنوا أطيعوا اللّه و أطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾ النساء/٥٩.

ودلّت على ذلك أيضاً الأحاديث الآتية:

أ ـ في شواهد التنزيل عن علي أنّه سأل رسول اللّه عن الآية وقال: يا نبي اللّه من هم؟ قال: أنت أوّلهم.

ب ـ وعن مجاهد: ﴿ وأولي الأمر منكم ﴾.

قال: علي بن أبي طالب ولاّه اللّه الأمر بعد محمّد في حياته حين خلّفه رسول اللّه بالمدينة فأمر اللّه العباد بطاعته وترك الخلاف عليه.

ج ـ وعن أبي بصير، عن أبي جعفر:

أنّه سأله عن قول اللّه: ﴿ أطيعوا اللّه و أطيعوا الرسول و أولي الأمر

منكم ﴾.

قال: نزلت في عليّ بن أبي طالب.

قلت: إنّ الناس يقولون: فما منعه أن يسمّي عليّاً وأهل بيته في كتابه فقال أبو جعفر:

قولوا لهم؛ إنّ اللّه أنزل على رسوله الصلاة ولم يسمّ ثلاثاً ولا أربعاً حتّى كان رسول اللّه هو الذّي يفسّر ذلك، وأنزل الحجّ فلم ينزل طوفوا أسبوعاً حتّى فسّر لهم ذلك رسول اللّه. وأنزل: ﴿وأطيعوا اللّه وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ فنزلت في عليّ والحسن والحسين وقال رسول اللّه (ص) أوصيكم بكتاب اللّه وأهل بيتي إنّي سألت اللّه أن لا يفرق بينهما حتّى يردا عليَّ الحوض، فأعطاني ذلك[10].

ج ـ قول النبيّ (ص): مثل أهل بيتي كسفينة نوح (ع) ومثل باب (حطّة) في بني إسرائيل

روى من الصحابة وأهل البيت كلّ من الإمام علي وأبي ذرّ وأبي سعيد الخدري وابن عباس وأنس بن مالك:

أنّ رسول اللّه (ص) قال:

« مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق ».

وفي ألفاظ بعضهم:

« ومثل باب حطّة في بني إسرائيل ».

المصـادر:

ذخائر العقبى للمحبّ الطبري ص: ٢٠.

١٠) الأحاديث: أ، ب، ج وردت متواليات في شواهد التنزيل ١/١٤٨ ـ ١٥٠.

مستدرك الحاكم ٢/٣٤٣، و ٣/ ١٥٠ .

حلية الأولياء لأبي نعيم ٤/٣٠٦ .

تاريخ بغداد للخطيب ١٢/ ١٩ .

مجمع الزوائد للهيثمي ٩/١٦٨ .

الدر المنثور للسيوطي بتفسير الآية: ﴿ وآدخلوا الباب سجّداً و قولوا حطة نغفر لكم خطاياكم ﴾ البقرة/ ٥٨.

و في تاريخ الخلفاء للسيوطي ص: ٢٧٠ بترجمة المنصور:عن المأمون عن الرشيد عن المهدي عن المنصور عن أبيه عن جده عن آبن عباس عن النبيّ (ص):

« مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا و من تخلّف عنها هلك ».

كنز العمّال، ط . الأولى ٦/١٥٣ و ٢١٦ .

الصواعق لابن حجر ص: ٧٥، رواها عن الدارقطني و الطبراني و آبن جرير و أحمد بن حنبل و غيرهم .

كلّ ما ذكرناه في ما سبق نصوص من الكتاب و السنّة تدلّ على تعيين اللّه و رسوله (ص) وليّ الأمر بعد الرسول (ص). وفي ما يأتي نصوص أخرى بألفاظ أخرى كما ترد في البحوث الآتية .

الأئمة: علي و بنوه عليهم السّلام مبلّغون عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله

حصر القرآن الكريم في عدّة آيات وظيفة الرسل في التبليغ مثل قوله تعالى:

﴿ ما على الرسول إلّا البلاغ ﴾ المائدة/ ٩٩.

و قوله: ﴿ وما على الرسول إلّا البلاغ المبين ﴾ النور/٥٤، و العنكبوت/١٨.

و قوله: ﴿ إنّما على رسولنا البلاغ المبين ﴾ المائدة/٩٢، و التغابن/١٢.

و قوله: ﴿ فهل على الرسل إلّا البلاغُ المبين ﴾ النحل/٣٥.

و حصر كذلك وظيفة خاتم الرسل خاصّة في التبليغ بقوله تعالى:

﴿ فإنّما عليك البلاغ ﴾ آل عمران/٢٠، والنحل/٣٥، و الرعد/١٣.

و قوله: ﴿ إن عليك إلّا البلاغ ﴾ الشورى/٤٨.

و ينقسم التبليغ إلى تبليغ مباشر و تبليغ بواسطة، و إلى تبليغ ما حان وقت عمله و ما لم يحن، مثل حكم الطائفتين المتقاتلتين من المؤمنين و واجب المسلمين تجاه الحاكم الجائر، و ينقسم ما يبلّغه الرسول إلى قسمين:

أ ـ ما أُوحي إلى الرسول لفظه و معناه و هو كتاب اللّه و يسمّى في هذه

الأمّة بالقرآن الكريم.

قال سبحانه: ﴿ وأوحي إليّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ﴾ الأنعام/١٩.

ب ـ ما أوحي إلى الرسول معناه دون لفظه. وبلّغه الرسول بلفظه الشريف، مثل تبليغه تفصيل أحكام الشرع.

وقال اللّه سبحانه: ﴿ شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والّذي أوحينا إليك وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه ﴾ الشورى/١٣.

إنّ الرسول (ص) عندما يعيّن عدد ركعات الصلاة وأذكارها، ويبيّن سائر أحكامها وسائر أحكام الشرع الإسلاميّ، أو يبلّغ أنباء الأمم السابقة والغيوب الآتية في هذه الدنيا أو العالم الآخر، إنّما يبلّغ ما أوحي إليه في غير القرآن الكريم ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى ﴾ ويسمّى هذا النوع من التبليغ في هذه الأمّة بالحديث النبويّ الشريف.

* * *

حصرت الآيات السابقة وظيفة الرسول بالتبليغ، وعلى هذا فإنّ الصفة المميزّة للرسول هي التبليغ، وإذا قال الرسول عن شخص: « إنّه منّي » يعني إنّه منه في أمر التبليغ ولا نقول هذا آعتباطاً، بل قد وجدنا الرسول يصرّح بذلك في قسم من تلك الأحاديث، مثل ما ورد في قصّة تبليغ آيات البراءة التالية:

قصّة تبليغ آيات البراءة

وردت قصّة تبليغ سورة البراءة في صحيح الترمذي و تفسير الطبري وخصائص النسائي ومستدرك الصحيحين وغيرها، عن أنس وآبن عباس

وسعد بن أبي وقّاص وعبد اللّه بن عمر وأبي سعيد الخدري وعمر بن ميمون وعليّ بن أبي طالب[1]، وأبي بكر. ونختار هنا ذكر موجز رواية الامام عليّ الواردة في مسند أحمد، قال:

دعا النبيّ أبابكر فبعثه ببراءة لأهل مكّة، لا يحجّ بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلّا نفس مسلمة، ومن كان بينه وبين رسول اللّه (ص) مدّة فأجله إلى مدّته، واللّه بريء من المشركين ورسوله.

قال: فسار بها ثلاثاً ثمّ قال لعليّ: «إلحقه فردّ عليَّ أبا بكر وبلّغها أنت».

قال: ففعل. فلمّا قدم على النبيّ (ص) أبوبكر بكى وقال: يا رسول اللّه حدث فيّ شيء؟

قال: «ما حدث فيك إلّا خير، ولكنّي أمرت أن لا يبلّغه إلّا أنا أو رجل منّي»[2].

وفي رواية عبد اللّه بن عمر:

«ولكن قيل لي: أنّه لا يبلّغ عنك إلّا أنت أو رجل منْك»[3].

وفي رواية أبي سعيد الخدري:

«لا يبلّغ عنّي غيري أو رجل منّي»[4].

---

١) سنن الترمذي ١٣/١٦٤ ـ ١٦٥. ومسند احمد ١/١٥١، و٣/٢٨٣، وراجع ١/١٥٠. وخصائص النسائي ص ٢٨ ـ ٢٩. وتفسير الطبري ١٠/٤٦. ومستدرك الصحيحين ٣/٥١ و٥٢. ومجمع الزوائد ٧/٢٩، و ٩/١١٩.

٢) مسند أحمد ١/٣، ح ٤ من مسند أبي بكر وقال أحمد شاكر: (اسناده صحيح). وراجع كنز العمال وذخائر العقبى.

٣) في مستدرك الصحيحين ٣/٥١.

٤) في الدرّ المنثور بتفسير:﴿ براءة من اللّه ﴾.

تدلّنا القرائن الحالية والمقالية في المقام، أنّ القصد من التبليغ في هذه الروايات وما شابهها تبليغ ما أوحى اللّه إلى رسوله من أحكام إلى المكلّفين بها في بادئ الأمر، وهذا ما لا يقوم به إلاّ الرسول أو رجل من الرسول.

ويقابل هذا التبليغ التبليغ الّذي يقوم به المكلّفون بتلك الأحكام بعد ما بلّغوا بها بواسطة الرسول أو رجل من الرسول، فإنّ لهم عند ذاك أن يقوموا بتبليغها إلى غيرهم، ويطّرد جواز هذا التبليغ ورجحانه ويتسلسل مع كلّ من بلغه الحكم إلى أبد الدهر.

وواضح أنّ الرسول (ص) عنىٰ بقوله: «لا يبلّغ عنّي غيري أو رجل منّي» التبليغ من النوع الأوّل.

ويفسّر أيضاً لفظ «منّي» في أحاديث الرسول (ص) حديث المنزلة الآتي:

عليّ من النبيّ (ص) بمنزلة هارون من موسى

في صحيح البخاري، ومسلم، ومسند الطيالسي، وأحمد، وسنن الترمذي، وابن ماجة وغيرها[٥] واللفظ للأوّل: انّ رسول اللّه (ص) قال لعليّ:

«أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه ليس نبيّ بعدي».

ولفظ مسلم وغيره:

٥) صحيح البخاري ٢/٢٠٠ باب مناقب علي بن أبي طالب. وصحيح مسلم ٧/١٢٠ باب من فضائل علي بن أبي طالب. والترمذي ١٣/١٧١ باب مناقب علي. والطيالسي ١/٢٨ و٢٩ وح ٢٠٥ و٢٠٩ و٢١٣. وابن ماجة باب فضل علي بن أبي طالب ح ١١٥. ومسند أحمد ١/١٧٠ و١٧٣ ـ ١٧٥ و١٧٧ و١٧٩ و١٨٢ و١٨٤ و١٨٥ و٣٣٠، و٣/٣٢ و٣٣٨، و٦/٣٦٩ و٤٣٨. ومستدرك الحاكم ٢/٣٣٧. وطبقات ابن سعد ٣/١/١٤ و١٥. ومجمع الزوائد ٩/١٠٩ ـ ١١١. ومصادر أخرى كثيرة.

« إلّا أنّه لا نبيّ بعدي ».

وفي رواية آبن سعد في الطبقات عن البرّاء بن عازب وزيد بن أرقم قالا:

لـمّا كان عند غزوة جيش العسرة وهي تبوك قال رسول اللّه (ص) لعلي بن أبي طالب: إنّه لا بدّ من أن أقيم أو تقيم، فخلّفه، فلـمّا فصل رسول اللّه (ص) غازياً قال ناس: ما خلّف عليّاً إلّا لشيء كرهه منه فبلغ ذلك عليّاً فاتبع رسول اللّه (ص) حتّى آنتهى إليه فقال له: ما جاء بك يا عليّ ؟ قال: لا يا رسول اللّه إلّا أنّي سمعت ناساً يزعمون أنّك إنّما خلّفتني لشيء كرهته منّي، فتضاحك رسول اللّه (ص)، وقال: يا عليّ، أما ترضىٰ أن تكون منّي كهارون من موسى غير أنّك لست بنبيّ ؟ قال: بلى يا رسول اللّه، قال: فإنّه كذلك[6].

وقد مرّ بعض ألفاظ الحديث في باب من آستخلفه النبيّ (ص) على المدينة في غزواته.

المراد من لفظ « منّي » في أحاديث الرّسول (ص):

إنّ لفظ « منّي » في حديث « أنت منّي بمنزلة هارون من موسى » يوضّح المراد من هذا اللفظ في أحاديث الرسول (ص) الأخرى، وذلك أنّ هارون لـمّا كان شريك موسى في النبوّة ووزيره في التبليغ، وكان عليّ من خاتم الأنبياء بمنزلة هارون من موسى بآستثناء النبوّة، يبقى لعليّ الوزارة في التبليغ.

وكذلك بيّن الرسول (ص) المراد من لفظ « منّي » في حديثه يوم عرفات في حجّة الوداع حيث قال:

٦) طبقات آبن سعد ٣/ق ١/ ١٥. ومجمع الزوائد للهيثمي ٩/ ١١١ بآختلاف يسير.

« عليّ منّي وأنا من عليّ. لا يؤدّي عنّي إلاّ أنا أو عليّ »[7]، وعلى هذا فإنّ الرسول (ص) فسّر لفظ « منّي » في هذه الأحاديث بكلّ وضوح وجلاء، وصرّح (ص) أنّ القصد منه؛ أنّه منه في مقام التبليغ عن اللّه إلى المكلّفين بلا واسطة. ومن ثمّ يتّضح معنى « منّي » في أحاديث أخرى للرسول (ص) في حقّ الإمام عليّ والّذي ورد فيها غير مفسّرة.

مثل ما ورد في رواية بريدة في خبر الشكوى أنّ الرسول (ص) قال له: « لا تقع في علي فإنّه منّي و. . . »[8].

ورواية عمران بن حصين: « إنّ عليّاً منّي . . . »[9].

* * *

في كل هذه الروايات قصد الرسول (ص) أنّ عليّاً والأئمة (ع) من ولده، من رسول اللّه (ص) في حمل أعباء التبليغ إلى المكلّفين مباشرة ووظيفتهم من نوع وظيفته، وعلى هذا فَهُم منه وهو منهم، يشتركون في التبليغ ويختلفون في أنّه يأخذ الأحكام الّتي يبلّغها من اللّه عن طريق الوحي، وهم يأخذونها عن طريق رسول اللّه (ص) فهم مبلّغون عن رسول اللّه (ص) إلى الأمّة وقد أعدّهم اللّه ورسوله (ص) لحمل أعباء التبليغ، وذلك بما عصمهم اللّه من الرجس وطهّرهم تطهيراً، كما أخبر سبحانه عن ذلك في آية التطهير، وبما أفاض الرسول (ص) على الإمام عليّ خاصّة ممّا أوحى اللّه إليه، ثمّ ورث الأئمة من أبيهم الإمام عليّ ذلك واحداً بعد الآخر، كما نصّت على ذلك الروايات الآتية.

٧) أخرجه ابن ماجة في كتاب المقدمة، باب فضائل الصحابة ص ٩٢ من الجزء الأوّل من سننه، والترمذي، كتاب المناقب، ١٣/١٦٩ وهو الحديث: ٢٥٣١ في ص ١٥٣ من الجزء السادس من الكنز في طبعته الأولى، وقد أخرجه الامام أحمد في ص ١٦٤ و١٦٥ من الجزء الرابع من مسنده من حديث حبشي بن جنادة بطرق متعددة.

٨ و ٩) مضى ذكر سندهما في باب: وليّ أمر المسلمين.

حامل علوم الرسول (ص)

في تفسير الرازي وكنز العمّال قال عليّ:

(علّمني رسول اللّه (ص) ألْف باب من العلم وتشعّب لي من كلّ باب ألف باب)[10].

وفي تفسير الطبري وطبقات آبن سعد وتهذيب التهذيب وكنزالعمال وفتح الباري واللفظ للأخير:

عن أبي الطفيل قال: شهدت عليّاً وهو يخطب ويقول:

(سلوني فو اللّه لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلّا حدثتكم به، وسلوني عن كتاب اللّه، فو اللّه ما من آية إلّا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل. . .)[11].

ومن هنا قال في حقّه رسول اللّه (ص) كما رواه جابر بن عبد اللّه:

« أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد المدينة فليأت الباب ». قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد[12].

وفي رواية:

« فمن أراد العلم فليأت الباب »[13].

١٠) بتفسير الآية: ﴿ إنّ اللّه آصطفى آدم. . . ﴾ وكنزالعمال ٦/٣٩٢ و٤٠٥.

١١) تفسير آبن جرير ٢٦/١١٦. وطبقات آبن سعد ٢/ق ٢/١٠١. وتهذيب التهذيب ٧/٣٣٧. وفتح الباري ١٠/٢٢١. وحلية الأولياء ١/٦٧ ـ ٦٨، وكنزالعمال ١/٢٢٨.

١٢) مستدرك الصحيحين ٣/١٢٦. وفي ص ١٢٧ منه بطريق آخر، وفي تاريخ بغداد ٤/٣٤٨ و٧/١٧٢ و١١/٤٨، وفي ض ٤٩ منه عن يحيى بن معين أنّه صحيح. وفي أسد الغابة ٤/٢٢. ومجمع الزوائد ٩/١١٤. وتهذيب التهذيب ٦/٣٢٠ و٧/٤٢٧. وفي متن فيض القدير ٣/٤٦. وكنزالعمال ط. الثانية، ١٢/٢٠١، ح ١١٣٠. والصواعق المحرقة ص ٧٣.

١٣) مستدرك الصحيحين ٣/١٢٧ ـ ١٢٩.

وفي رواية:

سمعتُ رسول اللّه (ص) يوم الحديبية وهو آخذ بيد عليّ يقول:

« هذا أمير البررة وقاتل الفجرة، منصور من نصره، مخذول من خذله، - يمدّ بها صوته - أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد البيت فليأت الباب »[14].

ولفظه في رواية آبن عباس:

« أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد المدينة فليأتها من بابها »[15].

وفي رواية الإمام علي، قال رسول اللّه (ص):

« أنا دار العلم وعليّ بابها »[16].

وقال في حقّه - أيضاً - كما رواه آبن عباس:

« أنا مدينة الحكمة وعليّ بابها، فمن أراد الحكمة فليأت الباب »[17].

وفي رواية الإمام عليّ، قال رسول اللّه (ص):

« أنا دار الحكمة وعليّ بابها »[18].

وقال في حقّه كما في رواية أبي ذر:

« عليّ باب علمي ومبيّنٌ لأمّتي ما أرسلت به بعدي . . . »[19].

وقال كما في رواية أنس بن مالك:

أنّ النبيّ (ص) قال لعليّ (ع):

١٤) تاريخ بغداد للخطيب ٣٧٧/٢.

١٥) كنزالعمال ط . الثانية، ٢١٢/١٢، وح ١٢١٩ . وراجع كنوز الحقائق للمناوي.

١٦) الرياض النضرة ١٩٣/٢.

١٧) تاريخ بغداد للخطيب ٢٠٤/١١، وسنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب عليّ بن أبي طالب.

١٨) سنن الترمذي ١٧١/١٣ باب مناقب علي بن أبي طالب، قال: وفي الباب عن آبن عباس. وحلية الأولياء لأبي نعيم ٦٤/١. وكنز العمال ط . الأولى، ١٥٦/٦.

١٩) كنزالعمال ط . الأولى، ١٥٦/٦.

« أنت تبيّـن لأمّتي ما آختلفوا فيه بعدي ». قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين[20].

وفي رواية قال له:

« أنت تـؤدي عنّي وتسمعهم صوتـي وتبيّـن لـهم ما آختلفـوا فيه بعدي »[21].

وقد يسر الله لخاتم أنبيائـه أن يَزقّ آبن عمـه العلم فيها هيّأ لهما من الاجتماع في بيت واحد منذ أن كان الإمام عليّ طفلاً كما رواه الحاكم:

(كان من نعم الله على عليّ بن أبـي طالب (ع) ما صنع الله وأراده به من الخير، أنّ قريشاً أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب في عيال كثير فقال رسول الله (ص) لعمه العباس وكان من أيسر بني هاشم:

يا أبا الفضل إنّ أخاك أبا طالب كثير العيال وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق بنا إليه نخفّف عنه من عياله آخذ أنا من بنيه رجلاً وتأخـذ أنت رجـلاً فنكفلهـما عنـه، فقال العباس: نعم، فآنطلقا حتّى أتيا أبا طالب، فقالا: إنّا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتّى تنكشف عن الناس ماهم فيه، فقـال لهما أبوطالب: إذا تركتما لي عقيلاً فاصنعا ما شئتما، فأخذ رسول الله (ص) عليّاً فضمّه إليه، وأخذ العباس جعفراً فضمّه إليه، فلم يزل علـيّ (ع) مع رسـول الله (ص) حتّى بعثه الله نبيّاً فآتّبعه وصدّقه، وأخذ العباس جعفراً وضمّه إليه ولم يزل جعفر مع العبّاس حتّى أسلم وآستغنى عنه)[22].

٢٠) مستدرك الصحيحين ٣/١٢٢. وكنزالعمال ط. الأولى، ٦/١٥٦. وراجع المناوي في كنوز الحقائق ص ١٨٨.

٢١) حلية الأولياء ١/٦٣.

٢٢) مستدرك الصحيحين ٣/٥٧٦.

وروي عن زيد بن عليّ بن الحسين عن أبيه عن جده (ع) قال:

(أشرف رسول اللّه (ص) من بيت ومعه عمّاه العباس وحمزة، وعليّ وجعفر وعقيل في أرض يعملون فيها، فقال رسول اللّه (ص) لعمّيه: آختارا من هؤلاء. فقال أحدهما: آخترت جعفراً. وقال الآخر: آخترت عقيلاً. فقال: خيّرتكما فآخترتما، فآختار اللّه لي عليّاً)[٢٣].

وقد أخبر الإمام بنفسه عن ذلك وقال.

(وقد علمتم موضعي من رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة؛ وضعني في حجره وأنا ولد، يضمّني إلى صدره، ويكنفني في فراشه ويمسّني جسده، ويشمّني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثمّ يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل، ولقد قرن اللّه به صلّى اللّه عليه وآله من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره، ولقد كنت أتّبعه اتّباع الفصيل إثر أمّه، يرفع لي في كلّ يوم من أخلاقه علمًا، ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاور في كلّ سنة بحراء، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وخديجة، وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة وأشمّ ريح النبوّة.

ولقد سمعت رنّة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلّى اللّه عليه وآله، فقلت: يا رسول اللّه، ما هذه الرنّة؟[٢٤] فقال:

« هذا الشيطان أيس من عبادته، إنّك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى، إلاّ إنّك لست بنبيّ، ولكنّك لوزير، وإنّك لعلى خير».

ولقد كنت معه صلّى اللّه عليه وآله لـمّا أتاه الملأ من قريش، فقالوا له:

٢٣) مستدرك الصحيحين ٣/٥٧٦ - ٥٧٧.

٢٤) الرنّة: الصيحة الحزينة.

يا محمد، إنّك قد ادّعيت عظيماً لم يدّعه آباؤك ولا أحد من بيتك، ونحن نسألك أمراً إن أنت أجبتنا إليه وأريتناه علمنا أنّك نبيّ ورسول، وإن لم تفعل علمنا أنّك ساحر كذّاب. فقال صلّى اللّه عليه وآله: وما تسألون؟ قالوا: تدعو لنا هذه الشجرة حتّى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك. فقال صلى اللّه عليه وآله: إنّ اللّه على كلّ شيء قدير، فإن فعل اللّه لكم ذلك أتؤمنون وتشهدون بالحقّ؟ قالوا: نعم، قال: فإني سأريكم ما تطلبون، وإنّي لأعلم أنّكم لا تفيؤن إلى خير[٢٥]، وإنّ فيكم من يطرح في القليب[٢٦]، ومن يحزب الأحزاب. ثمّ قال صلّى اللّه عليه وآله: يا أيّتها الشجرة إن كنت تؤمنين باللّه واليوم الآخر وتعلمين أنّي رسول اللّه فانقلعي بعروقك حتّى تقفي بين يدي بإذن اللّه. والّذي بعثه بالحقّ لانقلعت بعروقها وجاءت ولها دوّي شديد، وقصف كقصف أجنحة الطير[٢٧]، حتّى وقفت بين يدي رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله مرفرفة، وألقت بغصنها الأعلى على رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وببعض أغصانها على منكبي، وكنت عن يمينه صلّى اللّه عليه وآله فلما نظر القوم إلى ذلك قالوا علوّاً واستكباراً: فمرها فليأتك نصفها ويبقى نصفها، فأمرها بذلك، فأقبل إليه نصفها كأعجب إقبال وأشدّه دوياً، فكادت تلتفّ برسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله، فقالوا كفرا وعتواً فمر هذا النّصف فليرجع إلى نصفه كما كان، فأمره صلّى اللّه عليه وآله فرجع، فقلت أنا: لا إله إلاّ اللّه، إنّي أوّل مؤمن بك يا رسول اللّه، وأوّل مَن أقرّ بأنّ الشجرة فعلت ما فعلت بأمر اللّه تعالى تصديقاً بنبوّتك وإجلالاً لكلمتك، فقال القوم

٢٥) لا تفيئون: لا ترجعون.

٢٦) القليب ـ كأمير ـ البئر، والمراد منه قليب بدر طرح فيه نيف وعشرون من أكابر قريش، والأحزاب: طوائف متفرقة من القبائل اجتمعوا على حربه (ص) في وقعة الخندق.

٢٧) القصف: الصوت الشديد. و(ريح قاصف) أي: شديدة. و(رعد قاصف) أي: شديد الصوت.

كلّهم: بل ساحر كذّاب عجيب السحر خفيف فيه، وهل يصدّقك في أمرك إلّا مثل هذا ؟ - يعنوني - »[28].

هكذا كان رسول اللّه (ص) يرفع للإمام في صغره كلّ يوم من أخلاقه علماً ويأمره بالاقتداء به، ويزقّه العلم زقّاً في كبره، ويَخصّه بمناجاته.

وقد ورد في صحيح الترمذي وغيره واللفظ للترمذي عن جابر قال:

(دعا رسول اللّه (ص) عليّاً (ع) يوم الطائف فآنتجاه، فقال الناس: لقد طال نجواه مع آبن عمّه! فقال رسول اللّه (ص):

« ما آنتجيته ولكنّ اللّه آنتجاه »)[29].

وفي رواية:

(لـمّا كان يوم الطائف دعا رسول اللّه (ص) عليّاً فناجاه طويلاً فقال بعض أصحابه...) الحديث[30].

وفي رواية جندب بن ناجية أو ناجية بن جندب:

(لـمّا كان يوم غزوة الطائف قام النبيّ (ص) مع علـيّ (ع) مليّاً ثمّ مرّ، فقال له أبو بكر: يا رسول اللّه لقد طالت مناجاتك عليّاً منذ اليوم! فقال:

« ما أنا آنتجيته ولكنّ اللّه آنتجاه »)[31].

وكان الإمام عليّ حريصاً على أن يتلقى من رسول اللّه (ص). ولـمّا نزلت: ﴿ يا أيّها الّذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدّموا بين يدي نجواكم صدقة ﴾ المجادلة/١٢[32].

٢٨) الخطبة ١٩٠ من نهج البلاغة، ٢/١٨٢ - ١٨٤.
٢٩) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب علي بن أبي طالب ١٣/١٧٣. وتاريخ بغداد للخطيب ٧/٤٠٢.
٣٠) أسد الغابة ٤/٢٧.
٣١) كنز العمّال ط. الثانية، ١٢/٢٠٠، ح ١١٢٢. والرياض النضرة ٢/٢٦٥.
٣٢) تفسير السيوطي ٦/١٨٥.

قال الطبري :

(نهوا عن مناجات النبيّ (ص) حتّى يتصدّقوا، فلم يناجه أحد إلاّ عليّ بن أبي طالب)[٣٣].

وفي أسباب النزول للواحدي وغيره عن الإمام عليّ :

(كان لي دينار فبعته وكنت إذا ناجيت الرسول (ص) تصدّقت بدرهم حتّى نفد)[٣٤].

وفي رواية :

(كان عندي دينار فصرفته بعشرة دراهم فكنت إذا جئت إلى النبيّ (ص). . .)[٣٥].

وروى الزمخشري في تفسير الآية :

(أنّه تصدق في عشر كلمات سألهنّ رسول اللّه (ص)).

وفي رواية عن الإمام :

إنّ في كتاب اللّه لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي :

آية النجوى: ﴿ يا أيّها الذّين آمنوا إذا ناجيتم . . . ﴾ الآية، كان عندي دينار ـ إلى قوله :ـ ثمّ نسخت فلم يعمل بها أحد، فنزلت: ﴿ أ أشفقتم أن تقدّموا بين يدي نجواكم صدقات . . . ﴾ المجادلة/١٣[٣٦]

هكذا كان مع رسول اللّه (ص) ولم يفارقه حتّى آخر لحظة من حياته.

قالت عائشة :

(قال رسول اللّه (ص) لـمّا حضرته الوفاة :

« أُدعوا لي حبيبي »، فدعوا له أبابكر، فنظر إليه، ثمّ وضع رأسه.

٣٣) تفسير الطبري ١٤/٢٨ ـ ١٥ . و الدرّ المنثور ١٨٥/٦ .

٣٤) أسباب النزول للواحدي ص ٣٠٨ ، والطبري في تفسير الآية .

٣٥) تفسير الاية في الدرّ المنثور ١٨٥/٦ . و الرياض النضرة ٢٦٥/٢ .

٣٦) تفسيرالسيوطي ١٨٥/٦ . و الرياض النضرة ٢٦٥/٢ . و الكشاف ٧٦/٤ .

ثمّ قال: « أُدعوا لي حبيبي »، فدعوا له عمر، فلـمّا نظر إليه، وضع رأسه.

ثمّ قال: « أُدعـوا لي حبيبي » فدعوا له عليّاً (ع)، فلـمّا رآه أدخله في الثوب الّذي كان عليه فلم يزل يحتضنه حتّى قبض ويده عليه)[37].

وعن آبن عباس:

(إنّ النبيّ ثقـل وعنـده عائشة وحفصة إذ دخل علـيّ (ع) فلـمّا رآه النبيّ (ص) رفع رأسه ثمّ قال: « أُدن منّي، أُدن منّي »، فأسنده فلم يزل عنده حتّى توفي)[38].

وعن أمّ سلمة قالت:

(والّـذي أحلف به أن كان علـيّ (ع) لأقـرب النـاس عهـداً برسول اللّه (ص). عدنا رسول اللّه (ص) غداة وهو يقول: جاء علـيّ ؟ جاء علـيّ؟ مراراً، فقـالت فاطمة: كأنّك بعثته في حاجة، قالت. فجاء بعد، قالت أمّ سلمة: فظننت أنّ له إليه حاجة فخرجنا من البيت فقعدنا عند الباب وكنت من أدناهم إلى الباب، فأكبّ عليه رسول اللّه (ص) وجعل يسارّه ويناجيه، ثمّ قبض رسول اللّه من يومه ذلك، فكان علـيّ أقرب الناس عهداً).

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الاسناد[39].

* * *

عن آبن عباس، قال: قال رسول اللّه (ص):

« من سـرّه أن يحيى حياتـي ويموت مماتـي ويسكن جنّة عدن غرسها

٣٧) الرياض النضرة ٢/٢٣٧، ط. الثانية، مطبعة دار التأليف مصر، وذخائر العقبى ص ٧٢.

٣٨) مجمع الزوائد ٩/٣٦.

٣٩) مسند أحمد ٦/٣٠٠. و خصائص النسائي ص ٤٠. ومستدرك الصحيحين ٣/١٣٨ - ١٣٩.

ربّي، فليوال عليّاً من بعدي، وليوال وليّه، وليقتد بالأئمة من بعدي فإنّهم عترتي خلقوا من طينتي، رزقوا فهماً وعلماً، وويل للمكذّبين بفضلهم من أمّتي، القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم اللّه شفاعتي»[٤٠].

إلى هنا ذكرنا ما ورد في حقّ الوصيّ الأوّل بعد الرسول (ص)، وفي ما يأتي نذكر ما ورد في شأن أوصياء الرسول بعد الوصيّ الأوّل.

٤٠) حلية الأولياء لأبي نعيم ١/٨٦.

ما ورد في حقّ سبطي رسول اللّه (ص)

ذكرنا في ما سبق شيئاً ممّا ورد في حقّ الإمام الأوّل عليّ بن أبي طالب. وفي ما يأتي نذكر ما ورد في حقّ سبطي رسول اللّه (ص)، منه قوله لكلٍّ منهما: « هذا منّي »، وقد عرفنا معنى (منّي) في البحث السابق.

الحسن و الحسين من رسول اللّه و سبطاه

في مسند أحمد عن المقدام بن معدي كرب:

أنّ رسول اللّه وضع الحسن في حجره وقال: « هذا منّي . . . »[1].

وعن البراء بن عازب قال:

قال النبيّ (ص) للحسن أو الحسين: « هذا منّي »[2].

وروى البخاري و الترمذي و ابن ماجة وأحمد و الحاكم عن يعلى بن مرّة أنّ رسول اللّه (ص) قال:

« حسين منّي و أنا من حسين، أحبّ اللّه من أحبّ حسيناً، حسين سبط من الأسباط »[3].

١) مسند أحمد ١٣٢/٤. و كنز العمال ٩٩/١٣ و ١٠٠ و ٢٦٢/١٦. ومنتخب الكنز ١٠٦/٥. و الجامع الصغير بشرح فيض القدير ١٤٥/٣.

٢) كنز العمال ٢٧٠/١٦.

٣) البخاري في الأدب المفرد باب معانقة الصبي ح ٣٦٤. و الترمذي ١٩٥/١٣ في باب مناقب الحسن و الحسين. و ابن ماجة، كتاب المقدمة، باب ١١، ح ١٤٤. ومسند أحمد ١٧٢/٤.

وفي رواية:

« الحسن و الحسين سبطان من الأسباط »[٤].

وعن أبـي رمثة قال، قال رسول اللّه (ص):

« حسين منّي و أنا منه هو سبط من الأسباط »[٥].

وفي رواية:

« الحسن و الحسين سبطان من الأسباط »[٦].

وعن البراء بن عازب قال: قال رسول اللّه (ص):

« حسين منّي و أنا منّه أحبَّ اللّه من أحبَّه، الحسن و الحسين سبطان من الأسباط »[٧].

إنّ قول رسول اللّه (ص): « منّي » في هذه الروايات بحقّ الحسنين نظير قوله بحقّ أبيهما الإمام علـيّ، أراد في جميعها، أنّهم منه في مقام تبليغ أحكام الإسلام.

و كذلك نرى أنّ قوله في حقّهما أنّهما سبطان من الأسباط، لا يعني أنّهما حفيدان كما أنّ جميع البشر ما عداهما حفدة، فهذا هذر من القول حاشا رسول اللّه (ص) منه، بل إنّ الألف و اللام في الأسباط للعهد الذهني من القرآن الكريم، أي: أنّـهما من الأسباط المذكورين في كتاب اللّه في قوله تعالى:

﴿ قولـوا آمنـا باللّه و ما أنـزل إلينـا و ما أنـزل إلى إبراهيم و إسماعيل و إسحاق و يعقوب و الأسباط و ما أوتـي موسى و عيسى و ما أوتـي النبيّون من

و مستدرك الحاكم ٣/١٧٧. ووصف هو و الذهبي الحديث بأنّه صحيح، و أسد الغابة ٢/١٩ و ٥/١٣٠.

٤) كنز العمال ١٦/٢٧٠.

٥) كنز العمال ١٣/١٠٦.

٦) كنز العمال ١٣/١٠١ و ١٠٥.

٧) كنز العمال ١٦/٢٧٠.

ربّهم لا نفرّق بين أحد منهم و نحن له مسلمون ﴾ البقرة/١٣٦ .

و قوله تعالى :

﴿ أم تقولون إنّ إبراهيم و إسماعيل و إسحاق و يعقوب و الأسباط كانوا هوداً أو نصارى. . . ﴾ البقرة/١٤٠ .

و قوله تعالى :

﴿قل آمنّا بالله و ما أنزل علينا و ما أنزل على إبراهيم و إسماعيل و إسحاق و يعقوب و الأسباط . . . ﴾ آل عمران/٨٤ .

و قوله تعالى :

﴿ إنّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح و النبيّين من بعده و أوحينا إلى إبراهيم و إسماعيل و إسحاق و يعقوب و الأسباط و عيسى و أيوب و يونس و هارون و سليمان . . . ﴾ النساء/١٦٣ .

و عليه فإنّ الألف و اللام في « الأسباط » في حديث رسول الله (ص) بحقّ الحسنين للعهد الذهني عند المسلمين من هذه الآيات، و إنّ قول رسول الله (ص) في حقّهما نظير قوله في حقّ أبيهما: أنّه منه بمنزلة هارون من موسى ، و قد شرح الله سبحانه تلك المنزلة فيما حكى عن موسى أنّه قال:

﴿ و اجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي آشدد به أزري و أشركه في أمري كي نسبّحك كثيراً و نذكرك كثيراً إنّك كنت بنا بصيراً قال قد أوتيت سؤلك يا موسى . . . ﴾ طه/٢٩ ـ ٣٦ .

و قوله تعالى :

﴿ و أخي هارون هو أفصح منّي لساناً فأرسله معي ردءاً يصدّقني إنيّ أخاف أن يكذّبون قال سنشدّ عضدك بأخيك . . . ﴾ القصص/٣٤ ـ ٣٥ .

و قوله تعالى :

﴿ و قال موسى لأخيه هارون آخلفني في قومي و أصلح و لا تتّبع سبيل

المفسدين. . . ﴾ الأعراف/١٤٢.

وفيها أخبر سبحانه عنهما وقال:

﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً. . . ﴾ الفرقان/٣٥.

وقال:

﴿ ثمّ أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين. . . ﴾ المؤمنون/٤٥.

في هذه الآيات جعل اللّه هارون ردءاً لموسى ووزيراً وشريكاً في النبوّة آستخلفه موسى في قومه، فلـمّا نصّ خاتم الأنبياء على أنّ عليّاً منه بمنزلة هارون من موسى وآستثنى من كلّ ذلك النبوّة وأنّه لا نبيّ بعده، بقي منها للإمام علـيّ ردء ووزارة ومشاركة في التبليغ على عهد الرسول (ص)، ومن بعده الخلافة في قومه وحمل أعباء التبليغ. وكذلك الأمر مع ولديه الحسنين. ونستثني النبوّة ممّا كان للأسباط لأنّه لا نبيّ بعد خاتم الأنبياء، ويبقى لهما حمل مسؤولية تبليغ الأحكام الإسلامية عن اللّه.

أوردنا في ما سبق ما ورد في حقّ الأوصياء الثلاثة الأول بعد رسول اللّه (ص) وفي ما يأتي نذكر ما ورد في شأن آخر أوصياء الرسول (ص) في السنّة النبويّة.

بشارات النبيّ (ص) بظهور المهديّ (ع) في آخر الزمان

المهديّ يواطئ آسمه آسم النبيّ (ص)

سنن الترمذي في باب ما جاء في المهدي (ع)، وأبو داود في كتاب المهديّ وغيرهما قال رسول اللّه (ص):

« لا تذهب الدنيا حتّى يملك العرب رجل من أهل بيتي، يواطئ آسمه آسمي »[1].

في مستدرك الصحيحين ومسند أحمد وغيرهما، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول اللّه (ص):

« لا تقوم الساعة حتّى تملأ الأرض ظلماً وجوراً وعدواناً، ثمّ يخرج من أهل بيتي من يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً »[2].

1) سنن الترمذي ٧٤/٩. ورواه أبو داود في صحيحه في كتاب المهديّ ٢/٧، وطبعة دار إحياء السنّة النبوية (د. ت) ١٠٦/٤ ـ ١٠٧، ح ٤٢٨٢، وأبو نعيم في حليته ٧٥/٥. وأحمد بن حنبل في مسنده ٣٧٦/١. والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٣٨٨/٤. وكنز العمال ط. الأولى ١٨٨/٧ بزيادة: (وخلقه خلقي). والسيوطي في تفسير سورة محمد (ص) في تفسير الآية: ﴿ فهل ينظرون إلّا الساعة... ﴾، الدرّ المنثور ٥٨/٦.

2) مستدرك الصحيحين ٥٥٧/٤. ورواه أبو نعيم في حليته ١٠١/٣ بآختلاف يسير في اللفظ، وأحمد بن حنبل في مسنده ٣٦/٣، وغيرهم. والسيوطي في تفسير الآية: ﴿ فهل ينظرون إلّا الساعة... ﴾ من سورة محمد (ص) ٥٨/٦.

إنّ المهدي (ع) من أهل بيت النبيّ (ص)

في سنن ابن ماجة في أبواب الجهاد عن أبي هريرة، قال:

قال رسول اللّه (ص): «لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم لطوّله اللّه عزّ وجلّ حتّى يملك رجل من أهل بيتي، يملك جبل الديلم والقسطنطينية».

وفي سنن ابن ماجة ـ أيضاً ـ في أبواب الفتن في باب خروج المهدي، ومسند أحمد وغيرهما، عن عليّ (ع) قال:

قال رسول اللّه (ص): «المهدي منا أهل البيت يصلحه اللّه في ليلة».

ورواه آخرون أيضاً[3].

وفي مستدرك الصحيحين قال: عن أبي سعيد الخدري عن رسول اللّه (ص):

أنّه قال: «المهديّ منّا أهل البيت، أشمّ الأنف، أقنى، أجلى، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلمًا، يعيش هكذا ـ وبسط يساره وإصبعين يمينة المسبّحة والإبهام وعقد ثلاثة ـ».

قال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه ورواه أبو داود أيضاً .

المهديّ (ع) من ولد فاطمة (ع)

وفي سنن أبي داود عن أمّ سلمة قالت: سمعت رسول اللّه (ص)

٣) رواه أبو نعيم في حليته ٣/١٧٧، وزاد فقال: في يومين، ورواه أحمد بن حنبل أيضاً ٨٤/١. وذكر السيوطي في الدر المنثور ٥٨/٦ في تفسير سورة محمد (ص) الآية: ﴿ فهل ينظرون إلّا الساعة ﴾ وقال: أخرجه ابن أبي شيبة وأحمد وابن ماجة عن عليّ (ع). كتاب الفتن، باب خروج المهدي ح ٤٠٨٥.

٤) مستدرك الصحيحين ٥٥٧/٤. ورواه أبو داود في صحيحه ١٣٦/٦، كتاب المهدي من سنن أبي داود ١٠٧/٤، ح ٤٢٨٥.

يقول: « المهديّ من عترتي من ولد فاطمة »[5].

وفي كنز العمّال قال: عن عليّ (ع).

قال: « المهديّ رجل منّا من ولد فاطمة »[6].

المهدي (ع) من ولد الحسين (ع)

وفي ذخائر العقبى عن أبي أيّوب الأنصاري قال:

قال رسول اللّه (ص): « يولد منهما ـ يعني الحسن و الحسين (ع) ـ مهديّ هذه الأمّة »[7].

وفي ذخائر العقبى ـ أيضاً ـ قال: عن حذيفة أنّ النبيّ (ص).

قال: « لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل ذلك اليوم حتّى يبعث اللّه رجلاً من ولدي آسمه كآسمي، فقال سلمان: من أيّ ولدك يا رسول اللّه ؟ قال: من وَلَدي هذا »، وضرب بيده على الحسين (ع).

* * *

أكّد رسول اللّه (ص) في رواياته على إمامة الإمام الأوّل عليّ بن أبي طالب (ع) أكثر من سائر الأئمة، وعلى البشارة بآخرهم المهديّ، وعلى أنّ

٥) كتاب المهدي ٤/٧، ح ٤٢٨٤ باب خروج المهدي من كتاب الفتن ٢/١٣٦٨. وسنن أبي داود ٧/١٣٤. ورواه آبن ماجة في صحيحه في أبواب الفتن في باب خروج المهدي وقال: المهديّ من ولد فاطمة. ورواه الحاكم أيضاً في مستدرك الصحيحين ٤/٥٥٧ وقال: هو حقّ ـ يعني المهدي عليه السلام ـ وهو من بني فاطمة. وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال ٢/٢٤ وقال: المهدي من ولد فاطمة. وذكره السيوطي في الدرّ المنثور في تفسير سورة محمد (ص) من تفسير الآية ﴿ فهل ينظرون إلّا الساعة ﴾ ٦/٥٨ و قال: أخرجه أبو داود و آبن ماجة و الطبراني و الحاكم عن أمّ سلمة.

٦) كنز العمال ط. الأولى ٧/٢٦١.

٧) ذخائر العقبى ص ١٣٦.

عددهم اثنا عشر، لأنّه إذا ثبت الأوّل و الآخر و العدد، لا يبقى أدنىٰ شك في من هم الأئمة الّذين عددهم آثنا عشر و أوّلهم الإمام عليّ و آخرهم المهدي، سلام اللّه عليهم أجمعين.

نصوص على إمامة أئمة أهل البيت (ع)

النصوص الواردة عن رسول اللّه (ص) على إمامة أهل البيت (ع) على الأمّـة من بعده كثيرة، منها ما ورد في حقّ جميع أئمة أهل البيت، وأخرى تخصّ بعضهم. ومـمّا ورد في عامّتهم حديث الثقلين.

حديث الثقلين

أ - في حجّة الوداع

روى الترمذي عن جابر، قال:

رأيت رسـول اللّه في حجّته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعته يقول:

« يا أيّها الناس إنّي قد تركت فيكم، ما إن أخذتم به لن تضلّوا؛ كتاب اللّه وعترتـي أهل بيتي ».

قال الترمذي: وفي الباب عن أبـي سعيد وزيد بن أرقم وحذيفة بن أسيد[1].

١) الترمذي ١٣/١٩٩ باب مناقب أهل بيت النبيّ. وراجع كنز العمّال ١/٤٨.

ب ـ في غدير خمّ

في صحيح مسلم ومسند أحمد وسنن الدارمي والبيهقي وغيرها واللفظ للأوّل، عن زيد بن أرقم، قال:

(إنّ رسول اللّه قام خطيباً بماء يدعىٰ خمّاً بين مكّة والمدينة... ثمّ قال:

« ألا يا أيّها الناس فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربّي فأجيب، وإنّي تارك فيكم ثقلين: أوّلهما كتاب اللّه فيه الهدىٰ والنور، فخذوا بكتاب اللّه واستمسكوا به... وأهل بيتي... »)[2].

وفي سنن الترمذي ومسند أحمد واللفظ للأوّل:

« إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب اللّه حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرّقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما »[3].

وفي مستدرك الصحيحين:

« كأنّي قد دعيت فأجبت، إنّي تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب اللّه، وعترتي؛ فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض... »[4].

وفي رواية:

٢) صحيح مسلم باب فضائل علي بن أبي طالب. ومسند أحمد ٤/٣٦٦. وسنن الدارمي ٢/٤٣١ باختصار. وسنن البيهقي ٢/١٤٨ و٧/٣٠ منه بآختلاف يسير في اللفظ. وراجع الطحّاوي في مشكل الآثار ٤/٣٦٨.

٣) الترمذي ١٣/٢٠١. وأسد الغابة ٢/١٢ في ترجمة الإمام الحسن. والدرّ المنثور في تفسير آية المودة من سورة الشورى.

٤) مستدرك الصحيحين وتلخيصه ٣/١٠٩. وخصائص النسائي ص ٣٠، وفي مسند أحمد ٣/١٧: « إنّي أوشك أن أُدعى فأجيب » وفي ص ١٤ و٢٦ و٥٩ منه أكثر تفصيلاً. وطبقات آبن سعد ٢/ق ٢/٢. وكنز العمّال ١/٤٧ و٤٨ وفي ٩٧ موجزاً.

« أيّها الناس إنّي تارك فيكم أمرين لن تضلّوا إن آتّبعتموهما، وهما كتاب الله وأهل بيتي عترتي . . . ».

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين[٥].

وقد ورد هذا الحديث بألفاظ أخرى في مسند أحمد وحلية الأولياء وغيرهما[٦] عن زيد بن ثابت.

* * *

في الحديث السابق أخبر الرسول في آخر سنة من حياته: أنّه بشر، يُوشك أن يأتيه رسول ربّه، ويدعى فيجيب ويلتحق بربّه، وقال: « إنّي تارك فيكم، ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يتفرّقا حتّى يردا عليّ الحوض، فآنظروا كيف تخلفوني فيهما ».

قاله مرّة في عرفة، وأخرى في غدير خمّ، وهذا النصّ من رسول الله في تعيين مرجع الأمّة من بعده، عمّ جميع الأئمة من عترته.

وفي الروايات التالية:

نصّ الرسول (ص) على عددهم:

حديث عدد الأئمة

أخبر الرسول أنّ عدد الأئمة الّذين يلون من بعده آثنا عشر، كما روى عنه ذلك أصحاب الصحاح و المسانيد الآتية.

أ ـ روى مسلم عن جابر بن سمرة أنّه سمع النبيّ يقول:

٥) مستدرك الصحيحين ١٠٩/٣ بطريقين، وقريب منه ما في ١٤٨/٣.

٦) مسند أحمد ٣٦٧/٤ و ٣٧١ و ١٨١/٥. وتاريخ بغداد للخطيب ٤٤٢/٨. وحلية الأولياء ٣٥٥/١ و ٦٤/٩. وأسد الغابة ١٤٧/٣. ومجمع الزوائد للهيثمي ١٦٣/٩ و ١٦٤.

« لايزال الـدين قائمـاً حتّى تقـوم السـاعة أو يكون عليكم آثنا عشر خليفة، كلّهم من قريش ».

وفي رواية:

« لايزال أمر الناس ماضياً. . . ».

وفي حديثين منهما:

« إلى آثني عشر خليفة. . . ».

وفي سنن أبـي داود:

« حتّى يكون عليكم آثنا عشر خليفة ».

وفي حديث:

« إلى آثني عشر »[7].

وفي البخاري، قال: سمعت النبـيّ (ص) يقول:

« يكـون آثنا عشر أميراً »، فقال كلمة لم أسمعها. فقال أبـي: قال: « كلّهم من قريش ».

وفي رواية:

ثمّ تكلّم النبـيّ (ص) بكلمة خفيت عليّ فسألت أبـي: ماذا قال رسول اللّه (ص)؟ فقال: « كلهم من قريش »[8].

٧) صحيح مسلم ٦/٣ ـ ٤ بباب الناس تبع لقريش من كتاب الإمارة. و آخترنا هذا اللفظ من الرواية لأنّ جابراً كان قد كتبها. وفي صحيح البخاري ١٦٥/٤، كتاب الأحكام. وسنن الترمذي باب ما جاء في الخلفـاء من أبواب الفتن. وسنن أبـي داود ١٠٦/٣، كتاب المهدي. ومسند الطيالسي ح ٧٦٧ و١٢٧٨. ومسند أحمد ٨٦/٥ ـ ٩٠ و٩٢ ـ ١٠١ و١٠٦ ـ ١٠٨ وكنز العمّال ٢٦/١٣ ـ ٢٧. وحلية أبـي نعيم ٣٣٣/٤.

وجابر بن سمرة بن جنادة العامري ثمّ السوائي، ابن أخت سعد بن أبـي وقاص، وحليفهم، مات في الكوفة بعد السبعين، وروى عنه أصحاب الصحاح ١٤٦ حديثاً، ترجمته بأسد الغابة. وتقريب التهذيب. وجوامع السيرة ص ٢٧٧.

٨) فتح الباري ٣٣٨/١٦. ومستدرك الصحيحين ٦١٧/٣.

وفي رواية:

« لا تضـرّهم عداوة من عاداهم »[٩].

ب ـ وفي رواية:

« لاتـزال هذه الأمّة مستقيماً أمرها، ظاهرة على عدوّها، حتّى يمضي منهم آثنا عشر خليفة كلّهم من قريش، ثمّ يكون المرج أو الهرج »[١٠].

ج ـ وفي رواية:

« يكون لهذه الأمّة آثنا عشر قيّماً لا يضرهم من خذلهم كلّهم من قريش »[١١].

د ـ « لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم آثنا عشر رجلاً »[١٢].

هـ ـ وعن أنس:

« لن يزال هذا الدين قائماً إلى آثني عشر من قريش فإذا هلكوا ماجت الأرض بأهلها »[١٣].

و ـ وفي رواية:

« لايزال أمر هذه الأمّة ظاهراً حتّى يقوم آثنا عشر كلّهم من قريش »[١٤]

ز ـ وروى أحمد والحاكم وغيرهم واللفظ للأوّل عن مسروق قال:

(كنّا جلوساً ليلة عند عبد اللّه (ابن مسعود) يقرئنا القرآن، فسأله رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن هل سألتم رسول اللّه (ص) كم يملك هذه الأمّة من

٩) فتح الباري ١٦/٣٣٨.

١٠) منتخب الكنز ٥/٣٢١. وتاريخ آبن كثير ٦/٢٤٩. وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٠. وكنز العمال ١٣/٢٦. والصواعق المحرقة ص ٢٨.

١١) كنز العمال ١٣/٢٧، ومنتخبه ٥/٣١٢.

١٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/٢٠٢. والصواعق المحرقة ص ١٨، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٠.

١٣) كنز العمال ١٣/٢٧.

١٤) كنز العمال ١٣/٢٧ عن آبن النجار.

خليفـة ؟ فقال عبد اللّه : ما سألني عن هذا أحد منذ قدمت العراق قبلك، قال : سألناه فقال : آثنا عشر عدّة نقباء بني إسرائيل)[15].

ح ـ وفي رواية قال آبن مسعود : قال رسول اللّه :

« يكون بعدي من الخلفاء عدّة أصحاب موسى »[16].

قال آبن كثير: (وقد روي مثل هذا عن عبد اللّه بن عمر وحذيفة وآبن عباس)[17]. ولست أدري هل قصـد من رواية آبن عبـاس ما رواه الحاكم الحسكاني عن آبن عباس أو غيره.

نصّت الروايات الآنفة أنّ عدد الولاة آثنا عشر وأنّهم من قريش، وقد بيّـن الإمام علـيّ في كلامه المقصود من قريش وقال:

(إنّ الأئمة من قريش غُرسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم ولا يصلح الولاة من غيرهم)[18]. وقال:

(اللهمّ بلى لا تخلو الأرض من قائم للّه بحجّة إمّا ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً لئلاّ تبطل حجج اللّه وبيّناته . . .)[19].

١٥) مسند أحمد ١/٣٩٨ و٤٠٦.
قال أحمد شاكر في هامش الأول: اسناده صحيح.
ومستدرك الحاكم وتلخيصه للذهبي ٤/٥٠١. وفتح الباري ١٦/٣٣٩ مختصراً. ومجمع الزوائد ٥/١٩٠. والصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٢. وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص: ١٠. والجامع الصغير له ١/٧٥. وكنز العمال للمتقي ١٣/٢٧.
وقال: أخرجه الطبراني ونعيم بن حمّاد في الفتن.
وفيض القدير في شرح الجامع الصغير للمناوي ٢/٤٥٨. وأورد الخبرين آبن كثير في تاريخه عن آبن مسعود باب ذكر الأئمة الاثني عشر الّذين كلّهم من قريش ٦/٢٤٨ ـ ٢٥٠.

١٦) ابن كثير ٦/٢٤٨. وكنزالعمال ١٣/٢٧. وراجع شواهد التنزيل للحسكاني ١/٤٥٥، ح ٦٢٦.

١٧) ابن كثير ٦/٢٤٨.

١٨) نهج البلاغة الخطبة ١٤٢.

١٩) ينابيع المودة للشيخ سليمان الحنفي في الباب المائة، ص ٥٢٣. وراجع إحياء علوم الدين للغزالي ١/٥٤. وفي حلية الأولياء ١/٨٠ بإيجاز.

وقال آبن كثير:

(وفي التوراة الّتي بأيدي أهل الكتاب ما معناه: أنّ اللّه تعالى بشّر إبراهيم بإسماعيل وأنّه ينميه ويكثره ويجعل من ذرّيّته آثني عشر عظيماً).

وقال:

(قال آبن تيميّة: وهؤلاء المبشّر بهم في حديث جابر بن سمرة وقرّر أنهم يكونون مفرّقين في الأمّة ولا تقوم الساعة حتّى يوجدوا).

وغلط كثير ممّن تشرف بالإسلام من اليهود فظنّوا أنّهم الّذين تدعو إليهم فرقة الرافضة فآتّبعوهم[٢٠].

قال المؤلف:

والبشارة المذكورة، أعلاه في سفر التكوين، الإصحاح (١٧/ الرقم: ١٨ ـ ٢٠) من التوراة المتداولة في عصرنا. وقد جاءت هذه البشارة في الأصل العبري كالآتي:

جاء في سفر التكوين قول (الرب) لإبراهيم (ع) ما نصّه بالعبرية:

«ڤي ليشماعيل بيرختي أوتواو ڤي هِفريتي أوتو
ڤي هِرْبيتي بِمئوْد مِئوداو شنيم عسار نسيئيم يوليد
ڤي نِتتيڤ لِگوي گدول»[٢١].

وتعني حرفياً: «وإسماعيل أباركه، وأُثمّره، وأكثّره جداً جداً، اثنا عشر إماماً يلد، وأجعلهُ أُمةً كبيرة».

٢٠) تاريخ آبن كثير ٦/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠.

٢١) «العهد القديم» سِفر التكوين ١٧: ٢٠، ص ٢٢ ـ ٢٣.

וּלְיִשְׁמָעֵאל שְׁמַעְתִּיךָ כ
הִנֵּה ׀ בֵּרַכְתִּי אֹתוֹ וְהִפְרֵיתִי אֹתוֹ וְהִרְבֵּיתִי אֹתוֹ
שְׁנֵים־עָשָׂר נְשִׂיאִם יוֹלִיד וּנְתַתִּיו לְגוֹי גָּדוֹל:

«بشارات سِفر التكوين ١٧ : ٢٠ (الأصل العبري) بالرسول (ص) وبالأئمة (ع)»

أشارت هذه الفقرة إلى أنّ المباركة، والأثمار، والتكثير إنما يكون في صلب اسماعيل (ع) و «شنيم عسار» تعني «اثنا عشر»، ولفظة «عسار» تأتي في «العدد التركيبي إذا كان المعدود مذكراً»[22]، والمعدود هنا «نسيئيم» وهو مذكر وبصيغة الجمع لاضافة الـ(يم) في آخر الاسم، والمفرد «ناسي» وتعني: إمام، زعيم، رئيس»[23].

و أما قول (الرب) لإبراهيم (ع) في الفقرة نفسها أيضاً:

«في نِتتيف كوي كدول»، نلاحظ أنّ «في نِتتيف» مكونة من حرف العطف (في)، و الفعل (ناتَن) بمعنى: (أجعل، أذهب)[24]، و الضمير «يف» في آخر الفعل «نِتتيف» يعود على إسماعيل (ع)، أي «و أجعله»، و أما كلمة (كوي) فتعني: «أُمة، شعب»[25]، و «كدول» تعني: «كبير، عظيم»[26]، فتصبح (و أجعله أُمة كبيرة)، فيتضح من هذه الفقرة أنّ التكثير و المباركة إنّما هما في صلب إسماعيل (ع)، مما يجعل القصد واضحاً في الرسول محمد (ص) و أهل بيته (ع) بأعتبارهم آمتداداً لنسل إسماعيل (ع)، ذلك لأن اللّه (تعالى) أمر إبراهيم بالخروج من بلاد «نمرود» إلى الشام، فخرج و معه امرأته «سارة» و «لوط»، مهاجرين إلى حيث أمرهم اللّه (تعالى)، فنزلوا أرض فلسطين. و وسّع اللّه (تعالى) على إبراهيم(ع) في كثرة المال، فقال: «ربّ ما أصنع بالمال ولا ولد لي»، فأوحى اللّه (عزّ وجلّ) إليه «إني مكثّر ولدك حتى يكونوا عدد النجوم». و كانت «هاجر» جاريةً لسارة، فوهبتها لإبراهيم (ع)، فحملت منه،

٢٢) «المعجم الحديث» عبري - عربي، ص ٣١٦. ٢٣) المصدر السابق، ص ٣٦٠.
٢٤) المصدر السابق، ص ٣١٧. ٢٥) المصدر السابق، ص ٨٤.
٢٦) المصدر السابق، ص ٨٢

و ولدت له إسماعيل (ع)، وإبراهيم (ع) يومئذ ابن «ست و ثمانين سنة»[٢٧].

و القرآن الكريم يشير إلى هذه الحقيقة من خلال توجّه إبراهيم (ع) بالدعاء إلى اللّه تعالى: «ربَّنا إنّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتي بِوادٍ غَيرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ المُحرَّمِ رَبَّنا لِيُقيمُوا الصَّلاةَ فَٱجعلْ أَفئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهوِي إِلَيهِم وٱرْزُقْهُم مِن الثَّمرَاتِ لَعلَّهُم يَشكُرُون»[٢٨]. فالآية الكريمة تؤكّد أن إبراهيم (ع) قد أسكن بعضاً من ذرّيّته وهو إسماعيل (ع) ومَن ولد منه في مكّة ودعا اللّه تعالى أن يجعل في ذرّيّته الرّحمة و الهداية للبشرية ما بقي الدهر، فٱستجاب اللّه لدعوته بأن جعل في ذرّيّته محمّداً (ص) وٱثني عشر إماماً من بعده. وقد قال الإمام الباقر (ع): «نحنُ بقية تلك العترة وكانت دعوة إبراهيم لنا»[٢٩].

خلاصة الأحاديث الآنفة

نستخلص ممّا سبق ونستنتج: أنّ عدد الأئمة في هذه الأمّة ٱثنا عشر على التوالي، وأنّ بعد الثاني عشر منهم ينتهي عمر هذه الدنيا.

فقد ورد في الحديث الاوّل:

«لا يزال هذا الدين قائماً حتّى تقوم الساعة أو يكون عليكم ٱثنا عشر خليفة...».

فإنّ هذا الحديث يعيّن مدّة قيام الدين ويحدّدها بقيام الساعة، ويعيّن عدد الأئمة في هذه الأمّة بٱثنى عشر شخصاً. وفي الحديث الخامس:

«لن يزال هذا الدين قائماً إلى ٱثني عشر من قريش فاذا هلكوا ماجت

---

٢٧) «تاريخ اليعقوبي» ج١، ص ٢٤ ـ ٢٥، مؤسسة نشر ثقافة أهل البيت (قم)

٢٨) سورة إبراهيم، الآية: ٣٧.

٢٩) نقلنا ما ورد في الأصل العبري من التوراة و التعليق عليها من مقال للاستاذ أحمد الواسطي في مجلة التوحيد، اصدار منظمة الإعلام الإسلامي في طهران. العدد: ٥٤، ص ١٢٧ ـ ١٢٨

الأرض بأهلها ».

و يدل هذا الحديث على تأبيد وجود الدين بآمتداد الاثني عشر و أن بعدهم تموج الأرض.

وفي الحديث الثامن: حصر عددهم بآثني عشر بقوله:

« يكون بعدي من الخلفاء عدّة أصحاب موسى ».

و يدلّ هذا الحديث على أنّه لا خليفة بعد الرسول عدا الاثني عشر. و أنَّ ألفاظ هذه الروايات المصرّحة بحصر عدد الخلفاء بالاثني عشر و أنّ بعدهم يكون الهرج و تموج الأرض و قيام الساعة تبيّـن ألفاظ الأحاديث الأخرى الّتي قد لا يفهم من ألفاظها هذا التصريح.

و بناءاً على هذا لابّد أن يكون عمر أحدهم طويلاً خارقاً للعادة في أعمار البشر كما وقع فعلاً في مدّة عمر الثاني عشر من الأئمة أوصياء النبيّ (ص).

حيرتهم في تفسير الحديث

لقد حار علماء مدرسة الخلفاء في بيان المقصود من الاثني عشر في الروايات المذكورة و تضاربت أقوالهم.

فقد قال آبن العربي في شرح سنن الترمذي:

(فعددنا بعد رسول اللّه (ص) آثني عشر أميراً فوجدنا أبا بكر، عمر، عثمان، عليّاً، الحسن، معاوية، يزيد، معاوية بن يزيد، مروان، عبدالملك بن مروان، الوليد، سليمان، عمر بن عبدالعزيز، يزيد بن عبدالملك، مروان بن محمد بن مروان، السفاح. . .).

ثمّ عدّ بعده سبعاً و عشرين خليفة من العباسيّين إلى عصره، ثمّ قال:

(و إذا عددنا منهم آثني عشر، آنتهى العدد بالصورة إلى سليمان و إذا عددناهم بالمعنى كان معنا منهم خمسة، الخلفاء الأربعة و عمر بن عبد العزيز

ولم أعلم للحديث معنى)[٣٠].

وقال القاضي عياض في جواب القول: أنّه ولي أكثر من هذا العدد:

(هذا آعتراض باطل، لأنّه (ص) لم يقل: لا يلي إلّا آثنا عشر، وقد ولي هذا العدد، ولا يمنع ذلك من الزيادة عليهم)[٣١].

ونقل السيوطي في الجواب :

(انّ المراد: وجود آثني عشر خليفة في جميع مدة الإسلام إلى القيامة يعملون بالحقّ وإن لم يتوالوا)[٣٢].

وفي فتح الباري :

(وقد مضى منهم الخلفاء الأربعة ولا بدّ من تمام العدة قبل قيام الساعة)[٣٣].

وقال آبن الجوزي :

(وعلى هذا فالمراد من « ثمّ يكون الهرج »: الفتن المؤذنة بقيام الساعة من خروج الدجال وما بعده)[٣٤].

قال السيوطي :

(وقد وجد من الاثني عشر الخلفاء الأربعة والحسن ومعاوية وآبن الزبير وعمر بن عبد العزيز، هؤلاء ثمانية، ويحتمل أن يضمّ إليهم المهديّ العباسي لأنّه في العباسيّين كعمر بن عبد العزيز في الأمويّين، والطاهر العباسي أيضاً لما أوتيه من العدل ويبقى الاثنان المنتظران أحدهما المهديّ لأنّه من أهل

٣٠) شرح آبن العربي على سنن الترمذي ٩/٦٨ ـ ٦٩.

٣١) شرح النووي على مسلم ١٢/٢٠١ ـ ٢٠٢. وفتح الباري ١٦/٣٣٩. واللفظ منه وكرّره في ص ٣٤١.

٣٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٢.

٣٣ و٣٤) فتح الباري ١٦/٣٤١. وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٢.

البيت)[35]

وقيل :

(المراد: أن يكون الاثنا عشر في مدّة عزّة الخلافة وقوة الإسلام وآستقامة أموره، ممّن يعزّ الإسلام في زمنه، ويجتمع المسلمون عليه)[36].

وقال البيهقي :

(وقد وجد هذا العدد بالصفة المذكورة إلى وقت الوليد بن يزيد بن عبد الملك ثمّ وقع الهرج والفتنة العظيمة ثمّ ظهر ملك العباسية، وإنّما يزيدون على العدد المذكور في الخبر، إذا تركت الصفة المذكورة فيه، أو عدّ منهم من كان بعد الهرج المذكور)[37].

وقالوا :

(والّذين آجتمعوا عليه: الخلفاء الثلاثة ثمّ عليّ إلى أن وقع أمر الحكمين في صفّين فتسمّى معاوية يومئذ بالخلافة، ثمّ آجتمعوا على معاوية عند صلح الحسن، ثمّ آجتمعوا على ولده يزيد ولم ينتظم للحسين أمرٌ بل قتل قبل ذلك، ثمّ لـمّا مات يزيد آختلفو إلى أن آجتمعوا على عبد الملك بن مروان بعد قتل آبن الزبير، ثمّ آجتمعوا على أولاده الأربعة: الوليد، ثمّ سليمان، ثمّ يزيد، ثمّ هشام، وتخلل بين سليمان ويزيد عمر بن عبد العزيز، والثاني عشر هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك آجتمع الناس عليه بعد هشام تولى أربع سنين)[38].

٣٥) الصواعق المحرقة ص ١٩ وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٢. وعلى هذا يكون لأتباع مدرسة الخلفاء، إمامان منتظران أحدهما المهديّ، في مقابل منتظر واحد لأتباع مدرسة أهل البيت.

٣٦) أشار إليه النووي في شرح مسلم ١٢/٢٠٢ ـ ٢٠٣. وذكره آبن حجر في فتح الباري ١٦/٣٣٨ ـ ٣٤١. والسيوطي في تاريخ الخلفاء ص ١٠.

٣٧) نقله آبن كثير في تاريخه ٦/٢٤٩ عن البيهقي.

٣٨) تاريخ الخلفاء ص ١١. والصواعق ص: ١٩. وفتح الباري ١٦/٣٤١.

بنـاءاً على هذا فإنّ خلافـة هؤلاء الاثني عشر كانت صحيحة لإجماع المسلمـين عليهم وكان الـرسـول قد بشَّـرَ المسلمـين بخلافتهم له في حمل الإسلام إلى الناس.

قال آبن حجر عن هذا الوجه: (إنّه أرجح الوجوه).

وقال آبن كثير:

(إنّ الّذي سلكه البيهقي ووافقه عليه جماعة من أن المراد هم الخلفاء المتتابعون إلى زمن الوليد بن يزيد بن عبد الملك الفاسق الّذي قدمنا الحديث فيه بالـذمّ والـوعيد فإنّـه مسلك فيه نظر، وبيان ذلـك أنّ الخلفاء إلى زمن الـوليد بن يزيد هذا أكثر من آثني عشر على كلّ تقدير، وبرهانه أنّ الخلفاء الأربعـة، أبـوبكـر وعمر وعثمان وعلـيّ خلافتهم محقّقة... ثمّ بعدهم الحسن بن عليّ كما وقع لأنّ علياً أوصىٰ إليه، وبايعه أهل العراق... حتّى آصطلح هو ومعاوية... ثمّ آبنه يزيد بن معاوية، ثمّ آبنه معاوية بن يزيد، ثمّ مروان بن الحكم، ثمّ آبنــه عبــدالملك بن مروان، ثمّ آبنــه الـوليد بن عبـد الملك، ثمّ سليمان بن عبد الملك، ثمّ عمر بن عبدالعزيز، ثمّ يزيد بن عبـد الملك، ثمّ هشـام بن عبـد الملك، فهؤلاء خمســة عشر، ثمّ الوليد بن يزيد بن عبـدالملك، فإن آعتبرنا ولاية آبن الزبير قبل عبد الملك صاروا ستّة عشر، وعلى كلّ تقـدير فهم آثنـا عشر قبل عمر بن عبد العزيز، وعلى هذا التقـدير يدخل في الاثني عشر يزيد بن معاوية ويخرج عمر بن عبدالعزيز، الّـذي أطبق الأئمـة على شكره وعلى مدحه وعـدُّوهُ من الخلفاء الراشدين، وأجمـع النـاس قاطبـة على عدلـه، وأنّ أيّامه كانت من أعدل الأيام حتّى الرافضة يعترفون بذلك، فإنْ قال: أنا لا أعتبر إلاّ من آجتمعت الأمّة عليه لزمه على هذا القـول أن لا يعـدّ علـيّ بن أبـي طالب ولا آبنـه، لأنّ النـاس لم يجتمعوا عليهما وذلك أنّ أهل الشام بكمالهم لم يبايعوهما.

وذكر :

أنّ بعضهم عدّ معاوية و آبنه يزيد و آبن آبنه معاوية بن يزيد، ولم يقيد بأيام مروان ولا آبن الزبير، لأنّ الأمّة لم تجتمع على واحد منهما، فعلى هذا نقول في مسلكه هذاعاداً للخلفاء الثلاثة، ثمّ معاوية، ثمّ يزيد، ثمّ عبد الملك، ثم الوليد بن سليمان، ثمّ عمر بن عبد العزيز، ثمّ يزيد، ثمّ هشام، فهؤلاء عشرة، ثمّ من بعدهم الوليد بن يزيد بن عبد الملك الفاسق، ويلزمه منه إخراج عليّ وآبنه الحسن، وهو خلاف ما نصّ عليه أئمة السنة بل الشيعة)[39].

ونقل آبن الجوزي في كشف المشكل وجهين في الجواب :

أولاً :

(انّه (ص) أشار في حديثه إلى ما يكون بعده وبعد أصحابه، وإنّ حكم أصحابه مرتبط بحكمه، فأخبر عن الولايات الواقعة بعدهم، فكأنّه أشار بذلك إلى عدد الخلفاء من بني أميّة، وكأنّ قوله: « لا يزال الدين » أي الولاية إلى أن يلي آثنا عشر خليفة، ثمّ ينتقل إلى صفة أخرى أشدّ من الأولى، وأوّلُ بني أميّة يزيد بن معاوية وآخرهم مروان الحمار، وعدّتهم ثلاثة عشر، ولا يعدّ عثمان ومعاوية ولا آبن الزبير لكونهم صحابة، فإذا أسقطنا منهم مروان بن الحكم للاختلاف في صحبته، أو لأنّه كان متغلّباً بعد أن آجتمع الناس على عبد اللّه بن الزبير، صحّت العدّة، وعند خروج الخلافة من بني أميّة وقعت الفتن العظيمة والملاحم الكثيرة حتّى آستقرّت دولة بني العبّاس فتغيّرت الأحوال عمّا كانت عليه تغييراً بيّناً)[40].

وقد ردّ آبن حجر في فتح الباري على هذا الاستدلال.

٣٩) تاريخ آبن كثير ٦/٢٤٩ - ٢٥٠ .
٤٠) فتح الباري ١٦/ ٣٤٠، عن آبن الجوزي في كتابه (كشف المشكل).

ونقل آبن الجوزي الوجه الثاني عن الجزء الّذي جمعه أبو الحسين بن المنادي في المهدي، وأنّه قال:

(يحتمل أن يكون هذا بعد المهدي الّذي يخرج في آخر الزمان، فقد وجدت في كتاب دانيال: إذا مات المهدي، ملك بعده خمسة رجال من ولد السبط الأكبر، ثمّ خمسة من ولد السبط الأصغر، ثمّ يوصي آخرهم بالخلافة لرجل من ولد السبط الأكبر، ثمّ يملك بعده ولده فيتمّ بذلك آثنا عشر ملكاً كلّ واحد منهم إمام مهديّ، قال: وفي رواية... ثمّ يلي الأمر بعده آثنا عشر رجلاً: ستّة من ولد الحسن، وخمسة من ولد الحسين، وآخر من غيرهم، ثمّ يموت فيفسد الزمان).

علّق آبن حجر على الحديث الأخير في صواعقه وقال:

(إنّ هذه الرواية واهية جدّاً فلا يعول عليها)[41].

وقال قوم :

(يغلب على الظنّ أنّه عليه الصلاة والسلام أخبر ـ في هذا الحديث ـ بأعاجيب تكون بعده من الفتن حتّى يفترق الناس في وقت واحد على آثني عشر أميراً، ولو أراد غير هذا لقال: يكون آثنا عشر أميراً يفعلون كذا، فلـمّا أعراهم عن الخبر عرفنا أنّه أراد أنّهم يكونون في زمن واحد...)[42].

قالوا :

(وقد وقع في المائة الخامسة، فإنّه كان في الأندلس وحدها ستّة أنفس كلّهم يتسمّى بالخلافة ومعهم صاحب مصر والعباسية ببغداد إلى من كان يدّعي الخلافة في أقطار الأرض من العلوية والخوارج)[43].

٤١) فتح الباري ١٦/٣٤١. والصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٩.
٤٢) فتح الباري ١٦/٣٣٨.
٤٣) شرح النووي ١٢/٢٠٢. وفتح الباري ١٦/٣٣٩. واللفظ للاخير.

قال آبن حجر :

(وهو كلام من لم يقف على شيء من طرق الحديث غير الرواية الّتي وقعت في البخاري هكذا مختصرة. . .)[44]. وقـال :

(إنّ وجودهم في عصر واحد يوجد عين الافتراق فلا يصحّ أن يكون المراد)[45].

* * *

قال المـؤلف :

هكذا لم يتّفقوا على رأي في تفسير الروايات السابقة، ثمّ إنّهم أهملوا إيراد الروايات الّتي ذكر الرسول (ص) فيها أسماء الاثني عشر لأنّها كانت تخالف سياسة الحكم بمدرسة الخلفاء مدى القرون. وخرّجها المحدّثون بمدرسة أهل البيت في تآليفهم بسندهم إلى أبرار الصحابة عن رسول اللّه (ص) ونقتصر هنا على إيراد نزر يسير منها في ما يأتـي مـمّا رواه الفريقان:

أسماء الاثني عشر لدى مدرسة الخلفاء:

أ ـ الجويني[46] عن عبد اللّه بن عباس، قال: قال رسول اللّه: أنا سيّد النبيين وعليّ بن أبـي طالب سيّد الوصيّين، وأنّ أوصيائي بعدي آثنا عشر، أوّلهم عليّ بن أبـي طالب وآخرهم المهدي.

ب ـ الجويني ـ أيضاً ـ بسنده عن آبن عباس، قال: قال رسول اللّه: إنّ خلفائي وأوصيائي وحجـج اللّه على الخلق بعدي الاثني عشر أوّلهم أخي وآخرهم ولدي.

٤٤) فتح الباري ١٦/ ٣٣٨.

٤٥) فتح الباري ١٦/ ٣٣٩

٤٦) قال الـذهبي في ترجمة شيوخه بتذكرة الحفاظ ص ١٥٠٥ : الإمام، المحدّث الأوحد، الأكمـل، فخـر الإسلام، صدر الدين إبراهيم بن محمد بن حمويه الجويني الشافعي، شيخ الصوفية. وكان شديد الاعتناء بالرواية وتحصيل الأجزاء. أسلم على يده غازان الملك.

قيل: يا رسول اللّه، ومن أخوك ؟

قال: علي بن أبي طالب.

قيل: فمن ولدك ؟

قال: المهدي الّذي يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. والّذي بعثني بالحقّ بشيراً ونذيراً لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل اللّه ذلك اليوم حتّى يخرج فيه ولدي المهدي فينزل روح اللّه عيسى بن مريم فيصلّي خلفه، وتشرق الأرض بنور ربّها ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب.

ج ـ الجويني ـ أيضاً ـ بسنده قال: سمعت رسول اللّه (ص) يقول: أنا وعليّ والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهّرون معصومون[٤٧].

* * *

اقتضت سياسة الحكم لدى مدرسة الخلفاء مدى القرون إخفاء أمثال الأحاديث الآنفة عن أبناء الأمة الإسلامية وإسدال الستار عليها. وجاهد القسم الأكبر من أتباع مدرستهم في هذا السبيل كما مرّ بنا فعلهم بأمثالها في بحث دراسة عمل مدرسة الخلفاء بنصوص سنّة الرسول (ص) الّتي تخالف آتجاهها.

وليس هذا مجال إيراد تلكم الأحاديث، وإنّما نورد في ما يأتي تراجم الاثني عشر الّذين تواترت الإشارة إليهم والتنصيص على أسمائهم في أحاديث الرسول (ص):

تراجم الأئمة الاثني عشر بعد الرسول (ص)

الإمام الأوّل:

٤٧) الأحاديث أ، ب، ج وردت في فرائد السمطين نسخة مصورة مخطوطة في المكتبة المركزية لجامعة طهران برقم ١١٦٤/١٦٩٠ ـ ١٦٩١ الورقة ١٦٠.

أمير المؤمنين علـيّ (ع).

أبـوه: أبو طالب بن عبد المطّلب بن هاشم.

أمّــه: فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف.

كنيته: أبو الحسن و الحسين، أبو تراب.

لقبـه: الوصيّ، أمير المؤمنين.

مولده: ولد في الكعبة بيت اللّه الحرام[٤٨]، سنة ثلاثين بعد عام الفيل.

وفـاته: قتله الخارجي عبد الرحمن بن ملجم بالكوفة في رمضان سنة أربعين للهجرة. و دفن خارج الكوفة في النجف الأشرف.

الإمام الثاني:

الحسن بن عليّ بن أبـي طالـب.

أمّــه: فاطمة الزهراء بنت رسول اللّه (ص).

كنيته: أبو محمد.

لقبـه: السبط الأكبر، المجتبـى.

مولده: ولد في المدينة في النصف من رمضان سنة ثلاث بعد الهجرة.

وفـاته: توفّي لخمس ليال بقين من ربيع الأول سنة خمسين للهجرة. و دفن بالبقيع في المدينة المنورة.

الإمام الثالث:

الحسين بن علي بن أبـي طالـب.

أمّــه: فاطمة الزهراء بنت رسول اللّه (ص).

٤٨) إنّ أمّه فاطمة بنت أسد كانت تطوف بالبيت و هي حامل بعلـيّ (ع) فضربها الطلق ففتح لها باب الكعبة فدخلت فوضعته فيها، المستدرك ٣/٤٨٣. وراجع تذكرة خواصّ الأمّة ص ١٠. و المناقب لابن المغازلي ص ٧.

كنيته: أبو عبد الله.

لقبه: السبط، شهيد كربلاء.

مولده: ولد في المدينة في شعبان سنة أربع للهجرة.

وفاته: قتله جيش الخليفة يزيد مع أهل بيته وأنصاره في محرم سنة إحدى وستّين. وقبره في كربلاء من مدن العراق[٤٩].

الإمام الرابع:

عليّ بن الحسين الشهيد.

أمّه: غزالة، وقيل: شاه زنان.

كنيته: أبو الحسن.

لقبه: زين العابدين، السجّاد.

مولده: ولد في المدينة سنة ثمان وثلاثين أو سبع وثلاثين أو ثلاث وثلاثين.

وفاته: توفي سنة أربع وتسعين للهجرة. ودفن في البقيع إلى جانب عمّه الحسن السبط[٥٠].

الإمام الخامس:

محمد بن عليّ السجاد.

أمّه: أمّ عبدالله بنت الحسن بن عليّ.

٤٩) راجع تراجم الأئمة، علي وابنيه الحسن والحسين عليهم السلام في ذكر حوادث سنة ٤٠ و٥٠ و٦٠ للهجرة بتاريخ الطبري، وابن الاثير والذهبي وابن كثير، وفي ذكر تراجمهم بتاريخ بغداد ودمشق، والاستيعاب وأسدالغابة والإصابة، وطبقات ابن سعد، ولم يطبع في الطبعة الأوربية والبيروتية من طبقات ابن سعد ترجمة السبطين وإنما طبع بعد ذلك.

٥٠) راجع ترجمته في ذكر حوادث سنة ٩٤ هـ بتاريخ ابن الاثير وابن كثير والذهبيّ، وترجمته بطبقات ابن سعد وحلية الأولياء. ووفيات الأعيان. وتاريخ اليعقوبي ٢/٣٠٣. والمسعودي ٣/١٦٠.

كنيته: أبو جعفر.

لقبـه: الباقر.

مولده: ولد في المدينة سنة خمس و أربعين للهجرة.

وفاته: توفي سنة سبع عشرة ومائة للهجرة. ودفن في البقيع إلى جانب أبيه[51].

الإمام السادس:

جعفر بن محمد الباقر.

أمّـه: أمّ فروة بنت القاسم بن محمّد بن أبـي بكر.

كنيته: أبو عبد الله.

لقبـه: الصادق.

مولده: ولد في المدينة سنة ثلاث وسبعين للهجرة.

وفاته: توفي سنة ثمان و أربعين ومائة للهجرة. ودفن في البقيع إلى جانب أبيه[52].

الإمام السابع:

موسى بن جعفر الصادق.

أمّـه: حميدة.

كنيته: أبو الحسن.

٥١) راجع ترجمته بتذكرة الحفاظ للذهبي. ووفيات الأعيان. وصفوة الصفوة. وحلية الأولياء. وتاريخ اليعقوبي ٢/٣٢٠. وتاريخ الإسلام للذهبي. وتاريخ ابن كثير في ذكرهما حوادث سنة ١١٥ و١١٧ و١١٨.

٥٢) راجع ترجمته بحلية الأولياء ووفيات الأعيان وتاريخ اليعقوبي ٢/٣٨١. والمسعودي ٣/٣٤٦.

لقبـه: الكاظم.

مولده: ولد في المدينة سنة ثمان وعشرين ومائة للهجرة.

وفاته: توفّي سنة ثلاث وثمانين ومائة للهجرة في سجن الخليفة هارون الرشيد ببغداد. ودفن في مقابر قريش في الجانب الغربـي من بغداد يومذاك، وفي مدينة الكاظمية في العراق اليوم[٥٣].

الإمام الثامن :

علي بن موسى الكاظم.

أمّـه: الخيزران.

كنيته: أبو الحسن.

لقبـه: الرضا.

مولده: ولد سنة ثلاث وخمسين ومائة للهجرة في المدينة المنورة.

وفاته: توفّي سنة ثلاث ومائتين. ودفن بطوس خراسان[٥٤].

الإمام التاسع :

محمد بن عليّ الرضا.

أمّـه: سكينة.

كنيته: أبو عبد الله.

لقبـه: الجواد.

٥٣) راجـع ترجمتـه في مقـاتل الطالبيين وتاريخ بغداد. ووفيات الأعيان وصفوة الصفوة، وتاريخ آبن كثير ٢/١٨. وتاريخ اليعقوبـي ٢/٤١٤.

٥٤) راجع ترجمته بتاريخ الطبري. وآبن الأثير. وتاريخ الإسلام للذهبي وتاريخ آبن كثير في ذكر حوادث سنة ٢٠٣ هـ، ووفيات الأعيان. وتاريخ اليعقوبـي ٢/٤٥٣. والمسعودي ٣/٤٤١.

مولده: ولد سنة خمس وتسعين ومائة للهجرة في المدينة المنورة.
وفاته: توفّي سنة مائتين وعشرين للهجرة ببغداد. ودفن إلى جانب جدّه موسى بن جعفر بمقابر قريش[55].

الإمام العاشر:
عليّ بن محمد الجواد.
أمّــه: سمّانة المغربية.
كنيته: أبو الحسن العسكري.
لقبــه: الهادي.
مولده: سنة أربع عشرة ومائتين للهجرة في المدينة المنورة.
وفاتــه: توفي سنــة أربــع وخمسين ومائتيــن. ودفن بمدينة سامراء (سر من رأى) بالعراق[56].

الإمام الحادي عشر:
الحسن بن عليّ الهادي.
أمّــه: أمّ ولد آسمها سوسن.
كنيته: أبو محمد.
لقبــه: العسكري.
مولده: ولد سنة إحدى وثلاثين ومائتين في سـرّ من رأى.

٥٥) راجع ترجمته بتاريخ بغداد ٥٤/٣. ووفيات الأعيان. وشذرات الذهب ٤٨/٢. والمسعودي ٤٦٤/٣.
٥٦) راجع ترجمته بتاريخ بغداد ٥٦/١٢. ووفيات الأعيان. وتاريخ اليعقوبي ٤٨٤/٢. والمسعودي ٨٤/٤.

وفاته: توفي سنة ستّين ومائتين. ودفن في سرّ من رأى[٥٧].

وقبور جميع الأئمة الأحد عشر المذكورين يزورها المسلمون اليوم وعليها قباب عالية عدا الأئمة الأربعة المدفونين في البقيع بالمدينة المنورة، فإنّ الحكم الوهّابي لما دخل المدينة هدمها مع سائر قبور أزواج الرسول (ص) وقبور صحابته.

الإمام الثاني عشر:

الحجة محمد بن الحسن العسكري.

أمّه: أمّ ولد يقال لها نرجس، وقيل: صيقل.

كنيته: أبو عبد اللّه، أبو القاسم.

لقبه: القائم، المنتظر، الخلف، المهدي صاحب الزمان.

مولده: ولد في سامراء سنة خمس وخمسين ومائتين.

وهو آخر الأئمة، وهو حيّ يرزق[٥٨].

تنبيه مهم

ورد في إحدى الروايات الماضية:

«... يمضي منهم آثنا عشر خليفة كلّهم من قريش، ثمّ يكون المرج والهرج».

وفي أخرى:

«لن يزال هذا الدين قائماً إلى آثني عشر من قريش، فإذا هلكوا ماجت

٥٧) راجع ترجمته في وفيات الأعيان. وتذكرة خواص الأمّة لسبط آبن الجوزي الحنفي. ومطالب السؤول في مناقب آل الرسول للشيخ كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي (ت: ٦٥٤ هـ). وتاريخ اليعقوبي ٥٠٣/٢.

٥٨) تذكرة خواص الأمّة لسبط آبن الجوزي. ومطالب السؤول. ووفيات الأعيان.

الأرض بأهلها ».

وكلا اللّفظين يدلّان على نهاية العالم بعد الثاني عشر ممّن يأتون من بعد النبيّ (ص)، وعلى هذا فلا بدّ أن يطول عمر أحد الاثني عشر إلى نهاية الدنيا، وهذا ما وقع فعلاً بطول عمر الوصيّ الثاني عشر المهدي، محمد بن الحسن العسكري (ع)، فإنّ مجموع الروايات يصدق على الأئمة الاثني عشر عليهم السلام المذكورين ولا يصدق على من سواهم. والحمد للّه.

الفصل الرابع

خلاصة بحث الإمامة لدى المدرستين

الواقع التاريخي لإقامة الخلافة في صدر الإسلام
أقوال مدرسة الخلفاء في أمر الخلافة
مناقشة مدرسة الخلفاء في أمر الخلافة والإمامة
الاستدلال بكلام الإمام عليّ (ع)
وجوب طاعة الحاكم وعدم عزله بالفسق وإعلان المعصية
الإمامة لدى مدرسة أهل البيت عليهم السلام
أوصياء النبيّ (ص) الاثنا عشر من بعده
اتّجاه السلطة الحاكمة زهاء ثلاثة عشر قرناً

الواقع التاريخي لإقامة الخلافة في صدر الإسلام

ينبغي أن ندرس الواقع التاريخي لإقامة الخلافة قبل البدء بعرض آراء المدرستين في الخلافة و الإمامة.

بداية الأمر :

عقد رسول اللّه في مرض وفاته لواءاً بيده لمولاه أسامة بن زيد، و أمّره على جيش فيه المهاجرون و الأنصار، مثل أبـي بكر وعمر و أبـي عبيدة و سعد بن أبـي وقّاص، فعسكر بالجرف و غضب عليهم لما تكلّموا في تأميره أسامة عليهم و قال: إنّه لخليق بالإمارة، فذهبوا إلى معسكرهم و ثقل رسول اللّه فجاء أسامة و ودّعه، و قال الرسول: أنفذوا بعث أسامة، وفي ما هـمّوا بالرحيل يوم الاثنين جاءهم الخبر أن الرسول قد حُضر[1]، فأقبلوا إلى المدينة، وحضروا في بيت الرسول فقال: هلمّوا أكتب لكم كتاباً لنْ تضلّوا بعده أبداً. فقال عمر: إنّ النبيّ غلبه الوجع وعندكم كتاب اللّه، فحسبنا كتاب اللّه، فلـمّا أكثروا اللّغط و الاختلاف قال: قوموا عنّي، لا ينبغي عند نبـيّ التنازع.

قال ابن عبّـاس: فتنازعوا ولا ينبغي عند نبيّ التنازع، فقالوا: هجر

١) حُـضِرَ: حضره الموت.

رسول اللّه، و بكى آبن عبّاس حتّى خضب دمعه الحصباء.

موقف الخليفة عمـر :

توفّي الرسول و أبوبكر غائب بالسنح فأخذ عمر يقول: ما مات رسول اللّه ولكنّه ذهب إلى ربّه كما ذهب موسى وغاب عن قومه أربعين ليلة، و اللّه ليرجعنّ رسول اللّه فليقطعنّ أيدي رجال يزعمون أنّه مات. وقال: من قال إنّه مات علوت رأسه بسيفي، فتلوا عليه الآية: ﴿ وما محمّدٌ إلاّ رسولٌ قد خلَت مِن قبلِه الرُّسل أفإن مات أو قتل آنقلبتُم على أعقابِكُم ﴾ آل عمران/١٤٤ .

وقال له العبّاس: إنّ رسول اللّه قد مات، هل عند أحدكم عهد من رسول اللّه في وفاته فليحدّثنا.

لم ينتـه عمر من كلامه وتهديده حتّى آزبدّ شدقاه، ولـمّا أقبل الخليفة أبو بكر وتلا الآية ﴿ وما محمدٌ إلاّ رسول. . . ﴾، سكت عمر.

سقيفة بني ساعدة و بيعة أبـي بكر

اِجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة وجثمان رسول اللّه (ص) بين أهله يغسلونه، وأخرجوا سعد بن عبادة ـ وكان مريضاً ـ فذكر سابقة الأنصار وقال: آستبدّوا بهذا الأمر، فأجابوا: قد وفقت في الرأي ولن نعدو ما رأيت، نولّيك هذا الأمـر. فسمـع بذلـك أبـوبكـر وعمـر فأسرعا مع جماعتهما إلى السقيفـة، وذكر أبوبكر سابقة المهاجرين وقال: هـم أولياؤه وعشيرته وأحقّ الناس بهذا الأمر من بعده ولا ينازعهم ذلك إلاّ ظالم.

فقال الحباب بن المنذر: يا معشر الأنصار أملكوا عليكم أمركم، فإنّ النـــاس في فيئكم ولن يجـــترئ مجـــترئ على خلافكم فإن أبى هؤلاء إلاّ ما سمعتم، فمـنّا أمير ومنهم أمير.

فقال عمر: هيهات لا يجتمع اثنان في قرن. . . لا ترضى العرب أن يؤمّروكم و نبيّها من غيركم.

و هدّد أحدهما الآخر بالقتل.

فقالت الأنصار أو بعض الأنصار: لا نبايع إلاّ عليّاً. فتخوّف عمر من الاختلاف و قال لأبي بكر: ابسط يدك أبايعك. و سبقه بشير بن سعد و بايع، فناداه الحباب بن المنذر: عققت عقاق أ نفست على آبن عمّك الإمارة !؟

و بايع عمر و أبو عبيدة، و قالت الأوس: لئن وليتها الخزرج مرّة لا زالت لهم الفضيلة عليكم و ما جعلوا لكم فيها نصيباً، فبايعوا أبابكر، فآنكسر على سعد بن عبادة و الخزرج و كادوا يطؤون سعد بن عبادة، فقال أصحابه: آتّقوا سعداً لا تطؤوه.

فقال عمر: أُقتلوه قتله اللّه.

ثم قام على رأسه فقال: لقد هممت أن أطأك حتّى تندرّ[٢] عُضْوك. فأخذ قيس بن سعد بلحية عمر فقال: و اللّه لو حصصت منه شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة.

فقال أبو بكر: مهلاً يا عمر، الرفق هٰهنا أبلغ. فأعرض عنه عمر.

فحمل سعد إلى بيته.

و أخرج أبو بكر من السقيفة، و جاءت قبيلة أسلم فبايعت، فآنتصر بهم أبو بكر، و أقبلت الجماعة تزفّه إلى مسجد رسول اللّه (ص). فصعد المنبر، و شغلوا عن دفن رسول اللّه حتّى كان يوم الثلاثاء، فجاءوا إلى المسجد ثانية فجلس أبو بكر على منبر رسول اللّه و وقف عمر و قال: إنّ قوله بالأمس لم يكن من كتاب اللّه و لا عهداً من رسوله، و لكنّه كان يرى أنّ الرسول (ص) سيدبّر أمرهم و يكون آخرهم، و إن اللّه أبقى فيهم القرآن يهتدون به، وقد جمع

٢) تندر عضوك: حتّى تسقط أعضاؤك.

أمركم على صاحب رسول اللّه، قوموا فبايعوه، فبايعه الناس عندئذ بعد بيعة السقيفة، ثمّ خطب أبو بكر فقال: قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني . . . .

شغلوا عن رسول اللّه بقيّة الاثنين وليلة الثلاثاء ويوم الثلاثاء، وصلّى المسلمون على رسول اللّه زمراً زمراً، وخلّى أصحاب رسول اللّه (ص) بين جثمانه وأهله، فولوا إجنانه[٣]. ولم يشهد أبوبكر وعمر غسل الرسول (ص) وتكفينه ودفنه.

قالت عائشة: ما علمنا بدفن الرسول حتّى سمعنا صوت المساحي في جوف اللّيل.

وتخلّف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والأنصار و بنو هاشم ومالوا مع عليّ بن أبي طالب.

فذهبوا إلى العباس ليستميلوه فجابههم بالردّ.

وتحصّن في دار فاطمة جماعة من بني هاشم وجمع من المهاجرين والأنصار، فبعث إليهم أبوبكر عمر بن الخطاب ليخرجهم من بيت فاطمة وقال له: إن أبوا فقاتلهم.

فأقبل بقبس نار على أن يضرم عليهم الدار، فلقيتهم فاطمة فقالت: يا آبن الخطاب أجئت لتحرق دارنا ؟ قال: نعم، أو تدخلوا في ما دخلت فيه الأمّة.

وإليه أشار أبو بكر في مرض موته حين قال:

(أمّا إنّي لا آمي على شيء في الدنيا إلاّ على ثلاث فعلتهنّ وددت أنّي لم أفعلهن. . . فوددتُ أنّي لم أكشف عن بيت فاطمة ولو أغلق على حرب. . .).

٣) تولوا دفنه.

ثمّ إنّ عليّاً حمل فاطمة ليلاً إلى بيوت الأنصار يسألهم النصرة وتسألهم فاطمـة الانتصـار له، فكـانوا يقولون: يا بنت رسول اللّه مضت بيعتنا لهذا الـرجـل، ولو كان آبن عمّك سبق إلينا أبا بكر ما عدلنا به، فيقول علـيّ: أفكنت أترك رسول اللّه (ص) في بيته لم أجهّزه وأخرج إلى الناس أنازعهم في سلطانـه؟ وتقـول فاطمـة: ما صنع أبو الحسن إلاّ ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما اللّه حسبهم.

وكان معاوية يعيّـر أمير المؤمنين عليّاً بهذا الموقف ويقول:

(وأعهدك أمس تحمل قعيدة بيتك ليلاً على حمار ويداك في يدي آبنيك الحسن والحسين يوم بويع أبـو بكـر الصدّيق، فلم تدع أحداً من أهل بدر والسوابق ألاّ دعوتهم إلى نفسك ومشيت إليهم بآمرأتك وأدللت إليهم بآبنيك وآستنصرتهم على صاحب رسـول اللّه ... فلم يجبـك منهم إلاّ أربعـة أو خمسة ... ومهما نسيت فلا أنسى قولك لأبـي سفيان لـمّا حرّكك وهيجك: لو وجدت أربعين ذوي عزم لناهضتهم).

وروى البخاري ما دار بين آبنة رسول اللّه (ص) وأبـي بكر وقال:

فهجرته فاطمة فلم تكلّمه حتّى توفّيت بعد ستّة أشهر، ودفنها زوجها ولم يؤذن بهـا أبـا بكر، وكان لعليّ من الناس وجه حياة فاطمة فلـمّا توفيت آنصرفت وجوه الناس عن عليّ فلم يبايع علـيّ ستّة أشهر ولا أحد من بني هاشم حتّى بايعه علـيّ، فلـمّا رأى عليّ آنصراف وجوه الناس عنه ضرع إلى مصالحة أبـي بكر.

وقال البلاذري: ولم يخرج أحد إلى قتال العدوّ قبل أن يبايع علـيّ.

ومـمّن تخلف عن بيعة أبـي بكر: فروة بن عمرو، وخالد وأبان وعمر بنو سعيد الأموي، فلـمّا بايع بنو هاشم بايعوا.

وسعد بن عبادة لم يبايع، وأشار الأنصار أن يتركوه فإنّه لا يبايع حتّى

يقتـل و ليس بمقتـول حتّى يقتـل معه ولده و أهل بيته و طائفة من عشيرته، فتركوه، فقال له عمر في أوّل خلافته، من كره جوار جار تحوّل عنه. فذهب إلى الشام، فبعث عمر رجلاً فقال له: أُدعه إلى البيعة و آحتل له، فإن أبىٰ فآستعن اللّه عليه، فذهب الرجل إلى الشام و وجد سعداً بحوارين من قرىٰ حلب فدعاه إلى البيعة فأبىٰ فرماه بسهم فقتله.

بيعـة عمـر

لـمّا حُضِـرَ أبو بكر دعا عثمان خالياً فقال: اكتب: بسم اللّه الرحمن الرحيم هذا ما عهد به أبو بكر بن أبـي قحافة إلى المسلمين، أمّا بعد ـ فأغمي عليه ـ فكتب عثمان: فإنّي آستخلفت عليكم عمر بن الخطاب و لم آلكم خيراً، ثمّ أفاق أبو بكر فقرأها عليه فأقرّها أبو بكر.

ثمّ جاء عمـر مع الكتـاب إلى مسجـد الـرسول (ص) و قال للنّاس: اسمعوا و أطيعوا قول خليفة رسول اللّه (ص) إنّه يقول: إنّي لم آلكم نصحاً.

و هكذا بايع النـاس عمر.

الشـورى و بيعة عثمان

لـمّا طعـن عمـر قيل له: لو آسـتـخـلـفـت. قال: لو كان سالم حيّاً لاستخلفته، و لو كان أبو عبيدة حيّاً لاستخلفته، ثمّ قال: لاجعلنّها شورى بين ستّة، و عيّنهم من قريش، و ولى أبا طلحة زيد بن سهل الخزرجي على خمسين من الأنصار، و أمر صهيباً أن يصلّي بالناس ثلاثة أيام، فإذا آنتهت الأيّام الثلاثة و آتّفقوا على واحد فليضرب أبو طلحة عنق الّذي يخالف، و إن آجتمع ثلاثة على رجل و ثلاثة على رجل كانوا مع الّذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، و إن صفق عبـد الـرحمن بإحدى يديه على الأخرىٰ، عليهم أن يتّبعوه و من أبىٰ

ضربوا عنقه، فلمّا توفي الخليفة قال عبد الرحمن: إنّي أخرج نفسي منها وسعداً على أن أختار احدكم فأجابوا إلاّ عليّاً فإنّه أبىٰ من ذلك ولـمّا أصرّوا عليه أن يقبل أحلف عبد الرحمن أن لا يميل إلى هوًى وأن يؤثر الحقّ وأن لا يحابي ذا قرابة، فحلف له، فقال: آختر مسدداً.

ثمّ آجتمعوا في مسجد الرسول فمدّ يده إلى عليّ وقال:

أُمدد يدك أبايعك على كتاب اللّه وسنّة رسوله وسيرة الشيخين.

فقال: أسير فيكم بكتاب اللّه وسنّة نبيّه ما آستطعت.

ثمّ مدّ يده إلى عثمان فوافق على ذلك.

ثمّ مدّ يده إلى عليّ فقال مثل مقالته الأولى، فأجابه مثل الجواب الأول.

ثمّ قال لعثمان مثل المقالة الأولى، فأجابه مثل ما كان أجابه، ثمّ اتّجه إلى عليّ فقال له مثل المقالة الأولى.

فقال الإمام علـيّ: إنّ كتاب اللّه.وسنّة نبيّه لا يحتاج معهما إلى طريقة أحد. أنت مجتهد أن تزوي هذا الأمر عنّي.

فآتّجه عبد الرحمن إلى عثمان وأعاد عليه القول، فأجابه مثل الجواب الأوّل، فصفق على يده وبايعه، فقال الإمام عليّ لعبد الرحمن: حبوته حبوة دهر، ليس هذا أوّل يوم تظاهرتم فيه علينا، فصبر جميل واللّه المستعان على ما تصفون، واللّه ما وليت عثمان إلا ليردّ الأمر إليك، واللّه كلّ يوم في شأن.

وبايع أصحاب الشورى عثمان، وكان عليّ قائما فخرج مغضباً، فقال له عبد الرحمن: بايع وإلاّ ضربت عنقك، ولم يكن يومئذ سيف مع أحد، ولحقه أصحاب الشورى فقالوا: بايع وإلا جاهدناك، فأقبل معهم حتّى بايع عثمان.

بيعة الإمام عليّ

لـمّا قتل عثمان ورجع إلى المسلمين أمرهم وآنحلوا من كل بيعة سابقة، تهافتوا على الإمام علـيّ، اجتمع المهاجرون والأنصار فيهم طلحة والزبير فأتوا عليّاً فقالوا: هلمّ نبايعك.

فقال: لا حاجة لي في أمركم أنا معكم، فمن آخترتم فقد رضيت به.

فقالوا: واللّه ما نختار غيرك. فآختلفوا إليه مراراً ثمّ أتوه في آخر ذلك.

فقالوا: إنّه لا يصلح الناس إلّا بإمرة وقد طال الأمر، لا واللّه ما نحن بفاعلين حتّى نبايعك.

قال: فـفي المسجد فـإنّ بيعتي لا تكون خفياً ولا تكون إلّا عن رضى المسلمين.

فآجتمعوا في المسجد يهرعون إليه، وأوّل من صعد إليه فبايعه طلحة ثمّ تتابع المهاجرون والأنصار ثمّ سائر الناس فبايعوا عليّاً[٤].

* * *

بعد هذا العرض ندرس في ما يأتـي آراء المدرستين في أمر الإمامة والخلافة.

٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ط. الأولى ١/٢٤٠ ـ ٢٤١ وط. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٤/٨ ـ ٩.

أقوال مدرسة الخلفاء في أمر الخلافة

أولاً ـ الخليفة أبوبكر، قال يوم السقيفة: لن يعرف هذا الأمر إلاّ لهذا الحيّ من قريش، هم أوسط العرب نسباً وداراً، وقال: رضيت لكم عمرَ وأبا عبيدة فبايعوا أيّهما شئتم[1].

وفي رواية قال:

هم أولياؤه وعشيرته وأحقّ الناس بهذا الأمر من بعده ولا ينازعهم ذلك إلاّ ظالم[2].

ثانياً ـ قال عمر في السقيفة مخاطباً الأنصار:

(واللّه لا ترضىٰ العرب أن يؤمّروكم ونبيّها من غيركم، ولكنّ العرب لا تمتنع أن تولّي أمرها من كانت النبوّة فيهم وولي أمورهم منهم، ولنا بذلك على من أبى الحجّة الظاهرة والسلطان المبين، من ذا ينازعنا سلطان محمّد وإمارته ونحن أولياؤه وعشيرته؟ إلاّ مدلّ بباطل أو متجانِف لإثم أو متورّط في هلكة)[3].

١) البخاري، كتاب الحدود، باب: رجم الحبلى ٤/١٢٠.
٢) تاريخ الطبري، ط. أوربا ١/١٨٤٠.
٣) تاريخ الطبري، ط. أوربا ١/١٨٤١.

وقال في آخر شهر من عمره عندما بلغه أنّ أحدهم يقول:

لو قد مات أمير المؤمنين بايعت فلاناً.

فقال عمر:

(مَن بايع رجلاً من المسلمين على غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الّذي بايعه تغرّة أن يقتلا)[٤].

وقال عندما طعن وعيّن الستّة للشورى:

(لو أدركني أحد رجلين فجعلت هذا الأمر إليه لوثقت به: سالم مولى أبي حذيفة، وأبو عبيدة الجراح)[٥].

وقال:

(لو كان سالم حيّاً ما جعلتها شورى)[٦].

ثالثاً - أتباع مدرسة الخلفاء قالوا:

تنعقد الإمامة بعهد الإمام من قبل، لأنّ أبا بكر عهد بها لعمر ولم تتوقّف على رضا الصحابة، وتنعقد أيضاً بآختيار أهل الحلّ والعقد، وآختلفوا في عددهم، فمن قائل تنعقد ببيعة خمسة لأنّ الّذين بايعوا أبا بكر أيضاً كانوا خمسة، ولأنّ عمر جعلها في ستّة ليبايع خمسة منهم السادس.

وقال الأكثر منهم: تنعقد بواحد، لأنّ العباس قال لعليّ: اُمدد يدك أبايع، ولأنّه حكم، وحكم حاكم واحد نافذ.

وقالوا:

(ومن غلب عليهم بالسيف حتّى صار خليفة وسمّي أمير المؤمنين فلا يحلّ لأحد يؤمن باللّه واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إماماً برّاً كان أو فاجراً

٤) البخاري، باب رجم الحبلى ٤/ ١٢٠.
٥) طبقات آبن سعد ط. بيروت، دارصادر، ٣/٣٤٣.
٦) بترجمة سالم من الاستيعاب وأسد الغابة ٢/ ٢٤٦.

فهو أمير المؤمنين)[7]

و رووا أنّ رسول اللّه (ص) قال: « تسمع و تطيع للأمير و إن ضرب ظهرك و أخذ مالك ».

و إنّ الخليفة لا ينعزل بالفسق و الظلم و تعطيل الحقوق و لا يخلع و لا يجوز الخروج عليه بذلك، بل يجب وعظه و تخويفه للأحاديث الواردة بذلك.

كانت هذه آراء أتباع مدرسة الخلافة و ينبغي لنا أن ندرس المصطلحات الّتي تدور في هذا البحث أولاً ثمّ نناقش الآراء المذكورة.

تعريف المصطلحات

أوّلاً ـ الشورى

التشاور و المشاورة في لغة العرب: استخراج الرأي بمراجعة البعض البعض الآخر، و بهذا المعنى ورد في قوله تعالى: ﴿ و أمرُهم شُورىٰ بينهم ﴾ أي يتشاورون في أمورهم فالكلمة ليست مصطلحاً شرعياً.

ثانياً ـ البيعة

أ ـ البيعة في لغة العرب: الصفقة على إيجاب البيع، و صفق يده و على يده بالبيعة و البيع: ضرب بيده على يده عند وجوب البيع، و تصافقوا: تبايعوا.

و كانت العرب تعقد الحلف و العهد بأساليب مختلفة، مثل أنّهم كانوا يضعون أيديهم في جفنة مملوءة طيباً و يتعاهدون على أمر، أو في جفنة مملوءة دماً.

ب ـ البيعة في الإسلام علامة على معاهدة المبايع المبايع له أن يبذل له

٧) راجع قبله بحث الإمامة لدى مدرسة الخلافة.

الطاعة في ما تقرر بينهما ويقال: بايعه عليه مبايعة أي: عاهده عليه، قال اللّه تعالى: ﴿ إنّ الّذين يبايعونك إنّما يبايعون اللّه بد اللّه فوق أيديهم... ﴾ الفتح/ ١٠.

وأوّل بيعة أخذها رسول اللّه من المسلمين في العقبة الأولى كانت على الإسلام.

والثانية: البيعة الثانية الكبرى أيضاً بالعقبة بايعهم على الحرب لإقامة المجتمع الإسلامي.

وسمّيت البيعة الأولى بيعة النساء لأنّ البيعة كانت على الإسلام دونما قتال.

والبيعة الثالثة: أخذها تحت الشجرة في الحديبيّة عندما ندب الناس إلى العمرة، فخرجوا محرمين للعمرة، ولـمّا صدّتهم قريش عن البيت وتهيّأت للقتال، تبدّلت السفرة من العمرة إلى القتال وكانت الحالة الثانية مخالفة لما أنتدبهم إليها فأقتضت الحالة أن يأخذ منهم البيعة على العمل الجديد وغير المعهود، وفعل ذلك وأعطت البيعة ثمرها في إرعاب أهل مكّة.

وعلى ما ذكرنا قامت البيعة الأولى: على الإسلام دونما قتال، والثانية: على إقامة الدولة الإسلاميّة والقتال من أجلها، والثالثة: البيعة على القتال في تلك السفرة. هذا ما كان في سيرة رسول اللّه (ص) من أمر البيعة. وورد في حديثه (ص) أنّه كان يأخذ البيعة على الطاعة في ما يستطيعون ولم يكن يبايع الغلام غير البالغ شرعاً.

ويتّضح لنا من دراسة سيرة الرسول (ص) أنّ للبيعة ثلاثة أركان:

أ ـ المبايـع.

ب ـ المبايـع له.

ج ـ المعاهدة على الطاعة.

وتقوم البيعة على تفهّم ما يطلب الطاعة بالقيام به ثمّ تنعقد المعاهدة بضرب المبايع على يد المبايع له، والبيعة على هذا مصطلح شرعيّ وشروط تحقّق البيعة وفق الشرع الإسلامي. غير واضحة للكثير من المسلمين وهي:

أ ـ أن يكون المبايع ممّن تصحّ منه البيعة فلا تصحّ من صبيّ أو من مجنون لأنّهما غير مكلّفين شرعاً، وأن يكون مختاراً لأنّ البيعة كالبيع لا ينعقد بأخذ المال من صاحبه قهراً ودفع الثمن له، ولا تنعقد البيعة بأخذها بالجبر وبحدّ السيف.

ب ـ أن لا يكون المبايع له من المتجاهرين بالمعصية لأنّ الرسول (ص) قال: « لا طاعة لمن عصى اللّه تبارك وتعالى »[8].

ج ـ لا تصحُّ البيعة للقيام بما نهى اللّه عنه وخلافاً لأوامره وأوامر الرسول (ص) لأنّ الرسول قال: « فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة »[9]

ثالثاً ورابعاً ـ الخليفة وأمير المؤمنين

الخلافة في لغة العرب: النيابة عن الغير، والخليفة: من يقوم مقام الغير ويسدّ مسدّه.

وبهذا المعنى ورد في القرآن الكريم مثل قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ وآذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ﴾ (٦٩).

وفي حديث الرسول (ص): « اللهم آرحم خلفائي » وقال في تعريف الخلفاء: « الّذين يأتون بعدي يروون حديثي وسنّتي ».

إذاً فالخليفة في القرآن والحديث ليست آسماً للّذي يحكم بأسم النيابة عن رسول اللّه (ص)، وكذلك كان الأمر إلى زمان الخليفة عمر حيث كان يقال

٨ و ٩) راجع فصل المصطلحات، خامساً: البيعة.

له: خليفة خليفة رسول اللّه، ثمّ قيل له: أمير المؤمنين، وبقي الأمر كذلك إلى عصر العباسيّين وعلى عهدهم كانوا يصفونهم بخليفة اللّه إلى جنب تسميتهم بأمير المؤمنين وفي عصر العثمانيّين سمّوا الحاكم الإسلامي الأعلى بالخليفة وبقيت هذه التسمية متداولة بين المسلمين حتّى اليوم.

إذاً فإنّ لفظ الخليفة من مصطلحات المسلمين وليست مصطلحاً شرعيّاً وكذلك أمير المؤمنين.

خامساً ـ الإمام

الإمام في اللّغة: من يأتّم به الناس، وبهذا المعنى ورد في القرآن الكريم غير أنه قيّد الإمامة بشروط ذكرها في قوله تعالى لإبراهيم: ﴿ إنّي جاعلك للنّاس إماماً ﴾ وقوله: ﴿ لا ينال عهدي الظّالمين ﴾.

إذاً فالإمامة جعلٌ من اللّه وعهد لا يناله من آتّصف بالظّلم سواء أكان ظالما لنفسه أو لغيره وبذلك أصبح (الإمام) مصطلحاً شرعيّاً وتسمية إسلاميّة.

سادساً ـ الأمر و أولو الأمر

إنّ الأمر آستعمل في لغة العرب وعرف المسلمين و النصوص الإسلامية بمعنى الولاية على الناس و الحكم.

أمّا أولو الأمر فيصحّ آعتباره مصطلحاً إسلاميّاً لوروده في القرآن بمعنى الولاية على الناس في قوله تعالى:

﴿ أطيعوا اللّه وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾ النساء/٥٩.

وتختلف المدرستان في تشخيص أولي الأمر ووليّ الأمر بعد رسول اللّه (ص)، فإنّ مدرسة أهل البيت ترى أنّ تعيين الإمام ووليّ الأمر بعد

الـرسول (ص) من اللّه، يعيّـن من يشاء ويبلّغ الرسول أمّته بذلك. وترى مدرسـة الخـلافة أنّه يتعيّـن بالبيعة وبالاستيلاء على الحكم بالقهر و الغلبة، وبعد آستيلائه على الحكم كيف ما كان تجب طاعته. ومن ثمّ أطاعوا الخليفة يزيد و قتلوا و سبوا ذريّة الرسول (ص) و أباحوا مدينة الرسول و قتلوا البقيّة من أصحابه و التابعين ورموا الكعبة بالمنجنيق، وبعد كلّ تلكم الأفعال لايزالون يسمّونه بأمير المؤمنين إلى عصرنا الحاضر.

سابعا ـ الوصيّ و وصيّ النبيّ

الوصيّ في الكتاب و السنّة: هو الإنسان الذي أوصى إليه غيره أن يقوم بعد وفاته بأمر يهمّه سواء في ذلك أن يقول الموصي لوصيّه: أوصيك أن تفعل كذا و كذا من بعدي، أو يقول: أعهد إليك أن تفعل كذا وكذا من بعدي، وكذلك الشأن في إخباره الآخرين بالوصيّة فإنّه سواء في ذلك أن يقول: فلان وصيّـي من بعدي، أو يقول: فلان يقوم بعدي بعمل كذا وكذا، وما شابهها من الالفاظ الدالّة على الوصيّة. ووصيّ النبيّ: هو الإنسان الذي يعهد إليه النبيّ بأمر شريعته و أمته من بعده.

مناقشة آراء مدرسة الخلفاء في أمر الخلافة و الإمامة

أوّلاً ـ الشورى

إن أوّل من ذكر الشورى لإقامة الخلافة هو الخليفة عمر بن الخطّاب، ولم يستند في ذلك إلى دليل من الكتاب و السنّة بل آعتمد آجتهاده الخاصّ فمن آتّخذ سيرة الصحابة و أقوالهم في عداد كتاب اللّه و سنّة رسوله من مصادر الشريعة الإسلاميّة فله أن يتّخذ من السنّة العمرية هذه سنداً لهذا الحكم في إقامة الخلافة. على أنّ سنّته هذه مخالفة لسنّته وسنّة الخليفة الأوّل أبي بكر في إقامة حكم الخليفة الأوّل أبي بكر فإنّها كانت فلتة حسب تعبير الخليفة عمر وتقييمه لها وكذلك مخالفة ـ أيضاً ـ لسنّتها في إقامة حكم الخليفة الثاني عمر بن الخطاب فإنّ الخليفة الأوّل ولّى الخليفة عمر على المسلمين من بعده، وكلاهما لم يستشيرا المسلمين في كلا المقامين، ومخالفة ـ أيضاً ـ لقول الخليفة عمر: لو كان أبو عبيدة حيّاً لاستخلفته ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حيّاً لاستخلفته، فإنّ هذا القول يخالف الالتزام بالشورى!

وعلى فرض صحّة إقامة الخلافة على أساس الشورى العَمَريّة، فكيف ينبغي أن تكون الشورى؛ وكم ينبغي أن يكون عدد المتشاورين؟ في الأغلب قالوا ينحصر عدد المتشاورين في ستّة، يبايع خمسة منهم السادس، أضف الى ماسبق السؤال عن المسوغ لإعطاء عبد الرحمن بن عوف خاصّة حقّ اتّخاذ

القرار النهائيّ من دون الآخرين في تلك الشورى. ثمّ ما المسوغ لقتل من خالف قرار عبد الرحمن ورأيه ؟ ثمّ من الّذي كان يُخشىٰ منه المخالفة لرأي عبد الرحمن من دون الآخرين ؟ وأخيراً هل آتّبعت مدرسة الخلافة الشورى العمرية مرّة واحدة وأقامت الخلافة كذلك لواحد من الخلفاء طوال القرون ؟

هذه أسئلة تتوارد على الشورى العمرية.

أمّا ما آستدلّ به أتباع مدرسة الخلفاء في هذا الصدد، فما كان من آستدلالهم بالآية الكريمة: ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ فإنّه لا يستفاد منها أكثر من رجحان التشاور بين المؤمنين في أمورهم، فإنّه سبحانه وتعالى لو أراد الوجوب في هذا الأمر لقال: كتب اللّه على المؤمنين أو قال: فرض عليهم، إلى ماشابههما من الألفاظ الدالّة على وجوب الفعل على المؤمنين.

وما كان من آستدلالهم بآية ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ فقد أوضحنا في ما سبق بأنّ الآية في مقام توجيه الرسول (ص) أن يدعو المسلمين إلى القتال بأسلوب المشاورة؛ وليس بأسلوب الملوك الجبابرة الّذين يلقون أوامرهم إلى الناس بقولهم مثلاً: أصدرنا أمرنا الملكيّ بكذا. وقد صرّح الجليل سبحانه بعد هذه الجملة بأنّ رأي المسلمين ليس ملزماً لرسول اللّه (ص) حيث قال: ﴿ فإذا عزمت فتوكّل ﴾، إذاً فالقيام بالعمل يكون على أساس عزم الرسول (ص) وليس على ما يرتئيه المؤمنون، ويوضح ذلك بجلاء الأمثلة الّتي ذكرناها من مشاورة الرسول المسلمين في موارد كانت عاقبة الأمر معلومة لرسول اللّه مسبقاً مثل مشاورته إيّاهم للقتال في غزوة بدر.

ثمّ إنّ مشاوراته (ص) كانت في مقام آستجلاء رأي المسلمين في كيفيّة تنفيذ الأحكام الإسلاميّة وليست في مقام آستنباط الحكم الشرعيّ بالتشاور، أضف إلى كلّ ذلك أنّ اللّه تعالى قال: ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى اللّه ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص اللّه ورسوله فقد

ضلّ ضلالاً مبيناً ﴾ الأحزاب/٣٦.

إذاً فإنّ رجحان المشاورة ينحصر بمورد لم يقض اللّه ورسوله (ص) فيه أمراً وفي ما قضى اللّه ورسوله (ص) فيه أمراً، تكون المشاورة معصية للّه ورسوله (ص) وضلالاً مبيناً.

ثانياً ـ البيعة

عرفنا ممّا سبق: أنّ البيعة لا تنعقد للقيام بمعصية الخالق ولا لمتجاهر بمعصية الخالق ولا بالإكراه وحدّ السيف.

أمّا أصحاب مدرسة الخلافة فإنّهم قالوا: تنعقد الخلافة ببيعة خمسة وقال بعضهم: تنعقد ببيعة واحد وحضور شاهدين، وآستدلّوا بعمل الصحابة.

ثالثاً ـ عمل الصحابة

يصحّ الاستدلال بعمل الصّحابة في ما إذا آعتقدنا أنّ سيرة الصّحابة مثل كتاب اللّه وسنّة رسوله مصدر للتشريع الإسلامي، ثمّ إنّ عمل الصحابة يخالف بعضه البعض الآخر كما رأينا في ما سبق، ومن ثمّ وقع الخلاف في آراء أتباع مدرسة الخلافة كما شاهدنا في ما سبق. وعلى هذا بعمل أيّ من الصّحابة نقتدي وقول من منهم ومن الأتباع نأخذ !؟

الاستدلال بكلام الإمام عليّ

أمّا ما آستدلّوا به من كلام للإمام عليّ، فإنّه كان في مقام الاحتجاج على معاوية وجماعته بما آلتزموا به. على أنّ إجماع الصّحابة بما فيهم الإمام عليّ وسبطا الرسول (ص) الحسن والحسين حجّة. وهذا هو مفهوم كلام الإمام المذكور.

وجوب طاعة الحاكم و عدم عزله بالفسق و إعلان المعصية:

قالوا: لا ينعزل الحاكم الّذي سمّوه بالإمام بالفسق و الفجور و إعلان المعصية.

و قالوا: على المسلم السمع و الطاعة للإمام الفاسق و إن ضرب ظهره و أخذ ماله، و لا يجوز الخروج عليه.

و قالوا: إنّ يزيد بن معاوية المتجاهر بالفسق و الفجور بالبيعة أصبح أمير المؤمنين، و نتيجة لاعتقادهم بصحّة بيعته آستطاع أن يجهّز جيشاً من المعتقدين بصحّة بيعته و يقتل بهم ذريّة الرسول بكربلاء و يسبيهم و يسير بهم أسرى من كربلاء إلى عاصمة ملكه الشام.

و بنتيجة تلك البيعة آستطاع أن يجهّز جيشاً آخر من المعتقدين بصحّة بيعته و يغزو بهم مدينة الرسول (ص) و يبيحها لجيشه ثلاثة أيّام، فقتلوا جمعاً من أصحاب الرسول (ص) و تابعيهم، و أخذوا البيعة من الآخرين على أنّهم عبيد أقنان ليزيد، و هتكوا أعراضهم و فعلوا ما شاءوا من جرائم لم يشهد المسلمون نظيرها في تاريخهم الطويل، ثمّ غزا بهم مكّة فضربوا بيت اللّه الحرام و الكعبة بالمنجنيق. و بعد كلّ تلك الجرائم يلقّبونه بأمير المؤمنين حتّى اليوم و يكتبون في مدحه الكتب و ينشرون، فإنا للّه و إنا إليه راجعون.

الإمامة لدى مدرسة أهل البيت (ع)

كانت تلكم آراء مدرسة الخلفاء في الإمامة والخلافة وأدلّتهم. أمّا مدرسة أهل البيت فإنّها تستدلّ بخطاب اللّه لإبراهيم وقوله له: ﴿ إنّي جاعلك للنّاس إماماً ﴾ وجواب اللّه لطلب إبراهيم حين قال: ﴿ ومن ذريّتي قال لا ينال عهدي الظالمين ﴾ على أنّ الإمامة عهد من اللّه لا يناله الظالم لنفسه أو لغيره. وتستدلّ بقوله تعالى في حقّ أهل البيت: ﴿ إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً ﴾ على عصمة أهل البيت محمّد وأهل بيته ـ صلوات اللّه عليهم أجمعين ـ من الذنوب، وكذلك تستشهد بسيرة أهل البيت، حيث لم يسجل منهم في التاريخ أمر مخالف للعصمة.

أمّا الأدلّة على إمامتهم فإنّنا إذا درسنا سيرة الرسول في أمر تعيين وليّ الأمر من بعده نجد أنّه لم يغب عن بال الرسول (ص) ومن حوله أمر الإمامة من بعده، فإنّ بعضهم طلب من الرسول أن يكون لهم الأمر من بعده فأجابه الرسول: « الأمر إلى اللّه يضعه حيث يشاء » وأخذ منهم البيعة في إقامة المجتمع الإسلامي « أن لا ينازعوا الأمر أهله » وعيّن الإمام عليّاً في أوّل يوم دعا إلى الإسلام وزيراً له وخليفة من بعده، وشاهدناه ـ أيضاً ـ يستخلف على المدينة كلّما غاب عنها لأمرٍ ما وإنْ كانت المسافة ميلاً أو أقلّ من ذلك.

وكذلك لم يترك أمّته هملاً أبد الدهر، وفعل (ص) كما فعل الرسل من قبله في تعيينهم الأوصياء من بعدهم وإخبارهم أممهم بذلك، وعيّن وصيّه ووليّ الأمر من بعده في أماكن مختلفة وأزمنة متعددة بأقوال تواترت عنه مثل قوله (ص) لسلمان عندما سأله عن وصيّه من بعده:

« إنّ وصيّي وموضع سرّي.... عليّ بن أبي طالب (ع) » إلى غير هذا من أحاديث النبيّ (ص) التي نصّ فيها (ص) على أنّ عليّاً وليّ الأمر من بعده، ولذلك آشتهر الإمام عليّ بلقب الوصيّ مدى القرون، وورد ذكره في أشعار الشعراء وأقوال الخطباء وآحتجاجات المناظرين صحابة وتابعين وعلماء وخلفاء وأمراء، كما مرّ بنا أمثلة منها.

ولـمّا كان آشتهار الإمام بأنّه وصيّ خاتم الأنبياء يخالف سياسة الخلفاء وآتّجاه مدرستهم، بالغوا جيلاً بعد جيل في كتمان أحاديث الرسول (ص) الّتي نصّ فيها على أنّ عليّاً (ع) وصيّه سواء كان التعيين بلفظ الوصيّ أو بألفاظ أخرى مثل الوليّ وأولي الأمر. وقد أوردنا عشرة أمثلة من أنواع كتمانهم في ما سبق مثل حذفهم بعض الحديث وتبديله بكلمة مبهمة، كما فعلوا مع نصّ « وصيّي وخليفتي فيكم » الّذي ورد في سنّة الرسول (ص) فإنّهم حذفوه وأبدلوه بقولهم: (وكذا وكذا).

وتأويلهم بعض النصوص من سنّة الرسول في هذا الشأن.

ومثل نهيهم عن كتابة سنّة الرسول.

وقتلهم من خالفهم في ذلك مثل قتل النسائي أحد أصحاب الصحاح الستّة الّذي كتب (خصائص الإمام عليّ).

ولم يقتصر نهيهم عن نشر الحقائق بالنصوص الواردة في حقّ الأئمة الاثني عشر، بل شمل النهي كلّما يخالف مصلحة السلطة الحاكمة، فقد قال رسول الخليفة يزيد لعبد اللّه بن الزّبير، عندما خلع يزيد وقد آجتمعوا في بيت

الله بمكّة:

يا ابن الزبير، أتصعد المنبر وتتكلم في أمير المؤمنين بكلّ قبيح ثمّ تشبه نفسك بحمام مكة !؟ ثمّ قال: يا غلام ! ائتني بقوسي وسهمي. قال: فأتـي بقوسه وسهامه، فأخذ سهماً فوضعه في كبد قوسٍ ثمّ سدّده نحو حمام مكّة.

وقال: ياحمامة، أيشرب أمير المؤمنين ؟ قولي: نعم ! أما والله لو قلت: نعم، لـمّا أخطأك سهمي هذا. يا حمامة: أ يلعب أمير المؤمنين بالقرود والفهود ويفسق في الدين ؟ قولي: نعم ! أما والله لئن قلت: نعم لا أخطأك سهمي هذا...[1].

وفي شأن وصيّ الـرسول (ص) خاصّة بالغوا في قلب الحقائق إلى حدّ أنّهم لعنوه في خطب صلاة الجمعة زهاء تسعين عاماً في جميع بلاد المسلمين عدا سجستان (سيستان)، ومع كل ذلك الحجر والشدّة المتناهية فيه ـ إلى حدّ قتل من روى عن الرسول (ص) في فضله حديثاً ـ مع كل ذلك انتشر شيء مـمّا يضرّ بمصلحة الخلفاء في بعض كتب الحديث والتفسير والسيرة وما شابهها فعالج ذلك أتباع مدرستهم بإحراق مكتبات كان فيها مئات الألوف من الكتب بخطوط مؤلّفيها[2] لما فيها من شيءٍ يضرّ مصلحة الخلفاء، وبعد كلّ تلك الشدّة في منع نشر الحقائق بقي في سنّة الرسول (ص) الّتـي بأيدينا من طرق مدرسة الخلفاء النصوص الآتية في أئمّة أهل البيت. مثل قوله (ص):

« عليّ منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي ».

وفي غدير خم لـمّا أمره الله أن يعيّـن وليّ الأمر من بعده ونزلت آية: ﴿ يا أيّها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربّك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس ﴾ صعد منبراً من أحداج الإبل ورفع عليّاً.

١) تمام الخبر مع ذكر مصادره في ذكر خبر (ثورة أهل الحرمين) في ما يأتـي من الجزء الثالث من هذا الكتاب.

٢) راجع قبله بحث (إحراق الكتب والمكتبات).

وقال: « اللّه مولاي وأنا مولاكم فمن كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللهمّ وال من والاه وعادِ من عاداه » وتوّج عليّاً بعمامته السحاب فنزلت آية:

﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾.

ونزلت فيه :

﴿ إنّما وليّكم اللّه ورسوله والّذين آمنوا الّذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ﴾.

وقال في حقّ كلّ من الحسنين :

« هذا منّي ».

وقال: « الحسن والحسين سبطان من الأسباط ».

وفي حقّ الأئمة من بعده: الإمام عليّ والأحد عشر من بنيه.أخبر الرسول:

أنّهم أُولو الأمر في آية:

﴿ يا أيّها الّذين آمنوا أطيعوا اللّه وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم ﴾.

وفيهم قال رسول اللّه (ص):

« مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق ». وجعلهم أعدال القرآن وقال:

« إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا من بعدي، وقد أنبأني اللّطيف الخبير أنّهما لا يفترقان حتّى يردا عليّ الحوض ».

ويظهر من قول الرسول هذا: أنّ أحد الأئمة لابدّ أن يطول عمره ويبقى مع القرآن إلى يوم القيامة.

وعيّن عددهم في قوله:

« لا يزال هذا الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم آثنا عشر ».

وفي رواية:

« لا يزال أمر الناس ماضياً إلى آثني عشر ».

وفي رواية بعدها:

« ثمّ يكون المرج و الهرج ».

وفي رواية:

« فإذا هلكوا ماجت الأرض بأهلها ».

وفي رواية قال عن عددهم أنّهم آثنا عشر عدّة نقباء بني إسرائيل.

ولا تصدق هذه الروايات على غير الأئمة الاثني عشر من أهل بيت رسول اللّه (ص) الّذين طال عمر آخرهم وبعدهم يكون فناء الدنيا. وبما أنّ علماء مدرسة الخلافة لم يرتضوا أئمة أهل البيت، فقد حاروا في تفسير هذه الروايات الصحيحة ولم يستطيعوا تأويلها بما يرضون به أنفسهم.

وفي ما يأتي أسماء أولئك الاثنا عشر كما نصّ عليهم الرسول (ص) في أحاديث أخرى له.

أوصياء النبيّ الاثنا عشر من بعده:

الأول . عليّ بن أبي طالب، أميرالمؤمنين، الوصي.

الثاني : الحسن بن عليّ، السبط الأكبر.

الثالث : الحسين بن عليّ، السبط الأصغر، الشهيد.

الرابع : عليّ بن الحسين، السجاد.

الخامس : محمد بن عليّ، الباقر.

السادس : جعفر بن محمد، الصادق.

السابع : موسى بن جعفر، الكاظم.

الثامن : علـيّ بن موسـى ، الرضـا.

التاسع : محمد بن علـيّ ، الجـواد.

العاشر : علـيّ بن محمد، الهـادي.

الحادي عشر : الحسن بن علـيّ ، العسكري.

الثانـي عشر : محمد بن الحسن، المهدي، الحجّة، المنتظر.

اتّجاه السلطة الحاكمة زهاء ثلاثة عشر قرناً

اقتصرنـا في ما أوردنـا من الأدلّـة على إمـامـة أئمة أهل البيت الاثني عشر (ع) في ما سبق على ما ورد في أوثق مصادر الدراسات الإسلاميّة بمدرسة الخلفاء و بالإضافة إلى ذلك فقد وردت في مصادر الدراسات الإسلامية بمدرسة أهل البيت النصوص الكثيرة المتواترة الواردة عن رسول اللّه (ص) في النصّ على إمامة الأئمة الاثني عشر (ع) بأسمائهم و صفاتهم

و يقول أتباع مدرسة أهل البيت (ع): ينبغي ان لا يغرب عن بالنا أنّ صحـة خلافة الخلفاء أمويّين وعباسيّين وعثمانيّين وغيرهم من الخلفاء ومن تبعهم من الأمراء و الولاة و القضاة و أئمة الجمعة و الجماعة في البلاد الإسلاميّة زهاء ثلاثة عشر قرناً كانت متوقّفة على كتمان ما ورد في إمامة الإمام علـيّ بن أبـي طالب و الأئمة من ولده (ع).

فإنّه مثلاً في زمن الخليفة هارون الرشيد أصبح أبو يوسف قاضي قضاة المسلمـين بتعيين الخليفة هارون الرشيد و مشروعيّة منصبه متوقّفة على صحّة خلافة هارون الرشيد و صحّة خلافة الرشيد متوقّفة على عدم وجود نصّ على إمـامة الأئمة الاثني عشر، وكذلك الأمر بالنسبة إلى وزارة البرامكة، فإنّهم أصبحوا وزراء لخليفة المسلمين بسبب صحّة خلافة هارون، وكذلك جميع

أمراء جيوش المسلمين في عصره أصبحوا أمراء لجيوش المسلمين بتعيين خليفة المسلمين هارون الرشيد، وكذلك شأن ولاة الخليفة على البلاد، فإنّ أمير صنعاء و أمير مكّة وأمير المدينة و الكوفة و الشام و الإسكندرية و الريّ وخراسان وسائر البلاد الإسلامية في جميع الأقاليم، وكذلك أئمة الجمعة و الجماعة في جميع البلاد الإسلاميّة من أقصى بلاد أفريقيا إلى ما وراء خراسان وبلاد الحجاز و اليمن و الشّام و العراق إلى غيرها من البلاد الإسلاميّة. كلّ أولئك أصبحوا في مناصبهم يعيشون معيشة المترفين بشرعيّة خلافة هارون الرشيد و شرعيّة خلافة هارون الرشيد متوقّفة على عدم وجود إمامة معيّنة منصوبة من قبل اللّه و منصوص عليها من قبل رسول اللّه (ص) في ذلك العصر وهو الإمام موسى بن جعفر (ع) ولا في إمامة سائر الأئمة (ع) قبله.

وهذا الأمر كان جارياً وسارياً في زمن يزيد ومعاوية وعثمان وغيرهم إلى آخر خلفاء العثمانيّين، فإنّ كلّ أولئك المنتفعين بخلافة الخلفاء جلّ العصور إنّما انتفعوا بمناصبهم ومعايشهم لعدم وجود نصّ على إمامة أيّ إمام غير الخلفاء على حدّ زعمهم ومع كلّ ذلك بقيت النصوص السّابقة في إمامة الأئمة من أهل البيت (ع) منتشرة في مصادر الدراسات الإسلاميّة بمدرسة الخلفاء إلى اليوم، وذلك لأنّ اللّه شاء أن يتمّ الحجّة على الناس مدى العصور، وما شاء اللّه كان.

* * *

بعد الانتهاء من دراسة رأي المدرستين في الصّحابة و الإمامة نستعين اللّه وندرس في ما يأتي رأي المدرستين في مصادر الشريعة الإسلامية وكيفية آستفادة كلّ منهما منها، إن شاء اللّه تعالى.

الملحق

اما در روایتها، حتی پاسخ به‌این پرسش را نمی‌توانیم بیابیم که در چه زمان و چگونه آن تغییر محسوس که سیر بعدی تحول تدریجی را پدید آورد، صورت گرفته است؛ یعنی چه‌زمانی پندار «جانشین پیامبر خدا» (خلیفهٔ رسول‌الله) جای خود را به‌پندار «جانشین خدا در زمین» (خلیفة‌الله فی‌الارض) داده است.

این تفسیر تازهٔ واژهٔ «خلیفه» که از بیخ‌وبن بااسلام آغازین مغایر بود، می‌بایست رفته‌رفته به‌خواست پروردگار بخشایندهٔ مهربان، خلیفه را جایگزین شهریاران آتش‌پرست و پاسیحی گرداند. هنوز روشن نیست که این تحول در چه زمانی و در چه شرایطی روی داده است. آیا تأثیر بیزانس برآن بوده است یا نه؟ تنها می‌توان گفت که لقب «خلیفة‌الله» در روزگار بنی‌امیه به‌کار رفته است. از فرزدق، شاعر روزگار بنی‌امیه چامه‌ای هست[27] که در آن خلیفه سلیمان (از ۷۱۵ تا ۷۱۷ م.) سلف خلیفه عمر دوم، «خلیفة‌الله» نامیده شده است. داستانی هست دربارهٔ خلیفه هشام (از ۷۲٤ تا ۷٤۳م) که چگونه یکی از چاپلوسان از او پرسیده بود: «چه‌کسی را گرامی‌ترمی‌داری، جانشینت (خلیفه‌ات) را و یا پیامبر را؟» و، هنگامی‌که خلیفه پاسخ داده بودکه «جانشینم را»، چاپلوس نتیجه‌گرفته بودکه «خلیفه» نزد پروردگار از پیامبر بالاتر است.[28] اگر نوشتهٔ روی یک سکهٔ مسین بیزانسی—تازی، درست خوانده شده باشد،[29] بایستی بپذیریم که عبدالملک پدر ولید، سلیمان و هشام، هنوز پیش از تغییر سکه‌ها یعنی در سدهٔ هفتم میلادی خود را «خلیفة‌الله» نامیده بوده است. اما ویژگی رفرم پولی عبدالملک—یعنی هنگامی‌که هنوز تلاش نداشتند نام خلیفه را کنار نام خدا و پیامبر بگذارند و روی‌سکه‌های زر و سیم تنها آیات و احادیث می‌نوشتند و بس— بخوبی نشان می‌دهد که فرمانروایان هنوز برآن نبودند که مفهوم

۲۷. ادب، ص۷.

۲۸. دینوری، ص۳۴۶. در اثر طبری (ج۲، ص۱۱۹۹) دربارهٔ ولید نیز چنین داستانی هست. نیز مقابله شود باداستان همین مؤلف (ج. ۱، ۲۷۴۸)دربارهٔ اعتراض عمر اول به‌لقب «خلیفة‌الله».

۲۹. نیز نهاوزن، سکه‌های خلفای مشرق، ص۲۷۵ (ش۲۶۸۱)؛
Lavoix, *Catalogue des monnaies* I, p. 25 (N. 83).

«خلیفةالله» را از حوزهٔ چاپلوسی و خوشامدگویی درگاهشان به حوزهٔ شرع منتقل کنند وگسترش دهند.[۳۰]

عباسیان در این‌باره باگستاخی بیشتری دست به‌کار شدند و در روزگار مأمون (از ۸۱۳ تا ۸۳۳ م.) برای نخستین‌بار پس از رفرم پولی عبدالملک، فرمانروای دولت، خودش را در روی سکه‌ها «خلیفةالله» نامید.

این نکته‌که سقوط بنی‌امیه (سال ۷۵۰ م.) برای همیشه به‌یگانگی جهان اسلام پایان داد، از جنبهٔ پی‌آمد، دارای اهمیت بیشتری است. نه‌تنها اسپانیا که شاهزاده‌ای از بنی‌امیه، از سوریه‌گریخته و حکومت خود را در آنجا مستقر کرده بود، بلکه مراکش و بخش باختری الجزایر نیز بیرون از قلمرو عباسیان بود. اما عباسیان گذشته از قلمرو پهناور خویش، در برابر دشمنانشان این برتری را نیز داشتندکه شهرهای مقدس اسلام در حیطهٔ فرمانروایی آنان بود و مراسم زیارت حج هم زیر رهبری آنان و یا نمایندگانشان انجام می‌گرفت. جاذبهٔ مکه و مدینه در میان سنیان و شیعیان هنوز چنان بزرگ بودکه فرمانروایانی‌که این شهرها در قلمرو آنان نبود جسارت نمی‌کردند خودشان را «امیرالمؤمنین» و یا «خلیفه» بنامند و درضمن، آنها عباسیان را نیز باچنین عنوانهایی نمی‌پذیرفتند بزرگ بنی‌امیهٔ اسپانیا را «پسر (نوادهٔ) خلفا» و [= ابن‌خلیفةالله] و بزرگ ادریسیان شیعی مراکش را «پسر (نوادهٔ) پیامبر خدا» [= ابن‌رسول‌الله] می‌نامیدند اما خوارج از این‌کار شرم نداشتند و بزرگان دودمان رستمیان که در بخش باختری الجزایر فرمانروایی داشتند، خود را «خلیفه» می‌نامیدند، البته آن هم به‌معنی جانشین پیامبر، همچون سرور جامعهٔ مؤمنان[۳۱].

۳۰. عبارت خلفاءالله در اسناد رسمی نیز دیده می‌شود، چنانچه در فرمان ولید دوم. (طبری، ج۲، ص۱۷۵۹، ۹).

۳۱. ابن‌خردادبه، ص ۸۷.



الفهرس

الموضوع الصفحة

بحوث تمهيديّة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

القسم الأول

بحوث المدرستين حول مصادر الشريعة الإسلامية

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع

الموضوع الصفحة

مدرسة الخلفاء تبذل جهوداً كبيرة

في سبيل كتمان أخبار الوصيّة

و تأويل ما آنتشر منها

كتمان فضائل الإمام علي (ع)

و نشر سبّه و لعنه و السبب فيهما

الموضوع الصفحة

عشرة أنواع من الكتمان و التحريف لسنّة الرسول (ص)
و أخبار سيرة أهل بيته و أصحابه

دراسة عمل مدرسة الخلفاء

بنصوص سنّة الرسول (ص) المخالفة لاتّجاهها

الموضوع **الصفحة**

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

ما بقي من النصوص الواردة عن الرسول (ص)
في حقّ آله في الحكم

الاحتفال بتنصيب الإمام عليّ ولياً للعهد بعد الرسول (ص)
و وصيّاً على الإسلام و المسلمين

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الفصل الرابع

خلاصة بحث الإمامة لدى المدرستين

الموضوع	الصفحة

نداء ودعوة لتجديد حياة إسلاميّة وتوحيد كلمة المسلمين

إلى رابطة العالم الإسلاميّ بمكّة المكرمة والجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنوّرة والحورات العلميّة في النجف الأشرف والجامع الأزهر في القاهرة وجامعه الزيتونة والقيروان في توس وجامعة القرويين بالمغرب .

إلى مفكري العالم الإسلامي وعلمائه وكُتّابه .

إلى المجاهدين المخلصين في سبيل إعادة حياة إسلاميّة في بلاد المسلمين .

إلى المصلحين الغيارى الساعين لتوحيد كلمة المسلمين .

إليكم جميعاً أُقدّم هذا النداء وهذه الدعوة (بكلّ تجلّة واحترام) وأقول إنّ العالم الإسلامي بدأ ينهص لتجديد حياة إسلاميّة . وللوصول إلى هذا الهدف الجليل ، ينبغي القيام بدراسة موضوعيّة لما ورثه جميع المسلمين من مصادر سنة الرسول (ص) ، سيرةً وحديثاً. وعدم البقاء على تمليد السلف الصالح في استنباط الأحكام الشرعيّة ولا في دراية الحديث . وبذلك يتحقّق الوصول في معرفة الإسلام من الكتاب والسنّة ، ويتيسّر توحيد كلمة المسلمين حولهما للقيام بتجديد حياة إسلاميّة .

وها أنا ذا أُقدّم إليكم جميعاً هذه البحوث الّتي نظمت للوصول إلى الهدف المذكور ، راجياً النظر فيها بتجرّد علمي ، وتنبيهي على الأخطار التي تلازم غير المعصوم .

قل هذه سبيلي ادعوا إلى اللّه على بصيرة إنا ومن اتّبعني وسبحان اللّه وما أنا من المشركين.

المؤلف

عنوان المؤلف للمراسلة : بيروت ـ لبنان ص. ب ٥٦٥٥ ـ ١١٣ .

مكتبة مدبولي

ميدان طلعت حرب بالقاهرة ـ ج م ع تليفون ٧٥٦٤٢١